



جامعة وهران 2  
كلية الحقوق و العلوم السياسية

أطروحة

للحصول على شهادة دكتوراه في العلوم  
في العلوم السياسية

مشروع الشرق الأوسط الكبير:

بين الأهداف الاستراتيجية والتطلعات الفعلية لشعوب المنطقة

مقدمة ومناقشة علنا من طرف

السيدة(ة): براهيمى حنان

**أهم لجنة المناقشة**

|              |                 |                 |                          |
|--------------|-----------------|-----------------|--------------------------|
| رئيسا        | جامعة وهران 2   | أستاذ           | صافو محمد                |
| مشرفا ومقررا | جامعة وهران 2   | أستاذ           | بوسماحة نصرالدين         |
| عضوا مناقشا  | جامعة وهران 2   | أستاذ           | طبيي محمد بلهاشمي الأمين |
| عضوا مناقشا  | جامعة الجزائر 3 | أستاذ           | شعنان مسعود              |
| عضوا مناقشا  | جامعة البليدة 2 | أستاذ           | شرقي محمود               |
| عضوا مناقشا  | جامعة مستغانم   | أستاذ محاضر (أ) | بلغيث عبد الله           |

السنة: 2021-2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ"

صدق الله العظيم

سورة الشورى، الآية 38

## شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والذي لم يكن لهذا العمل أن يرى النور دون توفيقه وهو القائل عز وجل في كتابه الكريم، بعد باسم الله الرحمن الرحيم: "وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب"، صدق الله العظيم.

أشكر عائلتي وتحديدا والدي الكريمين اللذان فاق إصرارهما على بلوغ هذه الدرجة إصراري، وكان حرصهما أشد من حرصي، عسى ربي أن يرحمهما في الدنيا والآخرة كما ربياني.

أشكر الأستاذ المشرف "بوسماحة نصر الدين" على صبره وحرصه على أن تكون النتيجة عملا ذو قيمة علمية وعملية. وأشكر أعضاء لجنة المناقشة على مساهمتهم في تقييم هذا العمل.

أشكر كل الأساتذة الذين ساهموا في تكويني العلمي.

أشكر القائمين على إدارة كلية الحقوق والعلوم السياسية، بجامعة وهران 2 محمد بن أحمد، حيث كان إسهامها في تذليل الصعوبات حاسما في إنجاز هذا العمل، والشكر موصول إلى الأستاذ رئيس قسم العلوم السياسية محوز عمر وإلى كل الطاقم الإداري والعاملين على مكتبة العلوم السياسية. أشكر القائمين على مكتبة قسم العلوم السياسية، في كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، وأيضا مكتبة البلدية في مدينة ندرومة.

أشكر كل القائمين على المكتبات التي تمت زيارتها خارج الوطن، والتي قدمت مساعدة معتبرة من خلال تسهيل الوصول إلى مراجع مهمة وحديثة ومتنوعة ذات الصلة بموضوع الدراسة، وفي هذا المقام وجب ذكر:

- ◀ مكتبة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية والمكتبة المركزية في جامعة القاهرة.
- ◀ مكتبة قسم العلاقات الدولية والمكتبة المركزية في جامعة حلوان، مصر.
- ◀ قسم العلوم السياسية في جامعة الإمارات العربية المتحدة.
- ◀ مكتبة الطلاب ومكتبة الطالبات في جامعة الشارقة.

والشكر موصول لكل من قدم النصيحة وساهم من قريب أو من بعيد في تشجيعي على الانجاز، وهنا أخص بالذكر الأستاذة الغالية معمر خديجة.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع،

إلى أمي الحبيبة وأبي الغالي، أتمنى أن أكون عند حسن ظنهما، وأسأل الله عز وجل

أن يجزيهما خير الجزاء.

إلى أختي سارة وسميرة اللتان كانتا برفقتي طيلة هذه الرحلة، أسأل الله أن يحقق

أمنيتهما.

إلى كل من تقاسم معي هذه الفرحة وتمنى لي الخير

مقدمة

شهدت سنة 2004 الإعلان عن مشروع الشرق الأوسط الكبير من طرف الإدارة الأمريكية برئاسة جورج بوش الابن George W. Bush متجهاً به نحو منطقة تضم الدول العربية إلى جانب دول إسلامية غير عربية (تركيا، إيران، أفغانستان، باكستان) إضافة إلى الكيان الصهيوني. وهو عبارة عن خطة، جاء في مضمون المشروع، أنها تهدف إلى تخليص المنطقة من الأنظمة الدكتاتورية والاستبدادية إلى أنظمة ديمقراطية، إلى جانب تحويل المجتمعات الإسلامية والعربية إلى مجتمعات متحررة قادرة على التخلص من أية قيود يمكن أن يتم فرضها عليهم.

وجاء هذا المشروع عقب مجموعة من الأحداث التي كان لها أثر يبين على العلاقات الدولية بشكل عام والسياسة الخارجية الأمريكية وأوضاع المنطقة المعنية بشكل خاص. وكان أولها أحداث 11 سبتمبر 2001، والتي تركت آثارها على التفاعلات الدولية؛ حيث أعقبها كأحد نتائجها، احتلال الولايات المتحدة الأمريكية لأفغانستان في نفس السنة، ثم العراق سنة 2003، ثم المشاركة ضمن حلف شمال الأطلسي في الإطاحة بالرئيس الليبي السابق معمر القذافي سنة 2012. ولقد تمثلت المبررات المعلنة إجمالاً في القضاء على الدكتاتورية والإرهاب والفكر المتطرف باعتبارها تهدد السلم والأمن الدوليين. وهي جملة من الأهداف المعلنة التي ترمي إلى تسويق المشروع للحصول على التأييد في المنطقة؛ نظراً لكونها تشبه التطلعات الشعبية فيها. ولأجل ذلك، تقرر من خلال المشروع دعم الديمقراطية ممثلة في التداول على السلطة من خلال انتخابات نزيهة وتعددية، دعم المجتمع المعرفي والتشجيع على خلق الفرص الاقتصادية من خلال القطاع الخاص وكذلك تمكين المرأة، حيث تم الترويج لها كأفضل الطرق التي تؤدي إلى تمكين الشعوب من التقدم المنشود.

وفي هذه المرحلة من تطورات العلاقات الدولية، تبدو الحركات الإرهابية والتنظيمات المتطرفة كفواعل قادرة على تحريك الأحداث. لاسيما وأنها لا تشبه كيان "الدولة" من حيث الشرعية كتنظيم سياسي للمجتمع، كما ان لديها إمكانات قادرة على تهديد هذا الكيان وغيره إن تطلبت طموحاتها أو طموحات الداعمين لها ذلك. وهي فواعل لا تستمد قوتها فقط من خلال ما تمتلكه من أدوات عسكرية أو أموال، بل تقوم أيضاً بالاعتماد على الفكر لجلب المزيد من المؤيدين وبالتالي الممولين.

ولقد قادت الولايات المتحدة الأمريكية ما أسمته بالحرب العالمية على الإرهاب وأعلنت عن مكافحة التطرف، مستخدمة وسائل متنوعة تراوحت بين الأعمال العسكرية وغير العسكرية، القوة الصلبة والقوة

الناعمة والقوة الذكية<sup>1</sup>، جاعلة من كل دولة وكل نظام سياسي لا يقدم الدعم في هذه الحرب عدوا يهدد الأمن القومي الأمريكي ويشكل خطرا على المصالح الاستراتيجية الأمريكية.

وبما أن السياسة الخارجية لأية دولة تعبر عن رؤية هذه الأخيرة لنفسها ولمكانتها الفعلية أو المكانة التي تريد أن تكون فيها، فإن البحث عن ذلك وبالتحديد عن الأهداف الاستراتيجية التي أرادت الإدارة الأمريكية تحقيقها شكل ولا زال جزءا هاما من النشاط العلمي والعملية في الشؤون السياسية.

وبعد عدة سنوات من الإعلان عن المشروع وتكريس عدد من المؤسسات الأمريكية الرسمية وغير الرسمية لجهودها في نشر الديمقراطية، والذي شكل أحد أهداف السياسة الخارجية الأمريكية، شهد مطلع سنة 2011 احتجاجات ضد الأنظمة السياسية في الدول العربية بداية من تونس، حيث طالبت الأغلبية بإسقاط النظام، إسقاط الفساد، تحقيق العدالة الاجتماعية، احترام كرامة الإنسان ورحيل كل من اعتبرهم المحتجون مسئولين عن تدهور أوضاع دولهم. غير ان هذه الدول تواجه تحديات سياسية، أمنية، وحتى فكرية وثقافية. ولم تتمكن المجتمعات المستهدفة من الحصول على الاستقرار المنشود ولا على العيش في التطور والازدهار الذي تمكنت الدول المتقدمة من بلوغه، وهو مجمل ما تتطلع إليه شعوب المنطقة.

وساد في المجتمعات العربية و الإسلامية نقاشات حادة، كان للمواضيع السياسية والدينية النصيب الأكبر منها؛ حيث عادت العلاقة بين الدين و السياسة، الأصالة و المعاصرة، إلى الواجهة، واحتلت العديد من المفاهيم حيزا هاما من انشغالات الباحثين والمفكرين والإعلاميين، كان على رأسها التراث الإسلامي، الوسطية، الاعتدال، العلمانية، و غيرها من المفاهيم ذات العلاقة بالمنظومة الفكرية السائدة في هذه المجتمعات و ماهية التغييرات المطلوبة فيها لكي تصبح منظومة مناسبة، مع الإشارة إلى وجود تساؤلات حول مناسبتها لمن و لماذا.

والتغيير هو مضمون المشروع الذي ضمن سياق الدعوة إلى التحول نحو الديمقراطية والليبرالية بشقيها الكلاسيكي والجديد؛ ويتبين ذلك من خلال الدعوة إلى تحويل الأنظمة السياسية إلى أنظمة قائمة على المؤشرات الديمقراطية وعلى رأسها التداول السلمي على السلطة، وتحويل الأنظمة الاقتصادية إلى

<sup>1</sup> - تختلف طبيعة القوة المعتمدة في السياسة الخارجية لدولة ما بحسب طبيعة الأدوات المستخدمة؛ تعني القوة الصلبة استخدام القوة العسكرية (الضغط والإكراه)، وتعني القوة الناعمة استخدام الأدوات الدبلوماسية (الإقناع والجاذبية)، وفي حالة القدرة على الجمع بينهما، تسمى القوة الذكية، للمزيد حول هذه المفاهيم، انظر:

علي بشار بكر أغوان، الفوضى الخلاقة العصف الرمزي لحرائق الشرق الأوسط، بغداد: مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2013، ص-ص: 322-346

أنظمة منفتحة قوامها التجارة الحرة، والأنظمة الاجتماعية إلى أنظمة قائمة على حرية المرأة وما يخدم ذلك من تغيير للأنظمة التعليمية والثقافية. غير أن هذا الشق المعلن من المشروع يحث على طرح مجموعة من التساؤلات حول أهدافه الخفية والحقيقية؛ فوجود الكيان الصهيوني ضمن خريطة الطريق المطروحة، إلى جانب التطورات الحالية يدفع إلى التشكيك في دوافعها التي تبدو مرتبطة بجل القضايا الاستراتيجية في المنطقة وفي مقدمتها قضية الصراع العربي-الإسرائيلي.

لقد تم اختيار هذا الموضوع بناء على عدة مبررات يمكن تقسيمها إلى مبررات موضوعية وأخرى ذاتية.

تتمثل المبررات الموضوعية في حجم المشاكل التي تعاني منها المنطقة التي استهدفها المشروع بشكل عام والدول العربية ومجتمعاتها بشكل خاص؛ فهي لم تعد تقتصر على المجال السياسي والاقتصادي فحسب، بل تتطور المشاكل الاجتماعية بشكل ملحوظ. وعندما دعا المشروع إلى التغيير، لم يطرح مقارنة سياسية واقتصادية فقط، بل كان التغيير المطلوب ذو أبعاد فكرية وثقافية أيضا تمس مجتمعات المنطقة في مدرجاتها وأفكارها وثقافتها. ولذلك، تأتي هذه الدراسة لتناقش موضوع الكيفية التي تم طرحها لإحداث التغيير من جهة، ومن جهة أخرى، تسليط الضوء على التغيرات التي تحدث فعليا في هذه المجتمعات وعلاقة ذلك بالمشروع محل الدراسة. ومن جهة ثالثة كشف المكانة التي تحتلها تطلعات الشعوب ضمن كل ذلك.

أما المبررات الذاتية فتكمن في الرغبة في تقديم مساهمة علمية قائمة على محاولة شرح الأرضية الفكرية و الواقعية التي تم بناء المشروع على أساسها، وربط ذلك بما حدث بعد سنوات من طرحه؛ إذ يدفع الانتماء إلى المنطقة ومعايشة التخبط الذي تعاني منه و ارتباكها أمام الأزمات والتحديات المختلفة - علما بأن هذه الأخيرة غير متفاوتة واقعا من حيث الشدة و الخطورة سواء كانت سياسية، أمنية، اقتصادية، اجتماعية، دينية أو فكرية و ثقافية - إلى البحث في الأسباب ومحاولة فهم العلاقة بين المتغيرات الداخلية والخارجية، بما يفضي في النهاية إلى تكوين رؤية أوضح للواقع يمكنها أن تؤخذ بعين الاعتبار عند تبني المقاربات المخصصة لمواجهة التحديات المذكورة.

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الإشكالية التالية؟

- هل الأفكار الليبرالية التي تضمنها مشروع الشرق الأوسط الكبير لتحقيق أهدافه الاستراتيجية، قادرة على تحقيق المزيد من الانتشار، إلى ذلك الحد الذي يسمح لها بأن تتوغل في المجتمعات المستهدفة وتصبح بديلا واقعا لما كان ثابتا على مدى التاريخ كقواعد ممارسة سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا وثقافيا؟



تتفرع عن الإشكالية المطروحة مجموعة من التساؤلات:

- 01- ما هي الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير؟
  - 02- ما هي الآلية التي قام عليها مشروع الشرق الأوسط الكبير لتحقيق أهدافه الاستراتيجية؟
  - 03- هل مشروع الشرق الأوسط الكبير هو المصدر الوحيد لانتشار الفكر الليبرالي في المنطقة؟
  - 04- ما هي العوامل التي تبين مدى قوة الفكر الليبرالي في منطقة مشروع الشرق الأوسط الكبير؟
- وللإجابة على الإشكالية، وما تفرع عنها من تساؤلات، صيغت الفرضيات التالية:
- 01- تتمحور الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير حول حماية المصالح الاستراتيجية الأمريكية بما يضمن للولايات المتحدة الأمريكية الاحتفاظ بمكانتها.
  - 02- اعتمد مشروع الشرق الأوسط الكبير على آلية التدويت أو إدخال الأفكار التي تضمنها لتحقيق أهدافه الاستراتيجية اعتمادا على وسائل مختلفة.
  - 03- مشروع الشرق الأوسط الكبير هو أحد المصادر التي انتشر من خلالها الفكر الليبرالي في المنطقة التي برز فيها بعده توجهات لبرالية ذات مواقف يعاكس بعضها التطلعات الفعلية لشعوب المنطقة.

04- توجد عوامل تبين بأن الفكر الليبرالي سيتجه بفضلها نحو اكتساب المزيد من القوة وبالتالي الانتشار تتعلق بمصالح الإدارة الأمريكية وبعض أنظمة الحكم العربية، وتوجد عوامل أخرى تبين بأن هذا الفكر غير قادر على اكتساب صفة البديل في المنطقة المستهدفة، وهي تتعلق بطبيعته وتصادمه مع المنظومة الفكرية العربية والإسلامية.

ركزت بعض الدراسات التي تناولت موضوع مشروع الشرق الأوسط الكبير على الأدوات التي تم استخدامها في تنفيذ المشروع، وأهدافه المعلنة وغير المعلنة، فيما أكدت دراسات أخرى على فشله في تحقيق تلك الأهداف بحجة أن المعلن من تلك الأهداف والممثل في تحقيق الديمقراطية لم يتحقق، وكذلك غير المعلن والمتمثل في الهيمنة على المنطقة وتقسيمها لضمان المصالح الاستراتيجية. وهنا، تأتي أهمية هذه الدراسة علميا وعمليا.

✓ من الناحية العلمية، تشير هذه الدراسة إلى تطور حقل العلاقات الدولية، والذي انتقل من

مفاهيم النظريات التي تم تصنيفها بكونها نظريات عقلانية وضعية إلى مفاهيم أخرى جاءت ضمن نظريات وُصفت بانها ما بعد وضعية وتحديد راديكالية. لم يعد التحليل في ميدان العلاقات الدولية قائما على مفاهيم المدرستين الواقعية والمثالية فقط، بل جاءت الماركسية، النقدية والنسوية والبنائية لتضيف مستويات تحليل

جديدة تساعد على طرح تساؤلات أخرى ما يفتح المجال أمام تقديم تفسيرات وإن لم تكن مغايرة، فإنها أعمق وأدق.

لقد طرحت الماركسية العلاقة بين من يملك ومن لا يملك اعتمادا على مفهومي البرجوازية والبروليتاريا، ومنح أنطونيو غرامشي مقارنة تفسيرية لسبب استمرار هذه العلاقة باستخدام مفهوم الهيمنة، ليبين بأن الآلية المستخدمة تكفل هذه الهيمنة وتؤدي إلى استمرارها، مؤكدا على أن الطرف المهيمن، وبفضل سيطرته على جل المؤسسات، فإنه ينشر صورة مثالية عن أفكاره وقيمه وقناعات لدى المستهدفين بضرورة قبول تلك القيم وأن اتساع الفجوة بينهما أمر طبيعي ومنطقي.

كما ركزت الماركسية الجديدة على علاقة التبعية الموجودة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، وهي علاقة استغلالية يتم فيها تفسير السياسة الخارجية كأداة للحفاظ على المصالح والامتيازات التي تتمتع بها الدول المتقدمة، سواء كانت هذه السياسة تعتمد على دعاية مثالية أم لا. كما تبين بأن استمرار النظام الرأسمالي يرتهن باستمرار هذه العلاقة.

جاءت بعد ذلك النظرية النقدية، التي تدعو إلى الانعتاق أي التحرر من جميع القيود وعلى رأسها الدولة؛ حيث وجه النقاد انتقادات للمدارس السابقة باعتبارها قامت على منح صفة التقديس لأشياء غير مقدسة، وأن نزع هذه الصفة هو الذي يكفل تحرر الإنسان من القيود المفروضة عليه.

ودعا الاتجاه النسوي في العلاقات الدولية إلى البحث عن دور المرأة والتأثير الذي يمكنها أن تمارسه في مجال العلاقات الدولية، سواء أكاديميا أو على مستوى الممارسة، حيث أن عدم إشراك المرأة بالنسبة لها، يؤدي إلى فهم قاصر لهذا المجال ووضع خطط قاصرة أيضا لمواجهة المشاكل عمليا.

ثم تأتي النظرية البنائية لتؤكد على مفهوم الإدراك وتصورات الفواعل، وتأثيرها على عملية صنع القرار، واعتبار السياسات الخارجية قد تكون نتيجة التأثير ببنية النظام الدولي، أي الموقع ضمن توزيع القوة، وقد تكون أيضا نتيجة الرؤية التي تتكون لدى صانع القرار حول موقف ما، وهو ما يؤثر على قراراته. تتميز البنائية بتركيزها على التصورات، وهو ما يفتح المجال أمام وضع فرضية تقول بأن العمل على تغيير هذه التصورات يؤدي إلى تغيير طبيعة القرارات المتخذة.

إذن، من الناحية العلمية تشكل النظريات السالفة الذكر الأساس العلمي الذي بنيت الدراسة عليه؛ حيث أسهمت في إخراج متغيراتها ومن ثم صياغة الفرضيات المطروحة.

✓ من الناحية العملية: تثير هذه الدراسة موضوع التغييرات التي شهدتها المنطقة منذ 2011

والتي تراوحت الآراء بشأنها ما بين فئة تؤمن بوجود أطراف خارجية حركت الأحداث وكانت متحكمة في وتيرتها، وفئة أخرى اعتبرت أن المتغيرات الداخلية هي التي أسهمت بشكل حاسم في ذلك. تبرز الأهمية العملية لهذه الدراسة في توضيحها للوسائل المستخدمة في تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير بالتركيز على الجانب الفكري والقيمي والثقافي، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، تحاول تتبع تواجد الأفكار التي دعا إليها المشروع في المنطقة، وتحديد العوامل التي أدت إلى هذا التواجد، بالتركيز على مسار الفكر الليبرالي منذ بداياته إلى الفترة المعاصرة، وتحديد مراحل القوة والتراجع، بحيث تكون هناك في النهاية إمكانية تحديد علاقة المشروع بتلك التغيرات.

ومن جهة ثالثة، تتطرق هذه الدراسة من وجود احتمالين أساسيين فيما يتعلق بمالات مضمون المشروع، وفيما يتجه الاحتمال الأول إلى أن الأهداف الاستراتيجية للمشروع ظلت قائمة مع اختلاف في الآليات المستخدمة، يتجه الثاني إلى تراجع التعويل على التغيير المطلوب لتتأقده مع التطلعات الفعلية لشعوب المنطقة.

وبناء عليه، هناك أهداف علمية وأخرى عملية لهذا العمل،

✓ علمياً، يهدف هذا العمل إلى تقديم مساهمة علمية في مجال العلاقات الدولية والسياسة

الخارجية، إضافة إلى مجال الدراسات الأور ووسطية، والتي تعنى بمجال جغرافي يمتد على حدود البحر الأبيض المتوسط بمضامينه الحضارية والثقافية والاستراتيجية أيضاً، وما يتضمن ذلك من تنافس دولي حول إمكاناته إضافة إلى جملة المشاكل التي يعاني منها على مختلف الأصعدة.

✓ عملياً، يهدف إلى تسليط الضوء على حجم الفكر الليبرالي في المنطقة وتحديد في

المنطقة العربية التي تشهد واقعياً جدلاً واسعاً حول عدد من الأمور السياسية والدينية، وهذا ما أثار دور العوامل الخارجية في ذلك، ودفع إلى إثارة مشروع الشرق الأوسط الكبير بعدما سادت قناعة بفشله وتراجعها. إضافة إلى تحديد العلاقة بين هذا الفكر وما تتطلع الشعوب العربية إلى تحقيقه لا سيما على المستويين السياسي والاقتصادي، وتبرز الأهمية العملية أيضاً في تحديد عوامل التجاذب والتنافر بين المتغيرين، وتحديد مجالات الاتفاق والاختلاف بناء على مؤشرات واقعية.

مكانيا، تركز هذه الدراسة على المنطقة التي حددها مشروع الشرق الأوسط الكبير، والتي تشمل الدول العربية، باكستان، أفغانستان، إيران وتركيا، مع التركيز على الدول العربية.

أما زنيا، فالدراسة تمتد منذ سنة 2004 وهو تاريخ الإعلان عن مشروع الشرق الأوسط الكبير من طرف الإدارة الأمريكية برئاسة جورج بوش الابن George w. Bush، وتتوقف عند سنة 2019، وهي سنة شهدت الكثير من النقاشات الفكرية وجدلا واسعا بين السياسة والدين، إلى جانب تغيرات داخلية، إقليمية ودولية. كما أن هذه الفترة الزمنية تقيد في تتبع مسار المساعي الأمريكية لتغيير الأنظمة في المنطقة العربية إلى غاية عهدة دونالد ترام Donald Trump مروراً برئاسة باراك أوباما Barack Obama، وهو ما يساعد على التحقق من صحة أو خطأ الفرضيات المطروحة. وهذا مع التطرق إلى الخلفيات التاريخية وإلى بعض الأحداث التي عرفتها سنة 2020 عندما يتطلب الأمر ذلك.

تم تناول موضوع مشروع الشرق الأوسط الكبير من طرف عدد من الباحثين بشكل يبين الرغبة الحقيقية في كشف أهداف هذا المشروع وفي الحصول على دراية أوسع بالسياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة، وعلى نحو أدق بالوسائل والأدوات المستخدمة لتحقيق أهدافه. ولكن، بعد الاطلاع على بعض الدراسات، برزت الحاجة إلى إضافة عمل جديد يضيف المستجدات التي عرفتها المنطقة ويعيد النقاش إلى الواجهة حول وجود دور للعامل الخارجي من عدمه في تحريك الأحداث؛ وإن كانت تلك الدراسات قد اتفقت حول وجود استراتيجية لإحداث التغيير في المنطقة المستهدفة وفي الدول العربية بشكل خاص؛ إلا أن تفسير الكيفية التي يتم من خلالها تحقيق ذلك ظل بحاجة إلى المزيد من التحليل، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، أكدت تلك الدراسات على استمرار المشروع في الوقت الذي بدا وكأنه لم يكن سوى اقتراحاً أمريكياً لم تتحقق أهدافه على أرض الواقع. ومن أبرز الدراسات التي انطلق منها هذا العمل:

- شيرين حامد فهمي السيد بعنوان:

"الأبعاد الثقافية للاستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية بعد 11 سبتمبر"، وهي مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية سنة 2010. وفيها درست الباحثة العلاقة بين مشاريع الإصلاح وما يحدث على المستوى الثقافي في المنطقة العربية خلال المرحلة التي تلت أحداث 11 سبتمبر 2001. ناقشت مكانة العاملين الثقافي والديني في العلاقات الدولية وعلاقة ذلك بمفهوم القوة، كما تناولت مفهوم الهيمنة باعتباره المنطق الذي قامت عليه الاستراتيجية الأمريكية، والتي ركزت الباحثة على أحد مكوناتها المتمثل في السياسات الثقافية مركزة على العالم الإسلامي.

أكدت الباحثة على أن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي في هذه المرحلة استندت على حتمية التغيير واعتماد آليات جديدة لتحقيق ذلك، وأيضاً على أن سياسة الهجوم على الإسلام، الدبلوماسية العامة والإصلاح هي سياسات ذات أبعاد ثقافية. وتوصلت إلى أن سياسات الإصلاح تستهدف تغيير البنية الفكرية المجتمعية في العالم الإسلامي بما فيه المنطقة العربية.

- عبد الجليل محمد حسين كامل بعنوان:

"الشرق الأوسط الكبير دراسة تحليلية مقارنة للمشاريع الأمريكية في المنطقة"، وهي مقدمة للحصول على دكتوراه الفلسفة سنة 2008. وفيها سلط الباحث الضوء على نتائج مشروع الشرق الأوسط الجديد ومشروع الشرق الأوسط الكبير، وتوصل إلى أن كليهما حقق تقدماً معتبراً على أرض الواقع؛ إذ أكد على تقدم العلاقات الإسرائيلية مع عدد من الدول العربية، وعلى أن سياسات الإصلاح وتحديد الإصلاح التعليمي، إلى جانب الاعتماد على الدبلوماسية العامة، هي كلها تقضي في النهاية إلى تحقيق الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية وحماية مصالحها الحيوية.

- Dionysius Markakis بعنوان:

« US Democracy Promotion in The Middle East The pusuit of Hegemony? »

وهي دراسة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة سنة 2012. وفيها ناقش الباحث الجهود الأمريكية في نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط محاولاً الإجابة على ماهية الهدف الحقيقي الكامن وراء ذلك، مستفيداً من الثروة النظرية التي حققها علم العلاقات الدولية، كما تناول الإصلاحات التي عرفتها بعض الدول العربية. أكد الباحث بان الولايات المتحدة الأمريكية جندت مختلف الوسائل العسكرية منها والدبلوماسية والاقتصادية والإعلامية لنشر أيديولوجيتها، وفي سعيها لتحقيق ذلك قررت واختارت عدم الاعتماد على الفواعل الموجودة والقيام بدلاً عن ذلك بخلق فواعل جديدة بما يخدم في النهاية تحقيق مصالحها.

وبعد فحص الدراسات السابقة، وجمع المراجع المتعلقة بالموضوع، وتحديد إشكاليته، تم تقسيم الدراسة إلى أربع فصول.

تناول الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير، وفي تمت مناقشة الاسم الذي تم إطلاقه على المشروع وأبعاده التاريخية ودلالاته المعاصر. كما تم التركيز في هذا الفصل على توضيح المكانة التي تحتلها عملية نشر الديمقراطية في السياسة الخارجية الأمريكية، وفي ذلك محاولة

للتعرف على توقيت اهتمام الإدارة الأمريكية بذلك، في هذه المنطقة بشكل خاص، مع ربط ذلك بطبيعة تلك الإدارة و القائمين عليها، بغرض اكتشاف الدوافع الكامنة وراء ذلك، و من ثم ماهية الأهداف بعيدة المدى التي تريد الولايات المتحدة الأمريكية تحقيقها، و في هذا السياق، تم الربط بين نشر الديمقراطية و ما تعتبره الولايات المتحدة الأمريكية مصالح حيوية يجب القضاء على كل ما يشكل خطرا عليها.

ناقش الفصل الثاني مفهوم التزوية الذي تعتبره الدراسة هو الآلية الأساسية التي قام عليها المشروع، وذلك بعد الاعتراف في الفصل الأول بوجود وسائل مختلفة تم رصدتها لعملية التنفيذ. غير أن هذا الفصل يلي الحاجة إلى فهم المنطق الذي تم بناء المشروع على أساسه، لا سيما وأنه قائم أصلا على الأيديولوجية الليبرالية ببعديها السياسي والاقتصادي، مع تضمين البعد الاجتماعي بينهما. يتم في هذا الفصل التعرف على قيم هذه الإيديولوجية وكيفية الترويج لها، ومن ثم الأدوات المستخدمة في تدوير تلك القيم بالتركيز على المستويين الثقافي والتعليمي.

ركز الفصل الثالث على تطور التيار الليبرالي في المنطقة العربية، وفيه تم التمييز بين الاتجاه الليبرالي التقليدي والجديد، وبعد إعطاء لمحة تاريخية لذلك التطور، يتم التعرف من خلال هذا الفصل على عوامل ظهور الليبراليين العرب الجدد ومواقفهم من القضايا التي تعتبرها شعوب المنطقة قضايا تعكس تطلعاتهم الحقيقية وتتطوي على قيم هي في صلب هويتهم وأساس انتماءاتهم.

في حين تم تخصيص الفصل الرابع لتقييم قوة الفكر الليبرالي في المنطقة باعتبار أن مشروع الشرق الأوسط الكبير يقوم على نشر الإيديولوجية الليبرالية كرافعة لنظام الحكم في الدول الإسلامية والعربية بشكل خاص. وقام هذا الفصل على مناقشة واقع هذا المشروع، من خلال تحديد وجود العوامل التي تؤكد استمراره أو وجود عوامل تؤكد عكس ذلك. ولتحقيق هذا الهدف، يسلط هذا الفصل الضوء على العوامل التي تساعد على تزايد قوة الفكر الليبرالي في المنطقة في قسم خاص، وفي القسم الثاني من الفصل، على العوامل التي تساعد على تراجع هذا الفكر. ويتم ذلك بغية إجراء تقييم لقوة الأيديولوجية الليبرالية في المنطقة باعتبارها جوهر مشروع الشرق الأوسط الكبير.

وفي الخاتمة تم عرض ما توصلت إليه الدراسة؛ حيث تم الربط بين كل فرضية والنتائج المتعلقة بها. كما تم تقديم بعض التوصيات بشأن محاور الجدل الرئيسية المتمثلة في مساعي أطراف المشروع، عملية التغيير الفكري وأثرها على الأنظمة السياسية، العلاقة بين الدولة والمجتمع في العلم العربي والإسلامي، إلى جانب تزايد اتفاقيات التطبيع مع الكيان الصهيوني وأثرها على القضية الفلسطينية.

الفصل الأول  
الأهداف الاستراتيجية لمشروع  
الشرق الأوسط الكبير

تم تقديم مشروع الشرق الأوسط الكبير كمخرج لما تعاني منه منطقة الشرق الأوسط من مشكلات، لخصها المبادرون في غياب الديمقراطية والحكم الراشد. وعبر عن حدوث تغيير نوعا ما في أسلوب تعامل الإدارة الأمريكية مع المنطقة، حيث اقترح التعاون المشترك بين جميع الدول في سبيل تحقيق السلام والأمن.

ولدراسة هذا الموضوع، من الضروري تسليط الضوء على عدة عناصر. أولها طبيعة السياق الدولي والإقليمي والظروف التي جاءت فيها المبادرة، والأهم هو الأسباب التي جعلت الإدارة الأمريكية تقوم بتعديل سياستها، والاتجاه نحو دعم الإصلاح ونشر الديمقراطية. كما تتطلب الدراسة معرفة موقع الهدف المتمثل في نشر الديمقراطية في تطورات السياسة الخارجية الأمريكية، وهل هو هدف حديث النشأة أم له امتدادات تاريخية، وماهية المصالح التي ستحصل عليها جراء ذلك.

وينطوي هذا الموضوع على مفارقة تكمن في:

- أن أغلب محتوى المشروع أمر مرغوب فيه من طرف الإنسانية جمعاء، فليس هناك من يرفض الرفاهية والتقدم والسلام.
- أن المشروع جاء بمبادرة غربية أي من دول تسببت سياساتها الخارجية في إحداث أضرار بالغة بدول وشعوب المنطقة، وبالتالي هناك حالة من عدم الثقة في هذا النوع من المبادرات وبحث دائم عن الإجابة على تساؤلات بشأن الأغراض الحقيقية للمشروع، وكيف سيتم تحقيقها بالنظر إلى الخبرة التاريخية التي تقول بإصرار القوى الدولية على تنفيذ إرادتها مهما كانت الصعوبات والعراقيل.

وتنتفق معظم التحليلات على عدم تغير أهداف القوى الدولية وتحديد الولايات المتحدة الأمريكية، بل هناك استمرار في نفس الاستراتيجية مع تغير في الوسائل والآليات، بحيث أصبحت هناك حاجة للتخفيف من استخدام القوة العسكرية في ظل الاستياء من الإدارة الأمريكية. إذن هي عملية مساندة وإحداث تغييرات فقط بالقدر الذي في بالعرض ويسمح للقوى الدولية بتحقيق مصالحها.

ومن جهة أخرى، يجري العمل على تغيير قنوات وأفكار شعوب ودول المنطقة، بحيث تقبل الإيديولوجية الليبرالية بمجالاتها الاقتصادية والسياسية على وجه الخصوص. وذلك على أساس أنها



## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

الإيديولوجية الأجدى في تسيير شؤون الحياة المختلفة، لاسيما على ضوء فشل النظام الاشتراكي وتراجع أيديولوجيته بانتهاء الاتحاد السوفياتي من جهة، ومن جهة أخرى، انتشار فكرة أن الإسلام مرتبط بالإرهاب والتطرف، وبالتالي استبعاد قيام دول قائمة على الدين الإسلامي الذي انتشر الخوف منه ومن معتقيه في عدد من دول العالم.

سيتم في هذا الفصل التعرض لمضمون هذا المشروع، والتعرف على مكانة نشر الديمقراطية في العالم في السياسة الخارجية الأمريكية، مركزين على تطورها التاريخي في هذا الشأن من جهة، وكيف أصبحت هدفا معلنا لدى صانع القرار الأمريكي، بحيث تضمنت معظم الخطابات الرسمية الصادرة عن الإدارة الأمريكية عزمه على تحويل الأنظمة السياسية إلى الديمقراطية باستخدام كل الوسائل المتاحة لديه، من جهة أخرى. ثم نقوم بعد ذلك بالربط بين ما سبق والمكاسب التي تروجها الولايات المتحدة الأمريكية من وراء تركيزها على إحداث تغييرات في دول المنطقة، وهو ما سيؤدي بنا في النهاية إلى تحديد الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير، وهو هدف الفصل الأول من الدراسة.

وسيتم ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بمشروع الشرق الأوسط الكبير

المبحث الثاني: تطور الاهتمام الأمريكي بنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط

المبحث الثالث: دوافع العمل على نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط

## المبحث الأول: التعريف بمشروع الشرق الأوسط الكبير

رافقت مشروع الشرق الأوسط الكبير العديد من الشكوك والتي اختلفت باختلاف التصور الموضوع لنوايا وأهداف الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا الخصوص، يحاول الدكتور العربي صديقي شرح الصورة وتوضيح بعض الأمور، فرأى بأنه لا تقتصر أهداف هذه المبادرة على بناء إمبراطورية، أو ممارسة امبريالية ديمقراطية؛ فهذه التفسيرات من وجهة نظره، هي تفسيرات قاصرة. فهناك العديد من المؤشرات التي تجعل من الضروري إعادة النظر في تحليل المبادرة تحليلاً دقيقاً وموضوعياً وكشف أهدافها الحقيقية، كمقدار الأموال التي تنفقها الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل نشر الديمقراطية والذي يفوق إنفاق الفواعل الأخرى، وأيضاً شمول التاريخ على بعض التجارب السابقة والتي كانت فيها بعض الأمم تسعى إلى نشر إبداعها المادي وغير المادي خارج أراضيها كالإغريق والرومان والبابليين والفراعنة والمسيحيين والمسلمين أيضاً. وفي نفس الوقت، يؤكد على أن السعي الأمريكي لنشر الديمقراطية ليس بشيء جديد أو طارئ، ولكن ما حدث في الواقع أنه عندما وصلت هذه الجهود إلى مرحلة الذروة، كان ذلك متزامناً مع تحول الولايات المتحدة الأمريكية إلى القوة العظمى الوحيدة في العالم. ويضيف بأن طموح الولايات المتحدة لإعادة الصياغة الثقافية في العالم من خلال نشر المبادئ الديمقراطية ليس لغواً أو عبثاً من غير مكان<sup>1</sup>.

ويرفض الدكتور العربي صديقي الاكتفاء بالنظرية الواقعية أو النظرية النيولبرالية في تحليل التوجهات الأمريكية تجاه العالم العربي. ويستخدم في تحليله النظرية التركيبية والتي تنظر إلى العلاقات الدولية من منظور التفاعل بين هوية الفاعل والبنية الفكرية التي يتم في إطارها تكوين التقييمات والتصورات وتحديد السلوك والمصلحة. ومنه يمكن تفسير السياسة الخارجية الأمريكية والمبادرة التي جاءت بها انطلاقاً من تحديد طبيعة إدراكها لنفسها وللمستهدفين، وتعبير أدق كيفية تحديدها للأصدقاء والأعداء، والأسلوب الواجب إتباعه في التعامل معهم ثانياً (تحالف، استرضاء، احتواء، الإكراه). وهي تظهر بناء على ذلك كدولة تعتبر نفسها ذات هوية ديمقراطية، وفي الواقع هي دولة ذات عدة هويات أو شخصيات في ظل التفاعل الاجتماعي الذي يسمح بتعدد الشخصيات والمصالح والأفعال، فنراها تؤيد

<sup>1</sup> - العربي صديقي، إعادة التفكير في الديمقراطية العربية انتخابات بدون ديمقراطية" ترجمة محمد شيا، بيروت: مركز

دراسات الوحدة العربية، ط1، أكتوبر 2010، ص-ص: 236-237

الديمقراطية في بلد (العراق مثلا)، وترفض نتائجها في بلد آخر (فلسطين ونجاح حركة حماس سنة 2006 مثلا)<sup>1</sup>.

يمكن لهذا التحليل أن يخفف نوعا ما من حالة التوتر التي خلقتها المبادرة. لأنه يسمح لنا بالتعامل مع المشروع بأريحية أكبر بمجرد أن نعتبر أن الولايات المتحدة الأمريكية كأى دولة لها صورتها الخاص لنفسها ولمصالحها ولمختلف الفواعل وسلوكهم في المجال الدولي. وهذا يضفي الهدوء على عملية التحليل ويحد من الصخب الذي حدث كرد فعل على المبادرة ويعطي فرصة لفهم حقيقة ما يحدث ولم لا التفكير في سبل المواجهة. ويحاول محمد فهيم درويش تحديد القنوات الكامنة وراء المبادرة بمشاريع الإصلاح وتوجيهها لمنطقة الشرق الأوسط، لدى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي. وتتمثل هذه القنوات في:

- لقد أصبح الشرق الأوسط خطرا على نفسه وعلى العالم والمجتمعات الغربية تحديدا، والسبب في ذلك هو الأنظمة الموجودة في دوله والتي هي أنظمة متخلفة وفسادة.
- إن واقع المنطقة أدى إلى التطرف والإرهاب بسبب الشعور بالإحباط والغضب وضعف الاستقرار.
- إن ما يحدث في هذه المنطقة لم يعد مؤذيا للولايات المتحدة الأمريكية هي فقط، بل أصبح ينتقل خطره إلى المجتمعات الغربية من خلال الهجرة. وما يحدث من اعتداءات إرهابية في بعض الدول الأوروبية وما شهدته الولايات المتحدة الأمريكية في 11 سبتمبر 2001 دليل على ذلك.
- إن هذا الخطر لا بد من وأده في المنطقة من خلال العمل على استئصاله من خلال عملية تغيير يجب أن تكون شاملة لكل المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتعليمية والقيم الثقافية، فلم يعد مسموحا للشرق الأوسط أن يبقى على ما هو عليه<sup>2</sup>.

إن، في هذا المبحث سيتم تسليط الضوء على مضمون المبادرة والتغييرات التي مستها وأسباب ذلك، ثم ننتقل إلى تحديد منطقة الشرق الأوسط والتعرف على أسباب تسمية المشروع بهذا الاسم

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 241-238

<sup>2</sup> - محمد فهيم درويش، مرتكزات الحكم الديمقراطي وقواعد الحكم الرشيد، القاهرة: دار النهضة العربية، 2010، ص-ص: 370-369.

من خلال تقديم تاريخ مصطلح الشرق الأوسط والدول التي تدخل تحت دلالته. وبناء عليه، ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: تطورات مشروع الشرق الأوسط الكبير

المطلب الثاني: عوامل تطور مفهوم الشرق الأوسط

### المطلب الأول: تطورات مشروع الشرق الأوسط الكبير

لقد عرفت الدول والشعوب العربية والإسلامية ما يسمى بمشروع الشرق الأوسط الكبير انطلاقاً من الإعلان الذي صدر عن الولايات المتحدة الأمريكية والنص الذي تم نشره في صحيفة الحياة اللندنية. ولكنه لم يكن بتلك الصيغة منذ البداية ولم يحافظ عليها أيضاً فيما بعد، مع الاحتفاظ بالجوهر والأهداف.

#### الفرع الأول: لمحة تاريخية

##### أ- مصدر المشروع

جاء مشروع الشرق الأوسط الكبير بمبادرة أمريكية تم الإعلان عنها في شهر جوان 2004، عقب اجتماع عقده مجموعة الثمانية (الولايات المتحدة الأمريكية، اليابان، ألمانيا، روسيا الاتحادية، إيطاليا، المملكة المتحدة، فرنسا، كندا) في ولاية جورجيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

ومن الضروري الإشارة هنا إلى ماهية مجموعة الثمانية أو مجموعة الدول الصناعية الثمانية. تأسست هذه المجموعة عام 1975، ولكن كانت مكونة من ست دول فقط، وفي 1976 انضمت إليها كندا، وفي 1998 تم البدء في انضمام روسيا. ومنذ عام 1977، بدأ الاتحاد الأوروبي الذي كان عبارة عن المجموعة الاقتصادية الأوروبية في تلك الفترة، يشارك في المجموعة. هي عبارة عن محفل تجتمع فيه الدول صناعية للاتفاق حول ما يجب عمله تجاه القضايا الكبرى في العالم والتي تتعلق بالأمن والعولمة. كما تولي أهمية كبرى لمسائل التنمية والبيئة والمناخ. لهذه المجموعة علاقاتها مع الدول

الأعضاء والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني<sup>1</sup>.

وفي سنة 1975، بادرت فرنسا باقتراح يقضي بأن يتم عقد هذا الاجتماع كل سنة. وفي السنوات الأخيرة، باتت عملية السلام في الشرق الأوسط وتقديم المساعدات للدول النامية من بين اهتماماتها، وبفعل تفوق الأعضاء سياسيا واقتصاديا، تتمتع هذه المجموعة بتأثير قوي في مختلف المنظمات والمؤسسات الدولية<sup>2</sup>.

### ب- دور مجموعة الثمانية G8

تبنّت المجموعة في سنة 2004 مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي قدمته الولايات المتحدة الأمريكية لإصلاح المنطقة مع إجراء بعض التعديلات عليه، أبرزها وضع إنهاء الصراع الفلسطيني الكيان الصهيوني كأولوية دون أن يتم اتخاذه كحجة لتعطيل عملية الإصلاح، إلى جانب التأكيد على عدم فرض الإصلاح من خارج المنطقة والإقرار بضرورة انطلاقه من داخلها، مع ضرورة احترام خيارات كل دولة بشأن وتيرة واتجاه التغييرات<sup>3</sup>.

يعرفها "أوليفر هودمان" بأنها المجموعة التي تضم جميع الدول الشمالية القوية التي تسيطر على منظمة التجارة العالمية، وتريد أن تُبقي الأمور على ما هي عليه. وباستخدام الحوار التجاري عبر الأطلسي Trans-Atlantic Business Dialogue، تستطيع المجموعة خلق اتفاق جماعي بين الدول الصناعية العظمى والذي يستحيل بدونه مباشرة أي تحرك دولي، ومن الصعب إيقاف تنفيذ أي

<sup>1</sup> - "مجموعة الدول الثماني ومجموعة الدول العشرين"، في الموقع:

<https://www.diplomatie.gouv.fr/ar/politique-etrangere-de-la-france/diplomatie-economique/les-institutions-et-les-mecanismes-internationaux/g8-et-g20-1431/>

تاريخ الدخول: 2017-07-05 على الساعة 14:33

<sup>2</sup> - "مجموعة الثماني...حقائق ومعلومات"، في الموقع:

[http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world\\_news/newsid\\_3788000/3788931.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_3788000/3788931.stm)

تاريخ الدخول: 2017-07-05 على الساعة 16:00

<sup>3</sup> - "قمة الثماني تتبنى مشروعا لإصلاح العالم العربي"، في الموقع:

[http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world\\_news/newsid\\_3793000/3793557.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_3793000/3793557.stm)

تاريخ الدخول: 2017-07-05 على الساعة 15:01

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

قرار تم الاتفاق عليه. وهذا ما يجعل الشركات الكبرى في العالم تعمل على الاستفادة من هذه الخصائص في أعمالها والتي من بينها تعميق وتقوية الروابط والاتفاقيات التجارية الليبرالية الجديدة. ويقول بان الصفقات التي فُرضت على الدول الأعضاء في الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة General Agreement on Tariffs and Trade ومنظمة التجارة العالمية، كانت لمجموعة الدول الثماني دورا فيها. ويتحدث عن غرفة التجارة الدولية International Chamber of Commerce والتي تعد أكبر مجموعة ضغط دولية ذات تأثير كبير لصالح الشركات وعن علاقتها بالمجموعة؛ حيث يتم إجراء محادثات مع الغرفة من طرف الدولة التي تكون مسؤولة عن تنظيم القمة قبل انعقادها، وهنا تقوم الغرفة بإبلاغ قادة القمة بمجموعة من المقترحات التجارية<sup>1</sup>. ويتابع قائلا:

" إن هذه المنظمة الاقتصادية العالمية (أي غرفة التجارة الدولية) لها آلاف الشركات الفروع في أكثر من 130 دولة. يسيطر على هذه الغرفة أقوى الشركات العالمية في العالم مثل دوبونت Dupont، فيفندي Vivendi، ويونيفرسال Universal، يونيليفر Unilever، فولفو Volvo، ونستله Nestle. السلطة السياسية لأعضائها وفرت لها اقترابا لا يضاهي ليس فقط من مجموعة الدول الثمان لكن أيضا من مؤسسات سياسية واقتصادية مهمة في الاقتصاد العالمي مثل منظمة التجارة العالمية وهيئة الأمم المتحدة. الأولوية المهمة لغرفة التجارة الدولية هي توحيد وتوسيع وتعميق القوانين التجارية الليبرالية الجديدة وخاصة نظام التجارة العالمية الذي ساعدت في تصميمه..."<sup>2</sup>.

وهو ليس المشروع الأمريكي الوحيد الذي يستهدف المنطقة؛ فقد تم إطلاق مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط في ديسمبر 2002، ثم مبادرة التجارة الحرة في فيفري 2003. وتحاكي فكرة المشروع اتفاقية هلسنكي التي تم توجيهها لدول أوروبا الشرقية سنة 1975، بغرض إصلاح أوضاعها. ومنه، تأسست المبادرة لكي تكون إطارا للتعاون بين الدول والتحاور فيما بينهم حول عمليات الإصلاح، عبر إشراك المجتمع المدني ورجال الأعمال بهدف الاتفاق على الخطط التي يجب العمل

<sup>1</sup> - أوليفر هودمان، "سلطة الشركات"، في: جيل هوبارد، ديفيد ميلر، مرافعات ضد مجموعة الثمان، ترجمة خالد عبد

الرحمن العوض، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة العربية الأولى، 2006، ص-ص: 139-140

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 141.

بها من أجل تغيير أوضاع المنطقة إلى الأحسن، والغايات التي يُراد تحقيقها. ولهذا تضمن المشروع جملة من الأفكار المتعلقة بالمؤسسات الواجب إنشاؤها لكي يدخل حيز النفاذ، وتتمثل في:

- مجموعة المساعدة الديمقراطية للتنسيق بين المجموعات الأمريكية (هيئة الوقف القومي للديمقراطية ومنظماتها) والأوربية (مراكز الفكر التابعة لأوروبا والتي لها علاقة بالأحزاب السياسية الألمانية ومؤسسة Westminster في بريطانيا) لترقية الديمقراطية.
- مؤسسة الشرق الأوسط الكبير لمكافحة الأمية.
- مشروع تمويل المشروعات الصغيرة بهدف بناء الطبقة الوسطى في العالم العربي، تقوم به مجموعة الثمانية.
- بنك الشرق الأوسط الكبير للتنمية والذي يُجسّد شراكة مالية قائمة على تحرير المعاملات المالية العابرة للحدود<sup>1</sup>.

### الفرع الثاني: محتوى مشروع الشرق الأوسط الكبير

#### أ- نص مشروع الشرق الأوسط الكبير

جاء هذا المشروع انطلاقاً من واقع المنطقة الذي وصفه تقرير حول التنمية البشرية العربية لسنتي 2002-2003 بأنه يفتقر إلى القدر الكافي من الحرية والمعرفة والفرص التي تمكّن المرأة من لعب دورها بفعالية. وهذا ما أدى إلى الإرهاب، الجريمة والهجرة غير الشرعية. ولمواجهة ذلك، أكّد التقرير على أهمية بناء شراكة مع من يتولون عمليات الإصلاح في المنطقة والتعاون مع الدول الثمانية التي باتت ترى في هذا الوضع تهديداً لمصالحها. ولذلك، وبحسب التقرير، أصبح من الضروري تشجيع الديمقراطية، بناء مجتمع معرفي وتوسيع الفرص الاقتصادية من أجل تحقيق الاستقرار. ولتحقيق ذلك، أبدت مجموعة الثمانية استعدادها لتقديم المساعدة والتدريب سواء من خلال الزيارات المتبادلة أو التمويل لتقوية المستهدفين في مجالات مختلفة كالرقابة على الانتخابات، التشريع، التمثيل البرلماني، تمكين المرأة، الإعلام المستقل، التعليم، مكافحة الفساد، العمل غير الحكومي ولاسيما الخاص بحقوق الإنسان

<sup>1</sup>- EDDIEJ.Girdner, « The Greater Middle East Initiative : Regime Change, Neoliberalism, and US Global Hegemony », presented at the first international conference : America in the Middle East, the Middle East in America, American University of Beirut, Lebanon, December 18-21, 2005, p-p:43-46

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

والديمقراطية، القطاع المالي، التشغيل وتشجيع المشاريع الصغيرة<sup>1</sup>. وجاء في نص المشروع الذي نشرته صحيفة الحياة اللندنية في 2004/02/13، الأهداف المراد تحقيقها في المجالات الثلاث: السياسي، المعرفي والاقتصادي، وهي كالآتي:

أولاً: في المجال السياسي: مساعدة دول المنطقة على إجراء انتخابات حرة تحت رقابة

لجان انتخابية مستقلة ونظام فعال لتسجيل الناخبين مع التركيز على المرأة. تقوية البرلمانات في صياغة التشريعات، تطبيق الإصلاحات التشريعية والقانونية ورفع مشاركة المرأة في الحياة السياسية والمدنية. المساعدة القانونية للقواعد الشعبية، دعم الإعلام المستقل والصحفيين المستقلين. تعزيز تبني مبادئ مجموعة الثمانية حول الشفافية ومكافحة الفساد، وتشجيع العمل في إطار منظمة التعاون والتنمية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي اللذان تتم من خلالهما تتم مناقشة كبار قادة الحكومة والمانحون والمنظمات غير الحكومية، الاستراتيجيات الوطنية لمكافحة الفساد وتعزيز مساءلة الحكومة. تشجيع حكومات المنطقة على السماح للمنظمات غير الحكومية بالعمل دون قمع أو قيود، زيادة التمويل المباشر لها خاصة تلك التي تنشط في مجال حقوق الإنسان والمرأة والإعلام ورفع قدراتها التقنية. تمويل المنظمات غير الحكومية التي بإمكانها جمع خبراء في الإعلام والقانون من المنطقة لصياغة تقييمات سنوية حول جهود الإصلاح القضائي وحرية الإعلام في المنطقة<sup>2</sup>.

ثانياً: في المجال المعرفي: إصلاح التعليم الأساسي ومحو الأمية. تمويل برامج الترجمة

لتدريك افتقار مكتبات وجامعات المنطقة للكتب الأساسية في الفلسفة، الأدب، علم الاجتماع والعلوم الطبيعية. مبادرة مدارس الاكتشاف أو المدارس الذكية والتي تستخدم فيها تكنولوجيات حديثة ومناهج تعليم جديدة. مبادرة المعرفة الرقمية لتوفير الانترنت وأجهزة الكمبيوتر في المدارس. مبادرة تعليم إدارة

<sup>1</sup> - ابن سالم عبد الحميد، مشروع الشرق الأوسط الكبير وتداعياته على المنطقة مستقبل الحركة الإسلامية ونهاية الكيان الصهيوني، الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2005، ص-ص: 27-30.

<sup>2</sup> - President Bush's "Greater Middle East Partnership Initiative",

<https://www.hks.harvard.edu/fs/pnorris/Acrobat/AIHayat%20Article.pdf>

18/09/2016 20 :50



الأعمال من خلال شراكات بين معاهد إدارة الأعمال في الدول الثمانية والمؤسسات التعليمية في المنطقة<sup>1</sup>.

ثالثاً: في المجال الاقتصادي: زيادة فعالية النمو الاقتصادي وخلق مناصب عمل من خلال المبادرة المالية من أجل النمو. مساعدة بلدان المنطقة على توفير الاحتياجات الأولية للتنمية وتسهيل الاستفادة من الرعاية الصحية والتعليم والبنية التحتية الأساسية من خلال بنك الشرق الأوسط الكبير للتنمية وربط قرارات الإقراض بقدرة طالب القرض على تحقيق تقدم ملموس في الإصلاحات. تحسين اندماج المنطقة في النظام المالي العالمي وتحرير وتوسيع الخدمات المالية في المنطقة وتخفيض سيطرة الدولة عليها، تحديث الخدمات البنكية، من خلال شراكة من أجل التميز المالي. رفع المبادلات التجارية في المنطقة من خلال الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية وتسهيل التجارة مع التركيز على إزالة الحواجز غير الجمركية مع ربط استمرارية تدفق المساعدات التقنية بمدى تنفيذ التزامات منظمة التجارة العالمية. كما يمكن ربطها بالبرنامج الذي ترعاه مجموعة الثمانية حول التسهيلات الجمركية والخدمات اللوجستية للحدّ من الحواجز الإدارية والمادية أمام التجارة البينية. إنشاء مراكز مختصة في تحسين التجارة البينية والممارسات الجمركية وتقديم مجموعة متنوعة من الخدمات لدعم التدفقات التجارية من القطاع الخاص والتواصل في قطاع الأعمال بما فيها التسوق الشامل للمستثمرين الأجانب، تكوين روابط مع مكاتب الجمارك لتخفيض فترات معالجة النقل، توحيد الضوابط لتسهيل دخول وخروج السلع والخدمات من المنطقة. تأسيس حاضنات الأعمال لتشجيع التعاون الإقليمي في تصميم وتصنيع وتسويق المنتجات، ويمكن أن تسمح بوصول هذه السلع إلى أسواقها وتوفير الخبرة في إنشاء هذه المناطق مع إمكانية إنشاء منتدى الشرق الأوسط الكبير للفرصة الاقتصادية<sup>2</sup>.

### ب- مبادرة الشرق الأوسط الموسع

يستهدف المشروع منطقة الشرق الأوسط والتي يقصد بها إلى جانب الدول العربية، تركيا، أفغانستان، باكستان، إيران والكيان الصهيوني. وبعد تعرضه لسلسلة من الانتقادات من طرف العالم العربي وأيضاً الاتحاد الأوروبي، اتخذ المشروع اسم "مبادرة الشرق الأوسط الموسع" تم التعبير عنها من خلال بيان تميز بتطرقه للقضيتين الفلسطينية والعراقية وتأكيديه على ضرورة عدم فرض عمليات الإصلاح من

<sup>1</sup>- Ibid.

<sup>2</sup>- Ibid.

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

الخارج سواء فيما يتعلق بالطرق المتبعة أو المدى الذي تبلغه هذه العمليات. وحافظ على فكرة البدء بالإصلاح في المجالات المذكورة في الصيغة الأولى للمشروع والتي تتمثل في المجال السياسي، المجال الاجتماعي والثقافي، والمجال الاقتصادي مؤكداً على الجانب التجاري. كما أسفرت المناقشات بشأن المشروع عن إطلاق " خطة مجموعة الثماني لدعم الإصلاح" والتي تسعى الأطراف من خلالها إلى تجسيد تطلعات شعوب المنطقة باستخدام ما سمي بـ " منتدى المستقبل Forum For The Futur" وهو عبارة عن آلية يتم بواسطتها متابعة الإصلاحات. هذا إلى جانب إجراء حوارات على مستويات مختلفة: الوزارات، مؤسسات الأعمال، مؤسسات المجتمع المدني، وأيضاً المؤسسات الثقافية. ولتفعيل كل هذا، لابد من توافر 100 مليون دولار كمصادر تمويل<sup>1</sup>. كما انبثقت أربع مجموعات عمل عن الدورات التي انعقد خلالها منتدى المستقبل (سنة 2004 في المغرب، سنة 2006 في الأردن، سنة 2005 في البحرين، سنة 2007 في اليمن، سنة 2008 في الإمارات العربية المتحدة)، مع إسناد قيادة كل مجموعة لإحدى الدول الأعضاء، وهي كالاتي:

- مصر تقود مجموعة العمل الخاصة بسياسة وإدارة الضرائب.
- البحرين تقود المجموعة الخاصة بالأنظمة المالية والنظام البنكي، تنظيم وإصلاح القطاع المالي، الخدمات المالية وتطوير سوق رأس المال.
- الأردن مكلفة بقيادة مجموعة العمل حول تمويل المشروعات الصغيرة.
- اليمن مسئولة عن مجموعة العمل حول تمويل جهود التخفيف من حدة الفقر<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - محسن عوض، "الانتقال إلى الديمقراطية في الوطن العربي بين الإصلاح التدريجي، والفعل الثوري 2001-2011"، المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 388، جوان 2011، ص-ص: 57-58.

<sup>2</sup> - Emiliano Alessandri, Oz Hassan, Ted Reinert, « U.S. Democracy Promotion from Bush to Obama », EUSPRING working paper n.1, April 2015, p7

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

الجدول رقم 01: مقارنة بين "مبادرة الشرق الأوسط الكبير" و"مبادرة الشرق الأوسط الموسع"

| مبادرة الشرق الأوسط الأكبر  | البرنامج       | مبادرة الشرق الأوسط الكبير   |
|---|----------------|--|
| الولايات المتحدة+ مجموعة السبعة   | الأصل/ الملكية | الولايات المتحدة   |
| الوطن العربي، أفغانستان، إيران، الكيان الصهيوني، باكستان، تركيا   | الهدف          | الوطن العربي أساساً+ العالم الإسلامي                                     |
| من أعلى إلى أسفل+ من أسفل إلى أعلى  | تدفق أفكار     | من أعلى إلى أسفل/ غير مباشر  |
| متعدد   | شراكة          | أحادي  |
| منتدى للمستقبل مجموعة دعم الديمقراطية   | أعمدة          | الديمقراطية والحكم الصالح  |
| أساس للديمقراطية  |                | مجتمع المعرفة  |
| مجموعات ثقافية مشروع تجريبي مالي صغير لمجموعة الثماني   |                | فرص اقتصادية   |
| بلد تلو بلد   | المقاربة       | على نطاق المنطقة   |
| تشاوري  | الأسلوب        | تطغلي/ إكراهي  |
| طوعية   | المشاركة       | إلزامي   |
| عملية/ طويلة الأجل  | انتقال         | فترة زمنية قصيرة   |
| تشاور من دولة لدولة تشاور من دولة لمجتمع تنصيب + تدريب  | تنفيذ          | الفرض+ الغزو (العراق)+ برنامج ممول يستهدف المجتمع المدني في الوطن العربي |
| مبادرة بقيادة الولايات المتحدة  | المؤسسة        | مبادرة الشرق الأوسط  |
| عملية برشلونة مبادرة الحوار الياباني-العربي   |                | تقرير التنمية البشرية 2002   |
| بيان القمة العربية في تونس بيان الإسكندرية بيان صنعاء   |                | تقرير التنمية البشرية 2003   |
| 11 سبتمبر+ غزو العراق+ الحرب على الإرهاب+ رد الاتحاد الأوروبي على مبادرة الشرق الأوسط الكبير+ الانتقادات العربية الموجهة للمبادرة | السياق         | 11 سبتمبر+ غزو العراق+ الحرب على الإرهاب                                 |

المصدر: العربي صديقي: إعادة التفكير في الديمقراطية بدون ديمقراطية" ترجمة محمد شيأ، بيروت:

مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، أكتوبر 2010، ص 242

كما تم فيما بعد، وفي نوفمبر 2005، إطلاق "مؤسسة من أجل المستقبل Foundation For The Future" كبرنامج متعدد الأطراف لجمع وتوزيع التمويلات الدولية على المنظمات غير الحكومية في المنطقة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - Emiliano Alessandri, Oz Hassan, Ted Reinert, Op.Cit, p7

### ج-مشروع الشرق الأوسط الجديد

أما بالنسبة لمشروع الشرق الأوسط الجديد، فإن فكرته طُرحت في البداية في كتاب لشيمنون بيريز " الشرق الأوسط الجديد" وكتاب بنيامين نتانياهو "مكان تحت الشمس". جاء فيهما مجموعة من الأفكار حول تأسيس أشكال من التكامل في المنطقة وتحديدًا على المستويين الاقتصادي والأمني على أسس جيوسياسية وجيواقتصادية، على أن يتم من خلال ذلك إدخال الكيان الصهيوني كقوة جاذبة ومهيمنة وتلعب الدور المركزي في السوق الشرق أوسطية<sup>1</sup>.

ويتحدث الدكتور عادل محمد العضايلة عن محاولة بناء نظام شرق أوسطي جديد ذو المعالم التي حددها شيمنون بيريز والمتمثلة في معادلة مكونة من النفط السعودي والأيدي العاملة المصرية والمياه التركية والمعرفة الإسرائيلية. ويقول بأن صاحب هذه الفكرة هو خبير الاقتصاد المعروف في الولايات المتحدة الأمريكية ليندون لاروشيه Lyndon La Rouche الذي استطاع أن يقنع مؤسسات ومراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية والمؤسسات والمنظمات الدولية بتجسيد هذه الأفكار وبناء نظام إقليمي تقوم فيه العلاقات بين الدول على المصالح الاقتصادية، وليس المعتقدات الدينية والأفكار القومية والإيديولوجية. ويؤكد على هذا الكلام من خلال عرضه لجزء من حديث لرئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق شيمنون بيريز لصحيفة Jerusalem Post سنة 1991، والذي قال فيه: " من دون تغيير في نموذج الشرق الأوسط لا الأمن ولا السلام يمكن أن يضمنا دولة الكيان الصهيوني، إن شرق أوسط جديد تكون حدوده مفتوحة على أساس برامج تطوير إقليمية، هو وحده الذي يستطيع تحويل قضية الحدود والمناطق إلى شيء أقل أهمية مما تبدو عليه اليوم، السلام ليس هدفًا بذاته وإنما هو وسيلة لهدف أسمى هو إيجاد عهد ذهبي لسكان الشرق الأوسط، وإن مجموعة الفوائد التي تتمتع بها المنطقة مثل النفط السعودي والماء التركي والسوق والعمالة المصرية والمعرفة الإسرائيلية هي فوائد إقليمية أكثر منها وطنية"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - خليل حسين، الجغرافيا السياسية دراسة الأقاليم البرية والبحرية وأثر النظام العالمي في متغيراتها، بيروت: دار المنهل اللبناني، ط1، 2009، ص-ص-ص: 271-272.

<sup>2</sup> - عادل محمد العضايلة، الصراع على المياه في الشرق الأوسط الحرب والسلام، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص-ص: 205-306

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

ويعرض محمود عبد الفضيل ما يسميه بمشاريع الربط الإقليمي في مجالات الطاقة، السياحة، الزراعة، المياه، الكهرباء، البنوك والجامعات<sup>1</sup>:

- ◀ مشروع التعاون في مجال تصدير النفط: والذي يهدف إلى تحقيق وفورات في تكاليف تصدير نفط الخليج العربي إلى غرب أوروبا وذلك باستبدال التصدير عبر قناة السويس بأنابيب تمر عبر شبه الجزيرة العربية وتصب في موانئ حيفا، أشدود وغزة.
- ◀ مشروع ريفيرا البحر الأحمر في مجال السياحة وهو عبارة عن تعاون رباعي بين مصر، الكيان الصهيوني، الأردن والسعودية، وبذلك هو يتطلب فتح الحدود بين مصر، الكيان الصهيوني والأردن. يربط بين إيالات والعقبة وطابا. يمتد على طول الساحل من جزيرة المرجان عبر طابا، وساحل المرجان في إيالات وصولاً إلى الساحل الأردني من العقبة حتى السعودية.
- ◀ تقديم الكيان الصهيوني للمشورة الفنية في مجال استزراع المناطق الصحراوية وتزويد البلدان العربية بالمعدات والآلات الزراعية المنتجة في الكيان الصهيوني. إقامة مشروعات مشتركة للتدريب الزراعي وإنشاء مزارع نموذجية.
- ◀ بناء شبكات الطرق السريعة ومد الخطوط الحديدية بين بلدان المنطقة، ربط شبكات الكهرباء الممتدة من جنوب تركيا مروراً بسوريا، لبنان، الكيان الصهيوني والأراضي الفلسطينية والأردن ومصر.
- ◀ مشروع "أنابيب السلام": هو مشروع تركي يسمح بسحب المياه من نهري سيحون وجيحون جنوب تركيا في أنابيب عبر سوريا والأردن إلى السعودية، وفي مرحلة لاحقة إلى الكيان الصهيوني. إلى جانب إحياء مشروع جونسون الخاص بتوزيع مياه نهر الأردن بين الكيان الصهيوني والبلدان العربية.
- ◀ قناة ما بين النهرين: هي قناة تربط بين البحر الميت وخليج العقبة في إطار مشروع ثنائي بين الأردن والكيان الصهيوني. يهدف هذا المشروع إلى استعادة المشروعات الصناعية والزراعية في المنطقة من الطاقة الكهربائية.
- ◀ تحويل الجولان إلى منطقة صناعية تضم صناعات تصديرية ذات تقانات تكنولوجية متقدمة بهدف خلق مصالح اقتصادية مشتركة لسوريا والكيان الصهيوني.

<sup>1</sup> - محمود عبد الفضيل، مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية: التصورات المحاذير أشكال المواجهة، بيروت:

◀ إنشاء البنك الإقليمي للشرق الأوسط في حالة موافقة الدول المنتجة والمستهلكة للنفط، كآلية تمويلية ضرورية للاقتصاد السياسي للسلام. والهدف من وراء ذلك هو تدوير الأموال الخليجية والأوربية لتمويل المشروعات الإقليمية المشتركة، حيث يقوم هذا البنك على قيام تلك الدول بتخصيص دولار واحد من كل برميل نفط لأغراض لإنقاذ وتطوير المنطقة وهو ما يسمح بتوفير 8 مليارات دولار سنويا.

◀ إنشاء جامعة الشرق الأوسط في مصر ذات علاقة بجامعات أوربية أمريكية، لتكوين نخبة مهنية جديدة تلائم تطورات الرؤية الجديدة، وتشمل كليات القانون، إدارة الأعمال والزراعة، وهي تخصصات ضرورية لتوفير لوازم تشغيل المراحل الأولى من الترتيبات الموجهة للمنطقة.

وفي هذا الصدد، يرى ماجد كيالي بأن الكيان الصهيوني بدت متحمسة لقيام النظام الشرق أوسطي الذي ستستفيد منه على النحو التالي:

- ❖ الحصول على الاعتراف بحقها في الوجود من طرف الدول العربية والتي ستدخل بموجب المشاريع الاقتصادية والأمنية في علاقات طبيعية معها، لا سيما وأن المشروع يتضمن تغييرا لهوية المنطقة ليصبح الوجود الكيان الصهيوني أكثر عمقا في ظل هوية شرق أوسطية
- ❖ اعتبارها كدولة من دول الشرق الأوسط يسمح لها بالاستفادة من ثروات المنطقة (الطاقة، المياه، اليد العاملة، الأموال، السياحة...). كما يسمح لها الوضع الجديد بالتقليل من الإنفاق العسكري والاستثمار أكثر في مجالات التكنولوجيا. كما يمكنها من تقليل اعتمادها على الولايات المتحدة الأمريكية التي باتت تعاني صعوبات مالية. وهذا سيؤدي إلى الإبقاء على التحالف الاستراتيجي بينهما لأن المشروع الجديد سيعزز من دور الكيان الصهيوني الاستراتيجي في خدمة السياسة الأمريكية.

- ❖ تجاوز القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني لأن المصالح الهائلة التي ستبرز نتيجة هذا المشروع ستكون كفيلا بتدوير القضية وما يتعلق بها من مشاكل<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - ماجد كيالي، التحديات الشرق أوسطية الجديدة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، سبتمبر 2000، ص-

يرى عادل محمد العضايلة بأنه لم يعد من الممكن تجاهل عملية تغيير المنطقة جوهريا عن طريق تغيير قيمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فلقد أصبحت أمرا واقعا. وهذه المنطقة هي استراتيجية بالنسبة للاقتصاد العالمي، لذلك، وبالنظر إلى مجموع المشاكل التنموية التي تعيشها ووجود الأصولية الإسلامية والقوميات العرقية العربية والتركية والفارسية، فإن محاولات التغيير لن تتوقف لأن الدول الغربية ترى في هذا الوضع خطرا عليها، فعلى دول المنطقة ألا تمارس ذلك الرفض السلبي لشيء لم تعد قادرة على إغائه، بل لا بد من أن تتعامل من باب جلب المنافع ودرء المفاسد<sup>1</sup>.

وفي 2006، ظهرت خريطة الشرق الأوسط الجديد في مجلة القوات المسلحة التابعة للجيش الأمريكي تحت عنوان "حدود الدم: كيف سيبدو الشرق الأوسط أفضل"، وهو جزء من كتاب للكولونيل رالف بيترز والذي يحمل عنوان «Never Quit the Fight»، وتعتبر هذه الخريطة عن خضوع بعض دول المنطقة للتقسيم وظهور دول جديدة مع الإبقاء على بعض الدول الحالية كالكويت وقطر وعمان. وتتضمن التغييرات التالية:

- ❖ إقامة دولة كردية مستقلة للأكراد ولهذا يُقسّم العراق إلى ثلاث دويلات:
- دويلة كردستان الكبرى: تضم كردستان العراق وضمنها كركوك النفطية وأجزاء من خانقين وديالي، وأجزاء من تركيا، إيران، سوريا، أرمينيا وأذربيجان.
- دويلة شيعستان: تضم جنوب العراق والجزء الشرقي من السعودية والأجزاء الجنوبية الغربية من إيران (الأهواز).
- دويلة سنستان: تنشأ على ما تبقى من أرض العراق وخاصة في الوسط وقد يتم دمجها مع سوريا.
- ❖ إقامة دولة بلوشستان الجديدة: وذلك بعد استقطاع أراضي من الجزء الجنوبي الغربي لباكستان والجزء الجنوبي الشرقي من إيران.
- ❖ إقامة دولة إيران الفارسية: وهذا بعد أن تفقد أجزاء منها لصالح دولة الشيعة العربية في جنوب العراق وأجزاء لصالح أذربيجان الموحدة، وستحصل على أجزاء من أفغانستان المتاحة لها لتكون دولة قارية تحل محل الدولة الإيرانية الحالية.

<sup>1</sup> - عادل محمد العضايلة، مرجع سبق ذكره، ص 306.

- ❖ أفغانستان: ستفقد جزءا من أراضيها الغربية إلى إيران القارية وستحصل على أجزاء من باكستان وستُعاد إليها منطقة القبائل من باكستان.
  - ❖ السعودية: سيتم تقسيمها إلى دولتين:
  - دولة دينية وهي الدولة الإسلامية المقدسة مثل الفاتيكان، وتضم كل المواقع الدينية المهمة لمسلمي العالم وعلى رأسها مكة المكرمة والمدينة المنورة.
  - دولة سياسية (السعودية) والتي ستفقد أجزاء منها يتم إلحاقها بدول أخرى وهي اليمن والأردن والدولة العربية الشيعية.
  - ❖ الأردن الكبرى: وهي دولة جديدة على الأردن القديم بعد أن يُضاف إليه جزء من السعودية وربما فلسطين المحتلة لتشمل على كل فلسطيني الداخل وفلسطيني الشتات<sup>1</sup>.
- ويستند هذا المشروع إلى مجموعة من الحجج، أبرزها عدم ثبات وعدالة الحدود الحالية وضرورة تغييرها لتمكين الأقليات المذهبية أو القومية والإثنية من حقوقها؛ فوجود الحدود بهذا الشكل هو الذي يسبب الحروب ويُقوّض قدرة الدولة على أداء وظائفها داخليا وخارجيا بسبب التطرف الذي تُترجمه الممارسات ضد الأقليات. إضافة إلى وجود اعتقاد بأن انضواء المنتمين لنفس الإثنيات والأعراق تحت دولة واحدة يجعلها ذات فعالية أكبر واحتمال نجاحها هو كذلك أيضا<sup>2</sup>. ويدعو إلى ضرورة الترويج لفكرة أن هذا المشروع وما يتضمنه من تغييرات هو لصالح الجميع، وأيضا ضرورة سفك الدماء لإحداث هذا التغيير نظرا لضيق الوقت وحاجة التغيير بشكل سلمي لتوافق إرادات الشعوب وهو أمر صعب ويتطلب فترة زمنية طويلة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - نصري ذياب خاطر، الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، الأردن: الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص-ص: 309-306

<sup>2</sup> - خليل حسين، الجغرافيا السياسية دراسة الأقاليم البرية والبحرية والدول وأثر النظام العالمي في متغيراتها، بيروت: دار المنهل اللبناني، ط1، 2009، ص: 281.

<sup>3</sup> - خليل حسين، المرجع نفسه، ص: 283.



### المطلب الثاني: عوامل تطور مفهوم الشرق الأوسط

إن مفهوم الشرق الأوسط يتسم بالتغير من حيث الدلالة؛ ولم تكن المنطقة الجغرافية المعنية به ثابتة على مر التاريخ، حيث كانت تختلف من فترة زمنية إلى أخرى.

#### الفرع الأول: تعدد المصطلحات الدالة على منطقة الشرق

اختلفت البيانات حول دلالات مصطلح الشرق الأوسط وتوقيت ظهوره. ويقول يحيى أحمد الكعكي بأن هذا المصطلح غامض وذلك بسبب كثرة المصطلحات التي اختلفت باختلاف الحدود الجغرافية المقصودة ووجود التباس بينها وتحديدا بين المصطلحات الثلاث: الشرق الأوسط، الوطن العربي، العالم الإسلامي. يمتد الوطن العربي على الجزء الغربي من الشرق الأوسط، ويمتد خارجه إلى شمال إفريقيا ونطاق السفانا من السنغال إلى السودان، وكل الشرق الأوسط والامتداد الموجود وراءه في مختلف الاتجاهات الجغرافية يشكل العالم الإسلامي<sup>1</sup>. ومن المصطلحات الأخرى:

- الليفانت Levant: ويعني الشرق، أو المكان الذي تشرق منه الشمس. تم استخدامه للدلالة على سكان البحر المتوسط الشرقي (سوريا، لبنان، فلسطين). ويستخدمه علماء الآثار والحضارة للإشارة إلى المنطقة الممتدة من مصر إلى الأناضول وغرب إيران، ويدل على كل المناطق التي نشأت فيها حضارة العصر النيوليتي (العصر الحجري الحديث) الذي اكتشف فيه الإنسان الزراعة واستئناس الحيوان، وهي أيضا المنطقة التي نشأت فيها الحضارات العالمية القديمة في مصر والعراق والساحل الشرقي للبحر المتوسط ووسط الأناضول وغرب إيران.
- الصحاري الكلاسيكية Classical Deserts: ويعني منطقة الصحراء العربية وهوامش الأراضي الزراعية فيما بين النيل والفرات.
- جنوب غرب آسيا South-West Asia: يشمل المثلث الأرضي الممتد من أفغانستان في الشرق إلى الأناضول في الغرب واليمن في الجنوب.

<sup>1</sup> - يحيى أحمد الكعكي، الشرق الأوسط وصراع العولمة، بيروت: دار النهضة العربية، ط1، 2002، ص: 123.

- الشرق القريب Hither East: كان يستخدم بكثرة في فترة من الزمن ثم لم يعد كذلك، وكان كبديل للشرق الأوسط أو الشرق الأدنى.
- الشرق الأدنى Near East والشرق الأوسط Middle East: تم استخدامهما من طرف البريطانيين في أواخر القرن التاسع عشر. فكانوا يقصدون بالشرق الأدنى المنطقة التي تغطيها الإمبراطورية العثمانية، وامتدادها في البلقان من ألبانيا وشمال اليونان إلى الجزيرة العربية ومصر والسودان وولاية طرابلس (الغرب). أما الشرق الأوسط فكان يعبر عن إيران وأفغانستان ومنطقة السند (باكستان حالياً)<sup>1</sup>.

يرى "خليل حسين" بأن منطقة الشرق الأوسط لم تكن يوماً ذات حدود جغرافية محددة، بل كانت تتوقف طبيعة هذه الحدود على مصالح القوى الاستعمارية، وهذا المفهوم جاء استناداً على الرؤية الاستعمارية الأوروبية إلى أوربا كمركز للعالم يقع خارج الشرق الأوسط، وعندما كان يرد في أدبيات السياسة الفرنسية والسياسة البريطانية فإنه كان يعبر عن رؤية القوى الأوروبية تجاه شرقها. وهو لا يرتبط بعامل اللغة أو القومية كوجود بلدان عربية أو غير عربية، بدليل أن فرنسا وبريطانيا كانتا تضيفان إليه إيران في عهد الشاه وتركيا عندما أرادت محاصرة المد القومي العربي بزعامة جمال عبد الناصر. وتم إقصاء دول عربية من هذه الدلالة رغم موقعها الجغرافي الكائن في قلب المنطقة وهي مصر، سوريا والعراق منذ 1958، واليمن منذ عام 1962. وأصبح يطلق على الدول التي اشتركت في حرب الستة أيام في 1967<sup>2</sup>.

### الفرع الثاني: ظهور مصطلح الشرق الأوسط

يشير أحمد سليم البرصان إلى أن مصطلح "الشرق الأوسط" قد ظهر سنة 1900 في مقال لتوماس ادوارد جوردن Thomas Edward Gordan وهو جنرال بريطاني كتب عن تهديد روسيا للمصالح البريطانية في منطقة الشرق الأوسط والتي تضم منطقة الهند وبلاد فارس<sup>3</sup>. ولكن عادة، يتم

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 124-125

<sup>2</sup> - خليل حسين، النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية، بيروت: دار المنهل اللبناني، ط1، 2009، ص-ص: 461-458

<sup>3</sup> - أحمد سليم البرصان، "مبادرة الشرق الأوسط الكبير، الأبعاد السياسية والاستراتيجية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 158، أكتوبر 2004، ص43.

ربط المصطلح بألفريد ثاير ماهان Alfred Thayer Mahan وهو منظرٌ وجنرالٌ أمريكي، استخدم هذا المفهوم سنة 1902، معبراً به عن المنطقة التي تمتد من الجزيرة العربية والخليج العربي إلى الهند. ثم أصبحت تستخدمه بريطانيا للدلالة على طريق الهند. ويضيف حسن عبد العال في مقال له حول بريطانيا وفكرة الشرق الأوسط بأن انتشار هذا المفهوم بدأ مع الكتابات البريطانية (تقارير، مقالات، كتابات رسمية) ليحل محل " مصطلح الشرق الأدنى" الذي كانت تستخدمه فرنسا للتعبير عن المشرق العربي الذي كان تحت سلطة الإمبراطورية العثمانية. واختلفت المناطق التي يشملها باختلاف الظروف والمصالح. فقبل الحرب العالمية الأولى كان يشمل الجزيرة العربية، العراق، سوريا، فلسطين، مصر، إيران وأفغانستان. وبعد الحرب، أصبح يشمل الجزيرة العربية، مصر، سوريا، لبنان، فلسطين، في حين سُميت المنطقة التي تضم العراق وإيران وأفغانستان بالشرق الأدنى. ويرجع هذا التقسيم إلى اتفاقية سايكس بيكو التي تقاسمت بموجبها فرنسا وكلا من إنجلترا، سوريا والعراق، بينما سيطرت بريطانيا على طرق المواصلات التي تمكّنها من الاحتفاظ بمصالحها في الهند، كما سيطرت على موانئ استراتيجية (حيفا وعكا). وفي 1946 و 1950 أصدرت بريطانيا قائمتين مختلفتين للبلدان المكونة للشرق الأوسط بحيث:

- جاء في الأولى المناطق التالية: سوريا، لبنان، مصر، السودان المصري والانجليزي، فلسطين، العراق، شرق الأردن، بلاد العرب السعودية، اليمن، عدن ومحميتها، شرق الأردن، طرابلس، برقة، مالطة، الصومال الانجليزي والفرنسي والايطالي، إثيوبيا، مشيخات الخليج الفارسي، إيران.

- وفي القائمة الثانية وردت: مصر، العراق، إيران، سوريا، لبنان، الكيان الصهيوني، الأردن، العربية السعودية، الكويت، البحرين، قطر، مسقط، محمية عدن واليمن، تركيا<sup>1</sup>.

يدرس الأستاذ عثمان نوري أوزالب Osman Nuri Ozalp تاريخ المصطلح بداية من العصر اليوناني أين كان الشرق يشمل مصر. وبعد تأسيس الإمبراطورية الفارسية والحروب التي دارت بينها وبين اليونانيين، تبلورت مجموعة من المعتقدات والتصورات حول منطقتي آسيا وأروبا؛ حيث أصبحت الأولى رمزاً للاستبداد بالنسبة لليونانيين؛ وهو ما تجلّى في مسرحية الفرس للكاتب اليوناني Aeschylus

<sup>1</sup> - حسن عبد العال، "بريطانيا وفكرة الشرق الأوسط"، الفكر السياسي، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، العدد 11 و 12، خريف وشتاء 2001، ص-ص: 3-4

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

وكتاب تاريخ هيرودوتس Histories of Herodotus وغيرها من المؤلفات التي وضعت ثنائية الإغريق - البربر والأفكار النمطية حول الشرق خلال الصراع مع الفرس. ثم استخدم الرومانيون مصطلح المشرق Oriens لتحديد المنطقة والذي اشتق من الكلمة اللاتينية Sol Oriens والتي تعني شروق الشمس. وللتعبير عن الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو بالأحرى الإمبراطورية البيزنطية، تم استخدام مصطلح النصف الشرقي Eastern Half. واستخدم أيضا للتعبير عن شرق القدس. وخلال العصور الوسطى، ظهرت ثنائية أخرى تتمثل في الغرب المسيحي (Occident) والشرق الإسلامي (Orient) تعبيرا عن الميزة الأهم لكل من المنطقتين؛ بحيث تمثلت في الإسلام في الشرق والحروب الصليبية التي انطلقت من الغرب. وإلى غاية القرن التاسع عشر، كان يُقصد باستخدام مصطلح Orient في أوروبا المنطقة التي تشمل البلدان المتحدثة باللغة العربية، تركيا، إيران، الهند وإلى غاية الصين. وفيما يتعلق بمصطلحات الشرق الأدنى، الأوسط، الأقصى فهي قائمة على التصور الأوروبي؛ فانطلاقا من أوروبا فقط، يمكن أن يُقسّم بهذا الشكل. الشرق الأقصى هو الصين، اليابان، ماليزيا، اندونيسيا. والشرق الأدنى هو جنوب شرق أوروبا بما فيها منطقة البلقان التي اعتبرت ضمن الشرق لأنها تحت سيادة الإمبراطورية العثمانية وضمن الشرق الأدنى لأنها أوروبية مسيحية<sup>1</sup>.

ويضيف المؤرخ الأمريكي Roderic H. Davison في مقال بعنوان "أين هو الشرق الأوسط؟" بأن ظهور مصطلح "الشرق الأقصى" كان في عصر الاكتشافات ليدل على الصين، اليابان وماليزيا. ثم أصبح الشرق يمتد من بداية الإمبراطورية العثمانية بالنسبة لأوروبا. ويشير بأن تحديد منطقة الشرق الأدنى كان من قبل D.G.Hogarth وهو عالم آثار بريطاني، حيث شملت ألبانيا، مونتينيغرو، صربيا الجنوبية، بلغاريا، اليونان، مصر، كل الأراضي العثمانية في آسيا مع كل شبه الجزيرة العربية، ثلثي إيران حتى وسطها، امتدادا من الصحراء والجبال بين قزوين والمحيط الهندي. أما فيما يتعلق بمصطلح الشرق الأوسط، فيؤكّد على ما ذكر سابقا؛ بأنه جاء عن طريق ألفريد ماهان في دراسته للتنافس الأنجلو روسي ومشروع السكة الحديدية الذي يربط بين بغداد وبرلين ووجود رغبة في أن يمتد إلى الخليج الفارسي، وهي المنطقة التي أكد ماهان على ضرورة أن تحتفظ بريطانيا فيها بموقع بحري قوي مع التركيز على عدن، الهند والخليج. ولقد ورد ذلك في مقال له بعنوان "الخليج الفارسي والعلاقات الدولية"

<sup>1</sup>- Osman Nuri Ozalp, "Where is the Middle East? The Definition and Classification Problem of the Middle East as a Regional Sub-System in International Relations", *TJP Turkish Journal of Politics*, vol 2, N2, winter 2011, p-p: 6-8.

سنة 1902 والذي صدر بعد سلسلة من الأحداث التي جعلته يلتفت إلى المنطقة أبرزها التوسع الروسي، تقسيم الصين، الاختراق الألماني لتركيا والغزو الأمريكي للفلبين. ويضيف بأن المراسل الخاص لصحيفة The Times والمدعو بـ Valentine Chirol الذي ألقته سرعة تقدم الروس في آسيا، قد وسع هذا المفهوم ليشمل: فارس، الخليج، العراق، الساحل الشرقي لجزيرة العرب، أفغانستان والتبت، وهي منطقة يرى ماهان بأنها متاخمة لمشاكل الدفاع السياسي والعسكري. ويخلص في النهاية إلى أن مصطلحات الشرق الأقصى (ومركزه الصين)، الشرق الأوسط (مركزه الهند)، الشرق الأدنى (مركزه تركيا) كلها عبارة عن مشاريع جاء بها الفكر الأوربي والبريطاني تحديداً.

وبعد ذلك، خضع مضمون مصطلح الشرق الأوسط لتغيير المؤسسات التي أنشأتها إدارة الاحتلال البريطاني؛ فقد تم إنشاء قيادة الشرق الأوسط من طرف ونستون تشرشل Winston Churchill للإشراف على فلسطين، شرق الأردن، العراق. ثم تشكيل قوات الشرق الأوسط الملكية من مصر، السودان وكينيا. ثم أصبحت قيادة الشرق الأوسط الجوية تشمل على فلسطين، شرق الأردن، العراق، عدن، مالطا إلى جانب المركز الإفريقي. وبعدها امتد دعم الجيش البريطاني لقيادات مصر، السودان، فلسطين، شرق الأردن، قبرص، العراق، عدن، أراضي الصومال البريطاني، الخليج الفارسي<sup>1</sup>، وامتد بعد ذلك ليضم إثيوبيا، الأراضي الصومالية، ليبيا، اليونان، كريت، العراق، إيران وإريتريا. وتوجه إنشاء مركز إمدادات الشرق الأوسط وإحداث منصب وزير الدولة في الشرق الأوسط في القاهرة، إلى المجال الذي يمتد من مالطا إلى إيران ومن سوريا إلى إثيوبيا.

ولكن خلال سنوات 1940 الأولى، كان لازال النقاش قائماً بين مجلس الشيوخ البريطاني والحكومة البريطانية حول مصطلحي الشرق الأدنى والشرق الأوسط. وكانت أبرز التساؤلات تدور حول حدود المنطقتين ومواقعهما. فمثلاً، تفترض تسمية الأوسط، التواجد على مسافة متساوية من الأطراف، ومنه جاء التساؤل حول الأطراف التي يقع الشرق الأوسط في وسطها. كذلك؛ بعد أن أصبحت مصر ضمن الشرق الأوسط، دار تساؤل " أين الشرق الأدنى؟". ثم ظهرت مطالبات بتحديد كل منهما، إلا أن الحكومة البريطانية انتهت في الأخير إلى التخلي عن مصطلح الشرق الأدنى والذي كان مرتبطاً بالإمبراطورية العثمانية، وإقرار مصطلح الشرق الأوسط للدلالة على: مصر، تركيا، العراق، فارس،

<sup>1</sup> - تم استخدام كلمة "الفارسي" لكونها وردت كذلك في المرجع المستخدم (أنظر: حسن عبد العال، مرجع سبق ذكره)

سوريا، لبنان، الأردن، الكيان الصهيوني، العربية السعودية، إمارات الساحل المتصالح، الكويت، البحرين، قطر، مسقط، محمية عدن واليمن. وفي هذه الفترة، اختفى الشرق الأدنى بالنسبة للأمم المتحدة التي انتقلت من المناقشات حول التسمية إلى ترسيم حدود الشرق الأوسط. ولقد رسخت هذه التسمية عندما تم اقتراح تشكيل اللجنة الاقتصادية للشرق الأوسط من طرف الدكتور Charles Malik من لبنان برعاية مصرفي ربيع 1948. وتمثلت بلدان الشرق الأوسط بحسب اللجنة الفرعية المكلفة بتعريف المنطقة في: أفغانستان، إيران، العراق، سوريا، لبنان، تركيا، العربية السعودية، اليمن، مصر، إثيوبيا، اليونان. ومنذ ذلك، لم يعد يستخدم مصطلح الشرق الأدنى في ظل رفض أوربي وإصرار بريطاني على استخدام مصطلح الشرق الأوسط. كما درج استخدام هذا الأخير في الأمم المتحدة ومن طرف رجال دول شرق المتوسط رغم عدم رضاهم عنه لأنهم ينتمون إلى الشرق الأدنى، القريب من الغرب وذلك المصطلح يبعدهم إلى آسيا وهو ما يتناقض مع علاقاتهم التاريخية مع أوربا ويخترق مصالحهم السياسية والثقافية<sup>1</sup>.

انتشر مفهوم " الشرق الأوسط " في الأوساط الأكاديمية المتخصصة في العلاقات الدولية، خلال وبعد الحرب العالمية الثانية، في ظل تراجع القوة البريطانية وتنامي القوة الأمريكية وغياب اتفاق بشأن الموقع الجغرافي لهذه المنطقة وحدودها. فهناك من رأى بأنه المجال الذي كانت تشملها الإمبراطورية العثمانية على اعتبار أن الجزائر، تونس، ليبيا، لبنان، مصر، سوريا، فلسطين، العراق وشبه الجزيرة العربية وتركيا هي دول ضمن الشرق الأوسط حالياً وهي نفسها كانت ضمن الإمبراطورية. وهناك من قسم الشرق الأوسط إلى ثلاث أنظمة فرعية: الشرق العربي، شمال إفريقيا، الخليج. وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، هناك من اعتبر بلدان آسيا الوسطى ضمن هذه المنطقة بسبب هويتها وثقافتها الإسلامية (أذربيجان، كازاخستان، تركمانستان، قيرغيزستان، أوزباكستان، طاجكستان)<sup>2</sup>.

إن هذا المصطلح غير ثابت، يتغير بتغير المصالح وأغراض الاستخدام، وفي هذا الصدد

يقول كمال سالم شكري:

" من الصعب تحديد الشرق الأوسط بشكل واضح وقاطع. ويرجع ذلك لكونه مصطلح هلامي، يضيق ويتسع حسب أهداف كل باحث في مختلف المجالات والعلوم أو التصنيف الذي تتخذه هيئة خاصة أو دولة أو وزارة من وزارات الخارجية في العالم. ومن أسباب صعوبة تحديد دلالة

<sup>1</sup> - Roderic.H.Davison, « Where is the Middle East ? », *Foreign Affairs*, vol 38, N4, July 1960, p-p : 667-673.

<sup>2</sup> - Osman Nuri Ozalp, *Op.Cit*, p-p: 9-11.

هذا المصطلح أيضا، أهمية الإقليم المكانية؛ حيث كان على مر الأزمنة ذو علاقات مميزة على اعتبار أنه منطقة مركزية منذ القدم في علاقات الشرق والغرب القديم، وحديثا الشرق بمضمونه الحضاري الاقتصادي عامة في آسيا وإفريقيا الشمالية والشرقية والغرب بالمضمون الحضاري الصناعي العام في أوروبا وأمريكا الشمالية وروسيا الاتحادية...<sup>1</sup>.

ويضيف بأن تقسيمات المنطقة السالفة الذكر، كانت بحسب القرب أو البعد من الدول الأوروبية. والدول الغربية الرأسمالية مستمرة في تصميم الخطط والمشاريع لاحتواء المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية، وذلك بدءا من مشروع جون فوستر دالاس John Foster Dulles وزير الخارجية الأمريكي عن ضرورة حماية أمن المنطقة من الخطر الشيوعي، ثم مبدأ إيزنهاور Dwight David Eisenhower عام 1957، وكان قد أولى اهتماما لها كل من الرئيس الأمريكي جون كيندي John Kennedy والرئيس ريتشارد نيكسون Richard Nixon، ثم الرئيسين جيمي كارتر James Carter ورونالد ريغان Ronald Reagan. وصرح الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب في 1990 قائلا: "ذهبنا إلى الخليج ليكون القرن القادم أمريكيا". وتوالت بعد ذلك المشاريع الموجهة إلى المنطقة<sup>2</sup>.

توصلنا من خلال هذا المبحث إلى الاستنتاجات التالية:

- 1- أن مشروع الشرق الأوسط الكبير هو عبارة عن خطة تغيير لمنطقة الشرق الأوسط التي تشكل كل الدول العربية مع تركيا وإيران وباكستان وأفغانستان والكيان الصهيوني ومجالها الجغرافي.
- 2- أن التغيير يكون باتجاه تشكيل دول ديمقراطية.
- 3- أن هذا الاتجاه لا يقتصر على هرم هذه الدول أي المستوى الحكومي فقط، بل سيمس المستوى القاعدي ويتم التركيز على الاثنين معا: استهداف الحكومات والشعوب.

<sup>1</sup> - كمال سالم شكري (بتصرف)، "مشروع الشرق أوسطية والأمن القومي العربي"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 28، ال عدد1، 2012، ص514.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 516-515.

- 4- أن التركيز على تلك الثنائية يكون في إطار فكري تمثله الإيديولوجية الليبرالية بشقيها الكلاسيكي والجديد، وبالمعتقدات التي تتضمنها في المجالات المختلفة: المبادئ الليبرالية في الاقتصاد والسياسة والمجتمع والثقافة
- 5- أن عملية تنفيذ هذا المشروع تأتي في ظل الحديث عن مشروع آخر وهو الشرق الأوسط الجديد الذي يتضمن كما سبق الذكر، تقسيما للمنطقة إلى دويلات صغيرة على أساس المعايير الطائفية والمذهبية والإثنية.
- 6- أن مشروع الشرق الأوسط الكبير والشرق الأوسط الجديد، يتزامن طرحهما مع ما تشهده المنطقة من تغيرات وأحداث يتمثل ضعف الاستقرار وتنامي الخلافات بين الجماعات المختلفة وتحديدا الطوائف أبرز معالمها.
- 7- أن هذه الأحداث تدفع إلى التساؤل حول حقيقة مشروع الشرق الأوسط الكبير من ناحية، ومن ناحية أخرى التساؤل حول مدى تجسيده على أرض الواقع، لاسيما في ظل وجود آراء تقول بفسل المشروع وبأن المبادرين به فشلوا في إدخاله حيز التطبيق.



## المبحث الثاني: تطور الاهتمام الأمريكي بنشر الديمقراطية في المنطقة

إن مضمون هذا المبحث، سيكون في إطار ضرورة التعرف على الكيفية التي تبلورت من خلالها السياسة الخارجية الأمريكية لأن ذلك سيسهل عملية تفسير العناصر التي قامت عليها تجاه الشرق الأوسط. وهنا نستعيد من عمل الكاتب ميد والتر في كتابه "التطورات الحديثة في السياسة الأمريكية وأثرها على العالم" الذي يشرح فيه المتغيرات التي أثرت على السياسة الخارجية الأمريكية فيما يتعلق بالمدراس المختلفة (الهاملتونية<sup>1</sup>، الويلسونية<sup>2</sup>، الجيفرسونية<sup>3</sup>، الجاكسونية<sup>4</sup>) والأفكار التي تضمنتها، وانطلق من نهاية الحرب الباردة. من خلال هذا العمل نفهم بان السياسة الخارجية الأمريكية تعرضت للعديد من التجاذبات عند انتهاء الحرب الباردة وفي السنوات القليلة التي تلتها. فعند نهاية الحرب، ثارت

<sup>1</sup> -الهاملتونيين هم مؤيدو أفكار ألكسندر هاملتون الذي كان وزيرا للاقتصاد في عهد أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية جورج واشنطن 1797، كان من بين المساهمين في وضع الدستور الأمريكي وهو الذي نظم البنك الأمريكي. يؤمن بأنه كلما زادت الشركات والمؤسسات الاقتصادية الأمريكية في نموها، كلما زاد الازدهار الأمريكي، وبالتالي زيادة قوة وأمن الولايات المتحدة الأمريكية. يعتقدون بضرورة وجود نظام عالمي ليبرالي في المجال الاقتصادي تحديدا. أنظر: والتر راسيل ميد، "الثورة الجاكسونية.. الشعبية الأمريكية والنظام الليبرالي"، في الموقع:

<http://www.neworientnews.com/index.php/reports-and-documents/42787-2017-01-31-10-54-03>

تاريخ الدخول: 2017/09/23 على الساعة 09:31

<sup>2</sup> -الويلسونيين هم مؤيدو أفكار الرئيس الأمريكي السابق وودرو ويلسون. هم مع إنشاء نظام ليبرالي عالمي ولكن ليس بالتركيز على الاقتصاد بل على القيم التي أدى غيابها إلى الصراع والعنف في العالم، فالقضاء على الاستبداد والفساد ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان هو الذي يؤدي إلى تحقيق السلام. أنظر: المرجع نفسه.

<sup>3</sup> -الجيفرسونيين نسبة إلى الرئيس الأمريكي في بداية القرن 19 توماس جيفرسون، يعتقدون بأنه في ظل العداء الذي يوجد في العالم الخارجي، على الولايات المتحدة الأمريكية أن تبقى بعيدا ولا يجب أن تهتم بإصلاحه، فأهم شيء في هذه الظروف هو الحفاظ على الديمقراطية الأمريكية. أنظر: المرجع نفسه.

<sup>4</sup> -الجاكسونيين نسبة إلى أندرو جاكسون الرئيس الأمريكي سابقا، وهم الذين يُعرفون بصقور السياسة الخارجية. ويمكن اعتبارهم متشددين. لديهم شك دائم في أفكار وسياسات التيارات الثلاث السابقة: لا يفضلون التركيز فقط على المجال الاقتصادي كما فعلت الهاملتونية، ويرفضون أفكار الويلسونية، ويعتبرون الجماعة الجيفرسونية ضعيفة.

أنظر: تامر إبراهيم كامل عبده هاشم، "الصراع بين الولايات المتحدة والصين الشعبية وروسيا دراسة حالة آسيا الوسطى وبحر قزوين (2000-2008)"، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في العلاقات الدولية، كلية التجارة، جامعة حلوان، مصر، 2012، ص153.

التساؤلات داخل الولايات المتحدة الأمريكية بشأن كيفية التعامل مع هذا الوضع الجديد، والذي أصبحت القوة العظمى الوحيدة فيه، وما هي طبيعة النظام الدولي الذي سيسمح لها بالحفاظ على هذه المكانة. وذلك في إطار رغبة واضحة للاستفادة من التجارب التاريخية التي أثبتت أن بناء نظام عالمي جديد يتم بنجاح في ظل فرصة ثمينة تتيحها نهاية صراع دولي كبير ( سنة 1919 وسنة 1945) وحينها كانت الآراء منقسمة إلى قسمين<sup>1</sup>:

- الواقعيون: ارتأوا أن تكون القيادة الأمريكية للعالم من خلال لعب دور الزعيم. وهم الجاكسونيين مجموعة كبيرة

من الهاملتونيين وعدد من الولسونيين ومن بينهم سكوب جاكسون Scoop Jackson<sup>2</sup> وهم من دعوا إلى التعامل بحزم وبشدة مع الاتحاد السوفياتي باستخدام القوة العسكرية والعمليات الاستخبارية.

- المثاليون: أرادوا أن تقود الولايات المتحدة الأمريكية العالم من خلال جعل نفسها

نموذجاً أو مثالا يُحتذى به. وهم الجيفرسونيين وعدد كبير من الولسونيين. وهم الذين دعوا خلال الحرب الباردة إلى التعقل في الصراع مع الاتحاد السوفياتي من خلال خلق نموذج أمريكي أفضل وأشد جاذبية لدول العالم عبر تدعيم البرامج الداخلية خاصة في مجال التعليم والاقتصاد ومسألة التفرقة العنصرية.

<sup>1</sup> - ميد والتر، التطورات الحديثة في السياسة الأمريكية وأثرها على العالم، ترجمة: المركز الثقافي للترجمة، القاهرة: دار الكتاب الحديث، ص-ص: 298-300

<sup>2</sup> - سكوب جاكسون Henry M. Scoop Jackson هو ديمقراطي مثل ولاية واشنطن في مجلس الشيوخ الأمريكي بداية من 1953. يطلق عليه عملاق المحافظين الجدد وهو صورة رمزية عنهم. كان مرشحاً في الانتخابات الرئاسية سنة 1976 ضد جيمي كارتر. كان ممثلاً للبرالية في زمنه من خلال تبنيه لفكرتي الإخلاص للإنسان بشكل عام والقدرة العالية وغير المحدودة للحكومة في تحسين حياة الناس. كان ضد ترك النظام الرأسمالي يعمل بنفسه دون أن تلعب الحكومة دوراً فيه؛ بالنسبة له من الضروري وجود حكومة نشيطة لتوفير الحماية والمكاسب التي تسمح للإنسان العادي بأن يعيش حياة جيدة، وتضمن بأن السير نحو الرفاهية سيكون من نصيب كل البلد. كذلك، لتلعب دوراً في الإشراف على استخدام الأراضي ورعاية المرافق العامة والحفاظ على البيئة. دعا إلى نزاهة اللعبة على المستوى الداخلي وانتهاج سياسة خارجية نشيطة. أنظر:

Joshua Muravchik, « 'Scoop' Jackson at One Hundred », on :  
<https://www.commentarymagazine.com/articles/scoop-jackson-at-one-hundred/>  
23/09/2017 15 :23

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

يفضل المثاليون المساعدات الاقتصادية والمؤسسات متعددة الأطراف على المساعدات العسكرية والتصرف الأحادي الجانب.

ولكن بعد الحرب، يقول ميد والتر، حدثت انشقاقات في كل من المعسكرين السابقين، وبدأت كل مجموعة بتأكيد نفسها (الهاملتونية، الجاكسونية، الولسونية، الجيفرسونية)، ووضع الرؤية الخاصة بها حول شكل السياسة الخارجية الأمريكية، مع تشكيل تحالفات جديدة مختلفة عن سابقتها. في التسعينيات كان هناك ثقة عالية في الذات لتحقيق توافق بين أهداف الهاملتونيين والولسونيين، وإمكانية بناء نظام يلائم وجهات نظر الطرفين. دعمت هذا الانسجام، التوافق حول حرب الخليج التي نظرت إليها المجموعة الأولى كحرب وقائية ضد قوة تطمح إلى أن تكون قوة نووية في منطقة استراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، واعتبرتها المجموعة الثانية حرباً من أجل القانون الدولي وكان سلوك مجلس الأمن الدولي فيها تجسيدا لرؤية لطالما حلموا بها. ولكن الحجم الهائل للتكاليف التي يتطلبها طموح المجموعتين، إلى جانب صعوبة الحصول على تأييد شعبي ونيابي لمثل هذه السياسات المكلفة، أدى إلى إدراكهما لوضع القوة الأمريكية وحجم المعوقات التي تقف في وجه استخدامها<sup>1</sup>.

وفي نهاية القرن العشرين، عرفت مؤسسة السياسة الخارجية انقسامات في سياسات الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن السيطرة كانت تؤول إما للهاملتونيين (مؤيدي التجارة الحرة والعولمة والمتطوعين لإنشاء منظومة مالية وتجارية عالمية قائمة على القوة العسكرية الأمريكية الفريدة من نوعها والنشاط الاقتصادي) أو للولسونيين (مؤيدي المنظمات غير الحكومية، سيادة القانون ونشر الديمقراطية، بناء إجماع دولي حقيقي ضد الأعمال العدوانية، حماية حقوق الإنسان عن طريق إجراءات شرطية دولية، إنشاء كيان مسلح دائم تحت قيادة مجلس الأمن الدولي)، أو لمزيج من أفكار كلا المدرستين. ولكن

<sup>1</sup> - ميد والتر، مرجع سبق ذكره، 300-302

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

الجيفرسونيين والجاكسونيين شككوا في القدرة على بناء نظام عالمي على الطريقة الهاملتونية واعتبروا أن نهاية الصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي هي فرصة لكي تقلل الولايات المتحدة الأمريكية من التزاماتها الخارجية ( التواجد العسكري في الخارج والامتيازات الاقتصادية والسياسية الممنوحة لبعض الدول في سياق الحرب الباردة، تفضيل الجيفرسونيين للأساليب متعددة الجوانب على الأساليب أحادية الجان واستبدال الحرب بالأدوات الدبلوماسية) وليس لأن تلتزم أكثر تجاه العالم، لأن ذلك بالنسبة لهم يمكن أن يجعلهم حريصين على هذا النظام أكثر من الحرص على مصالح الشعب الأمريكي. وكان رأيهم أنه بإمكان الولايات المتحدة الأمريكية أن تدافع عن مصالحها كما يجب دون أن تلتزم ببناء نظام عالمي كامل، بل يمكنها القيام بذلك باستخدام أساليب أقل من هذا الالتزام، حيث يمكنها أن تركز على مشكلات وقضايا معينة بدلا عن ذلك. ولكن هذا لا يعني عدم إدراكهم لوجود العديد من الأخطار التي كانت تهدد الولايات المتحدة الأمريكية كالأسلحة النووية والإرهاب<sup>1</sup>.

في بداية التسعينيات حدد الجاكسونيون مهمة الولايات المتحدة الأمريكية في الخارج، وتمثلت في احتواء الفوضى لردع كل من يحاول نشرها في مكان آخر، ولهذا عارضوا السكوت عن السلوك العراقي تجاه الكويت. ولكن مع مرور الوقت، باتت لديهم قناعة بأنه ليس من الضروري التدخل في كل القضايا في العالم، لأن أية مشكلة ستكون أهون من تعرض الجنود الأمريكيين للأذى. وهو ما ينطبق أيضا على الدعم المالي الذي يجب أن يكون محسوبا أيضا نظرا لغياب التهديد السوفياتي الذي كان يوفر فرصة للكثير من الدول للمطالبة بالمساعدات المالية مقابل عدم التوجه نحو المعسكر الشيوعي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ميد والتر، التطورات الحديثة في السياسة الأمريكية وأثرها على العالم، ترجمة: المركز الثقافي للتعبير والترجمة،

القاهرة: دار الكتاب الحديث، ص-ص، 300-334

<sup>2</sup> - نفس المرجع، 334-335

وعندما دار الجدل حول نظام الدفاع الصاروخي القومي ووضع نظام صواريخ متركزة في الفضاء والذي يمكن أن يجعل من الولايات المتحدة الأمريكية السيد الأوحده تقريبا ويرغم رعاياها الذين يدخلون في دائرتها على تنفيذ أوامرها، كانت هذه الفكرة مثيرة بالنسبة للجاكسونيين، واعتبروا الفكرة (امتلاك سلاح يوفر الحماية ويسبب الرعب للآخرين ويُجَنِّبها الخسائر البشرية مع إمكانية السيطرة على الأحداث في العالم) كجائزة لا بد من عدم التخلي عن أي جهد للحصول عليها، وعند وصول جورج بوش الابن للحكم سنة 2000، تم التراجع عن الأهداف الويلوسونية، وتقريب الجاكسونيين والجيفرسونيين وتعديل البرنامج الهاملتوني لتحقيق التوافق بين الثلاثة. فخلال الشهور الأولى لإدارته، بدأ صراع من أجل السيطرة على السياسة الخارجية بين الجاكسونيين والجيفرسونيين. أيد العديد من القادة المدنيين الجدد في البنتاغون الأساليب الحازمة والأحادية الجانب في السياسة الخارجية خاصة مع الصين وكوريا الشمالية، وحددوا تمديد واستمرارية السيطرة الأمريكية على العالم كهدف نهائي، وتحددت الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك في تعزيز الزعامة العسكرية عبر إنشاء منظومة ضخمة للأسلحة القائمة على الفضاء (وهذا دون التفاوض مع روسيا أو الحلفاء، الانسحاب من المبادرات الولوسونية الدولية مثل بروتوكول كيوتو، وإنشاء محكمة جنائية دولية دائمة). واعتبروا الوقت مناسباً لإحكام السيطرة على العالم نظراً لوجود القوة الكافية لتحقيق ذلك. وتم تقديم هذه الأفكار بوصفها سياسة خارجية جاكسونية. أما الجيفرسونيون (أمثال كولن باول)، فأرادوا أن تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على الحفاظ على قوتها وعلى حلفائها وتتجنب الدخول غير المجدي في الصراعات وتعريض نفسها لمخاطر غير مؤكدة النجاح. وذلك نظراً لغياب الأسباب التي تدفعها لانتهاج سياسات من شأنها زعزعة استقرار السياسة الدولية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 335-344

ولكن فرضت الظروف على الجاكسونيين عدة معوقات حالت دون تنفيذ مقترحاتهم، فوجدوا أنفسهم مضطرين لتبني المرونة في التعامل مع كوريا، والتفاوض مع روسيا، وتقديم الدعم المالي لبعض الحلفاء عبر صندوق النقد الدولي، والتسامح مع تمديد التواجد العسكري وغيرها. وهذا مع وجود ضمان أو اتفاق ضمني على مستوى الكونجرس بأن يتم السماح لجميع هذه المدارس بالتأثير على السياسة الخارجية<sup>1</sup>. ويقول ميد والتر في النهاية، بأن الانقسام الشديد الموجود بين المدارس المختلفة حول قضايا متعددة وعدم وجود هدف محدد يوفر القدرة على الاستجابة للتحديات والتغيرات بفعالية هو الذي يدعم احتمال حدوث نتائج غير مرغوبة من طرف كل مدرسة، وقد يؤدي إلى خلق تهديدات خطيرة وتورط الولايات المتحدة الأمريكية<sup>2</sup>.

في هذا المبحث، سنحاول البحث في مسألة نشر الديمقراطية كأحدى المهام التي رصدت لها الولايات المتحدة الأمريكية موارد مختلفة لتحقيقها. نهدف من خلال هذا التعرف على مكانة هذه المهمة في سياستها الخارجية. كذلك، سيكون هناك جزء خاص بما يعرف بالمحافظين الجدد، الذين برزوا كصناع قرار حقيقيين في الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس جورج بوش الابن، وهو ما يدفع إلى الربط بين تأثيرهم ونشر الديمقراطية عبر العالم. وسيتم ذلك من خلال المطالبين التاليين:

المطلب الأول: موقع نشر الديمقراطية في تطور السياسة الخارجية الأمريكية

المطلب الثاني: المقاربة النيوغرامشية ودور المحافظين الجدد في الترويج لنشر الديمقراطية

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 344-345.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص : 339.

### المطلب الأول: موقع نشر الديمقراطية في تطور السياسة الخارجية الأمريكية

إن مفهوم الديمقراطية ملازم لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، فهو لم يتواجد فقط على المستوى الداخلي أين عملت الحكومات الأمريكية المتعاقبة على تأسيس نظام سياسي ديمقراطي، بل كان حاضرا في سياستها الخارجية من حيث الترويج إلى الرغبة الأمريكية في نقل تجربتها إلى الدول الأخرى.

### الفرع الأول: العلاقة بين نشر الديمقراطية والبعد المثالي في السياسة الخارجية الأمريكية

يرى ميشيل سينغ Michel Singh بأن مسألة نشر الديمقراطية لها جذور في الحكومة الأمريكية، وقد تعود إلى توماس جيفرسون Thomas Jefferson الذي أيد الثورة الفرنسية وكان مقتنعا بالقيم التي كانت تستهدفها<sup>1</sup>. جيفرسون، كان متحدئا باسم الحرية، وهو ثالث رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وكاتب إعلان الاستقلال الأمريكي الذي يعتبر النص التأسيسي للديمقراطية الأمريكية<sup>2</sup>. وتؤكد كاترينا دالاكورا Katerina Dalacoura على ديمومة العنصر المثالي القوي في السياسة الخارجية الأمريكية، واعتماد نشر الديمقراطية في الخارج كأحد أهدافها، وذلك منذ عهد الرئيس وودرو ولسن. وتضيف بأنه خلال إدارة الرئيس رونالد ريغان وفي سياق الحرب الباردة، برز هذا الاهتمام بشكل مميز<sup>3</sup>. ولكن، كانت هناك قبل ذلك بعض الجهود الرامية إلى تحقيق هذا الهدف. ففي عام 1977، صدر أول تقرير سنوي بشأن حقوق الإنسان عن وزارة الخارجية الأمريكية. ومنذ ذلك، أصبحت هناك علاقة بين سياسات المؤسسات المالية الدولية وسلوك الدول على مستوى الديمقراطية وحقوق الإنسان، وبرزت فكرة معاقبة الدول اقتصاديا في حالة مخالفتها لهذه القيم<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- Michel Singh, « The US Approach to promoting Democracy in the Middle East », paper presented at a conference organized by the Euro-Mediterranean Foundation of Support to Human Rights Defenders (EMHRF) : Democratic Change in the Arab Region : State Policy and the Dynamics of the Civil Society, April 2-3, 2011, Brussels.

<sup>2</sup>- Biography.com Editors, « Thomas Jefferson Biography », <http://www.biography.com/people/thomas-jefferson-9353715>  
31-08-2016 00:08

<sup>3</sup>- Katerina Dalacoura, « US democracy promotion in the Arab Middle East since 11 september 2001: a critique », *International Affairs* 81, 5 (2005), p 963

<sup>4</sup>- شاهر إسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث أيلول، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009، ص-ص: 217.

### الفرع الثاني: مؤشرات المكون الديمقراطي للسياسة الخارجية الأمريكية

في حين هناك من يُرجع بداية الاهتمام الأمريكي بالديمقراطية إلى نهاية الحرب الباردة، يعطي أشرف محمد عبد الله ياسين مجموعة من المؤشرات التي تبين بأن الديمقراطية كانت من بين مكونات السياسة الخارجية الأمريكية، وتتمثل في:

- الإعلان عن نية الولايات المتحدة الأمريكية لدخول الحرب العالمية الأولى وذلك من طرف الرئيس وودرو ويلسون بهدف جعل العالم أكثر أماناً للديمقراطية، وأكدت على ذلك مبادئه الأربعة عشر.
- استخدام شعار مواجهة النظم الفاشية والدكتاتورية لدخول الولايات المتحدة الأمريكية للحرب العالمية الثانية.
- عمل الولايات المتحدة الأمريكية على تشكيل تحالف مكون من الدول الديمقراطية، اعتماداً على الديمقراطية وحقوق الإنسان لمواجهة ما أسمته بإمبراطورية الشر التي يقودها الاتحاد السوفياتي.
- اعتبار الحرية، الديمقراطية وحقوق الإنسان كوسائل بإمكانها تعزيز الأمن الأمريكي وخلق بيئة ملائمة للقيم والمصالح الأمريكية، وهذا في عهد الرئيس كارتر.
- إنشاء مجموعة من المؤسسات بغرض مواجهة الكتلة الشيوعية، تتمثل وظيفتها في دعم الديمقراطية في الخارج من خلال تقديم المساعدات الفنية والمادية: المؤسسة الوطنية للديمقراطية، المعهد الديمقراطي الوطني، المعهد الجمهوري الدولي، وهذا في عهد الرئيس رونالد ريغان.
- اعتقاد الرئيس كلنتون بإمكانية استبدال مفهوم الاحتواء بمفهوم توسيع الديمقراطية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة.
- ربط الرئيس بوش الابن انتشار الإرهاب بغياب الديمقراطية، واعتبار هذه الأخيرة بأنها بمثابة تحدي كبير للإدارة الأمريكية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>- أشرف محمد عبد الله ياسين، " السياسة الأمريكية تجاه الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط"، المجلة العربية للعلوم السياسية، بيروت: الجمعية العربية للعلوم السياسية بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 26، ربيع 2010، ص-ص: 75-76.



## أ- استراتيجية نشر الديمقراطية في إدارة رونالد ريغان

تعدّ إدارة رونالد ريغان Ronald Reagan الأولى التي صاغت بوضوح استراتيجية نشر الديمقراطية بمساعدة مستشاره ويليام دوغلاس William Douglas. ويات هذا الموضوع محل اهتمام الإدارات اللاحقة. وأحدثت الأفكار التي تم طرحها آنذاك تحوّلًا تدريجيًا في السياسة الخارجية الأمريكية من دعم القمع والإكراه إلى أنظمة الحكم التوافقية. وتقوم استراتيجية دعم الديمقراطية على دفع الطرف العنيد إلى انتهاج السلوك المرغوب من خلال إيجاد التوازن الحق بين العصى والجزرة، وتقديم المساعدة السياسية لمعالجة التخلف السياسي، على أن يتم في نفس الوقت، زرع البنى الأمريكية في المجتمعات غير الديمقراطية. ويتمثل المبدأ المعمول به هنا، هو السماح بوجود حكومات ديمقراطية في المجتمعات المستهدفة على اعتبار أنه بإمكانها القيام بنفس ما تقوم به الحكومات الدكتاتورية؛ فهما تستخدمان الشرطة لمكافحة الشغب، المساومة للحفاظ على رضى الجماعات المختلفة والجيش عند فشل الوسائل السلمية؛ ولكن بالشكل الذي يؤدي إلى تحقيق الاستقرار المطلوب لحماية مصالح الولايات المتحدة الأمريكية. ويمكن فهم هذا التحول جيدًا، عند الرجوع إلى توجهات السياسة الخارجية الأمريكية السابقة. فإحماية مصالحها، قدمت الدعم للعديد من الأنظمة الدكتاتورية لاحتواء الخطر الشيوعي. وفي هذا السياق، كان هناك دعم للانقلابات ضد رؤساء منتخبين ديمقراطياً (محمد مصدق-إيران 1953، سلفادور ألييندي-الشيلي 1973) خوفاً من تحوّل دول إلى الشيوعية. وتم استبدالهم بوكلاء استبداديين (شاه إيران، بينوشي في الشيلي) لضمان الاستقرار الذي يوفر الحماية للمصالح الأمريكية. غير أن الاستبداد أدى إلى نتائج عكسية وخلق معارضة شعبية وأدى إلى تراجع شرعية الحكام، ما دفع الإدارة الأمريكية إلى إعادة النظر في استراتيجيتها والبحث عن أفضل الطرق بالنسبة إليها لتحقيق أهدافها، أخذاً بعين الاعتبار هذه التطورات من جهة، ومن جهة أخرى الأفكار التي جاءت بها المؤسسة الأمريكية السياسية American Political Foundation التي تم تأسيسها سنة 1979 بهدف تحقيق التبادل الدولي للقيادات السياسية والتكنولوجية. تكونت من سياسيين، أكاديميين ورجال أعمال. من بين أعضائها، هنري كيسنجر Henry Kissinger، زبينغيو بريجنسكي Zbignew Brezinski. ومن هنا، ظهرت ثلاث عناصر مكوّنة لاستراتيجية دعم الديمقراطية:

- اعتماد الوسائل الدبلوماسية، الاقتصادية والعسكرية وصياغة برامج لدعم الحركات السياسية الصديقة

- تحسين صورة الولايات المتحدة في الخارج، ونشر أيديولوجيتها وكسب الدعم والتأييد لسياساتها وذلك عبر برامج تتعلق بالمعلومات (الصحافة، الراديو، التلفزيون، برامج التبادل الثقافي).
- العمل على خلق فواعل سياسية جديدة عوض التأثير على الفواعل الموجودة<sup>1</sup>.

### ب- ظهور مفهوم التوسع الديمقراطي في عهد بيل كلنتون

وكما ذكر سابقاً، ظهر مفهوم "التوسع الديمقراطي على أنه أحد الأهداف الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس بيل كلينتون Bill Clinton، وجاءت وثائق "استراتيجية الأمن القومي للتدخل والتوسع" والصادرة في 1994-1995-1996، لتؤكد عزم الولايات المتحدة الأمريكية على استخدام القوة لكسب أسواق خارجية في كل مناطق العالم. كما أنها أعلنت عن أهمية التحول الديمقراطي بالنسبة للأمن والاستقرار الدوليين؛ على اعتبار أن الدول التي تتماثل أنظمتها من حيث القيم الديمقراطية والإنسانية أكثر ميلاً نحو التعاون والشراكة واحترام القانون الدولي كسبيل لتحقيق المصالح المشتركة. كما أنها وبفعل انفتاحها واحترامها للتعددية السياسية فإنها ستكون أكثر قدرة على انتهاج الوسائل السلمية لتسوية النزاعات وحماية الأقليات الدينية والعرقية. وفي ظل هذا التوجه، أعلنت الإدارة الأمريكية بأن ممارسات دول المنطقة فيما يتعلق بالديمقراطية وحقوق الإنسان، ستكون هي المحدد الرئيس لعلاقتها بهم<sup>2</sup>. وفي هذه الفترة بدأ ظهور معالم مبدأ التدخل الإنساني بدلا عن مبدأ التدخل الخاص بالنظام العالمي الجديد في عهد الرئيس جورج بوش الأب<sup>3</sup>.

### ج- ظهور مصطلح التدخل الإنساني ومسؤولية الحماية

ويشير مصطلح التدخل الإنساني إلى ذلك التدخل الدولي الذي يهدف إلى حماية حقوق الإنسان وضمان احترام القانون الدولي الإنساني، مع وجود اختلاف بين الباحثين في هذا المجال حول الوسائل الممكن استخدامها في ذلك؛ وعدم الاتفاق بشأن حصرها في القوة العسكرية أو إمكانية التدخل بالوسائل الدبلوماسية والاقتصادية. كما اختلفت المواقف فيما يتعلق بشرعيته من عدمها على خلفية محتوى ميثاق الأمم المتحدة في هذا الموضوع، وتحريمه للتدخل في الشؤون الداخلية للدول واستخدام القوة باستثناء

<sup>1</sup>- Dionysius Markakis, « US Democracy Promotion in the Middle East The pursuit of Hegemony ? », a thesis submitted to the department of international relations of the London School of Economics for the degree of Doctor of philosophy, London, october 2012, p-p : 59-62.

<sup>2</sup>- شاهر إسماعيل الشاهر، مرجع سبق ذكره، ص: 2018

<sup>3</sup>- مفيد قطيش، "المبادرات الغربية حول الشرق الأوسط"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 50، أكتوبر 2004.

الحالات التي تشكل تهديدا للأمن والسلم الدوليين، والتي يترتب عنها تدخل الأمم المتحدة، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، ثار النقاش حول الحالات التي يثبت بأنه تم فيها انتهاكات حقوق الإنسان بدرجة عالية من الخطورة في دولة غير قادرة أو غير راغبة في وقف ذلك، أو قد تكون هي الفاعل. أضف إلى ذلك، ثبوت عدم فاعلية الوسائل غير العسكرية وعدم قدرة مجلس الأمن على إصدار القرار اللازم بفعل استخدام أحد أعضائه لحق الفيتو ضد التدخل العسكري. ولهذا، ظهر تيار يؤيد ما يسمى بالتدخل الإنساني المنفرد<sup>1</sup>.

وبسبب هذا الجدل الذي رافق حق التدخل الإنساني، وبعد استخدامه في الصومال، رواندا وكوسوفو، واعتباره وسيلة تمس بسيادة الدول، جرى البحث عن مفهوم آخر للتعبير عن إمكانية تصرف المجموعة الدولية عند وقوع اعتداء على حقوق الإنسان، فجاء مفهوم مسؤولية الحماية كمصطلح يمكّنها من احترام سيادة الدول وأداء واجبها في حماية هذه الحقوق<sup>2</sup>. ويشير هذا المفهوم إلى أن الدولة السيدة هي تلك التي تتحمل مسؤولية رفاه شعبها، ولم يعد هناك مجال لاعتبار السيادة مبررا لعدم خضوعها للتدخل الأجنبي. وتقوم مسؤولية الحماية على الركائز التالية:

- على الدولة أن تتحمل مسؤولية توفير الحماية من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية والتطهير العرقي، ومن التحريض على ارتكاب تلك الجرائم؛
- على المجتمع الدولي أن يتحمل مسؤولية تشجيعها على ذلك ومساعدتها.
- على المجتمع الدولي أن يوفر هذه الحماية باستخدام الوسائل الملائمة وأن يكون على استعداد لاتخاذ إجراء جماعي وفقا للأمم المتحدة، في حالة تبين عدم قدرة الدولة على تحقيق ذلك<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - خالد حساني، "بعض الإشكاليات النظرية لمفهوم التدخل الإنساني"، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 425، جويلية 2014، ص-ص: 41-49.

<sup>2</sup> - الجوزي عزالدين، "حماية حقوق الإنسان عن طريق حق التدخل الإنساني: استرجاع للقانون الدولي"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص القانون، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2015، ص-ص: 280-283.

<sup>3</sup> - "المسؤولية عن الحماية"، في الموقع:

<http://www.un.org/ar/preventgenocide/adviser/responsibility.shtml>

تاريخ الدخول: 01-09-2016 على الساعة 01:45

وتشمل مسؤولية الحماية على:

- مسؤولية الوقاية: أي بذل الجهود الكافية بالتعاون مع المنظمات الحكومية وغير الحكومية لمنع وقوع جرائم ضد الإنسانية. ويتم ذلك من خلال إنشاء نظام فعال للإنذار المبكر؛ بحيث تتوفر المعلومات حول خطورة الوضع ومدى إمكانية وقوع مثل هذه الأفعال. كذلك، اتخاذ التدابير التي من شأنها معالجة الأسباب الأصلية للنزاعات التي تشكل تهديدا لحقوق الإنسان كالفساد السياسي والاقتصادي.
- مسؤولية الرد: وذلك عند فشل التدابير الوقائية أو عجز الدولة عن التعامل مع الوضع أو غياب النية لديها للقيام بذلك. في هذه الحالة، تقوم المجموعة الدولية بالرد من خلال مجموعة من الإجراءات والتي قد تكون دون استخدام القوة (حظر السلاح، تقييد التمثيل الدبلوماسي، إحالة القضية إلى محكمة دولية، فرض عقوبات اقتصادية)، وقد تكون قسرية عند تقاوم الوضع وحين يصبح استخدام القوة والتدخل (الحظر الجوي، قوات حفظ السلام...) أمرا ملحا لحماية حقوق الإنسان.
- مسؤولية إعادة البناء: أي العمل على إصلاح الأوضاع في مرحلة ما بعد التدخل العسكري، والالتزام الجاد ببناء الاستقرار وعدم بروز العوامل التي استدعت التدخل من جديد. وذلك مع التركيز على قضايا الأمن، العدل والتنمية<sup>1</sup>.

وتم اعتبار التدخل في ليبيا سنة 2011 نموذجا لتفعيل مسؤولية الحماية، وتمثلت المبررات المعلن عنها في حماية المدنيين من الجرائم المرتكبة ضدهم وهي الحالة التي اعتُبرت تهديدا للسلم وإخلالا به. غير أن الواقع بيّن بأن تغيير النظام في ليبيا كان متناسبا مع ما قامت به الأطراف المتدخلة خلال العمليات العسكرية والتي تضمنت تركيزا على التقليل من قوة الموالين للنظام<sup>2</sup>. وكان هذا التدخل بموجب القرار 1970 المتخذ من قبل مجلس الأمن في الأمم المتحدة، والذي تم بموجبه إحالة الوضع إلى

<sup>1</sup>- قرزان مصطفى، "مبدأ مسؤولية الحماية وتطبيقاته في ظل مبادئ وأحكام القانون الدولي العام"، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الحقوق فرع القانون العام، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014-2015، ص-ص: 100-127.

<sup>2</sup>- برونو بومييه، "استخدام القوة لحماية المدنيين والعمل الإنساني، حالة ليبيا وما بعدها"، مختارات من المجلة الدولية للصليب الأحمر، المجلد 93، العدد 884، سبتمبر 2011، ص-ص: 5-6

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

المحكمة الجنائية الدولية، حظر الأسلحة والسفر وتجميد الأصول<sup>1</sup>. وكذلك القرار 1973، والذي نص على السماح للدول الأعضاء باتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية المدنيين والمناطق الآهلة بالسكان المدنيين المعرضين لخطر الهجمات<sup>2</sup>.

وبالنظر إلى ما سبق، كانت الولايات المتحدة الأمريكية في وجه الاستخدامات المختلفة للمفاهيم السابق عرضها. لقد كانت عمليات التدخل التي تمت في أفغانستان، العراق وليبيا باسم الديمقراطية، الحرية وحقوق الإنسان. غير أن ما حدث في هذه الدول على أرض الواقع، أثار عدة تساؤلات حول مصداقية الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من القوى الدولية؛ وتحديدًا مدى دفاعهم عن القيم المذكورة وعلاقة ذلك بمصالحهم وقيمهم والأهداف الاستراتيجية المسطرة في سياساتهم الخارجية.

وبناء عليه، بات الوضع يتطلب تفسيراً، من جهة، لأهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لهم، ومن جهة أخرى، مكانة أهداف دول هذه المنطقة في سياسات صناع القرار فيها وهل هناك سعي أو حتى إمكانية لكي تحقق هذه الدول مصالحها في ظل كثافة الأنشطة الموجهة من قبل القوى الدولية نحو المنطقة.

### الفرع الثالث: أدوات العمل غير العسكرية لنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط الكبير

#### أ- الأهداف:

تجدر الإشارة إلى أن هناك مجموعة معينة من الأهداف الثابتة التي تسعى الولايات المتحدة إلى الوصول إليها، وتتمثل في:

- الاحتفاظ بموقعها الذي تهيمن من خلاله على العالم، وهو ما يقتضي منع أية قوة دولية من أن تتنافسها في ذلك.
- التحكم في منابع وممرات النفط، وهو ما يمكنها من تعزيز وضعها الاقتصادي من جهة، ومن جهة أخرى، ممارسة الضغط على القوى العظمى المنافسة.
- التحكم بالتطورات السياسية والاقتصادية، ما يسمح لها بالتحكم في قوة الدول الأخرى.

<sup>1</sup> - القرار رقم 1970 لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، 17 مارس 2011.

<sup>2</sup> - القرار رقم 1973 لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، 17 مارس 2011.

- ضمان أمن الكيان الصهيوني وتفوقه في المجالات العسكرية، التكنولوجية والاقتصادية<sup>1</sup>.

وحول التحالف القائم بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني، وعلاقة ذلك بالأهداف الأمريكية، تقول عباسة دربال صورية:

" تدرك الولايات المتحدة الأمريكية أن ثمة قوى عالمية جديدة تنمو على نحو بات يهدد سيطرتها على العالم، ويكمن خطرهما في الجانب الاقتصادي الذي أخذ مفهومه يتبلور مع تطور التكنولوجيا. وفي ظل هذا المفهوم، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تبذل مجهودات جبارة لتحقيق السلام بالمفهوم الأمريكي بين العرب والكيان الصهيوني، .. فالكيان الصهيوني هو المنوط به تحقيق الخطة الأمريكية في المنطقة على جميع الأصعدة، بما فيها الاقتصادية ... من خلال تحقيقها للحلم الأمريكي الصهيوني في المنطقة، ألا وهو المشروع الشرق أوسطي بقيادة الكيان الصهيوني وبالتبعية المباشرة للولايات المتحدة الأمريكية وذلك سعياً وراء، تشكيل كتل مغلقة أمام المنتجات الآسيوية ومفتوحة أمام المنتجات الأمريكية والأوروبية إلى حد ما"<sup>2</sup>

وفيما يتعلق بنشر الديمقراطية والإصلاح بشكل عام، يضع Michel Singh مقاربة مكونة من ثلاث محاور باستخدام مفاهيم القمة، القاعدة والمؤسسات. مؤكداً على أهمية الاهتمام بكل الاتجاهات لأن لإهمال أحدها نتائج سلبية. فإذا تم الإصلاح انطلاقاً من القمة نحو القاعدة فقط أو من القاعدة نحو القمة فقط، فإن ذلك سيؤدي إلى ارتفاع التوقعات بشكل غير معقول. وإذا تم التركيز على المؤسسات والبنى فقط، فإن ذلك سيرفع من كفاءة الأنظمة الاستبدادية. ولذلك يرى بأنه:

- إذا أدت الجهود المبذولة انطلاقاً من القمة إلى القاعدة، إلى فتح الفضاء السياسي والسماح بالمشاركة السياسية (انتخابات حرة ونزيهة ومنتظمة، نظام حزبي تعددي، مشاركة المرأة والأقليات، حرية الرأي والتعبير والتجمع والتواصل، استقلالية القضاء والمؤسسات التشريعية، الإصلاح الاقتصادي)،

<sup>1</sup>- ماجد كيالي، " التحديات الشرق أوسطية الجديدة"، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، سبتمبر 2000، ص 83.

<sup>2</sup>- عباسة دربال صورية، السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي-الكيان الصهيوني في ظل النظام الدولي الجديد، الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص58.

- وإذا تم تدريب الأفراد والمنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني ومساعدتهم على المشاركة السياسية والاقتصادية، نتيجة للجهود المبذولة انطلاقاً من القاعدة نحو القمة،
  - إذن، لا بد من التركيز أثناء عمليات بناء المؤسسات على خلق محاكم وسجون فعالة، تشريعات ومؤسسات للمساءلة، إعلام مهني، أحزاب سياسية، انتشار لشبكة الانترنت، أجهزة أمنية محترفة.
- ويقترح مجموعة من الأدوات في هذا المجال، والتي يمكن استخدامها من طرف الولايات المتحدة الأمريكية:

- الدبلوماسية ثنائية الأطراف: لقاءات بين كبار المسؤولين للتأكيد على أهمية الإصلاح السياسي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.
- الدبلوماسية المتعددة الأطراف: وهي مثل تلك التي قادتها من خلال مبادرة الشرق الأوسط الكبير وشمال إفريقيا من خلال مجموعة الثمانية.
- دبلوماسية الرأي العام: التصريحات، الخطابات، التبادلات في المجال الثقافي والتشريعي، الأدوات التكنولوجية، شراكات القطاع الخاص، مساعدات مادية، أدوات أخرى مثل العقوبات، الإكراه، المكافآت<sup>1</sup>.

وهو بالفعل ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية ويؤكدّه طوماس كاروثر Thomas Carothers قائلاً بأن صانعي السياسة عندما يقررون تعزيز الديمقراطية في بلد آخر، قد يستخدمون الإجراءات الدبلوماسية إما كعصا أو كجزرة: انتقاد الحكومة التي تتراجع عن الديمقراطية، مدح القادة المؤيدين للديمقراطية، منح أو سحب التواصل الدبلوماسي عالي المستوى كرد فعل عن التطورات الإيجابية أو السلبية، وما إلى ذلك. كما يمكنها أن تستخدم الأدوات الاقتصادية أيضاً كعصا أو كجزرة: الضغوط الاقتصادية، كالعقوبات المفروضة على الحكومات التي تقمع الحركات الديمقراطية؛ أو المكافآت الاقتصادية كالمزايا التجارية أو دعم ميزان المدفوعات لدى الحكومة التي تتحرك باتجاه الديمقراطية. كما قد يلجؤون حتى إلى الأدوات العسكرية في التدخل لإسقاط حكم دكتاتوري أو لتنصيب أو إعادة تنصيب

<sup>1</sup> - Michel Singh, Op.Cit, p-p : 6-8.

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

حكومة منتخبة. ويضيف بأنه على الرغم من أن السياسيين يبررون التدخلات العسكرية بأنها تتم على أسس ديمقراطية، فإنها عادة ما تكون بدافع الحصول على مصالح أخرى<sup>1</sup>.

وفي إطار مشروع الشرق الأوسط الكبير، تعمل الولايات المتحدة الأمريكية اعتمادا على هذه الأدوات، وعلى ثلاثة محاور:

- تحسين صورة أمريكا من خلال مجموعة من البرامج، وذلك بسبب تصاعد الكراهية تجاهها في المنطقة وانتقالها عبر الأجيال.
- التحكم في شعوب المنطقة فكريا من خلال إحداث تغييرات في بنيتها الثقافية ببعديها العربي والإسلامي.
- ترسيخ القيم والمبادئ الليبرالية<sup>2</sup>.

وتحاول الولايات المتحدة الأمريكية تحقيق التوازن بين مصالح أمنها القومي التقليدية وبين تحويل منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى الديمقراطية اعتمادا على القيم الليبرالية. ولقد كانت لأحداث 11 سبتمبر 2001 تأثيرا كبيرا على السياسة الأمريكية المنتهجة، والتي تمحورت سابقا حول الحفاظ على الوضع الإقليمي القائم وإحباط التغييرات السياسية ولكنها استمرت في الاعتماد على الأنظمة الاستبدادية والتي تتعاون معها فيما يتعلق بمصالح الأمن القومي المباشرة كمكافحة الإرهاب، منع الانتشار والتدفق الحر لمصادر الطاقة نحو السوق العالمية. ولقد تبنت الولايات المتحدة الأمريكية مبدأي التدرج والتعاون في محاولاتها لنشر الديمقراطية في المنطقة المعنية واعتمد جورج بوش الابن ما عُرف بأجندة الحرية Freedom Agenda. وكان ذلك باستخدام مجموعة من المؤسسات التي أعلنت بأن هدفها هو خلق بيئة ملائمة للحرية، السلم والرفاهية على المدى البعيد من خلال "الشراكة" و"الاستدامة". ولقد استمر العمل من خلالها من طرف إدارة الرئيس باراك أوباما<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>-Thomas Carothers, Aiding Democracy Abroad The Learning Curve, Washington : Carnegie Endowment for International peace, 2003, p6

<sup>2</sup>- سعيد اللاوندي، الشرق الأوسط الكبير مؤامرة أمريكية ضد العرب، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص 18.

<sup>3</sup>- Emiliano Alessandri, Oz Hassan, Ted Reinert, Op.Cit, p2



ولكن تلك المؤسسات تعرضت للانتقاد حول طبيعة عملها وحقيقة أهدافها؛ وأكد كثيرون بأنها تمارس نشاطات تخدم في النهاية مصالح الولايات المتحدة الأمريكية بغض النظر عن متطلبات شعوب المنطقة التي تتطلع فعليا إلى القيم المذكورة سابقا وهي الحرية، الرفاهية والسلام. وهو ما بدأت محاولات التعبير عنه منذ سنة 2011 من خلال سلسلة من المظاهرات والاحتجاجات التي رفعت فيها لافتات للمطالبة بالحرية، العدالة الاجتماعية وإسقاط الأنظمة القائمة والمسئولة عن انتشار الفساد في مختلف المجالات على أمل إصلاح الأوضاع. حيث تميز الحكم في هذه المنطقة بقمع حرية التعبير، انتهاك حقوق الإنسان، سوء الإدارة الاقتصادية، الفساد وخنق المعارضة السياسية، إضافة إلى ارتفاع عدد الشباب في ظل تزايد البطالة<sup>1</sup>.

### ب- العمل من خلال الأجهزة الحكومية

#### الجدول رقم 02: الفواعل الحكومية الأمريكية والهيئات متعددة الأطراف العاملة

|                                   |  |
|-----------------------------------|--|
| وزارة الخارجية                    | <ul style="list-style-type: none"> <li>- مكتب الديمقراطية، حقوق الإنسان والعمل (مكتب حقوق الإنسان والشؤون الإنسانية في إدارة كارتر، منذ 1993).</li> <li>- مبادرة الشراكة مع الشرق الأوسط (2002).</li> <li>- صندوق الديمقراطية وحقوق الإنسان (1998).</li> </ul> |
| الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية | <ul style="list-style-type: none"> <li>- مركز التميز للديمقراطية، حقوق الإنسان والحكم (مكتب الديمقراطية والحكم سابقا) (1994).</li> <li>- مكتب مبادرات الانتقال (1994)</li> </ul>   |
| مؤسسة تحدي الألفية                |  |
| الكونغرس                          | <ul style="list-style-type: none"> <li>- تحديد اعتمادات ومخصصات الميزانية.</li> <li>- عمل اللجان التابعة له.</li> <li>- المبادرات التشريعية، الوفود، الضغط لصالح قضية معينة من طرف بعض الأعضاء).</li> </ul>  |

<sup>1</sup>- Caryle Murphy, « The Arab Spring: The Uprising and its Significance », <http://www.trinitydc.edu/magazine-2012/the-arab-spring-the-uprising-and-its-significance/>  
06-09-2016 22 :18

|  |                               |
|--|-------------------------------|
| <p>- هيئة الأمم المتحدة (برنامج التنمية)، البنك العالمي، الناتو، منظمة التعاون والأمن في أوروبا، منظمة الدول الأمريكية، منظمة مجتمع الديمقراطيات (1999)، صندوق الأمم المتحدة للديمقراطية (2005)، منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي.</p> | <p>الهيئات متعددة الأطراف</p> |
|--|-------------------------------|

**La source:** Nicole Bibbins Sedaca, Nicolas Bouchet, Holding Steady? US Democracy Promotion in a Changing world, London : Chatham House, February 2014, p8.

### ج- العمل من خلال الأجهزة غير الحكومية

تتمثل وظيفتها في تدريب النشطاء الديمقراطيين والقيادات الحكومية، دعم تشكيل الأحزاب السياسية والعمليات الانتخابية، تقديم المساعدة المالية والتقنية للمؤسسات والمنظمات الديمقراطية، دعم فواعل المجتمع المدني (الإعلام، النقابات وغيرها)، تقديم المشورة بشأن السياسات والبحوث المؤثرة في صنع السياسة الأمريكية. وتتمثل في<sup>1</sup>:

- هيئة الوقف الديمقراطي (1983)، وفروعها: المعهد القومي الديمقراطي، المعهد الجمهوري الدولي، مركز المؤسسة الدولية الخاصة، مركز التضامن.
- منظمة بيت الحرية، مركز كارتر العامل في مجال مراقبة الانتخابات وبرنامج الديمقراطية، المؤسسة الدولية للأنظمة الانتخابية، مؤسسة المجتمع المفتوح، مشروع الائتلاف الديمقراطي.
- الهيئات الخيرية: مؤسسة فورد Ford، ماك آرثر MacArthur، مؤسسة روكفلر Rockfeller، مؤسسة أوراسيا Asia and Eurasia Foundation.
- مراكز الفكر وجماعات الضغط:
- مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي ومجلس العلاقات الخارجية

<sup>1</sup> - Nicole Bibbins Sedaca, Nicolas Bouchet, Op.cit., p-p : 8-9

Carnegie Endowment for International Peace and the Council on Foreign Relations

- المنتدى العالمي للدراسات الديمقراطية Ned International Forum for Democratic Studies (1994).
- مشروع الديمقراطية في الشرق الأوسط The Foreign Project on Middle East Democracy (2006).
- مبادرة السياسة الخارجية Foreign Policy Initiative (2009).
- مركز جامعة كاليفورنيا لدراسة الديمقراطية UC Irvine's Center for the study of Democracy (1990).
- مركز جورج تاون للديمقراطية والمجتمع المدني Georgetown University's Center for Democracy and Civil Society (2002).
- معهد آش للحكم الديمقراطي في جامعة هارفارد Harvard University's Ash Institute for Democratic Governance (2003).
- مركز دراسات الديمقراطية والتنمية وحكم القانون بجامعة ستانفورد

Standford University's Center on Democracy, Development, and the rule of law (2004)

#### د- العمل من خلال القطاع الخاص

وفي هذا الصدد، انضمت العديد من الشركات إلى مبادرة الشراكة في المنتدى الاقتصادي العالمي لمكافحة الفساد World Economic Forum's Partnering Against Corruption Initiative، وميثاق الأمم المتحدة العالمي UN's Global Compact، والعمل من أجل المسؤولية الاجتماعية Business for Social Responsibility وفي اطار تأثير الوكالات الحكومية وغير الحكومية على القطاع الخاص، تم الدخول في حوار مع مجتمع الأعمال من خلال مجموعة من المبادرات: المبادئ الحرة حول الأمن وحقوق الإنسان Voluntary Principles on Security and Human Rights، والعمل من أجل حقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة العالمي The Business

عملية نشر الديمقراطية تجلى في مجال تكنولوجيات الاتصال والمعلومات. فمن خلال مواقع الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي: Google- Twitter- Youtube- Facebook، تزايد الضغط على الحكومات والمنظمات الدولية ودفعها للتحرك بفعل الكشف عن التجاوزات المتعلقة بحقوق الإنسان والديمقراطية، وكذلك انتشار الحركات الشعبية الناجحة سواء من حيث تزايد عدد مؤيديها أو الراغبين في تقليدها. ويرجع ذلك إلى حرية تدفق المعلومات وسهولة التواصل والتنسيق محليا ودوليا<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - Ibid, p-p : 10-11

### المطلب الثاني: المقاربة النيوغرامشية ودور المحافظين الجدد في الترويج لنشر

#### الديمقراطية

لم يتوقف البحث في حقل العلاقات الدولية عن تلك المحددات التي وضعها الواقعيون والليبراليون، والذين شكل الجدل بينهم منعطفا في تاريخ التطور النظري لهذا المجال، بل ظهرت نظريات أخرى كشفت عن جوانب جديدة في تفسير تصرفات الدول، على رأسها المساهمة التي قدمها أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci في تفسير ميكانيزمات الهيمنة ومعوقات الثورة والتغيير.

#### الفرع الأول: تفسير المقاربة النيوغرامشية للأسلوب الأمريكي في ترويج الديمقراطية

يشرح الدكتور Dionysius Markakis الأسلوب الذي تعمل من خلاله الإدارة الأمريكية معتمدة على المؤسسات السالفة الذكر. ويوضح ذلك من خلال المقاربة النيوغرامشية Neo-Gramscian Approach والتي لا تكتفي بالدولة كوحدة أساسية في تحليل العلاقات الدولية، بل تضيف وحدات ومتغيرات أخرى تتفاعل فيما بينها قد تكون سياسية، اقتصادية، أخلاقية أو إيديولوجية. كما ترى ضرورة التحليل على المستويين الداخلي والدولي. ووفقا لها، يمكن تفسير سعي الولايات المتحدة الأمريكية إلى نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط خلال إدارة كلينتون وجورج بوش الابن، بأنها كانت تحتوي على دافع استراتيجي للهيمنة. ويدل على ذلك، محاولاتها لتشجيع عملية إدخال أيديولوجيتها المتمثلة في الديمقراطية الليبرالية وكأنها النظام الطبيعي الذي يجب على مجتمعات الشرق الأوسط أن تُسير شؤونها من خلاله the natural order<sup>1</sup>. وتتمثل مفاهيم هذه المقاربة في:

- مفهوم الهيمنة Hegemony: والتي تتحقق من خلال استخدام الميكانيزمات التوافقية لضبط المجتمع والأشكال التوافقية للحكم، وألا يتم اللجوء إلى الوسائل القمعية إلا عند فشل الأولى. وترتهن الهيمنة بقبول المحكومين، وإيمانهم بأنه من الطبيعي ومن المنطق أن يتم اعتناق هذه الإيديولوجية والعمل بها.

<sup>1</sup> - Dionysius Markakis, Op.Cit, p-p : 21-28

- الديمقراطية الليبرالية: تشكل العنصر الأساسي في الإيديولوجية المراد نشرها، بما تتضمنه من قيم سياسية ومبادئ اقتصاد السوق الحر، والتي تنبع من الإرث السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي الغربي.
  - الديمقراطية المستندة على النخبة: أي نظام قائم على حكم الأقلية والتي تنتج عن تنافس النخب. ففي حين يبدو بأن الناخب هو الذي يختار ممثليه، تكمن الحقيقة في أن الممثل هو الذي يختار نفسه عن طريق الناخب.
  - المجتمع المدني: والذي تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على اختراقه والتحكم من خلاله في السياسة. هذه الأخيرة، وعندما تكون غير حائزة على تأييد شعبي، تتطلب خلق رأي عام ملائم ومؤيد وهو الدور الذي يمكن للمجتمع المدني أن يلعبه.
  - المثقفون العضويون: وهم النخب المحلية، المنفيين وغيرهم من الأفراد الذي يلعبون دوراً أساسياً في نقل ومنح الشرعية لهذه الإيديولوجية، وبالتالي للإصلاحات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية التي تندرج تحت استراتيجية تعزيز الديمقراطية. وهم ليسوا بالضرورة وكلاء عن الولايات المتحدة الأمريكية، فقد يكون من بينهم من يؤمنون بهذه الإيديولوجية ويسعون إلى توسيع مصالحهم ومشاريعهم ويؤيدون اندماج بلدانهم في الرأسمالية العالمية تحت المظلة الأمريكية.
  - الطبقات النخبوية: وهي عابرة للحدود الوطنية، لها مصالح مشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية، ويتوقف بقاؤها على حفظ وتعزيز عملية استيراد القيم والبنى السياسية الغربية. تتميز باستخدامها للسياسة الخارجية لصالح مصالحها وليس بدافع المصالح الوطنية أو الأمن القومي<sup>1</sup>.
- ويلاحظ من خلال نص المشروع، التركيز على الجانب الاقتصادي مقارنة بالجوانب الأخرى. وذلك من خلال تبيان الأهداف الرئيسية الواجب تحقيقها، وعلى رأسها تحرير المعاملات المالية والتجارة والعمل في إطار منظمة التجارة العالمية. ومن جهة أخرى، تؤكد العديد من الوقائع اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالاقتصاد، كانت أبرزها احتلالها للعراق وسياساتها فيه. قامت باستخدام سياسة فرق تسد من خلال إثارة الطائفية بين السنة والشيعة، وفي نفس الوقت، بذل الجهود لاستصدار قانون النفط وخصخصة القطاع الذي كان تحت سيطرة الدولة، من خلال الشركة الوطنية العراقية

<sup>1</sup> - Ibid, p-p : 30-43.

للنفط، والتي تم طرد الشركات الغربية متعددة الجنسيات بعد تأميمها. وكان العراقيون يعتبرونها شركة ناجحة من حيث تحقيقها للمصلحة العامة والعدالة الاجتماعية وخلق طبقة متوسطة واسعة. وبعد الاحتلال، وبسبب عدم مشروعية بيع شركات الدولة بموجب القانون الدولي، قامت مجموعة من الشركات متعددة الجنسية بعقد اتفاقيات التدريب التقني التي مكنتها من التعرف على تفاصيل الحقول النفطية، ثم بدأت المطالبة بإبرام عقود لها صفة الاتفاقية الدولية على غرار عقد باكو-تبليسي-جيهان الموقع في اسطنبول، وذلك حتى لا يكون هناك لدى التشريعات المستقبلية القدرة على إلغائها. ولقد عبر عن ذلك ممثلو الشركات النفطية: Chevron- Exxon Mobil- Conoco Phillips- Shell وشركات أخرى في لقاءهم مع وزير البترول حسين الشهرستاني آنذاك. وهذا في ظل انقسام الشعب العراقي بين رافض لخصخصة القطاع ومؤيد له<sup>1</sup>.

وتبين العديد من المؤشرات بان هذا المشروع كان عبارة عن أداة لتبرير السلوك الخارجي الأمريكي تجاه المنطقة ووسيلة لتعزيز الهيمنة الأمريكية على العالم من خلال ما يعرف بالهندسة الاجتماعية العالمية Global Social Engineering والهندسة السياسية الإقليمية Regional Political Engineering لفرض التغيير السياسي، وإدماج المنطقة بما فيها الدول التي لا تتبنى الرؤية الأمريكية في المجالين الاقتصادي والسياسي، في منظومة من القيم الأمريكية والغربية. وهذا مع وجود أشكال مختلفة للعنف الذي سيتم انتهاجه تجاه الدول التي ترفض المشاركة أو لا تقدر عليها. ويأتي هذا التفسير بالنظر إلى التوقيت الذي جاء فيه، والذي تبين فيه عدم عدالة الحرب على العراق بما تضمنته من انتهاك لحقوق الإنسان، والقيم التي قام عليها والتي تتمثل في القيم الأخلاقية الأساسية للإنسان وإقناع العالم بأن الكل سيستفيد من هذا المشروع وسيعم الاستقرار<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- EDDIEJ.Girdner, "Wake Up and Smell the Oil the Grassroots Struggle Against the Oil Plunder in Iraq" <https://monthlyreview.org/2014/04/01/wake-smell-oil> 30/09/2017 20:49

<sup>2</sup>- Aylin Guney and Fulya Gokan, «The Greater Middle East as a Modern Geopolitical Imagination in American Foreign Policy », *Geopolitics*, Taylor and Francis Group, 2010, p-p : 32-34

وبناء على تغير الرؤية الأمريكية للشرق الأوسط، واعتبار أن ظاهرة الإرهاب وتنامي الاتجاهات الراديكالية التي امتدت إلى العالم الغربي، هي نتيجة غياب الديمقراطية، بات من الضروري التخلص من الأنظمة الدكتاتورية وإحداث التغيير بما يؤدي في النهاية إلى حماية المصالح الأمريكية في العالم<sup>1</sup>.

واختلفت الآليات المستخدمة باختلاف طبيعة العلاقات الأمريكية مع دول المنطقة وذلك لمواجهة مآزق تحالفها مع بعض الأنظمة التي تنتهك حقوق الإنسان. ولهذا تبنت الآليات السلمية مع الدول ذات العلاقة الخاصة معها؛ والعمل على تغيير أوضاعها السياسية والاقتصادية من خلال تغيير البرامج المعمول بها في القطاعات المختلفة وعلى رأسها التعليم والإعلام. أما بالنسبة للدول غير الصديقة، فعمدت إلى استخدام أو التلويح باستخدام الآليات غير السلمية<sup>2</sup>.

لم تتفاعل الحكومات العربية مع مطالب الإصلاح التي تمس بقاء النخب الحاكمة وحاولت تلافي تداعيات المطالب التي تؤدي إلى ذلك أو إلى محاسبة مرتكبي الجرائم ( حجب إمكانية محاسبة المسؤولين عن الجرائم خلال سنوات الإرهاب في الجزائر والاكتماء بالتحقيق في مصير المختفين، إظهار انتهاكات حقوق الإنسان من طرف لجنة الحقيقة والمصالحة دون محاسبة مرتكبيها في المغرب، عودة الانقلابات في موريتانيا واعتراف النظامين الإقليميين العربي والإفريقي بالانقلابيين، احتكار تحالف الأحزاب الحاكمة للسلطة في السودان رغم إصداره لدستور يتضمن حقوق الإنسان، وعدم محاكمة مجرمي الحرب في دارفور، وعدم السماح بمحاكمتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية عبر إنشاء محكمة خاصة اقتصر دورها على محاكمة شخصيات ثانوية)، واكتفت بتحقيق المطالب التي توافقت مع متطلباتها الأمنية كمكافحة الإرهاب والهجرة غير الشرعية، التطرف الديني وإعادة النظر في مناهج التعليم، الدعم الفعلي أو التعهد الرسمي بضمان حقوق المرأة في المشاركة السياسية ( باستثناء المملكة العربية

<sup>1</sup> سابقاً، كان الاستقرار هو الهدف الأساسي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية لضمان النفط والأسواق والتعامل مع الأنظمة الاستبدادية لو تطلب الأمر ذلك، وكانت منطقة الشرق الأوسط مستثناة من عمليات نشر الديمقراطية بحجة وجود العديد من العوائق التي تحول دون ذلك، والمتمثلة في الثقافة العربية الإسلامية والصراع العربي-الإسرائيلي. أشرف محمد

عبد الله ياسين، مرجع سابق ذكره، ص-ص: 78-79

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 82-83



السعودية)، السماح بالتعددية في الانتخابات مع تعديل القوانين الانتخابية التي تجعل منها تعددية شكلية لا تقضي إلى نتائج مغايرة بل تكفل بقاء السلطة القائمة<sup>1</sup>.

### الفرع الثاني: دور التيار المحافظ الجديد في إدارة جورج بوش الابن

لقد تضمنت إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن اليمين المحافظ الجديد Neo-conservatives الذي يعبر عن الجانب السياسي من اليمين الأمريكي، واليمين المسيحي الجديد New Christian Right والذي يعبر عن الجانب الديني. وهما معروفان بتطرفهما ونظرتهم الإيديولوجية للقضايا المختلفة كالدور الذي يجب أن تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى العالمي. ولقد مثل وصولهما إلى أعلى مؤسسات السلطة والحكم في الولايات المتحدة منعطفًا في تاريخ العالم كله وليس فقط في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بالنظر إلى تصوراتهما التي لا تتعلق فقط بالولايات المتحدة الأمريكية فقط، بل بحاضر ومستقبل العالم ككل<sup>2</sup>.

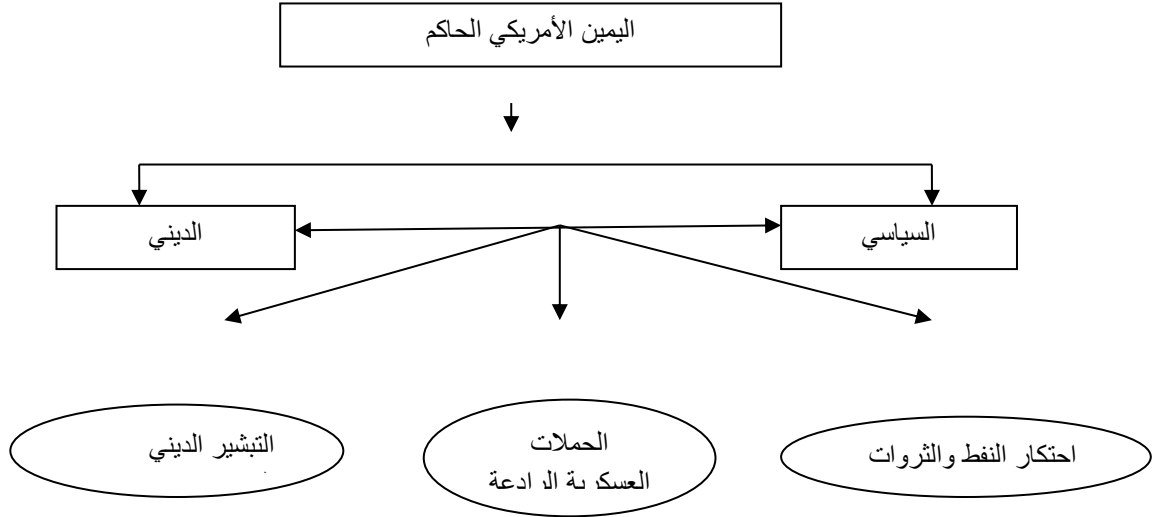
ولقد انتقدت الإدارة الجديدة من خلال عناصر التيار المحافظ الجديد المسيطر فيها إدارة بيل كلنتون فيما يتعلق بتراجع توظيف القوة الأمريكية، وهو ما تقرر عدم السماح بتكراره والعمل على تحقيقه ولو باستخدام القسر عندما تكون النتيجة المرجوة هي نشر القيم الأمريكية السياسية والدينية. وتقوم هذه الرؤية على اعتقادهم بأن بلادهم استثناء تاريخي يجب أن يسود ويهيمن، حتى وإن تطلب تحقيق ذلك استخدام القوة. وإلى جانب ممارسة القوة، يتم استخدام الثروة والدين أيضا. ويتمثل مبرر التيار الديني في اعتبار أن الثقافة السائدة هي ثقافة فاسدة لا بد من تطهيرها، وهناك شيطان لا بد من خوض الحرب المقدسة ضده سواء تواجد في بلادهم أو ظهر في مكان آخر في العالم وأعاق عملية نشرها لرسالتها التي هي تعبير عن الإرادة الإلهية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- محسن عوض، مرجع سابق ذكره، ص-ص: 59-60.

<sup>2</sup>- حسن أبو طالب، "السياسة الأمريكية تحت سطوة اليمين الديني والسياسي"، التقرير الاستراتيجي العربي 2002-2003، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، يونيو 2003، ص135.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص-ص: 136-137.

التوسع الأمريكي في القرن 21



المصدر: حسن أبو طالب، "السياسة الأمريكية تحت سطوة اليمين الديني والسياسي"، التقرير الاستراتيجي العربي 2002-2003، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، يونيو 2003، ص: 136

أ- التعريف بالمحافظين

المحافظون هم أولئك الذين يؤمنون بمجموعة من القيم والمعتقدات التي تشكل رؤية سياسية تهدف إلى الحفاظ على الوضع القائم والمؤسسات الموجودة باعتبارها الشكل المثالي الذي ينبغي استمراره. ارتبط اسم "المحافظون" سابقا بدعاة المحافظة على النظام الإقطاعي من الطبقة الأرستقراطية والمصالح المرتبطة، وهذا ما تقول به النظرية الأرستقراطية. وترى النظرية المستقلة بأنه لا يرتبط بأية طبقة، فهو نظام من الأفكار يؤمن به فقط من هو قادر على اكتشاف بأنه نظام أفضل من غيره، وهذا بغض النظر عن انتمائه الاجتماعي. أما بالنسبة للنظرية الموقفية، المحافظة هي رد فعل يصدر عن الشخص الذي

يؤيد الوضع الراهن حين يدرك بأن هناك ما يهدّد طبيعته ووجوده؛ ويتضمن هذا الرد تلك الأفكار التي تستخدم في تبرير المؤسسات أو النظام القائم<sup>1</sup>.

يقول علاء عبد الحفيظ بأن المحافظة هي إيديولوجية، تقتصر إلى الوضوح بشأن شكل التنظيم الذي يجب أن يكون عليه المجتمع المثالي، ويقول هذا بفعل مقارنته لها مع الإيديولوجيات الأخرى كالليبرالية والشيوعية والفاشية وغيرها. وهي إيديولوجيات لها أفكارها الخاصة بالعديد من الموضوعات كأهمية الدولة والعلاقة بين المؤسسات المختلفة وتوزيع القوة والقيم في المجتمع... الخ<sup>2</sup>

يطلق وصف "المحافظة" على مقاومة التغيير، وفي الحالة التي يشترط فيها تضمين عملية الإصلاح في إطار ما هو قديم، وأن يتم بشكل سلس وسريع قدر الإمكان<sup>3</sup>. يمكننا القول بأن "المحافظة" هي وصف لكل من يؤيد الوضع القائم بنظامه ومؤسساته وأفكاره ويدافع عنه عند مواجهته لأي تهديد، سواء كان هذا الوضع وفقا للأفكار الليبرالية، الشيوعية أو أي كانت الإيديولوجية التي تعتبر إطارا له. وتتمثل المقولات الأساسية للفكر المحافظ على مستوى السياسة الداخلية في الولايات المتحدة الأمريكية في:

- تفضيل التغيير التدريجي ومن خلال المؤسسات القائمة عن التغيير الهيكلي أو المفاجئ.
- التأكيد على أهمية الفرد في مواجهة الدولة.
- رفض التدخل غير المحدود للدولة في تنظيم حياة المواطن بشكل عام وفي الاقتصاد بشكل خاص
- تفضيل الحكومة الصغيرة وخفض الإنفاق الحكومي والضرائب لمنع الحكومة من زيادة نشاطها.
- التمسك بالقيم التقليدية والتأكيد على أهمية زيادة دور الدين في المجتمع وتشجيع الصلوات في المدارس وحظر الإجهاض<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - علاء عبد الحفيظ، "الإيديولوجية المحافظة Neoconservatism في الولايات المتحدة الأمريكية"، مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، د.م.ن: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، السنة الثانية، العدد 21، ص-ص: 14-15.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 17.

<sup>3</sup> - Stephen Eric Bronner, Constructing Neo-Conservatism », Logos3.2, Spring 2004, p4.

<sup>4</sup> - محمد كمال، "الفكر المحافظ والسياسة الخارجية الأمريكية"، منتدى الدراسات الأمريكية، جامعة القاهرة: مركز الدراسات الأمريكية، نوفمبر 2004، العدد 5، ص: 3.

وعلى مستوى السياسة الخارجية الأمريكية، كان المحافظون أعداء الشيوعية ورافضين تماما للأفكار التي تتضمنها والتي لا يؤمنون بها على الإطلاق، بل لديهم خوفا منها. فهي ضد القيم السالفة الذكر وبالنسبة لهم، هي تفضي إلى انتهاك حقوق الإنسان من خلال تدخل الحكومة الكبيرة في حياة المواطنين وتقييد حرياتهم وفرض نظامها عليهم. ورفضوها كذلك لأنها تحارب الدين ولا تعترف بالملكية الخاصة. ولهذا، تميزوا بدعوتهم الدائمة إلى دعم وتحديث القوة العسكرية الأمريكية لمواجهة الخطر الشيوعي. ولذلك هم مؤيدون لزيادة ميزانية الدفاع. ولم يختلف موقفهم بشأن القوة العسكرية الأمريكية بعد زوال هذا الخطر بانتهاء الاتحاد السوفياتي، نظرا لاستمرار عدم الاستقرار في العالم واحتمال ظهور مخاطر جديدة<sup>1</sup>.

ومن بين الأحداث التاريخية التي تؤكد بأن المحافظة هي وسم لكل من يؤيد النظام القائم، ما حدث خلال القرون الوسطى حين تعالت أصوات تناهض الملكيات المطلقة وكذلك البروتستانتية وبعد ذلك الثورة الفرنسية التي كانت تسعى إلى تغيير النظام الثقافي الأوروبي وبالتالي تهديد الاستقرار السياسي السائد آنذاك. و"إدموند بيرك" المفكر الأوروبي، هو أحد الآباء المؤسسين لما يسمى بالإيديولوجية المحافظة، لأنه أيد الدفاع عن المؤسسات التي تتعرض للتهديد حيثما كانت ومهما كانت طبيعتها. أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فيمكن إرجاع وجود الفكر المحافظ فيها إلى فترة تأسيسها. فمؤسسوها خاصة آدمز، ماديسون، هاملتون، اعتبروا أنفسهم محافظين لأنهم عارضوا كل محاولات الحكومة البريطانية في فرض نظامها وتدمير حريتهم والسيطرة عليهم. وبعد الاستقلال لم يكن الخطاب السياسي الأمريكي مشتتاً على هذا الفكر بسبب غياب تهديد أساسي للبلد الذي لم تكن فيه أرستقراطية أو ندرية في الأراضي أو ضعفا في الروح التجارية. ولم يبدأ هذا الاتجاه في الظهور إلا بعد الحرب العالمية الثانية حين برزت الإيديولوجية الشيوعية ومحاولة الاتحاد السوفياتي نشرها عبر العالم؛ فقبل ذلك كانت الحركة المحافظة انعزالية. وخلال الحرب الباردة، اتحد المحافظون في الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة الاتحاد السوفياتي وهزيمته. ولتحقيق ذلك ومن أجل احتواء الأنظمة الشيوعية ومنعها من الانتشار، تم التدخل في شؤون العديد من الدول سواء بشكل مباشر من خلال منظمة حلف شمال الأطلسي أو غيرها وإعلان الحرب كما حدث مع كوريا، أو بطريقة غير مباشرة من خلال ممارسة عدد من الأنشطة كتمويل ودعم الأحزاب والحركات التي تتبنى نفس الأفكار ( الأحزاب المسيحية الديمقراطية في أوروبا، المقامة

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص3

الأفغانية للاتحاد السوفياتي)، والعمل على تغيير الأنظمة التي ومن وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية فضلت الأسلوب الدكتاتوري على الأسلوب الديمقراطي في الحكم (إيران، العراق، ...) <sup>1</sup>.

### ب- ظهور المحافظين الجدد

يرج ظهور المحافظة الجديدة إلى عقد الخمسينيات ويعتبر مايكل هارنجتون Michael Harrington من الأوائل الذين صاغوا هذا المصطلح الذي وصف بواسطته اليساريين السابقين الذين تحوّلوا إلى اليمين. ويعرف مايكل ليند المحافظون الجدد بأنهم نتجوا عن الحركة التروتسكية اليهودية الأمريكية في الثلاثينيات والأربعينيات والتي أخذت شكل ليبرالية معادية للشيوعية في الفترة ما بين الخمسينيات والسبعينيات وأخيرا إلى نوع من اليمين العسكري والامبريالي. وفي نظر صامويل هنتغتون المحافظة الجديدة هي تلك السمات التي طبعت التفكير المحافظ في السبعينيات والثمانينيات، والتي تتمثل في: تشجيع التجارة والصناعة، رأسمالية "دعه يعمل"، المشروع الخاص والدور المحدود للحكومة. ويسمى هذا الاتجاه في أوروبا بالليبرالية، ولقد ارتبط تاريخيا بمصالح البرجوازيين وتعارضه مع مصالح من هم أقل من حيث الثراء. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، ومن الناحية الفكرية، يعتبر ميلتون فريدمان من الآباء المؤسسين للمحافظة الجديدة، ومن الناحية السياسية فقد جسدها رونالد ريغان <sup>2</sup>.

يقول جاستن فاييس Justin Vaisse بأن المحافظة الجديدة هي مدرسة فكر نخوية، وليست شعبية. هي بالنسبة له، شبكة من المفكرين الذين يتفقون بشأن إطار ثقافي معين. يقول بأنها ببساطة عبارة عن قناعة أو ميل. ويعرض تطور تيار المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، ويقول بأنه تبلور من خلال ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: تم إطلاق وصف "المحافظين الجدد" لأول مرة في السبعينيات على مجموعة من المثقفين المتواجدين في نيويورك عندما عُرفوا بانتقاداتهم لتحول الليبرالية الأمريكية إلى اليسار، تأكيدهم على محدودية الهندسة الاجتماعية ومخاطر الأفكار التي يؤمن بها اليسار الجديد كالمساواة ومعارضتهم لمجموعة من الحركات الاجتماعية كاحتجاجات الطلبة، النسوية الراديكالية، حماية البيئة وغيرها. يعتبرون المحافظون

<sup>1</sup> - علاء عبد الحفيظ، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 18-20.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 21-22.

الجدد الأصوليون، واقتصر اهتمامهم على المسائل الداخلية. تضم هذه المجموعة: Nathan Glazer-Seymour Martin Lipset- James Q.Wilson- Daniel Patrick Moynihan. كانوا ملتقين حول مجلة The Public Interest التي أسسها Irving Kristol و Daniel Bell سنة 1965، ثم بعد ذلك حول مجلة Commentary.

ولم يعد الانفصال بينهم وبين المحافظين الجدد الذين جاؤوا فيما بعد واتخذوا من واشنطن مقراً لهم كاملاً، لأنهم مازالوا يعتبرون أنفسهم ليبراليين. هؤلاء اهتموا فقط بالسياسة الخارجية ويثقون في قدرة الحكومة الأمريكية على تفعيل التغيير الاجتماعي في العراق وأفغانستان<sup>1</sup>.

- المرحلة الثانية: برزت مجموعة أخرى بين سنتي 1970 و1980 وعُرفت باسم "ديمقراطي سكوب جاكسون The Scoop Jackson Democrats". جاءت كرد فعل على التطورات التي كان يشهدها الحزب الديمقراطي في محاولة لإرجاعه إلى الوسط لكونه ابتعد في تلك الفترة عن تقاليد فرانكلين روزفلت، هاري ترومان وجون كيندي. كانت هذه المجموعة تؤيد سياسات هؤلاء والمتمثلة في: اعتماد سياسات تقدمية في الداخل، معاداة الشيوعية في الخارج، الدفاع عن حقوق الإنسان والديمقراطيات الصديقة. كانوا ضد جناح اليسار وعارضوا سياسة نكسون وكيسنجر بشأن أسلوب التعامل مع الاتحاد السوفياتي؛ حيث كانوا يعتقدون بأن سياسة الانفراج هي منح شرعية للنظام السوفياتي الذي يجب تغييره. تصاعد دورهم في عهد الرئيس رونالد ريغان خاصة خلال العهدة الأولى؛ حيث كانوا ملهمين لجزء من سياسته الخارجية، كدعم "محاربي الحرية Freedom Fighters"، استخدام وصف "إمبراطورية الشر" في الخطاب، التصلب بشأن الحد من التسلح وتأسيس هيئة الوقف الديمقراطي National Endowment for Democracy. تعود ظروف ظهور هذه المجموعة إلى الفترة التي نجح فيها السيناتور George Mc Govern في الترشح عن الحزب الديمقراطي ضد ريتشارد نيكسون سنة 1972. تم اعتباره ضمن أقصى اليسار بسبب مواقفه بشأن قضايا السياسة الداخلية حيث كان يؤيد البرامج الاجتماعية المكثفة، والسياسة الخارجية حيث أيد الانسحاب المتسرع من فيتنام، اقتطاع نصيب كبير من ميزانية الدفاع والاستراتيجية الانعزالية. ومن بين معارضيهِ كان سكوب جاكسون الذي يعتبر السلف الحقيقي والإيديولوجي للمحافظة الجديدة المعاصرة. وهذه المجموعة هي التي اخترعت السياسة الخارجية المحافظة الجديدة. تضم مكتب السيناتور سكوب جاكسون ومجموعة تدعى "الائتلاف من أجل الأغلبية الديمقراطية" ومجموعة من المثقفين أمثال: Richard

<sup>1</sup> - JUSTIN VAISSE, « Why Neoconservatism Still Matters », *Foreign Policy at Brookings*, Number 20, May 2010, p-p : 1-2

Perle- Jeane Kirkpatrick- Eugene Rostow- Ben Wattenberg- Joshua Muravchik- Elliott Abrams  
Commentary- The Wall Street Journal- American Enterprise Institute  
الأولى مثل

- المرحلة الثالثة: ظهرت في منتصف التسعينيات عقب نهاية الحرب الباردة. وهم الذين ورثوا مجموعة ديمقراطيي سكوب جاكسون إيديولوجيا. يختلفون عن مجموعة سكوب جاكسون في كونهم من الجمهوريين، والمحافظون الجدد الصغار لم يكونوا ديمقراطيين أو ليبراليين. وفي حين كان ديمقراطيو جاكسون يحثون الأمريكيين على الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان، يدعوهم المحافظون الجدد إلى توظيف القوة الأمريكية لتشكيل عالم أكثر أمناً للجميع. من بين أعضائها: Max Boot- Doug Feith. التأمّت هذه المجموعة حول مجلة The Weekly Standard، مؤسسة انتربرايز الأمريكية American Enterprise Institute، مشروع القرن الأمريكي الجديد (1997-2006)<sup>1</sup>.

واعترض الكثير منهم على اعتبارهم أو وصفهم بـ"المحافظين الجدد" لعدم ملائمة ذلك، ومن بينهم دافيد هوروفيتز الذي نفى وجود حركة محافظة جديدة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأقر بأن وجودها كان في الماضي وكانت تتكون ممن قدموا دعمهم لسياسات الحرب الباردة التي تبناها رونالد ريغان. وهو يرى بأن هذا الوصف أطلقه أعداء تحرير أمريكا للعراق ويتم إلصاقه بمن لديه اعتقاد بضرورة محاربة الإسلام الراديكالي والإرهاب العالمي بواسطة سياسة عدوانية. ويؤمن آخرون من الذين يُعتبرون من المحافظين الجدد، بأن هذا المصطلح أطلقه اليسار السياسي على مؤيدي السياسة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس جورج بوش الابن. وهناك اختلافات بشأن هذا المصطلح بين من يربط بينه وبين نظرية المؤامرة، أو مع العداء للسامية. وقال بول وولفويتز: "إذا قرأت صحافة الشرق الأوسط، ستجد أن هذا المصطلح بمثابة تعبير عن شيء بغيض يتمثل في مؤامرة صهيونية شنيعة. ولكن من المهم ألا يتم الاقتراب من السياسة الخارجية من وجهة نظر مذهبية، فكل حالة تختلف عن الأخرى، فإندونيسيا تختلف عن الفلبين، والعراق يختلف عن اندونيسيا. وأعتقد أن هناك مبادئ معينة هي مبادئ أمريكية سواء واقعية

<sup>1</sup> - Ibid, p3

أو مثالية. وأعتقد أنني أريد أن أطلق على نفسي وصف واقعي ديمقراطي ولا أعرف إذا كان ذلك يجعلني محافظا جديدا أو لا".

ولكن على الجانب الآخر، هناك من يوافق على أن يوصفوا بكونهم محافظين جدد لأن ذلك يسمح لهم بالتميز عن المحافظة التقليدية. واعتبرها إرفنج كرستول بأنها تتميز عن المحافظة التقليدية بكونها متفائلة، تنظر إلى المستقبل ومبتهجة. ومن أشهر المؤمنين بها في القرن العشرين: تيودور روزفلت، فرانكلين روزفلت، رونالد ريجان... ولقد عرفت المحافظة الجديدة انشاقات بين أنصارها؛ وخاصة فيما يتعلق بمسألة التدخل التي أيدها البعض ووضع البعض الآخر شروطا بشأنها بحيث يرى عدم كفاية الاعتبارات إنسانية من أجل القيام بذلك، بل لا بد من أن تكون هناك أهداف استراتيجية معينة. ويعتبر تشارلز كراوثر Charles Krauthammer من المؤيدين لهذا الرأي ويتبين ذلك من خلال قوله: "إننا سندعم الديمقراطية في كل مكان ولكننا سننق المال والدم فقط في الأماكن التي توجد فيها ضرورة استراتيجية، وهي الأماكن التي تعد ضرورية للحرب الأكبر ضد العدو الذي يوجه تهديدا عالميا كبيرا للحرية". وهذا وجه الانقسام في التيار المحافظ الجديد بين الواقعيين والعالميين الديمقراطيين. فبالنسبة للعالميين الديمقراطيين، يؤدي اشتراط وجود الضرورة الاستراتيجية أي عدم عالمية قدرة العدو إلى عرقلة التدخل الأمريكي. ويرى الواقعيون بأن سلوك الدولة هو الذي يحدد أسلوب التصرف حيالها فتهديدها لدولة أخرى لا يجعلها بالضرورة عدوا ولكن انضمامها للحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية يجعلها كذلك؛ فكوريا الشمالية مثلا ليست تهديدا استراتيجيا لأن هدفها الأساسي هو بقاء نظامها السياسي وهي لا تهدف إلى نشر أفكارها حول العالم أو تدمير الولايات المتحدة الأمريكية، وإذا لم تقم الدولة بفعل يدعم أعداء هذه الأخيرة، فإن التدخل غير واجب. كما أن أي تهديد للحرية في العالم يعتبر عالميا؛ فالفاشية كانت تهديدا عالميا في الثلاثينيات والأربعينيات، ثم أصبح بعد ذلك متمثلا في الشيوعية في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو اليوم يتمثل في الراديكالية العربية الإسلامية. إذن هما يتفقان على اعتبار التهديد العربي الإسلامي أكثر التهديدات أهمية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، ولكنهما يختلفان بشأن الوسائل المستخدمة، وهنا يقول علاء عبد الحفيظ بأن التياران متقاربان في الفكر، وما يثار بشأن الاختلافات فيما بينهما قد يكون هدفه التمويه<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - علاء عبد الحفيظ، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 22-28.



ج-الاختلافات الموجودة داخل الفكر المحافظ

وتأكيدا على وجود العديد من الاختلافات داخل الفكر المحافظ، يذكر الدكتور محمد كمال بأن هذا الفكر ليس كتلة متجانسة، بل يتضمن مجموعة من التيارات التي لكل منها رؤية خاصة حول السياسة الخارجية الأمريكية. ويقسمها إلى أربعة تيارات:

1- التيار المحافظ الانعزالي: يدعو إلى انعزال الدولة الأمريكية عن الصراعات والنزاعات في

العالم وأن تدخلها الزائد وغير المبرر يعرضها لردود أفعال خطيرة. لذلك، يجب أن تدافع عن أراضيها ضد أعدائها وتبتعد عن أي حروب لا علاقة لها بها. وأن تعمل بمقولة الرئيس الأمريكي السابق جون آدامز: " لا يجب على الولايات المتحدة أن تخرج من حدودها للبحث عن وحوش من أجل تدميرهم". فيما يتعلق بالشرق الأوسط تتلخص أفكار هذا التيار في:

- عدم التدخل في شؤون الشرق الأوسط والعالم الإسلامي وعدم المواجهة معه. ووجوب تركه ليقرر مصيره بنفسه. فالتواجد في أراضيهم هو الذي أدى إلى انتقال الإرهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

- ضرورة التخلي عن سياسة حماية آبار البترول نظرا لغناها بالموارد الطبيعية. والدول النفطية المعادية لا يمكن أن تقوم بحظره مرة أخرى بسبب أهمية الأسواق وتنوع المنتجين وحاجة بعضها له كمصدر أساسي للدخل.

- فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، عليها أن تفكر في مصلحتها قبل كل شيء كما يفعل الكيان الصهيوني. لذلك لا بد من التخلي عن الدعم غير المحدود لها وتوضيح ذلك للعالم العربي والإسلامي من أجل استعادة مصداقيتها. ولا بد من رعاية عملية سلام عادلة بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني. هذا مع الإبقاء على الدعم العسكري للحفاظ على التفوق العسكري الإسرائيلي في المنطقة.

- ضرورة الانسحاب العسكري من المنطقة لأن التواجد فيها عسكريا لم يعد مبررا وبأنه يخلق شعورا بالسيطرة ما يؤدي إلى تقوية الأصولية الإسلامية.

- التقليل من نفوذ المؤسسات والمنظمات الدولية الذي بات يحدث على حساب السيادة الأمريكية<sup>1</sup>.

2- التيار المحافظ التقليدي: على عكس التيار السابق، يرى هذا، أن أداء الولايات المتحدة

الأمريكية لدور قوي في السياسة الدولية أمر مهم، لأن البيئة الدولية تشهد أحداثا خطيرة

<sup>1</sup>- محمد كمال، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 4-8

وتفتقر إلى الاستقرار. تتمثل فكرتهم الأساسية في الالتزام الانتقائي تجاه القضايا الدولية؛ ويعني ذلك أن تؤدي التزاماتها الكونية عندما يخدم ذلك مصلحتها القومية وعندما يكون هناك تهديد خطير وواضح لاستقلالها الوطني وأمنها. ولكي تكون قادرة على تحقيق ذلك، عليها أن تمتلك قوة عسكرية متطورة. ولهذا يجب أن تكون هناك زيادة في ميزانية الدفاع والإنفاق العسكري. وأن تمتلك أيضا القدرة على تعبئة القوى الأخرى والتأكيد على المصالح الجماعية وجعل الأمم الأخرى قادرة على أن تشارك في حل المشاكل الدولية على أسس جماعية. هم لا يؤمنون بالتحرك فقط من أجل فعل الخير في العالم ولا يثقون كثيرا في المنظمات الدولية والاتفاقيات الدولية متعددة الأطراف من حيث قدرتها على خدمة المصالح الأمريكية. لا يؤمنون كذلك بما تقوله النظرية الليبرالية حول علاقة نشر الديمقراطية بالأمن والسلم الدوليين. يؤيد ممثلو هذا التيار أمثال كولن باول وريتشارد هاس استخدام القوة العسكرية ولكن بناء على حسابات تتعلق بكونها الحل الأخير أو مقتضيات الضرورة. ويدعو برنت سكوكروفت إلى ضرورة العمل على تحقيق تسوية نهائية للصراع العربي-الإسرائيلي لأنه سيكون هناك إضرار بالمصالح الأمريكية في المنطقة في غياب المشاركة الأمريكية في هذه العملية<sup>1</sup>.

3- التيار المحافظ الديني: يهتم على صعيد السياسة الخارجية بقضايا الاضطهاد الديني والصراع العربي الإسرائيلي.

كان صاحب الدور الأكبر في دفع الكونجرس الأمريكي لإصدار قانون الحريات الدينية عام 1998، وهو ضد الاضطهاد الديني في أي مكان في العالم. ومن المنظمات المعروفة في هذا الاتجاه، منظمة الائتلاف المسيحي Christian Coalition، الاتحاد القومي للإنجيليين The National Association of Evangelicals، مؤتمر المعموديين الجنوبيين Southaven Baptist Convention، مجلس بحوث العائلة Family Research Council. كان هذا التيار مؤثرا جدا في عهد الرئيس جورج بوش الابن الذي كان يرى بأن فوزه في الانتخابات كان بسبب قدرته على الحصول على أصوات الإنجيليين. هؤلاء، كانوا سببا في جعل السودان من بين اهتماماته من خلال تصوير ما حدث فيها على أنه اضطهاد ديني للمسيحيين، وطالبوا من خلال تحالفهم مع مجموعة من النشطاء السود الأمريكيين باعتماد سياسة متشددة تجاه الأمر. وبالفعل نجحوا في دفع الكونجرس لإصدار قانون سلام السودان وأثروا على الدور الأمريكي في مآل النزاع هناك.

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 9-15

يُعرفون كذلك بمعارضتهم لأية اتفاقية سلام تقضي بتنازل الكيان الصهيوني عن الأراضي المحتلة. فهذا التيار يعتقد بأن هذه الأراضي هبة من الرب والكيان الصهيوني تجسيد لنبوءة إلهية وأرضها هي المكان الذي سيعود إليه المسيح. وإضافة إلى المنظمات السالفة الذكر، هناك أخرى تعمل على الترويج للسياسات الداعمة لإسرائيل، من بينها منظمة السفارة المسيحية الدولية International Christian Embassy، تأسست سنة 1980 وهي مؤيدة للهجرة اليهودية لإسرائيل. ومنظمة الوقوف مع إسرائيل Stand For Israel، والمؤيدة لإنشاء المستوطنات واغتيال القيادات الفلسطينية. وهي تعترض بشدة على أية سياسة خارجية أمريكية وأي موقف يصدر عن الإدارة الأمريكية يتضمن إدانة لعمليات الاغتيال التي تستهدف القيادات الفلسطينية أو إدانة العمليات العسكرية الإسرائيلية أو تأييد لخطة الطريق أو قيام دولة فلسطينية. وتمارس تأثيرها من خلال الرسائل التي تبعثها إلى البيت الأبيض والتي تتضمن التعبير عن مواقفها والتهديد بمقاطعة الانتخابات الرئاسية في حالة عدم الاستجابة لمطالبها والتي تتضمن العدول عن تلك المواقف التي لا تتوافق مع أفكارها.

وبالنسبة لمؤسس منظمة الأغلبية الأخلاقية Moral Majority القس جيرى فيلويل Jerry Falwell، من يقف ضد الكيان الصهيوني فقد وقف ضد الرب وأعلن رفضه لقيام دولة فلسطينية وجعل عاصمتها القدس الشرقية ورفض كذلك أن تكون المدينة المقدسة تحت إدارة مشتركة أو إدارة دولية. وهدد بسحب تأييده وتأييد الإنجيليين المسيحيين للرئيس بوش الابن والانسحاب من الحزب الجمهوري في حالة تغيير وضعية القدس. وقال بأن "قيام دولة فلسطينية ذات سيادة كاملة سوف يجعلها مركزا لكافة أنواع الأسلحة بما فيها أسلحة الدمار الشامل وسوف تصبح مصدرا للخطر على الكيان الصهيوني. وأن الخطط المتعلقة بإنشاء دولة فلسطينية هي خطط شيطانية تستهدف تدمير دول الكيان الصهيوني، والحصول على أراضي من اليهود وإعطاء القدس للفلسطينيين ومنع عودة المسيح، وأن عرفات وبن لادن والجماعات الفلسطينية المتشددة لن تستطيع إحباط خطة الرب بخصوص سيطرة اليهود على الأراضي المقدسة حتى عودة المسيح مرة ثانية. وأن الرب وحده هو صاحب القرار بخصوص الأراضي التي حصلت عليها الكيان الصهيوني في حرب يونيو 1967".<sup>1</sup>

4- التيار المحافظ الجديد: في البداية، كانت حركة فكرية يقودها عدد من المثقفين الليبراليين أغلبهم من يهود نيويورك. كانوا جزءا من الحزب الديمقراطي ولكن انفصلوا عن التيار الليبرالي تدريجيا لأنهم اعتبروا أنه تحول مع اليسار إلى الراديكالية في السبعينيات. أيدوا تبني الولايات المتحدة الأمريكية لسياسة خارجية نشيطة واعترضوا على أن يكون الاهتمام بالداخل على حساب ذلك. رفضوا سياسات الوفاق مع الاتحاد السوفياتي لتخوفهم من احتمال تأثيرها

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 16-19

السلبى على الكيان الصهيوني وخوفا من إجبارها على عقد تسوية لن تكون في صالحها مع الدول العربية. واتهموا الولايات المتحدة الأمريكية بتراجعها عن الالتزام بأمن وبقاء الكيان الصهيوني، عندما اقترحت تضمين إقامة وطن للاجئين الفلسطينيين ودعوة الاتحاد السوفياتي للمشاركة في مباحثات السلام حول الشرق الأوسط. لذلك، قرروا تأييد المرشح الجمهوري رونالد ريغان والخروج من الحزب الديمقراطي لأنه لم يعد يدافع عن أفكارهم. وعندما أصبح ريغان رئيسا، بات لهم تأثير كبير في إدارته. أسسوا لجنة العالم الحر سنة 1981 Committee for the Free World واتخذت من مواجهة الخطر الشيوعي وحماية العالم الحر منه هدفا لها. كان لها نفوذ في الإدارة الجديدة وبدأت تروج لأفكار أعضائها والتي من ضمنها تكثيف الضغوط داخل الاتحاد السوفياتي من اجل تدميره، ولذلك عمدوا إلى التشكيك في الإصلاحات التي قام بها جورباتشوف ما وضعهم أمام تحدي كبير خلال العهدة الثانية لريغان لأن كل جهودهم قائمة على وجود الخطر الشيوعي<sup>1</sup>.

وبعد نهاية الحرب الباردة حذروا من الانعزال ودعوا إلى أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية نشيطة على المستوى الخارجي وأن تواجه التهديدات الجديدة والمحتملة كمسألة امتلاك السلاح الذي يمكن أن يجعل من الدول الحاصلة عليه تهديدا للأمن العالمي وكذلك تصاعد القومية التي وصفوها بالعدوانية. ولهذا حثوا الإدارة الأمريكية على أن تكون ذات جاهزية للدفاع عن مصالحها حتى في حالة رفض حلفائها تقديم المساعدة، وعلى استعداد لتغيير قواعد السيادة الوطنية من اجل التعامل مع هذا الوضع الجديد والذي يتطلب قواعد جديدة تسمح للولايات المتحدة الأمريكية بالحفاظ على مكانتها في العالم كقطب أوحده ومسيطر وقادر على إدارة النظام الدولي الجديد<sup>2</sup>.

ولقد شكل مشروع القرن الأمريكي الجديد الذي تأسس سنة 1997 برئاسة ويليام كريستول مركزا معبرا عن تلك الأفكار وداعيا إلى أن تكون إدارة العالم متماشية مع ما يخدم المصالح الأمريكية. وبمقتضى هذا المشروع على الولايات المتحدة الأمريكية، كي تدعم قيادتها العالمية، أن تقوم بتحديث قوتها العسكرية، تقوية علاقاتها مع الدول الديمقراطية الحليفة ومواجهة الدول المعادية لقيمها ومصالحها، دعم الحرية الاقتصادية والسياسية وقبول المسؤولية التي تترتب عن قيادة نظام دولي يتمشى مع رفاهيتها وأمنها<sup>3</sup>. وهناك العديد من الشخصيات التي تولت مناصب قيادية في عهد الرئيس بوش، كانت من بين الموقعين على بيان المشروع كنائب الرئيس ديك تشيني Dick Cheney ، وزير الدفاع دونالد رامسفيلد

<sup>1</sup>- نفس المرجع، ص: 20

<sup>2</sup>- نفس المرجع، ص: 21

<sup>3</sup>- نفس المرجع، ص-ص: 21-22

Donald Rumsfeld، نائبه بول وولفويتز Paul Wolfowitz، مساعد وزير الدفاع بيتر رودمان Peter Rodman، المسئول عن ملف الشرق الأوسط بمجلس الأمن القومي إليوت إبرامز Elliott Abrams، المسئول عن ملفي العراق وأفغانستان زلماي خليل زاد Zalmay Khalilzad، المسئولة عن برامج الديمقراطية بوزارة الخارجية بولا دوبرينسكي Paula Dobriansk.

اعتبروا نهاية الحرب الباردة وما اشتملت عليه من غياب لعدو أو منافس إلى جانب وجود حالة من القبول على مستوى العالم للمبادئ الاقتصادية والسياسية الأمريكية، بمثابة فرصة يجب استغلالها لتثبيت تلك المكانة وهو الأمر الذي يجب أن يكون من خلال الحفاظ على التفوق العسكري التقليدي والنووي من خلال زيادة الإنفاق العسكري واستثمار الثورة في الشؤون العسكرية وزيادة القوات العاملة، وذلك لردع كل التهديدات. وفي عهد الرئيس جورج بوش الأب كان قد تم طرح أفكار مبدئية لما ذكر، من طرف بول وولفويتز، الذي كان وزيرا للدفاع آنذاك. ولقد كانت هناك دعوة لان تعمل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال استراتيجياتها المختلفة السياسية والعسكرية على ردع أي منافس محتمل لمكانتها وإقناعه بعدم تحديها، ومنع كل اللاعبين من التطلع للعب أي دور إقليمي أو دولي<sup>1</sup>.

بعد أحداث 11 سبتمبر جعلوا من الإرهاب وما تم تسميته "الإسلام الراديكالي" خطرا بديلا عن خطر الشيوعية ووضعوه كتحدٍ أساسي على الولايات المتحدة الأمريكية أن تواجهه. هم لا يعتبرون الأحداث هذه كتداعيات للسياسة الخارجية الأمريكية التي كان التدخل في شؤون الدول الأخرى هو أهم وسائل تنفيذها، ولكن بالنسبة لهم حدث ذلك نتيجة لعدم التدخل الكافي الذي كان سيمنع من ظهور طالبان في أفغانستان وبالتالي تصاعد الإرهاب، وكذلك وجود دول وأنظمة داعمة له. وبأن عدم استخدام القوة سابقا، حفز تلك القوى على الاعتداء عليها واعتبارها دولة ضعيفة. وما يحدث في داخل الدول العربية والإسلامية لا يمكن أن لا تتدخل فيه الولايات المتحدة الأمريكية، لأنه يؤدي إلى ظهور قوى تؤثر على شؤونها الداخلية. وهذا بناء على وجود علاقة بين ما يحدث في هذا الجزء من العالم والتطرف الديني والإرهاب وأحداث 11 سبتمبر. كما لا يفكرون تلك الأحداث بدعمها للكيان الصهيوني، وبأن كراهيتهم للولايات المتحدة الأمريكية هي بسبب ذلك، بل في نظرهم، أن كراهية هذه القوى لها هي التي تجعلهم على عداء مع الكيان الصهيوني. ولهذا، عليها إن تكون حاسمة وأن تلغي فكرة التعامل مع الوضع وفق سياسة الاحتواء، بل يجب أن توجه ضربات ودون الحاجة إلى موافقة المنظمات الدولية، تجهب بواسطتها كل الأخطار المحتملة، لاسيما في ظل امتلاك حكام دكتاتوريين لأسلحة دمار شامل وقيام احتمال حصول الجماعات الإرهابية عليها. ومن بين المحافظين الجدد من حث الكيان الصهيوني على عدم التعامل مع ياسر عرفات واعتماد السلام مقابل السلام كمنهج جديد في عملية السلام. ومنهم

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 22-23

أيضا من دعا إلى احتواء سوريا والإطاحة بنظام صدام حسين في العراق. هذا الأخير كان هدفا منذ أواخر التسعينيات في تقرير قُدّم إلى الرئيس بيل كلنتون، بتوقيع من بعض الشخصيات التي أصبحت من المسؤولين في إدارة بوش الابن وهم رونالد رامسفيلد وزير الدفاع، ونائبه بول وولفيتز، ومساعد وزير الدفاع بيتر رودمان، ورئيس مجلس سياسات الدفاع ريتشارد بيرل. هذا الأخير، روج للحرب الاستباقية لمواجهة الإرهاب، ودعا كل الدول لمساندة الولايات المتحدة الأمريكية في دفاعها عن نفسها وكذلك حث الأمم المتحدة على تغيير قواعدها التي لم تعد مناسبة للعصر الجديد وما يشهده من أخطار، وفي حالة الرفض، فعلى الولايات المتحدة الأمريكية أن تتسحب منها. واعتبر كوريا الشمالية وإيران وسوريا وليبيا والمملكة العربية السعودية دول أعداء لا بد من محاربتها من خلال وسائل مختلفة إما الهجوم المباشر أو تغيير الأنظمة والتقسيم (تشجيع انفصال الجهة الشرقية الغنية بالنفط من المملكة العربية السعودية). ولقد تميزت إدارة جورج بوش الابن بصعود وتزايد نفوذ التيار المحافظ الجديد خاصة في شؤون الشرق الأوسط، حيث جرى تحالف بينه وبين التيار الديني على حساب التيار التقليدي والذي كان مهيمنا في عهد الرئيس جورج بوش الأب<sup>1</sup>.

ويقول Stephen Eric Bronner بأن المحافظين الجدد ليسوا ليبراليين، بل صنع أغلبهم سمعتهم كواقعيين. ولكن ذلك لم يمنع من استخدامهم للغة "المثالية" وحقوق الإنسان ووضع سياساتهم ضمن خطاب حول الديمقراطية عند الضرورة. أغلبهم مؤمنون بافتراضات المدرسة الواقعية، والتي من أهمها اعتبار الدولة كفاعل رئيس في العلاقات الدولية. وبصعود تنظيم القاعدة، قاموا بتشبيهه بالتهديدات السابقة كالفاشية والشيوعية. هذا يفضي إلى إعلان العداء ضد كل دولة مارقة تقدم الدعم لهذا التنظيم أو غيره من الإرهابيين، واستخدام القوة ضدها. وخلقت أفعال القاعدة التي كانت تنشط تحت حماية نظام طالبان في أفغانستان، حاجة للرد لدى المحافظين الجدد كادت أن تصبح دعوة عامة للقيام بضربات استباقية ضد ما عُرف بمحور الشر (إيران، العراق، كوريا الشمالية)<sup>2</sup>.

ويضيف بشأن العلاقة بينهم وبين الكيان الصهيوني، بأنهم ينظرون إليها كدولة صغيرة لديها الكثير لتُعلمه للآخرين. فاستقادوا من استخدامها لـ"الأمن القومي" كشعار ممتاز يوحي بالتوافق بين الطموحات الامبريالية للنخب ومصالح المواطنين العاديين. وهذا انطلاقا من سلوكها المبني على الضربات الاستباقية التي وجهتها ضد ليبيا، العراق، لبنان ودول أخرى. كذلك، كانت تصرفاتهم في العراق تقليدا لها، حيث اعتبروا استجاباتها في الأراضي المحتلة ضد الفلسطينيين بمثابة دروس للولايات المتحدة الأمريكية بشأن الكيفية التي يجب أن تتعامل بها مع أعدائها. وبان هذه الأفعال يمكن اتخاذها

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 23-27

<sup>2</sup> - Stephen Eric Bronner, *Op.Cit*, p-p : 11-12.

كالشكل الايجابي الذي يمكن أن تتخذه الولايات المتحدة لنفسها مستقبلا. ويقول بأنه على الرغم من عدم سيطرة الصهيونية على المحافظين الجدد وبأن الكثير منهم ليسوا يهودا، ويعترفون بعدم الاستفادة من الكيان الصهيوني اقتصاديا، لكن، من جهة، لطالما كانت ذات أهمية جيوبوليتيكية وأصبحت بمثابة مخفر أمامي للولايات المتحدة في منطقة غنية بالنفط، وهي أحسن حليف مقارنة بالعرب. ومن جهة أخرى، وفي الواقع، هناك تأثير للصهيونية المسيحية والمستشرقين على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط<sup>1</sup>.

ويقول يحيى سعيد قاعود عن رؤية المحافظين الجدد للبشر وللعالم، بأنها تقوم على تقسيمه إلى ثلاث فئات:

- العامة: وهم الشعوب الذين يؤمنون بفعالية النظام الديمقراطي في جانبه الأخلاقي. وهؤلاء يفتقرون إلى المعرفة ويمكن استخدامهم كأدوات، مع جعل الجمعية العامة والمؤسسات الداعمة للتنمية ممثلا لهم.
- الخاصة: وهم المثقفون المؤمنون بأخلاقية السياسة الخارجية الأمريكية والدول الغربية. وهؤلاء لا يعرفون الحقيقة كاملة ويمكن أيضا تشغيلهم.
- خاصة الخاصة: وهؤلاء هم الفلاسفة الذين لديهم المعرفة والحقيقة الكاملة وهم الذين يقودون العالم<sup>2</sup>.

نستنتج مما سبق بأن الفكر المحافظ هو ليس وليد بدايات الألفين وليس جديدا، بل هو يمتد إلى الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية والذين أرادوا أن تحافظ بلادهم على ما تتمتع به من مميزات وكانت لديهم قناعة بأن النظام الأمريكي هو الأفضل ولذلك وجب الحفاظ عليه. كذلك:

- هناك ما يسمى بالمحافظة التقليدية والمحافظة الجديدة ولا يعبر كلاهما عن نفس الآراء. وليس كل المحافظين الجدد متقنين على قضايا السياسة الخارجية الأمريكية.
- ليس كل المحافظين ليبراليون.
- وضعوا علاقة تربط بين ما يحدث في العالم العربي والإسلامي وما يمكن أن يحدث داخل الولايات المتحدة الأمريكية. وتصرفوا بناء على ضرورة تغيير هذا العالم من الداخل لتفادي تأثيراته الخطيرة المحتملة على الداخل الأمريكي.

<sup>1</sup>- Ibid, p-p :12-13.

<sup>2</sup>- يحيى سعيد قاعود، أطروحات فوكوياما وهانتغتون والنظام العالمي الجديد دراسة تحليلية مقارنة، الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، ط1، 2015، ص-ص: 294-295

## المبحث الثالث: دوافع العمل على نشر الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط

لقد كان وجود الاتحاد السوفياتي بمثابة ضامن للاستقرار بين دول المنطقة، وبغيابه، لم تعد الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على تحمّل ظهور قوى من شأنها تحريك الأوضاع في الاتجاه غير المرغوب فيه. فبعد الحرب الباردة وأثناء حرب الخليج الثانية، عملت الولايات المتحدة الأمريكية على معالجة مسألتين هما: الأمن والزعامة. وبقيادتها للتحالف الدولي ضد العراق، كانت تهدف إلى الحد من تطلعاته نحو تبوء مركز القيادة في المنطقة نظراً لما يشكله من خطر على مصالحها الحيوية والمتمثلة في: أمن الكيان الصهيوني، الدفاع عن الموارد النفطية وحماية الأصول المالية للأنظمة الملكية في الخليج. وبعد إلحاق أضرار جسيمة بالعراق، قررت الولايات المتحدة الأمريكية أن تصبح متواجدة عسكرياً بشكل دائم في المنطقة حتى تتمكن من التدخل إذا لزم الأمر، وهي التي تضع معايير تحديد شرعية التدخل من عدمها، وذلك لأنها اعتبرت أن التواجد العسكري هو فقط الكفيل بضمان الأمن وضمان انفرادها بالتصرف ورفض مشاركة القوى الدولية الأخرى. وحدث هذا في ظل متغيرين رئيسيين: يتمثل الأول في خطورة التركيز فقط على تسليح أو إعادة تسليح بعض دول المنطقة في ظل عدم الاستقرار واحتمال استخدام هذه الأسلحة يوماً ما في وجه مؤيديها. أما الثاني فهو عدم القدرة على ضبط الأسلحة في المنطقة في ظل استبعاد فرض قيود على الكيان الصهيوني وما تملكه من أسلحة من جهة، ومن جهة أخرى التنافس الحاد على تجارة الأسلحة بين دول الشمال وحرص دول الجنوب على إقامة علاقات تعاون متعددة الأطراف في مجال إنتاج التكنولوجيا العسكرية عالية المستوى. وبالتالي لم يعد بإمكانها فرض أية قيود على دولة أخرى من دول المنطقة. وبعد فهم هذه الأخيرة للرسالة التي أراد التحالف الدولي ضد العراق توجيهها لهم، لم يعد أملهم سوى امتلاك قوة عسكرية رادعة للحفاظ على بقائهم الذي يمكن أن تقضي عليه إحدى القوى العظمى. وبهذه الظروف باتت منطقة الشرق الأوسط تحت السيطرة. في فترة ما بعد حرب الخليج الثانية وتداعيات ذلك على الوضع في منطقة الشرق الأوسط، ارتأت الولايات المتحدة الأمريكية إعادة ترتيب الأوضاع بما يحول دون تهديد مكانتها العالمية ويعيق جهودها نحو حماية مصالحها الراهنة والمستقبلية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> زكي العايدى وآخرون، المعنى والقوة في النظام العالمي الجديد، ترجمة سوزان خليل، مصر: سينا للنشر، ط1،



إذن، عقب انهيار الاتحاد السوفياتي، لم يكن بالإمكان التركيز على التحول الديمقراطي لعدة أسباب. ففي هذه الفترة اتجهت دول المنطقة نحو سباق التسلح بشكل مضاعف، وتراجعت آمال انتهاج ديمقراطية السوق، كما أن دول الشرق الأوسط لم تكن لديها سوقا داخلية أو قطاع إنتاجي أساسي. كما أنها تلق الاهتمام الكافي من قاداتها الذين عملوا على تهميش المجتمع المدني وتقويض قوة المؤسسات. كما لم تكن لدى المعارضة أية قدرة على مواجهة تحديات ومتطلبات الحول. هذا إضافة إلى التحفظات المتعلقة بتمكين التعددية للأحزاب السياسية الإسلامية من الوصول إلى السلطة والمشاركة في العملية السياسية. وأيضا غياب الثقة في فعالية التيار الإسلامي سواء على المستوى الداخلي فيما يتعلق بالتعامل الدستوري والقانوني مع القضايا الداخلية، أو على المستوى الخارجي وما يقتضيه النظام الدولي من ممارسات قد لا تتوافق مع أفكار هذا التيار. ويضاف إلى ذلك عجز هذا التيار عن تقديم نظام بديل سواء سياسيا أو اقتصاديا. وعدم قدرته على الإفلات من التبعية للنظام الرأسمالي ولم يستطع أن يقدم بديلا يتوافق مع أفكاره وفي نفس الوقت يحترم الحرية الفردية كما يراها المنظور الغربي. ومن هنا أصبحت الدول الإسلامية في مأزق عدم القدرة على تفسير عملية الانتقال خاصة في الجانب الاقتصادي الذي يتطلب التحول إلى اقتصاد ليبرالي وإنتاجي، وهو التفسير الذي من شأنه دعم شرعية أنظمتها. إذن نشأت حالة معقدة، اتضح فيها أن هناك ارتضاء للأنظمة القائمة في دول الشرق الأوسط من قبل القوى العالمية بحجة الاحتفاظ بالاستقرار الإقليمي<sup>1</sup>.

لكن الوضع تغير مع بداية سنوات 2000، حيث تكررت الديمقراطية كمشروع في التصريحات الأمريكية واتضح بأن هناك عزم على عدم الاستمرار في السياسة السابقة وبأن الأنظمة في دول المنطقة ستخضع لمحاولة تغيير باتجاه النظام الديمقراطي وفق النموذج الغربي. أما بالنسبة لأدوات التنفيذ فقد كان احتلال أفغانستان ثم العراق واستخدام القوة العسكرية ضدتهما هي أول خطوة في هذا الاتجاه. ثم جاء مشروع الشرق الأوسط ليعبر عن استخدام الأدوات السلمية أو ما أسماه جوزيف ناي بالقوة الناعمة لتحقيق التغيير. وهو ما يدفع إلى التساؤل حول الأهداف الحقيقية الكامنة وراء الاهتمام الأمريكي بنشر الديمقراطية في المنطقة بهذا الشكل وما هي المصالح التي سيتم الحصول عليها جراء ذلك. باختصار التعرف على ماهية الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير. سيتم هذا من خلال الربط بين

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 134-138

الديمقراطية والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية من جهة، ثم تسليط الضوء على مكانة القيم في السياسة الخارجية الأمريكية. وسيكون ذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: ادعاء نشر الديمقراطية كضمان لحماية المصالح الاستراتيجية.

المطلب الثاني: نشر القيم الأمريكية

### المطلب الأول: ادعاء نشر الديمقراطية كضمان لحماية المصالح الاستراتيجية

يقول Eddie J. Girdner بأن مبادرة الشرق الأوسط الكبير لا تسعى إلى ديمقراطية المنطقة وزيادة حرية شعوبها، وإنما إلى زيادة حرية المال الغربي وضمان سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على المنطقة سياسياً، باستخدام القوة العسكرية ووسائل أخرى في سياستها الخارجية. ويقول أيضاً بأنه وبسبب التكلفة العالية لاستخدام القوة العسكرية من أجل الاحتفاظ بالسيطرة السياسية والاقتصادية على المنطقة، أصبح من الضروري فرض هذه السيطرة سرياً تحت عنوان مبادرة الديمقراطية بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي. ويضيف بأن هذا المشروع ما هو إلا وسيلة لتوسيع وتعزيز النيوليبرالية في المنطقة مع ضرورة تدمير كل ما يعترض طريق تنفيذ هذه الأجندة. ونشر الحرية والديمقراطية هو غطاء إيديولوجي لمشروع الهيمنة العالمية الأمريكي وتحقيق مصالح الطبقات الحاكمة الداخلية. ومنه، يعتبر الهدف هو السيطرة على المال والسياسة<sup>1</sup>.

### الفرع الأول: الهيمنة على الثروة النفطية

تعد السيطرة على الموارد النفطية والأموال المرتبطة بها من أهم ما يحكم التوجهات الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط. وهذه السيطرة تكفل لها المكانة الخارجية والقدرة على مواجهة الأزمات الداخلية، إضافة إلى ما يتطلبه النظام الرأسمالي من تراكمات رأسمالية من أجل ضمان الاستمرار. ولهذا، كانت كل من العراق وأفغانستان مجالا حيويًا تؤدي السيطرة عليه إلى السيطرة على العالم بفعل تشابك المصالح الاقتصادية في منطقة غنية بالنفط هي وما جاورها مثل بحر قزوين. ولا يكتفي هذا التواجد بضمان القوة الاقتصادية، بل يدعم القوتين السياسية والعسكرية أيضاً. ومن بين الدوافع التي جعلت

<sup>1</sup> - EDDIEJ.Girdner, Op.Cit.

الولايات المتحدة الأمريكية تتخذ هذه التوجهات التي بلغت حد التدخل العسكري، هو تزايد حاجتها إلى الطاقة وارتباط الاقتصاد الأمريكي بها وما يتصل بذلك من مخاوف متعلقة إما بانقطاع الإمدادات النفطية أو ارتفاع الأسعار نظرا لكونه حاجة استراتيجية ليس فقط أمريكا بل صينيا، يابانيا وأوربيا أيضا. كما أن هناك استهلاك هائل للنفط داخليا تلبية لمتطلبات نمط العيش وهو ما يجعله موردا حيويا في الداخل الأمريكي. فضلا عن ذلك، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تريد أيضا أن تكون هذه المادة الاستراتيجية تحت سيطرتها لأنها تدرك أهميتها لدى اقتصاد الدول المتقدمة وبالتالي توصلها هذه السيطرة للتحكم في هذه الدول<sup>1</sup>.

ومنطقة بحر قزوين (أذربيجان أكبر دول قزوين امتلاكها للثروة النفطية، فعالية الموقع الجغرافي لجورجيا وأرمينيا في نقل النفط والغاز إلى تركيا وجنوب أوربا) هي ذات موقع استراتيجي لنقل النفط والغاز، وهي تشمل أهم طرق الترانزيت في العالم. كما أنها قريبة من مناطق صراع قوى إقليمية ودولية (أفغانستان، إيران، الخليج). ولذلك، هي منطقة تنافس القوى الدولية (الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، الصين) لسيطرة الهيمنة عليها. ولهذا، تم اتخاذ الحرب على الإرهاب كمدخل استراتيجي لفعل ذلك وكان هناك حرص أمريكي على التواجد في المنطقة لربط آسيا الوسطى بأفغانستان والهند لفتح ممرات جوية وبرية للقوات الأمريكية ومواجهة القوى المنافسة. وتتمثل الأهداف الأمريكية في:

- احتواء روسيا في جناحها الجنوبي والصين في جناحها الغربي.
- إزالة النفوذ الروسي والإيراني من آسيا الوسطى واستبداله بنفوذ أمريكي.
- تأمين مصادر النفط والغاز الطبيعي في آسيا الوسطى، وحوض بحر قزوين وخطوط نقلها الجديدة من باكو إلى ميناء جيهان التركي.
- محاصرة إيران من الشمال والشرق.
- إزالة الأسلحة والمواد النووية من بلدان آسيا الوسطى ومنع الجماعات الإسلامية من الحصول عليها<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- حسين حافظ وهيب، "استراتيجية الإدارة الأمريكية الجديدة إزاء الشرق الأوسط"، دراسات دولية، بغداد: مركز الدراسات الدولية، العدد 46، ص-ص: 61-62

<sup>2</sup>- وداد غزلاني، "العولمة والإرهاب الدولي بين آلية التفكيك والتركيب"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010، ص-ص: 305-306

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

ويمكن القول بأن هناك علاقة تبعية بين الاقتصاد الأمريكي ونفط منطقة الشرق الأوسط، وهو ما تم اعتباره تهديدا للأمن القومي الأمريكي؛ فالولايات المتحدة الأمريكية تستهلك 25 % من النفط الموجود في العالم بينما تملك فقط 2.2 % فقط من الاحتياطيات النفطية العالمية. ومن المتوقع أن تستورد ما يقارب الثلثين من احتياجاتها بحلول سنة 2025<sup>1</sup>.

ولذلك، هي تعارض تزايد القوة العسكرية لدى الدول المنتجة للنفط، وخاصة إذا حاولت امتلاك الأسلحة النووية؛ فحدوث ذلك يجعلها قادرة على التأثير في سوق النفط<sup>2</sup>. فضلا عن أن الطابع العالمي لهذه السوق وغياب الاستقرار السياسي يجعل منها سوقا غير مستقرة ويجعل الأسعار رهن تغير درجة الاستهلاك أينما وقعت الأحداث، هذا إلى جانب استهداف الإرهابيين للبنى الخاصة بمجال الطاقة لكونها هدفا استراتيجيا يمكنه إلحاق خسائر ضخمة بسبب ضخامة السوق النفطية وتشابك المبادلات فيها<sup>3</sup>.

إذن، ونظرا للأهمية الاستراتيجية للنفط ضمن مكونات القوة الأمريكية، فإن محاولة أي طرف السيطرة عليه تهدد الولايات المتحدة الأمريكية وهو ما يجعلها على أتم الاستعداد لحماية هذه الثروة والقضاء على أي تهديد يتعلق بها حتى لو تطلب الأمر استخدام القوة العسكرية. وعندما تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بموازنة مصالحها مع مسألة نشر الديمقراطية أو ممارسة الضغوطات على الأنظمة لإحداث تغييرات في هذا المسعى، فإنها ستختار مصالحها بغض النظر عن مدى ديمقراطية النظام السياسي، وتدل على ذلك علاقتها الاستراتيجية مع المملكة العربية السعودية ذات النظام السياسي غير الديمقراطي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية. ويعود ذلك إلى مكانة المملكة النفطية وثرواتها المادية والتي يمكنها إنقاذ الولايات المتحدة الأمريكية عند الضرورة. وعندما نادى بتطبيق الديمقراطية في العراق بعد 2003، فإنها رأت بأن ذلك سيكون لصالح ضمان تدفق الإمدادات نظرا لأن الديمقراطية ستسمح بتقسيم العراق وهو ما سيسهل عملية التصدير<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - Nasser Momayezi, « Oil, the Middle East and U.S.National Security », International Journal of Humanities and Social Science, Vol. 1 No.10, August 2011, p1.

<sup>2</sup> - سعد حقي توفيق، مرجع سبق ذكره، ص12.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 18

<sup>4</sup> - Joe Barnes, Andrew Bowen, Rethinking U.S Strategy in the Middle East, The Center for the Middle East at the Baker Institute for Public Policy and the center for the National Interest, 2015, p-p : 5-6

### الفرع الثاني: تحقيق الاستقرار وتقليل الإرهاب بما يخدم المصالح الأمريكية

إن دعم سياسات الإصلاح في المنطقة وممارسة الضغوطات من أجل احترام حقوق الإنسان، يصب في اتجاه حماية المصالح الاستراتيجية الأمريكية من ناحيتين:

الأولى وتتمثل في أن هذه السياسات ستعالج بطريقة أو بأخرى دوافع الانضمام إلى التنظيمات الإرهابية؛ والتي تتنوع بين دوافع اقتصادية، سياسية، اجتماعية وثقافية. وتكون بذلك تلك الإصلاحات، أحد السياسات الموجهة لتقليل التهديدات التي تمثلها الحركات الإرهابية على المصالح الحيوية الأمريكية.

أما الثانية، فهي تتعلق بتحقيق الاستقرار الذي تتطلبه إدارة تلك المصالح، ويثبت ذلك الدعم الذي قامت الإدارة الأمريكية بتقديمه للأنظمة السياسية التي لا تعتبر أنظمة ديمقراطية وفق المعايير الأمريكية، في الوقت الذي اختارت فيه العراق وأفغانستان تحت حجة دعم التحول الديمقراطي، وهو ما دفع إلى وصفها بسياسة خارجية مزدوجة المعايير<sup>1</sup>.

### الفرع الثالث: التحكم في الانتشار النووي

من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية العمل على منع انتشار الأسلحة النووية، فمن المهم بالنسبة لها أن يكون لدى دولة عدو القوة الكافية لكي تشكل تهديدا لمصالحها الحيوية وامن الطاقة بشكل خاص. ولهذا، يرتبط الموضوع بطبيعة الأنظمة السياسية من حيث وجود أنظمة عدائية أو دول مارقة. ويشكل غياب النظام السياسي المطلوب خطرا على تلك المصالح، ويزيد الوضع خطورة امتلاك القوة النووية. وتأتي خطورة هذه الأخيرة سواء تم استخدامها خلال الحروب أو نتيجة حدث طارئ وهو ما يعتبر كارثيا في كل الأحوال<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - Ibid, p-p : 7-8

<sup>2</sup>- Daniel Byman, Sara Bjerg Moller, « The United States and the Middle East : Interests, Risks, and Costs », on :

[http://www.tobinproject.org/sites/tobinproject.org/files/assets/Byman%20%26%20Moller%20-%20The%20United%20States%20and%20the%20Middle%20East\\_0.pdf](http://www.tobinproject.org/sites/tobinproject.org/files/assets/Byman%20%26%20Moller%20-%20The%20United%20States%20and%20the%20Middle%20East_0.pdf)

\_17/09/2017 03 :10

### الفرع الرابع: الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني

تعتقد الولايات المتحدة الأمريكية بأن الكيان الصهيوني هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط<sup>1</sup>. ويبرر القادة الأمريكيون تاريخياً التقارب الأمريكي الإسرائيلي بوجود قيم مشتركة؛ وما يعني ذلك من التشابه الديمقراطي بينهما وبأن لديهما تجربة متبادلة في الكفاح من أجل الحرية، ووجود جذور في الثقافة اليهودية-المسيحية، إلى جانب الالتزام بحقهما في الأمن والتعبير عن إرادة شعبيهما. كما تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أن هناك مسؤولية أخلاقية تقع على عاتقها بشأن حماية الكيان الصهيوني والدفاع عنها. وهذه العوامل تشكل الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الأمريكية الإسرائيلية وتجعل مما تتضمنه من التزامات غير قابل للتغيير<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- Daniel Byman, Sara Bjerg Moller, « The United States and the Middle East : Interests, Risks, and Costs », on :

[http://www.tobinproject.org/sites/tobinproject.org/files/assets/Byman%20%26%20Moller%20-%20The%20United%20States%20and%20the%20Middle%20East\\_0.pdf](http://www.tobinproject.org/sites/tobinproject.org/files/assets/Byman%20%26%20Moller%20-%20The%20United%20States%20and%20the%20Middle%20East_0.pdf)

17/09/2017 03 :10

<sup>2</sup>- Robert D.Blackwill, Walter B.Slocombe, Israel A strategic Asset for the United States, Washington : The Washington Institute for Near East Policy, 2011, p-p : 1-2

### المطلب الثاني: نشر القيم الأمريكية

يتطلب هذا العنصر أولاً التعريف بماهية القيم الأمريكية، ثم التعرف على أهميتها لدى الإدارة الأمريكية.

#### الفرع الأول: المقصود بالقيم الأمريكية

يُحدد المثقفون الأمريكيون القيم الأمريكية في ولادة الفرد بشكل عام بإحساس غريزي بالكرامة الإنسانية، وبناء عليه هو ليس وسيلة بل هدف في حد ذاته، ومن هنا تأتي فكرة الديمقراطية في ضرورة التعامل بشكل متساوي مع جميع الأفراد بغض النظر عن الجنس، اللون والعرق. كذلك، أن كل الأفراد يعرفون الحقائق الأخلاقية العالمية، وأن هناك اختلاف في الطريقة التي يسلكها الأفراد والجماعات في معرفتهم للحقيقة، ومع التسليم بذلك، يصبح المطلوب هو إيجاد سبل متحضرة وعقلانية عند مناقشة هذه الاختلافات. إضافة إلى أن من كرامة الإنسان أن يكون حراً في ضميره ودينه، وبدون ذلك لا يمكن الحديث عن الحريات الأخرى. ويؤكدون على أن كل هذه العناصر هي قيم إنسانية عالمية انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بها، وبإمكانها أن تكون قاعدة لمجتمع عالمي قائم على العدل والسلام<sup>1</sup>.

وبحسب Graham Allison فإن الحربين العالميتين أدتا إلى اقتناع الولايات المتحدة الأمريكية بعدم خدمة العزلة لهدفها الأساسي المتمثل في البقاء والرفاهية. ويرجع ذلك إلى طبيعة البيئة الدولية التي نشأت عقب الحرب؛ والتي من وجهة نظره لن يكفي ما هو أقل من نظام عالمي جديد لإدارتها. ولهذا وضعت مشروعاً كبيراً قائماً على الربط بين مصلحتها الخاصة وبين المثل العليا التي جاءت في إعلان الاستقلال الذي تضمن ضرورة تعبئة كل أبعاد القوة الأمريكية لتجسيد تلك القيم والتي تتمحور حول حقوق الإنسان الأساسية. وهذه الرؤية والتي يصفها بالبراغماتية هي التي أدت إلى خلق مشروع مارشال الموجه نحو أوروبا، صندوق النقد الدولي، البنك العالمي، الجات التي أسست لنظام اقتصادي جديد، الناتو، التحالف الياباني الأمريكي، هيئة الأمم المتحدة، وكل التكتلات التي يتضح من خلالها ظهور

<sup>1</sup> - السيد يسين، "تحليل للقيم الثقافية الأمريكية"، في الموقع:

<http://www.ahram.org.eg/Archive/2009/1/15/WRIT1.HTM>

تاريخ الدخول: 2017/09/21 على الساعة 02:43

نظام عالمي جديد، يقول بأنه يهدف إلى تحقيق السلام، الرفاهية والحرية للأمريكيين ولحلفائهم ولجميع الأمم الأخرى<sup>1</sup>.

لقد كان الحد الفاصل بين دعم القيم الأمريكية وحماية المصالح الأمريكية عبر العالم غير واضح خلال الحرب الباردة. ودفعها التهديد السوفياتي لاستخدام قوتها في فعل ذلك لعدة عقود. ولكن فيما بعد، شهدت هي نفسها والعالم أيضا تغيرات في غاية الأهمية منها استخدام القوة العسكرية في العراق وأفغانستان، ما فرض على صانع القرار الأمريكي أن يعيد النظر في استخدامات القوة العسكرية، وتسببت هذه الظروف في تقليل الخيارات المتاحة أمامه، نظرا لاقتناعه بأن الشعب الأمريكي لن يسمح بتكرار ذلك وتعريض حياة الجنود للخطر واستغلال أموال دافعي الضرائب<sup>2</sup>.

### الفرع الثاني: أهمية الأفكار والقيم في السياسة الخارجية الأمريكية

إن الأفكار والقيم ضرورية لتحقيق القبول المطلوب لأية استراتيجية، وذلك حتى يتم تجسيدها على أرض الواقع. تعتقد الولايات المتحدة الأمريكية بأنها ذات رسالة تتصف بالعالمية، وأدى انتصارها على الاتحاد السوفياتي والذي يعني انتصار على الإيديولوجية الشيوعية، وعدم قدرة باقي الإيديولوجيات في العالم على طرح نفسها كبديل عن الرأسمالية والليبرالية والديمقراطية، جعلها تؤمن بأن أفكارها وقيمها هي الأولى بالإتباع، وذلك استنادا على أن كل الدول المتقدمة الصناعية هي الدول التي تطبق هذا النموذج. وتعمل الولايات المتحدة الأمريكية من أجل ضمان استمرار هيمنتها في مختلف المجالات؛ فهي تشحن المشاريع والمبادرات التي تقدمها حتى يتم قبولها من طرف المستهدفين. ولهذا فهي لا تحاول فقط من خلال سياستها الخارجية تحقيق أهداف اقتصادية وسياسية وعسكرية، بل لديها أيضا أهدافا ثقافية تتضمن منظومة قيمية بأكملها تعمل على تصديرها وفرضها على دول العالم، بما فيها من لغة وأفكار وأسلوب حياة أيضا، ولقد ساعدها على ذلك تربيعها على قمة النظام الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وأصبحت قادرة من خلال وسائل الإعلام على تشكيل وعي يتضمن القيم والمبادئ التي تؤمن بها وتريد للعالم أن يفعل كذلك. إن تضمين القيم في السياسة الخارجية الأمريكية ليس مستجدا، بل يمتد إلى

<sup>1</sup> - Graham Allison, « What is America's Purpose ? », <http://mearsheimer.uchicago.edu/pdfs/ContentServer.pdf>  
19/09/2017 23 :56

<sup>2</sup> - Ian Brener, *ibid.*



التقرير رقم 1325 الصادر عن الكونجرس الأمريكي يوم 1964/04/27، والذي نص على إمكانية الانتقال من التعامل مع الحكومات إلى التعامل مع المجتمعات مباشرة من أجل تحقيق بعض أهداف السياسة الخارجية. واقترح بريجنسكي شيئاً مشابهاً عندما قال بأن نشر هذه القيم سيحدث عندما تتحول الولايات المتحدة الأمريكية إلى نموذج للحداثة نظراً لسيطرتها على وسائل الإعلام. كما قد أشار ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي السابق إلى ما يجب على الولايات المتحدة الأمريكية فعله إذا أرادت أن تهيمن على العالم، ألا وهو نشر قيمها<sup>1</sup>. وصرح قائلاً: "بأن الجدل العقيم حول ما إذا كان علينا أن نعتمد سياسة مثالية أم واقعية لا يمكن أن يحقق هدفاً، فالمثالية بدون واقعية سياسة قاصرة والواقعية بدون مثالية سياسة لا أخلاقية... وعلى الأمريكيين أن يعتقدوا بأن السياسة الأمريكية الخارجية صحيحة ومشروعة وتتوافق مع مصالحهم"<sup>2</sup>.

### الفرع الثالث: دور العولمة في نشر القيم الأمريكية

لقد أدت العولمة إلى زيادة التجارة الدولية في السلع والخدمات الثقافية. كالأفلام، الموسيقى والمؤلفات. وبطبيعة الحال تعرض المجتمعات للثقافات الأجنبية يؤدي إلى التأثير على الثقافات المحلية. ولا تؤدي عولمة الثقافة إلى خلق ثقافة عالمية متجانسة فقط، بل هي تمثل بشكل واسع أمركة Americanization لثقافات العالم. وهو ما يتبين من خلال التأثير الذي أحدثه انتشار الشركات الأمريكية في العالم مثل شركات الغذاء؛ فالمطاعم مثلاً تؤثر على عادات وتقاليد الشعوب وهو ما يتجلى في الانتشار الواسع لمطاعم ماكدونالدز والوجبات السريعة fast food والتي لم تهيمن فقط على المجتمع الأمريكي بل على كل العالم. كذلك صناعة الترفيه والأفلام والتي تلعب دوراً في تغيير عادات وقيم المتلقين، تنير أيضاً مسألة هيمنة العادات والقيم الأمريكية. وكثير من الدول حاولت التدخل في عمل السوق لحماية المنتجات المحلية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - علي زياد عبد الله فتحي العلي، القوة الأمريكية في النظام الدولي، مصر: دار المكتب العربي للمعارف للنشر والتوزيع، 2015، ص-ص: 134-136

<sup>2</sup> - عادل البديوي، الإدراك الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية دراسة في المبادئ الجيوبوليتيكية، الأردن: دار الجنان للنشر والتوزيع، 2016، ص 199.

<sup>3</sup> - Levin Institute, « Culture and Globalization », on : <http://www.globalization101.org/uploads/File/Culture/cultall.pdf>  
19/09/2017 05:06

وعن علاقة إعادة تشكيل العالم حسب الثقافة الأمريكية بالعولمة في مجالها الثقافي، قال مدير معهد كيسنجر: "الهدف الأساسي للسياسة الخارجية الأمريكية في عصر ثورة المعلومات هو الفوز في معركة التدفق الإعلامي بالسيطرة على موجات البث كما كانت بريطانيا العظمى تسيطر على البحار، وأن مصلحة الولايات المتحدة إذا تواصلت أطراف العالم بالتفاعل عبر الراديو والتلفزيون والموسيقى أن تكون القيم الأمريكية هي قيم العالم المشتركة"<sup>1</sup>.

وسجل الوزير الكندي السابق Kim Campbell ملاحظة حول انتشار صورة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم قائلاً بأنه في هذه القرية العالمية، ما يحدث وكأنه عوض أن يهاجر العالم إلى أمريكا، أمريكا هي التي هاجرت إلى العالم، سامحة للشعوب بأن يكونوا أمريكيين حتى في البلدان البعيدة عنها. وكثيرون يعتبرون بأن ما يجري هو أمركة للعالم من خلال انتشار الثقافة الشعبية الأمريكية عبر الأفلام، الموسيقى، البرامج التلفزيونية، الجرائد والأكل السريع واللباس. وتعتبر برامج تلفزيون الواقع (مثلاً Keeping up with the Kardashians) الوسيلة الأكثر شعبية لنشر الثقافة الأمريكية، والتي تبين أسلوب الحياة الأمريكي كأسلوب ساحر. ولطالما كان للمسلسلات التلفزيونية الأمريكية دوراً كبيراً في نقل صورة عن الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية؛ فخلال صراعها مع الاتحاد السوفياتي وأيديولوجيته الشيوعية، كان مسلسل Dallas وأيضاً Dynasty يعرضان صورة غير واقعية عن حياة الأمريكيين، والتي تبدو ثرية بشدة وفيها نمط استهلاكي مفرط في محاولة لدفع المتلقي في المعسكر الشيوعي إلى اعتبار ذلك بديلاً عن أسلوب حياته الذي يتسم بالفقر والقيود. وفي هذا الصدد يقول Peter Berger بأن انتشار الثقافة الشعبية يحمل شحنة من القيم والمعتقدات. ويعطي مثلاً عن موسيقى الروك Rock ويقول بأن جاذبيتها ليست نتيجة تفضيل خاص للصوت الصاخب والإيقاعي والرقص الرياضي بشكل خطير، بل يرمز هذا النوع من الموسيقى إلى مجموعة من القيم الثقافية والتي تتعلق بعدة أمور منها التعبير عن الذات والعفوية والأهم قد يكون تحدي النثر المزعوم للتقاليد<sup>2</sup>.

ولقد سمح التطور الهائل في وسائل الإعلام والاتصال بعرض سلع ثقافية جاهزة للاستهلاك في كل مكان، بشكل مثير ومُشوّق وممتع ذو قدرة على جعل المستهلك على استعداد لقبول المضمون القيمي

<sup>1</sup> محمد يوسف الهزايمة، العولمة الثقافية واللغة العربية التحديات والآثار، عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2012،

ص 69.

<sup>2</sup> - Levin Institute, Op.Cit.

لهذه السلع في ظل عدم قدرته على القيام باختيار واعٍ. فمن خلال هذه الوسائل تتم السيطرة على الإدراك ما يؤثر على السلوك بحيث يتم توجيهه نحو معارف وسلع معينة. وهذا ما يسمى بالاختراق الذي يهدف إلى التطبيع مع الهيمنة. وبناء عليه، هناك من يرى بأن الأمر يتعلق بحاجة العولمة إلى بنية ثقافية وسياسية واجتماعية تُبررها، وبالتالي، المسألة لا تقتصر فقط على الموسيقى الشعبية، الماكدونالز، الأفلام والبرامج التلفزيونية، بل هناك عملية توزيع مدروسة للثقافة الأمريكية في سياق امبريالية ثقافية، ورغم ما يقال عن حرية الاختيار وتعدد الثقافات، فإن ما حدث هو تعميم للثقافة الغربية فقط، أضف إلى ذلك أن الترويج لها لم يكن بوصفها "غربية" أي خاصة بدول أو مناطق معينة، بل بوصفها ثقافة إنسانية وبأنها تصب في مصلحة المجتمع العالمي. وأيضاً، أصبح الحكم على تطور الشعوب وتأخرها يتم وفقاً لمدى تبنيها لعناصر هذه الثقافة<sup>1</sup>.

ويؤكد علي عبد الفتاح كنعان على دور وأهمية الإعلام في توجيه الثقافات والقيم في العالم، متحدثاً عن دور شبكات البث الفضائي التلفزيوني والإذاعي (CNN, BBC, EuroNews) وشبكة الانترنت. فشبكة CNN مثلاً غير قابلة للمنافسة من أي وسيلة إعلامية إخبارية أخرى في العالم، فهي التي تعمل على صياغة الأحداث وترتيبها. وهي وسائل تم استخدامها لنقل الثقافة الأمريكية من فكر وعادات ونمط معيشي عبر الحدود. ولقد تراوحت ردود الأفعال تجاه هذا الوضع بين رافض بشكل تام لتأثير هذه الوسائل وبين قابل بها كقدر مفروض وآخر اقترح التعامل بموضوعية ومحاولة الاستفادة من إيجابيات هذا التطور ومحاولة تقادي سلبياته. ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المؤثرات ليست جزءاً من منظومة ثقافية تسعى إلى خلق ثقافة عالمية يراها المصدر انفتاحاً ويعتبرها بعض المتلقين غزواً، فقط، بل هي أيضاً جزء من منظومة اقتصادية تفرض منطقتها على كل دول العالم من خلال إجبارها على التعامل وفق شروط السوق والعمل المستمر على تحقيق الربح من خلال احتكارها لمؤسسات تنتمي لأوطان مختلفة<sup>2</sup>.

ويشير محمود عرابي إلى رؤية "شيللر" والذي يقول بأنه في الوقت الذي يضع فيه الاقتصاد العالمي السيطرة هدفاً له عبر تحالف رأس المال العالمي وتحطيم الحواجز القومية وتوحيد السوق العالمية، تكون

<sup>1</sup>- كامل علاوي الفتلاوي، عاطف مرزوق، العولمة ومستقبل الصراع الاقتصادي، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص-ص: 61-66.

<sup>2</sup>- علي عبد الفتاح كنعان، الإعلام الدولي والعولمة الجديدة، الأردن: دار النيازوري، 2014، ص-ص: 11-13.

كيفية أعمال الإعلام والثقافة في مجتمعات العالم الثالث في خدمة هذه الأهداف التي تتمحور حول تكريس التبعية الاقتصادية، ووضع ما يمتلكه من إمكانيات ثقافية وإعلامية في خدمة مصالح رأس المال العالمي، وتحويل العالم إلى قرية اتصالية مترابطة بشدة، بمثابة الأساس الذي يجب التركيز عليه في المجال الثقافي. ويعلق محمود عرابي على هذا قائلا بان هذه الرؤية تجسّد محاولة أمركة العالم، أو أوربته، أو ألمنته، أو تشكيله وفق الرؤساء العالمية الغربية التي يعتبر المؤمنون بها بأنها أعلى المراحل الإنسانية ويجب على الكل الإيمان بجدواها<sup>1</sup>.

ويضيف Peter Berger بأن هناك شبكة عالمية من المؤسسات، الشبكات الأكاديمية، بعض المنظمات الحكومية والمنظمات غير الحكومية، الوكالات متعددة الجنسيات، كلها تحولت إلى وكلاء نقل لما يعتبرونه قيم ثقافية إيجابية. ويتم نشر الأفكار من خلال الاتصالات الجماعية ومراكز التفكير، النظم التعليمية ومشاريع التنمية، النظم القانونية وميكانيزمات المنظمات الدولية. ولقد حصلت منظمة العفو الدولية والحملة الدولية لتحريم الألغام الأرضية ومنظمة أطباء بلا حدود على جائزة نوبل للسلام عن دورها في توسيع القيم المتعلقة برفاهية الإنسان عبر العالم<sup>2</sup>.

ويقتضي الحديث عن السعي إلى نشر القيم الأمريكية عبر العالم، إلى ضرورة فهم الميكانيزمات التي تقوم عليها هذه العملية، والتي يتفق كثيرون بأن اختراق النظم والمجتمعات هو الذي يسمح بتحقيق ذلك. ويتمثل مفهوم الاختراق في تمكّن طرف "أ" في المشاركة في صنع واتخاذ طرف "ب" للقرار. يعتقد الواقعيون الجدد بان هذا يحدث كنتيجة طبيعية للفوضى الموجودة في النظام الدولي الذي لا توجد على قمته سلطة عليا تفرض القوانين وتضمن احترامها، ولذلك، تقبل الدولة بإسهام الآخرين في صياغة استراتيجيتها الأمنية، نظرا لأن الأمن هو الهدف الأسمى في هذه الظروف. بينما تعتقد البنيوية الماركسية بأن التبعية وتحديدًا في شقها الاقتصادي، هي الوسيلة التي يتم من خلالها الاختراق. أما المدرسة

<sup>1</sup> - محمود عرابي، تأثير العولمة على ثقافة الشباب، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2006، ص46.

<sup>2</sup> - « Culture and Globalization », Op.Cit.

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

البنائية، فيرى رائدها ألكسندر وندت بأن الاختراق يحدث من خلال صياغة هوية الدول والتي تتحدد بأشكال التفاعل مع الآخرين<sup>1</sup>.

### الجدول رقم 03: فضاءات الاختراق

| اختراق النخبة   | اختراق المجتمع                                   | اختراق السلطة   |
|---|--|---|
| من خلال جعل النخب الداخلية تسعى إلى تحقيق نفس أهداف نخبة الدولة التي تمارس الاختراق. وهو ما يسمى بالتذويت<br>Internalization. | من خلال إخضاع قرار قوى سياسية محلية لقوى خارجية. | من خلال المستشارين الخارجيين أو الخبراء أو المندوبين الدوليين في أحد القطاعات التي يعملون بها لدى الدولة المضيفة. |

المصدر: أحمد سعيد نوفل وآخرون، التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2014، ص-ص: 61-62

إن مشروع الشرق الأوسط الكبير أثبت بأن الإدارة الأمريكية قد وضعت المنطقة برمتها على رأس الأولويات، وذلك بفعل المضمون الذي جاء به والذي انطوى على منطقتين مغايرتين في التعامل مع المشاكل التي تعاني منها المنطقة. ويتمثل هذا المنطق في أن تحقيق السلام يقوم بالضرورة على تحقيق التحول في الأنظمة السياسية من أنظمة تراها الولايات المتحدة الأمريكية استبدادية إلى أنظمة ديمقراطية، وجاء هذا المشروع ليبيّن بأن التحول إلى الديمقراطية وفق الصورة الأمريكية هو من صميم متطلبات الأمن القومي الأمريكي. ويأتي ذلك بعد مرحلة تاريخية من العلاقات الأمريكية مع دول المنطقة، لم يكن فيها تركيز على طبيعة أنظمة الحكم بقدر خدمة تلك العلاقات للمصالح الأمريكية. وعبر هذا المشروع فعليا عن قناعة أمريكية بمضمون النظرية الليبرالية في العلاقات الدولية والتي تفسر الحرب بين الدول بغياب الديمقراطية التي تكفل محاسبة صانع القرار، وتقرّح بناءً على ذلك أن يتم وضع أنظمة ديمقراطية من أجل تقليل الميل إلى الحرب في العلاقات الدولية<sup>2</sup>. وإن كانت إدارة الرئيس بيل كلنتون قد اهتمت هي الأخرى بنشر الليبرالية باعتبارها الإيديولوجية المنتصرة في حرب باردة مع الشيوعية، إلا أنه كان هناك اختلاف في الوسائل والأولويات. فتم التركيز على الجانب التجاري والاقتصادي والتدخل الإنساني

<sup>1</sup> - أحمد سعيد نوفل وآخرون، التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2014، ص-ص: 64-65.

<sup>2</sup> - عبد العزيز شادي، "المحافظون الجدد والشرق الأوسط المصادر الداخلية والقابليات الإقليمية للسياسة الأمريكية"، أوراق علمية. ندوات، د.م.ن: مركز الدراسات الأمريكية، أغسطس 2005، ص-ص: 28-29

(البلقان) والأدوات الدبلوماسية والتقرب من الدول المنافسة ككوريا الشمالية (بخصوص أسلحة الدمار الشامل) والصين (انتهاكات حقوق الإنسان) لتسوية الخلافات القائمة<sup>1</sup>.

وفي هذا الصدد يشير عبد العزيز شادي إلى ما قاله جوزيف ناي حول نجاح الإدارة الأمريكية في استخدام القوة الناعمة وانعكاسات ذلك على أهداف سياستها الخارجية؛ بحيث ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية للعالم كدولة تحترم نفسها وتحترم الآخرين، من خلال احترام القانون الدولي والمنظمات الدولية، ومنح الاعتبارات الإنسانية قدرا من الأهمية (زيارة الرئيس بيل كلنتون لمناطق المجاعة والفقر والإيدز في إفريقيا). فلقد أدى ذلك إلى جذب الاستثمار بشكل هائل إلى الداخل الأمريكي، وإلى بناء شراكة قوية مع الاتحاد الأوروبي، وأصبحت المنتجات الأمريكية قادرة على دخول الأسواق الصينية. إذن كان هناك نجاح سياسي ودبلوماسي، حظيت بموجبه الولايات المتحدة الأمريكية بصورة ايجابية في العالم من جهة، وحققت أهدافها الخارجية دون استخدام القوة العسكرية من جهة أخرى. وهو الوضع الذي اختلف في عهد جورج بوش الابن والذي سيطر فيه التيار المحافظ الجديد على صنع القرار الخارجي الأمريكي الذي طغى عليه مفهوم العسكرة كوسيلة لتحقيق المصلحة القومية الأمريكية. وكانت أحداث 11 سبتمبر 2001، بمثابة فرصة ثمينة لتبرير التغيير الذي طرأ على مستوى الأدوات المستخدمة في تنفيذ السياسة الخارجية، والتي باتت تتم في إطار مشهد يتضمن حربا بين دولة تعد فاعلا تقليديا والأشد قوة عالميا من جهة، وحركات إرهابية تعد فاعلا غير تقليدي، كان سابقا يعد من المجاهدين في سياق الحرب الباردة مع الاتحاد السوفياتي الذي كانت عملية استنزافه ضرورية لتحقيق المصلحة الوطنية الأمريكية. كما لم يكن الرئيس العراقي السابق صدام حسين عدوا بل كان صديقا في محاولة لكبح الثورة الإيرانية. ولم تكن الصداقة مع النظم العربية أو العداوة تتحدد بناء على مدى تحولها نحو الديمقراطية أو احترام حقوق الإنسان. ولقد كان الاهتمام الأمريكي منصبا فقط على ضمان الإمدادات النفطية وأمن إسرائيل<sup>2</sup>.

وفيما يتعلق بالإصلاح في المنطقة العربية، كان التركيز موجها نحو شقه الاقتصادي في حين غاب الشق السياسي منه. وفي إطار تشجيعها للخصخصة والإصلاح المالي والاستثمار الأجنبي، جاءت مبادرة مبارك-جور، مبادرة الشراكة الأمريكية مع دول شمال إفريقيا، المنطقة الحرة بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني، واتفاقيات التجارة الحرة مع الأردن. ويرجع ذلك إلى التخوف من تداعيات

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 23-24

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 24-26

الضغط نحو الإصلاح السياسي على استقرار المنطقة واعتبار إيجاد حل للصراع العربي الإسرائيلي أهم من التحول الديمقراطي. ولكن أصبح هذا الأخير هو الأهم بالنسبة لإدارة الرئيس جورج بوش الابن ولو كان هذا على حساب الاستقرار، وتمثلت وجهة النظر الأمريكية في تغير مصدر التهديد الذي كان خارجا عن المنطقة خلال الحرب الباردة وأصبح ينبع منها بعد أحداث 11 سبتمبر وهو ما يتطلب التدخل فيها لحماية الأمن القومي الأمريكي، وإذا تسبب هذا التدخل في زعزعة الاستقرار وإحداث الفوضى، فإن ذلك سيكون لصالح الولايات المتحدة الأمريكية التي وصفها بأنها ستكون "خلاقة"، أي في النهاية، ستتغير أوضاع الشرق الأوسط إلى الأحسن<sup>1</sup>

في نهاية هذا الفصل، يجب أن نشير إلى نقطتين في غاية الأهمية؛ تتمثل الأولى في جملة الانتقادات التي تلقاها مشروع الشرق الأوسط الكبير أو كما اتفق على تسميته فيما بعد باسم "الشرق الأوسط الموسع"، والثانية تتعلق بالتوقعات التي برزت بعد عرض المبادرة والتي كانت بشأن التوقف عن استخدام القوة العسكرية ضد الدول، وهو ما لم يكن صحيحا، حيث تم التدخل عسكريا في ليبيا سنة 2011، وهذا ما يتطلب التوضيح.

أولا: يقدم الدكتور العربي صديقي جملة من الانتقادات الهامة لمبادرتي الشرق الأوسط الكبير والشرق الأوسط الموسع من ناحية الاسم، الدول المستهدفة، اتجاه التفاعل بين الطرفين والأهداف المعلنة والأهداف الخفية، ويشرح ذلك كالاتي:

- من حيث الاسم: تم تسمية المبادرة بمبادرة الشرق الأوسط الكبير ثم الشرق الأوسط الأوسع لاحقا. فأصبحت المعاني مبهمة خاصة بعد إضافة دول لم تكن تعتبر ضمن الشرق الأوسط. فعادت نفس الأسئلة التي طُرحت سابقا حول تحديد منطقة الشرق الأوسط "أوسط أين، شرق ماذا"، وينطبق نفس الرأي على كلمتي "كبير" و"أوسع"، ولم تتضمن ردود الأفعال العربية رأيا بخصوص التسمية ولكن تقليديا غالبا ما ينظر العرب إلى مثل هذه التصنيفات بعين الريبة ويتم تفسيرها على أنها محاولة للقضاء على أي إمكانية لتحقيق الوحدة العربية. وعند مقارنة هذه المبادرة بسابقتها وهي مبادرة الشراكة في الشرق الأوسط، يتضح بأنها استمرار لمحاولة بدأها

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 27-28

الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب لخلق نظام عالمي جديد. وظهر مصطلح "الشرق الأوسط الجديد" على يد شيمون بيريز وتم استخدامه من طرف وزيرة الخارجية السابقة كوندوليزا رايس خلال الحرب بين الكيان الصهيوني وحزب الله وأيضا من طرف الرئيس جورج بوش الابن.

- من حيث طبيعة الدول المنضوية تحت المبادرة: هي دول مختلفة في عدة مجالات كمستوى التنمية، الخبرة في العملية الانتخابية، درجة الاستقرار والاضطرابات، دول محتلة، علاقات بينية غير مستقرة، دولة احتلال، دول تفنقر إلى التجانس الداخلي، أشباه دول-قبائل، ودول ليست جمهورية حقيقية. وهذا ما يجعل من الصعب تطبيق نموذج واحد على الجميع.

- من حيث اتجاه التفاعل بين الطرفين: وهنا تجدر الإشارة إلى ثلاث نقاط:

- جاء المشروع بمبادرة أمريكية، متضمنا لقيم أمريكية ومقترحا استراتيجية أمريكية.
- في التنفيذ، ومعايير أمريكية في التقييم، معتمدا على تقرير التنمية البشرية كأنا

يستخدم ذلك لإثبات أن الجانب العربي يقبل بما جاء فيها، وهو الجانب الذي بدا تابعا وصامتا. وتم اعتبار الإرهاب والتطرف تهديدا للغرب ولمصالح مجموعة الثمانية والتي لا تقتصر فقط على النفط والأمن، بل نشر الديمقراطية هو تشكيل للبيئة التي تحفظ الأمن المطلوب والنفط. وهو ما يبرر التدخل مع عدم الإشارة إلى دور هذه الدول فيما يحدث في المنطقة من مشاكل.

- انطلقت المبادرة من اعتبار مجموعة الثمانية المصدر الوحيد للمعرفة والقيم

والمعلومات والخبرة. والدول المستهدفة ما هي إلا مجموعة متدربين على الحكم الراشد وهذا على الرغم من امتلاكها لمعرفتها الخاصة بها ولعدد من الخبرات التي يمكن أن تُفيد في عملية نشر الديمقراطية (تجربة المصالحة في الجزائر والسعودية، إعلان الأحوال الشخصية وتمكين المرأة في تونس، استيعاب الإسلاميين في العملية السياسية في الأردن، التعددية الحزبية المغربية، الجهاز القضائي والاتحادات المهنية المصرية، حرية الإعلام في قطر ومهنتها العالية، تطور دبي المالي والتجاري، الإمكانيات البرلمانية في الكويت، المجتمع المدني التعددي والحرية الدينية في لبنان، ...الخ). وهنا تم تقسيم المهام بين الدول الثمانية؛ وفي حين قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالتمويل المالي (تمويل مشروع مدارس النساء المناطقية في الإمارات العربية المتحدة)، اهتمت الدول الأخرى بتقديم النصح والتوجيه (الدور الكندي في تنظيم الانتخابات الأفغانية وتنمية حقوق النساء في الجزائر والأردن ولبنان والمغرب والأراضي



## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

الفلسطينية وتونس، الدور الفرنسي في الانتخابات اليمنية، الدور البريطاني في العمل البرلماني في البحرين، الدور الألماني في مسألة المساواة الجنسانية في الأردن واليمن والمغرب، الدور الإيطالي في مبادرة التعليم للجميع في أفغانستان وليبيا، الدور الياباني في تمكين المرأة في مصر والأردن).

• تدريب المجتمع المدني العربي لغويا وثقافيا وتقنيا ما يحد من سلطة الدولة العربية

على مكوناتها، حيث يتم زرع التنشئة الأمريكية من خلال المجتمع المدني في المجتمعات العربية من خلال عدد من البرامج التبادلية والتي تهدف علنا إلى تحقيق التفاهم الثقافي وتمكين المرأة وتربية المشاركين مدنيا ولكن في الواقع يتم نشر القيم الليبرالية والعلمانية. وتتمثل الأهداف الحقيقية من هذه البرامج في هزيمة الايدولوجيا الإسلامية وخفض درجة الالتزام بالتعاليم الإسلامية لدى قوى التغيير، رعاية وتمويل الناشطين في مجال حقوق الإنسان والأقليات، تحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال انتقاء مشاركين ممن هم على دراية بالقيم الأمريكية أو مقتنعين بها<sup>1</sup>.

ثانيا، يشير معترز سلامة إلى أن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي التي وُضعت كرد فعل على أحداث 11 سبتمبر 2001، قد شهدت بعض التحولات خلال العهدة الثانية للرئيس جورج بوش الابن ولكنها تمثل تغييرا في الاستراتيجيات المرحلية والخطط الموضوعة لتنفيذ الاستراتيجية الأكبر. معنى ذلك هو عدم تخليها عما طرحته من مفاهيم سواء ما تعلق بالحرب الاستباقية أو مبادرة الإصلاح، مع استمرار تفوق الدور الأمريكي في صياغة القرار الدولي وتغيير الأنظمة بالقوة. فالإدارة الأمريكية لم تعلن عن تراجعها عن تلك المفاهيم. ويستدل على هذا الكلام بمقارنته بين عقيدة وزارة الدفاع وما قامت به وزارة الخارجية. وفي هذا الصدد يسجل الملاحظات التالية<sup>2</sup>:

أولا: عدم تغير إصرار البنتاغون على الاستمرار في الحرب على الإرهاب، وعدم استبعاد اللجوء إلى القوة حتى قبل التعرض للهجوم، ولو كانت هناك فقط شكوك حول مكانه وزمانه. من جهة أخرى، تعمل وزارة الخارجية على مسألة نشر الحرية ومحاربة الطغيان. وذلك بناء على الربط بين حرية

<sup>1</sup> العربي صديقي، إعادة التفكير في الديمقراطية العربية انتخابات بدون ديمقراطية" ترجمة محمد شيأ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، أكتوبر 2010، ص-ص: 247-255

<sup>2</sup> - معترز سلامة، "الأمن القومي الأمريكي التحولات الجديدة في ظل إدارة بوش الثانية، كراسات استراتيجية، السنة 16، العدد 162، أبريل 2006، ص-ص: 26-32.

## الفصل الأول الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير

المجتمعات الأخرى وأمن الولايات المتحدة الأمريكية. إضافة إلى اعتبار الخوف والطغيان والرعب كأسباب للإرهاب، ومن ثم يمكن القول أن الحرب على الإرهاب هي إحدى وسائل تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير.

ثانياً: حدوث انتقالات في المفاهيم لدى وزارة الدفاع، بحيث تم الانتقال من: الردع بشكل عام وللجميع إلى الردع بالشكل الذي يناسب الدول المارقة والشبكات الإرهابية والقوى القريبة من المنافسة. وإلى الأفعال الوقائية بدلاً من ردود الأفعال بعد حدوث الأزمة. ومن نموذج التخطيط القائم على التهديد Threat-based Model إلى نموذج التخطيط القائم على القدرات Capabilities-based Model. وهذا يعني أنه لم تعد الولايات المتحدة الأمريكية تركز كثيراً على تحديد الأعداء المحتملين، بل أصبحت تركز على الكيفية التي يتحداها بها أعداؤها، وماهية القدرات التي تُمكنهم من ذلك مع العمل على اعتراضها أينما ظهرت (قدرات كيميائية، بيولوجية، نووية، الفضاء الشبكي للإنترنت... الخ). إضافة إلى التأكيد على عدم السماح للدول التي تشكل تهديداً لمواطنيها أو جيرانها أو المجموعة الدولية بالتدرب بسيادتها وحدودها السياسية لمنع اتخاذ إجراءات ضدها.

## الفصل الثاني

التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق

الأوسط الكبير

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

تطرق الفصل الأول لمضمون مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي احتوى وصفة لتحويل دول المنطقة إلى دول ديمقراطية وفق النموذج الغربي، والتي قامت بإعدادها الولايات المتحدة الأمريكية وتحددت صيغتها النهائية بالتعاون مع دول مجموعة الثماني. كما تم إعطاء لمحة تاريخية عن السياسة الخارجية الأمريكية باعتبارها المسئولة الأولى عن هذا المشروع مُركّزين على تاريخ الاهتمام الأمريكي بنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط. وهنا توصلنا إلى أن هذا الاهتمام لم يبدأ سنة 2004 التي شهدت الإعلان عن عزم أمريكي لإجراء إصلاحات جذرية في أنظمة دول المنطقة، بل الفكرة كانت موجودة ذلك بسنوات. وتعزز هذا الاهتمام في وجود إدارة سيطر عليها ما يعرفون بالمحافظين الجدد والذين ارتبط المشروع باسمهم وباسم الرئيس جورج بوش الابن، وتم اعتبارهم المهندسين للتغيير في منطقة الشرق الأوسط.

وفي نفس الفصل، تم تبيان بأن لهذا المشروع مجموعة من الأهداف الاستراتيجية التي تم تسطيرها لتكون كل السياسات المتبعة سواء من طرف الدول صاحبة المبادرة أو الدول المتلقية تصب في اتجاه واحد ينتهي بتحقيقها. وفحوى هذه الأهداف هو تعزيز الهيمنة الأمريكية على العالم الذي يعتبر الشرق الأوسط من المناطق المهمة جيو - استراتيجيا فيه.

يرفض الدكتور عبد الجليل محمد حسين كامل في دراسته المعنونة بـ "الشرق الأوسط الكبير دراسة تحليلية مقارنة للمشاريع الأمريكية في المنطقة" الرأي القائل بفشل المشروع، لأنه حكم غير دقيق وغير علمي نظرا لعدم استناده إلى معلومات وحقائق تؤيده، ويُجزم اعتمادا على جملة من المعلومات والحقائق بأن المشروع قد أصاب نجاحا كبيرا في بعض أهدافه، خاصة هدف إنشاء مجتمع معرفي والذي ترجمته برامج تطوير التعليم والتي ستؤدي إلى تغيير الأفكار والقيم في المنطقة، وكذلك يحدث على المستوى الاقتصادي، وأن هذا النجاح يتعاضم يوما بعد آخر<sup>1</sup>.

وهو يوضح بأن المشكلة تقع في عدم إدراك ذلك النجاح من ناحيتين هما:

<sup>1</sup> - عبد الجليل محمد حسين كامل، "الشرق الأوسط الكبير دراسة تحليلية مقارنة للمشاريع الأمريكية في المنطقة"، دراسة مقدمة للحصول على دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية، القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2008، ص 389.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

1- عدم تناول المشروع بشكل كلي وشامل؛ حيث يتم التركيز على الجانب السياسي الذي يعتقد المفكرون العرب بأن الولايات المتحدة الأمريكية فشلت في تجسيده، غير أن الحقيقة أنها عدلت عن الاهتمام به لا غير.

2- عدم الوعي بأنه يجري في الواقع استخدام مكثف وبوتيرة مستمرة لعدد هائل من الأدوات والبرامج لتنفيذ المشروع، وهو ما لا يوجد اهتمام به فكرياً وإعلامياً<sup>1</sup>.

يشرح الدكتور عبد الجليل محمد لماذا يعتبر المشروع فاشلاً في نظر الكثيرين ويقول بأن السبب هو التركيز الإعلامي والأمريكي على موضوع الإصلاح السياسي، والذي أدى التراجع عنه إلى شيوع فكرة فشل المشروع. حيث وبسبب أحداث 11 سبتمبر قررت الولايات المتحدة الأمريكية تخليها عن دعم الأنظمة القائمة. ويقول بأن ما دعم هذا الاستنتاج هو حجم المقاومة التي حدثت من طرف الأنظمة العربية والتي رفضت بشدة هذا المشروع الذي يقضي عليها في نهاية الأمر ويهدف إلى استبدالها بنظم أخرى، وكانت حجتها ضرورة عدم فرض الديمقراطية من الخارج. غير أنها رضخت لبقية الأهداف التي لم يهتم بها الإعلام رغم خطورتها. ولكنه لا ينفي أن الأنظمة العربية رغم تلك المقاومة، شهدت قدراً من التغيير الذي حرك الأوضاع السياسية في المنطقة وبدت معه حججها ضعيفة، حيث لم يعد بإمكانها التذرع بعجز الثقافة العربية والإسلامية عن تحقيق التقدم، وجعل تسوية الصراع العربي-الإسرائيلي شرطاً لتحقيق الديمقراطية بسهولة أكبر، أو ضرورة إعطاء الأولوية للمشاكل الداخلية وإيجاد حلول لها قبل الاهتمام بالتحول الديمقراطي<sup>2</sup>.

لقد جاء هذا المشروع في ظل مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية لأربعة تحديات رئيسية:

1- اعتبارها دولة استعمارية من طرف شعوب المنطقة، وهو تصور عززته وسائل الإعلام المتطورة التي تنتقل الأحداث على المباشر.

2- مخاطر الانسحاب من المنطقة والتي تتلخص في خلق فرصة لأعداء الولايات المتحدة الأمريكية في دعم نفوذهم وتهديد الأمن الإسرائيلي.

3- تراجع شرعية أغلب الأنظمة الحاكمة في المنطقة، وتزايد استخدام القوة لتعويض ذلك.

<sup>1</sup> نفس المرجع، نفس الصفحة.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 390

### 4- قوة الحركات الإسلامية وعمقها الشعبي<sup>1</sup>

سيتم تخصيص هذا الفصل لدراسة الكيفية التي يتم بواسطتها تنفيذ هذا المشروع، وجعله مقبولاً لدى دول وشعوب المنطقة. وفي ظل ردود الأفعال الراضية للمشروع والتحديات السالفة الذكر، كان من الضروري البحث عن طريقة ما لتثبيت وزرع أفكار المشروع بحيث تصبح هذه الدول وهذه الشعوب تعتبرها أفكاراً مقبولة وعادية ومن الطبيعي أن تكون محل تطبيق.

لقد انطلق القائمون على التنفيذ من قناعة رئيسية مفادها أن الحل الأمثل لهذا الوضع هو المنطق التالي:

- تعتبر دول وشعوب المنطقة أفكار المشروع أفكاراً غريبة عنهم وغير صالحة لبيئتهم، وبالنتيجة هم يرفضون المشروع؛
- إذن الرفض نابع من غياب القناعة بهذه الأفكار،
- عدم جدوى استخدام القوة العسكرية في التنفيذ بسبب تداعيات ذلك على المستوى المادي وأيضاً وجود عداً شديداً للولايات المتحدة الأمريكية بسبب ذلك،
- بما أن غياب القناعة هو المشكلة الأساسية، لا بد من إيجاد سبيل لخلقها !!

يبدو بأن هذا المشروع استند على الفرضية التالية: ما يحدث في الواقع ما هو إلا نتاج أو تجسيد لمجموعة من الأفكار؛

- يعبر الواقع عن إيمان بأفكار معينة. وبالتالي، ما نؤمن به يتجلى في حياتنا اليومية بمختلف مجالاتها؛
- إذا كان الواقع سلبي، فإن الأفكار تحتاج إلى إعادة نظر،
- إذا كان الواقع إيجابي، فإن الأفكار تحتاج إلى دعم وتطوير.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 401-402.

## الفصل الثاني التدويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

ويأتي هذا الاستنتاج من استناد المشروع على تقرير التنمية البشرية (2002-2003)، والذي انطلق من كون الواقع العربي واقع سلبي يحتاج إلى تغيير وهو ما يتطلب بالنتيجة تغيير المنظومة المسئولة عن بث الأفكار التي أدت إلى هذا الواقع.

وفي هذا الفصل، سنستخدم مفهوم التدويت Internalization للدلالة على المنطق الأساسي المتبع في مجمل الأدوات والبرامج والخطط التي جاءت كتعبير عن مضمون المشروع محل الدراسة لتحقيق أهدافه الثلاث. وسيتم تبيان ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم التدويت وفهمه على ضوء علم العلاقات الدولية.

المبحث الثاني: تدويت وشرعنة القيم الليبرالية والنيوليبرالية لتحقيق أهداف مشروع الشرق الأوسط

الكبير

المبحث الثالث: أدوات تدويت القيم الليبرالية والنيوليبرالية

### المبحث الأول: مفهوم التذويت والأطر النظرية المؤطرة له

سطر مشروع الشرق الأوسط الكبير ثلاث أهداف تمحورت حول تأسيس نظم سياسية ديمقراطية، اقتصادية مفتوحة، واجتماعية قائمة على المعرفة والتكنولوجيا والحدثة. وبعد استخدام القوة العسكرية في أفغانستان والعراق، وتداعيات ذلك من الناحيتين المادية والبشرية، إلى جانب عدم تحول أنظمة هذه الدول إلى الديمقراطية، برزت ضرورة تعديل المقاربة في التعامل مع منطقة الشرق الأوسط الكبير. وجاء ذلك نتيجة البحث في الأسباب التي تحول دون نشر الديمقراطية وتبني اقتصاد السوق الحر، والتي تبين فيما بعد بأنها ناتجة عن عدم وجود قناعة بمحتوى هذه النظم وتصادمها مع الأفكار السائدة.

وبناء عليه، تقرر العمل على تغيير البنية الفكرية بحيث تصبح بيئة ملائمة لتلك المبادئ والأفكار التي هي في الأساس أفكار ليبرالية، وهي إيديولوجية تقترح عددا من الحلول للمشاكل التي تشهدها المنطقة سواء على مستوى سياستها الداخلية أو الخارجية. وتقوم الليبرالية كما يوحي اسمها على مفهوم "الحرية" و"التحرر"، وهوما يؤسس حسب الليبراليين للمجتمع المتقدم والمزدهر. وبطبيعة الحال، يتطلب تغيير البنية الفكرية زرع أفكار جديدة ومغايرة لتلك التي تؤمن بها شعوب المنطقة التي تتميز عن غيرها بسيادة الثقافة العربية والإسلامية. ومن خلال تقرير التنمية البشرية الذي اعتمده المشروع كحجة لإثبات الحاجة لإحداث تغيير فكري، خلصت الولايات المتحدة الأمريكية ومجموعة الثماني إلى أن الإرهاب والتطرف ناتجان عن الثقافة والمعتقدات والأفكار الراهنة، وهوما يعني بذل الجهود لتغييرها بما يؤدي في النهاية إلى وضع حد لهذه الظواهر.

يرتبط هذا الموضوع بعدد من المصطلحات التي ستكون محل الاهتمام في هذا المبحث. سيتم التعبير عن محاولة نشر القناعة بالقيم الليبرالية باستخدام مفهوم "التذويت Internalization". وهو مصطلح موجود في علوم مختلفة، على رأسها البيولوجيا، علم النفس، العلاقات الدولية وتحديدا دراسات التكامل والاندماج الدولي.

سيتم التركيز في هذا الجزء على ماهية هذا المصطلح ودلالته في علم النفس وذلك بالتطرق إلى النظريات المختلفة التي تضمنت هذا المفهوم. ثم يتم الانتقال للبحث عن مكانته في مجال العلاقات الدولية، وهنا سيتم البحث استنادا إلى الاعتبارين التاليين:



## الفصل الثاني التدويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

أولاً-ارتباط مفهوم التدويت في عدة نظريات بمفهوم التفاعل الاجتماعي.

ثانياً- قيام مشروع الشرق الأوسط الكبير على تدويت قيم وأهداف جديدة واستدخالها في مجتمعات الشرق الأوسط الكبير .

ومنه، يصبح من الضروري تسليط الضوء على النظرية البنائية في العلاقات الدولية والتي تُعرف بتركيزها على التفاعل بين البنى والفواعل في تفسير السلوك الدولي. هذا إلى جانب نظريات التكامل والاندماج الدولي والتي تناولت إحداها هذا المفهوم في سياق البحث في دور النخب الخارجية في عمليات التكامل<sup>1</sup>.

وإضافة إلى ما سبق، يرتبط هذا المفهوم بعملية تحويل القيم الجديدة إلى قيم مألوفة وعادية. وهنا تبرز أهمية المقاربة النيوغرامشية في تفسيرها لكيفية حدوث هذه العملية.

وبناء عليه، سيتم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم التدويت ومكانته في علم النفس

المطلب الثاني: فهم التدويت في ضوء علم العلاقات الدولية

<sup>1</sup>- نصار الربيعي، مرجع سابق ذكره، ص 40

### المطلب الأول: مفهوم التذويت ومكانته في علم النفس

سيتم في هذا المطلب تحديد المقصود بكلمة "تذويت" ومحاولة التعرف على مقولات علم النفس حول هذه العملية.

#### الفرع الأول: تعريف التذويت

تعني كلمة "تذويت" Internalization بشكل عام "التطبع". وإذا استخدمت في المجال التعليمي فهي تعني "الاستدخال"، وفي المجال النفسي، هي تعني "الاستدماج في الذهن"<sup>1</sup>. وسننطلق في هذا الجزء من هذه المعاني الدالة على الكلمة كآلية معتمدة في مشروع الشرق الأوسط الكبير من أجل نشر الإيديولوجية الليبرالية بقيمها في الاتجاهين الكلاسيكي والجديد. ويعود ذلك إلى دلالات "التذويت" اللغوية والاصطلاحية، والتي تشير إلى أنها قبول أو امتصاص فكرة، رأي، معتقد... الخ بحيث يصبح ذلك جزءا من الشخصية<sup>2</sup>. هو تلك العملية التي يتم فيها جعل موقفا أو سلوكا ما جزءا من طبيعة الفرد<sup>3</sup>. باختصار، التذويت هو إدخال شيء ما في آخر ليصبح وكأنه أحد مكوناته. وبعبارة أخرى، إدخال "أ" في "ب" بطريقة يصبح معها "أ" وكأنه أحد المكونات الطبيعية والتي يُفترض أن تكون موجودة في "ب".

#### الفرع الثاني: معنى تذويت الثقافة

إن تذويت ثقافة معينة يعني وجود تأثيرات ثقافية تعمل ضمن الفرد وتشكل بنية شخصيته ومختلف مظاهر أدائها النفسي كالإدراك مثلا الذي يتأثر بالمعتقدات الثقافية التي تم تذويتها<sup>4</sup>. وبطبيعة الحال، تتأثر معرفة أي شخص بمحيطه وبالثقافة التي ينشأ فيها. ويقصد بالثقافة ذلك الجزء من المحيط الإنساني الذي صنعه البشر، وهي تنقسم إلى مكونات مادية وتشمل اللباس، الغذاء، الأدوات والآلات ومكونات

<sup>1</sup> - « Translation and Meaning of internalization in English Arabic Terms Dictionary »,

<https://www.almaany.com/en/dict/ar-en/internalization/>

05/03/2018 22 :59

<sup>2</sup> - « Meaning of "internalize" in the English Dictionary »,

<https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/internalize>

05/03/2018 23 :06

<sup>3</sup> - « Definition of internalize in English »,

<https://en.oxforddictionaries.com/definition/internalize>

05/03/2018 23 :21

<sup>4</sup> - David. Y. F. Ho (1995), « Internalized culture, culturocentrism, and transcendence », *Counseling Psychologist*, 23, No.1, p5.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

ذاتية وتشمل طريقة إدراك المحيط الاجتماعي<sup>1</sup>. وفكرة الثقافة المُذوّتة ليست جديدة، ويمكن إرجاعها إلى دراسة "هاري تريانديس" Harry C. Triandis عام 1972 حول الثقافة الذاتية والتي يمكن اعتبارها ثقافة مُذوّتة<sup>2</sup>.

وتشير الثقافة الذاتية إلى كيفية تصور وفهم الفواعل في ثقافات مختلفة لمظاهر معينة في محيطهم والثقافة الذاتية لفاعل ما تُفهم بأنها نظريته عن كيفية تنظيم بنية محيطه يتضمن ذلك ملاحظاته عن الآخرين، مواقفه، قيمه وما لا يعطيه قيمة<sup>3</sup>. وعندما يقوم شخص بتميط مجموعة ما فإنه لا يستجيب فقط لخصائص المجموعة التي يتم تميطها، ولكنه، يكشف أيضا عن الطريقة التي يفهم بها نفسه<sup>4</sup>.

التميط هو تصور جامد نسبيا أو مُفرط التبسيط أو متحيز لجانب من جوانب الواقع، خاصة لأشخاص أو جماعات اجتماعية. وهو يفترض شكلا متطرفا عندما يُنظر إلى مجموعة من الناس فقط على أساس عضويتهم في المجموعة؛ فيتم طمس الهويات الفردية<sup>5</sup>.

وعند تعريف الثقافة، تتم عادة الإشارة إلى التعريف الذي قدمه إدوارد بيرنت تايلور Edward Burnett Taylor عالم الأنثروبولوجيا الانجليزي كأول تعريف للثقافة في الأنثروبولوجيا، وعرفها بأنها ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة، الفن، الأخلاقيات، القانون، العادة، وكل القدرات والطباع التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع<sup>6</sup>.

ويتم تعريف الثقافة أيضا بأنها مجموعة من المعاني والمعلومات التي لا تنتقل جينيا من فرد إلى آخر، والتي يشترك فيها شعب أو جماعة بشكل أكثر أو أقل، وتستمر لبعض الأجيال. وفي هذا التعريف تمييز بين الثقافة والمجتمع، والذي هو عبارة عن مجموعة من الأفراد والجماعات، علاقاتهم ومؤسساتهم. الثقافة هي المعلومات والمعاني التي هي محتواه أو مُمثلة أو مُجسدة في هذه الأشياء أو البنى. المعلومة

<sup>1</sup> - Harry C. Triandis (2002), « Subjective Culture », <https://pdfs.semanticscholar.org/3ef1/7452b42ee68c5c72654817626e0b0eff80a5.pdf>

05/03/2018 23 :52

<sup>2</sup> - David. Y. F. Ho (1995), *Op.Cit*, p6

<sup>3</sup> - Harry C. Triandis, Vasso Vassiliou, « A comparative Analysis of Subjective Culture », *Technical Report No 55*, Urbana : Group Effectiveness Research Laboratory, October 1967, p 2.

<sup>4</sup> - *Ibid*, p4.

<sup>5</sup> - David. Y. F. Ho (1995), *Op.Cit*, p 7.

<sup>6</sup> - Edward Burnett Taylor, « Sir Edward B. Tylor's definition of culture », [https://ocw.mit.edu/courses/anthropology/21a-01-how-culture-works-fall-2012/readings/MIT21A\\_01F12\\_Sir\\_Edwrdr\\_cul.pdf](https://ocw.mit.edu/courses/anthropology/21a-01-how-culture-works-fall-2012/readings/MIT21A_01F12_Sir_Edwrdr_cul.pdf)

06/03/2018 02 :02

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

الثقافية هي مع ذلك تختلف عن المعلومة الجينية من حيث ميكانيزم الانتقال؛ تنتقل الأولى اجتماعيا بينما تنتقل الثانية جينيا<sup>1</sup>.

الثقافة أداة قوية من أجل البقاء، ولكنها هشة في نفس الوقت. هي تتغير باستمرار وتضيع بسهولة لأنها توجد فقط في عقولنا، لغاتنا المكتوبة، حكوماتنا، بناياتنا، والأشياء الأخرى التي صنعها الإنسان هي بالكاد منتجات الثقافة. إنها ليست الثقافة في حد ذاتها<sup>2</sup>.

إن التذويت هو تلك العملية التي يجد من خلالها الناس الحاجة النفسية أو الحافز للتكيف مع مجموعة من المعايير المشتركة. عندما يتم تذويت المعايير، سيوصف السلوك الذي ينم عن الالتزام بها بأنه جيد وملائم، وسيشعر الناس عادة بالذنب والعار بشأن احتمال انتهاج سلوك منحرف. وإذا كانت عملية التذويت ناجح، فإن العقوبات الخارجية لن تلعب دورا في إثارة المطابقة. وبما أن الأفراد محفزين للتكيف وجعل سلوكهم مطيعا ومطابقا، يتبع ذلك انسجام المعتقدات المعيارية والأفعال. ومن خلال التذويت والتنشئة الاجتماعية تتحدد أدوار الأفراد الذين يكون سلوكهم بحسبها والتي تحدد هوياتهم الذاتية وسلوكهم. وعندما يكون نظام القيم المشتركة ذو أولوية لدى الفاعل الاجتماعي ويقيده، فإن النزاع المحتمل بين الرغبات الفردية والأهداف الجماعية يمكن حله<sup>3</sup>. وتشمل نظرية بارسونز الافتراضات التالية:

- 1- ستتغير المعايير ببطء شديد فقط من خلال التفاعل الاجتماعي المكثف.
- 2- المعتقدات المعيارية هي مرتبطة إيجابا بالأفعال، عندما تتغير المعتقدات سيتغير السلوك.
- 3- إذا تم تذويت معيار معين بنجاح، لن يكون للتوقعات بمطابقة المعايير الأخرى تأثير على خيار الفرد بشأن التكيف<sup>4</sup>.

وسيتم لاحقا تبيان مكانة هذا المفهوم في علم النفس، لكن قبل ذلك تجدر الإشارة إلى ذلك الاختلاف الموجود في هذا العلم فيما يتعلق بعملية التعلم بين الاتجاهين السلوكي والمعرفي. يؤمن السلوكيون بأن

<sup>1</sup> - Yoshihisa Kashima, Michele J. Gelfand, A History of Culture in Psychology, <http://www.gelfand.umd.edu/kashimagelfandhistory.pdf>

06/03/2018 02:25

<sup>2</sup> - « What is Culture? »

[https://www2.palomar.edu/anthro/culture/culture\\_1.htm](https://www2.palomar.edu/anthro/culture/culture_1.htm)

06/03/2018 02:33

<sup>3</sup> - Bicchieri, Cristina and Muldoon, Ryan, "Social Norms",

<https://plato.stanford.edu/cgi-bin/encyclopedia/archinfo.cgi?entry=social-norms>

06/03/2018 02:46

<sup>4</sup> - Ibid.

ما يحدث على مستوى ذهنية المتعلم غير مهم في فهم محددات عملية التعلم، فهذا يشبه العلبة السوداء التي لن تقدم معارف مفيدة لتحقيق هذا الغرض. إنما المهم هو الظروف التي تجري فيها عملية التعلم والتي تؤثر بشكل أساسي عليها. وهوما يمكن التحقق منه من خلال عدد من المؤشرات، أهمها السلوك الملاحظ والذي يمكن أن يتغير بفعل عملية التعلم. أما مناصرو الاتجاه المعرفي، فيعتقدون بأن ما يهم فعليا هو ما يحدث في ذهن المتعلم سواء تجلى ذلك في سلوكه أم لا، وقامت أعمالهم على فكرة أن المتعلم يقوم ببناء معرفته<sup>1</sup>.

### الفرع الثالث: استخدام مصطلح التذويت في نظريات علم النفس

#### أ- نظرية Vygotsky:

لقد أصبح مصطلح التذويت شائع الاستخدام خلال نهاية السبعينات بفضل العمل الذي قدمه ليف سيمينوفيتش فيجوتسكي Lev Semenovich Vygotsky وتم نشره سنة 1978 "Mind in Society"<sup>2</sup>.

وُلد فيجوتسكي في بيلاروس عام 1896. نشأ في عائلة يهودية ثرية وتلقى تعليمه في موسكو. درس الطب ثم القانون، الفلسفة والتاريخ. وانتقل بعد ذلك إلى البحث في علم النفس بعد أن عمل كمعلم ثم مدربا للمعلمين. استمر مساره المهني كعالم نفس مدة 10 سنوات، وانتهى بوفاته عام 1934. يتضمن إنتاجه العلمي 100 عمل، تم نشر العديد منها وترجمتها إلى اللغة الانجليزية بعد وفاته<sup>3</sup>.

وبالنسبة لنظرية فيجوتسكي التعلم هو عملية اجتماعية، والتفاعل الاجتماعي يلعب دورا أساسيا في تطور الإدراك. وهو يرى بأن كل شيء يمكن تعلمه على مستويين: التفاعل مع الآخرين ثم الإدماج داخل البنية الذهنية للفرد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - Valdiodio Ndiaye, « Behaviorisme VS Cognitivism : Quelle Approche pour l'Apprentissage Humain ? », Education Scientifique, Université Cheikh Anta Diop, Sénégal, septembre 1997, vol.1 N1, p-p : 4-8

<sup>2</sup> - Tania Zittoun, Alex Gillespie, « Internalization : How Culture becomes Mind », Culture and Psychology, 21 (4), London School of Economics and Political Science, 2015, p478.

<sup>3</sup> - Rishab Kumar Mishra, « Vygotskian Perspective of Teaching-Learning », Innovation : International Journal of Applied Research, Volume-1, Issue-1, December 2013, p21.

<sup>4</sup> - « Vygotsky's Sociocultural Theory »,

<http://www.ceebl.manchester.ac.uk/events/archive/aligningcollaborativelearning/Vygotsky.pdf>

15/03/2018 21 :40

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

ولقد بين في عمله المعنون بـ "Mind in Society" بأنه يمكن وصف عملية التذويت من خلال ثلاثة تحولات:

- 1- تمثل هذه العملية نشاطا خارجيا بشكل مبدئي، تتم إعادة بنائه داخليا.
- 2- هي عملية تتم بين الشخصيات *Interpersonal* ثم تتحول إلى عملية تتم داخل الشخصية الواحدة *Intrapersonal*. وهي تحدث في البداية على المستوى الاجتماعي *Social level*، ثم بعد ذلك على المستوى الفردي *Individual level*.
- 3- ينطوي تذويت أشكال السلوك الثقافية على إعادة بناء النشاط النفسي على أساس الإشارات والرموز<sup>1</sup>.

ووفقا لمبدأ التذويت، يتم بناء الوظائف النفسية العليا انطلاقا من النشاطات الاجتماعية والمفاهيم الثقافية المتعلقة بهذه الأنشطة<sup>2</sup>.

ولقد توصل فيجوتسكي إلى هذه النتائج من خلال فحص نمو الطفل والطريقة التي تؤثر من خلال الثقافة والتواصل بين الشخصيات على توجيهه. لاحظ بان الوظائف الذهنية العليا تنمو تاريخيا ضمن مجموعات ثقافية معينة، وأيضا بشكل فردي من خلال التفاعلات الاجتماعية مع أشخاص لهم دور جوهري في حياة الطفل مثل الوالدين وكذلك الراشدين المتواجدين في محيطه. وهو يرى بأن الطفل يتعلم عادات العقل لثقافته بما فيها أنماط الكلام، اللغة المكتوبة، والمعرفة الرمزية الأخرى التي يستمد الطفل من خلالها المعنى والتي تؤثر على بناء الطفل لمعرفته الخاصة. ويشار غالبا إلى هذه الفكرة الرئيسية لعلم النفس الخاص بـ Vygotsky بـ "الوساطة الثقافية Cultural Mediation". والمعرفة الخاصة التي يكتسبها الأطفال من خلال هذه التفاعلات تمثل أيضا المعرفة المشتركة الخاصة بثقافة معينة، وهذا عبارة عن تذويت<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- Tania Zittoun, Alex Gillespie, *Op.Cit*, p 478.

<sup>2</sup>- Manfred Holodyski, « The Internalization Theory of Emotions : A Cultural Historical Approach to the Development of Emotions », *Mind, Culture and Activity*, Routledge Taylor and Francis Group, 20, 2013, p10.

<sup>3</sup>- Rishab Kumar Mishra, *Op.Cit*, p21.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

وبحسب هذه النظرية، يمكن فهم التذويت بأنه المعرفة بكيفية الفعل *le savoir faire* بحيث يتعرف الطفل على الأدوات الموجودة في مجتمعه، وهي أدوات خارجة عنه، ويتعلم كيفية استخدامها من خلال النشاطات التي يمارسها في هذا المجتمع. ولكن للتذويت مظهر آخر يسمى الاستيلاء Appropriation؛ ويعني ذلك استخدام الطفل لتلك الأدوات التي يمتلكها بطريقة الخاصة، فتذويت الاستخدام يسمح له باستخدام هذه الأدوات لتحقيق غاياته الخاصة وليس لتنفيذ ما كان يقوم به الآخرون في المجتمع عند استعمالهم لنفس هذه الأدوات<sup>1</sup>.

ويؤكد فيجوتسكي على أهمية المناقشة والمحاورة والتفاوض في عملية التعلم؛ فالى جانب الأنشطة الذاتية التي يقوم بها المتعلم في بناء معرفته، فإن هذه الأمور التي تعرف بالتفاعل الاجتماعي، تمكنه من إجراء تعديلات على ما يكونه من معان خاصة. وبعبارة أخرى، هو يرى بأن التفاعل الاجتماعي هو الذي يبني المعرفة<sup>2</sup>.

### ب- نظرية Jean Piaget:

وإضافة إلى ما سبق، يعتبر مفهوم التذويت (الاستيعاب، التمثل) مفهوما جوهريا في نظرية جان بياجيه Jean Piaget المعرفية، ويعرفه كالتالي:

" هو تلك العملية التي يستدخل فيها الفرد الأحداث الخارجية والخبرة، ويوحدها مع أنظمتها القائمة بالفعل. أو هو عملية تلقي الخبرات الجديدة والمدرجات الحسية بطريقة تكون متوافقة مع الفهم الحالي للعالم. أو هو عملية إدماج الموضوعات والخبرات الجديدة في المخططات العقلية القائمة"<sup>3</sup>

تكمن أهمية التذويت في كونه يسمح للفرد بالتكيف مع محيطه، وذلك لأنه يجعل الأفكار الجديدة والخبرات التي يكتسبها أفكارا مألوفة تلائم بنيته العقلية، حيث يتم استدخال ما هو موجود في البيئة في

<sup>1</sup> - Ibid.

<sup>2</sup> - حاج عبوشرفاوي، "علاقة البنية المعرفية الافتراضية بالبنية المعرفية الملاحظة دراسة تحليلية في ضوء نظرية بياجيه لدى عينة من طلبة المتوسطات والثانويات"، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس العام، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2011-2012، ص 25.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 120.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

نمط سلوكه. ويرتبط ذلك بعملية أساسية أخرى وهي "المواءمة" والتي تعبر عن عملية تعديل الفرد لبنيته العقلية لكي تتلاءم مع ما يكتسبه من خبرات جديدة ولكي يحقق تناسبا أفضل مع واقعه الخارجي. وترتكز عملية فهم العالم الخارجي بشكل أساسي على هاتين العمليتين<sup>1</sup>.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية كان من بين الأسباب التي أدت إلى تزايد الاهتمام الأكاديمي والرسمي وحتى الشعبي بعلم نفس الطفل، هو معرفة الأمريكيين بما قدمه جان بياجيه Jean Piaget في هذا المجال. وأصبحت لدى القائمين على تصميم المناهج الدراسية قناعة بأهمية هذه الأعمال وتم الاستناد عليها في وضع مناهج ملائمة لنمو عقل ونفسية الطفل في مختلف مراحل العمرية<sup>2</sup>.

وُلد بياجيه في سويسرا عام 1896 وتوفي سنة 1980. درس في طفولته العلوم الطبيعية، ونشر أول عمل له وهو في سن العاشرة. تميز باهتمامه بالإشكالات المتعلقة بالنمو والبحث في محفزات ومعوقات التنظيم البارز في كافة أشكال الحياة. وهو يرى بأن العقل يتعلم عندما يقوم ببناء المعنى نسبة لبنيته العقلية والمفاهيمية بشكل أحسن من القيام بذلك في محاولة للتكيف مع وتيرة تفكير شخص آخر. وهوما يتطلب تعديل هذه البنى وتكييفها لدمج وتذويت ما كان مجهولا في السابق<sup>3</sup>.

ويصف بياجيه نمو الذكاء بأنه عبارة عن مجموعة من المراحل المتتالية بدءا من الأفعال العملية إلى التمثلات والأفعال المستدخلة، ولا يمكن الانتقال إلى المرحلة التالية دون اكتساب المرحلة الأولى. ولكل مرحلة بنيتها التي تتألف من مجموعة من الاحتمالات الفكرية والتي ترتفع بالعوامل الإيديولوجية المتعلقة بنضج النظام العصبي والعوامل الاجتماعية وعملية التوازن النفسية بين المعلومات الموجودة في

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 120-121.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 9

<sup>3</sup> - Susan Mayer, « A Brief Biography of Jean Piaget », <http://gseacademic.harvard.edu/~hgsebio/presentations/A%20Brief%20Biography%20of%20Jean%20Piaget.pdf>

19/03/2018 14 :51

عرف عن بياجيه محاولته للبحث عن تفسير بيولوجي للمعرفة. وحين عجزت الفلسفة عن منحه الجواب على أسئلته اتجه إلى علم النفس. كما كان مهتما باختبارات الذكاء وطريقة تفكير الأطفال. حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم سنة 1918 من جامعة نيوشاتيل السويسرية. وفي 1919 قام بتدريس الفلسفة وعلم النفس في السوربون في باريس. وفي 1929 بدأ عمله كمدير للمكتب الدولي للتربية. وأصبح سنة 1940 مديرا لمخبر علم النفس ورئيسا للجمعية السويسرية لعلم النفس. وعند نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح رئيسا للجنة السويسرية في اليونسكو، أنظر:



## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

الذاكرة وتلك التي تأتي من البيئة المحيطة. والتذويت هو عملية أساسية في هذا الموضوع وهو عبارة عن استقبال المعلومات الجديدة ودمجها في بنى معرفية موجودة سابقا. ويرتبط هذا بعملية التكيف Accomodation والتي تعني تعديل البنى المعرفية لامتناس، فهم وتطبيق المعلومات الجديدة. وحسب بياجيه، فإن دور البيئة المحيطة يقتصر على تسريع النمو، وهذا الأخير يرتب بشكل أساسي بعملية بناء الموضوع محل التعلم<sup>1</sup>.

تمثل أفكار بياجيه تيارا أساسيا في المدرسة البنائية Constructivisme وله ما يجعله مختلفا عن التيار الآخر والذي يمثله فيجوتسكي. فالأول يعتبر عملية التعلم فردية بشكل أساسي، وهو ناتج عن التفاعل الدائم بين الفاعل والبيئة التي يتلاءم الفاعل معها باستخدام الاستيعاب والتكيف. ويعتقد بأن النمو يسبق المعرفة التي هي ترجمة لمعطيات التجربة من خلال البنى الموجودة سابقا. وتتكون المعرفة من خلال التفاعل بين المتعلم وما هو موجود في محيطه من ظواهر وأدوات<sup>2</sup>.

ويرى بياجيه بأن المعرفة لا تفرض نفسها، بل المتعلم هو الذي يكتشفها ويعمل على الحصول عليها ودمجها. وعندما تتصادم هذه المعرفة فكريا، فإن المتعلم يقوم بتعديلها لكي تتلاءم مع مخططاته الذهنية<sup>3</sup>.

أما الثاني (فيجوتسكي) فيركز على أهمية التفاعل الاجتماعي في بناء المعرفة، ويختلف مع بياجيه في اعتبار المعرفة لاحقة على النمو. يرى فيجوتسكي بأن التفاعل الاجتماعي يلعب دورا محوريا في النمو وتحديد نمو الإدراك؛ أي أن التعلم هو الذي يتحكم في النمو. غير أنه في كل منهما يتعلق الأمر بكون التعلم لا يتم التعامل معه كوصفة بل يجب أن يكون هناك تسهيل لهاته العملية حتى تكون أكثر فعالية، وذلك بحيث يتمثل دور المعلم في قيادة المتعلمين نحو بناء المعاني دون أن يفرض نمودجا معينا، وهو ما يتم عبر بناء محيط ايجابي يخدم العملية. إذن يفضل بياجيه أن يكتشف الفرد بنفسه المعرفة بينما يفضل فيجوتسكي أن يكون هناك وسيطا (الوساطة الثقافية) بحيث يتعلم الفرد من خلال

<sup>1</sup>- « Les apprentissages cognitifs chez les personnes en situation de handicap », <https://sharepoint1.umons.ac.be/FR/universite/partenaires/aio/Publications/dossier%20cognition.pdf>  
19/03/2018 16 :22

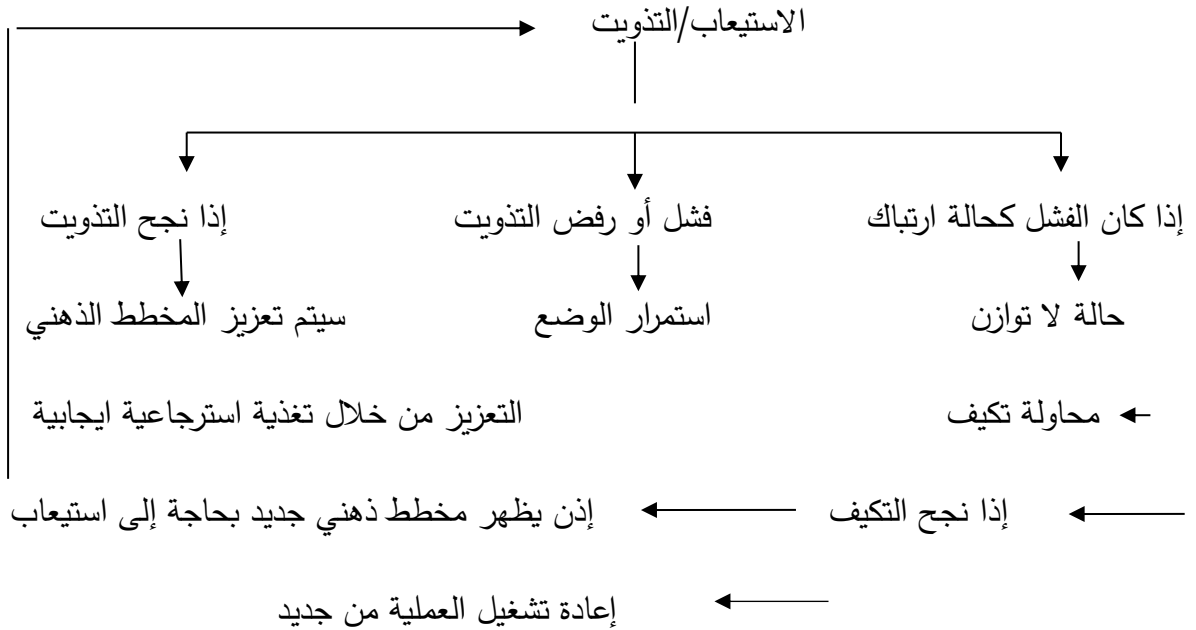
<sup>2</sup>- Marc Oddou, « Théories de L'apprentissage et Activités FLE », <http://www.moddou.com/public/theorie-activites-FLE-Marc-Oddou-BELC.pdf>  
19/03/2018 16 :35

<sup>3</sup>- Julien Da Costa, « Des Théories Educatrices à la Scénarisation Pédagogique », [http://tecfa.unige.ch/tecfa/maltt/VIP/Ressources/Support/Autre/theories\\_apprentissage.pdf](http://tecfa.unige.ch/tecfa/maltt/VIP/Ressources/Support/Autre/theories_apprentissage.pdf)  
19/03/2018 18 :56

## الفصل الثاني التدويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

نشاطات معينة يقوم بها في وجود تفاعل مع الآخرين أو تكون هي أصلا (أي تلك النشاطات) تتطلب تسويات اجتماعية<sup>1</sup>.

### مخطط يبين عملية التدويت والتكيف عند بياجيه (بتصرف)



**La Source :** Julien Da Costa, « Des Théories Educatrices à la Scénarisation Pédagogique »,

[http://tecfa.unige.ch/tecfa/malvt/VIP/Ressources/Support/Autre/theories\\_apprentissage.pdf](http://tecfa.unige.ch/tecfa/malvt/VIP/Ressources/Support/Autre/theories_apprentissage.pdf)

19/03/2018 18 :56

<sup>1</sup> - Marc Oddou, Op.Cit.

### المطلب الثاني: فهم التذويت على ضوء علم العلاقات الدولية

لم يقتصر الاهتمام بعملية التذويت على علم النفس من خلال بياجيه وفيجوتسكي فقط، بل احتل حيزاً في أبحاث حقل العلاقات الدولية، ويتم في هذا المطلب توضيح هذا المفهوم ضمن دراسات كل من أميتاي إيتزيوني، أنطونيوغرامشي والنظرية البنائية.

#### الفرع الأول: التذويت عند أميتاي إيتزيوني

جاء مفهوم التذويت ضمن نظرية التوحيد السياسي للمفكر أميتاي إيتزيوني Amitai Etzioni عندما تحدث عن طبيعة القوى التي تلعب دوراً جوهرياً في هذه العملية، ومن بينها قوى ذات علاقة بالهوية الاجتماعية بما تتضمنه من قيم وشعارات وطقوس سائدة في المجتمع ويمكن أن يتم الاستفادة منها لتحقيق التوحيد، هذا إلى جانب قوى أخرى كالجيش والشرطة والتي وصفها بالقسرية والقدرات الاقتصادية والفنية والإدارية ووصفها بالنعمية. وهو يعبر عن السيطرة التي تباشرها النخبة الداخلية على النظام عوضاً عن النخبة الخارجية بمصطلح "التذويت"، وهو يعتبر أن النخبة الخارجية ليست هي التي تتولى الدفاع عن عملية التوحيد بل النخبة الداخلية هي التي تقوم بذلك. وتوصل إلى أن النخبة الخارجية تلعب دوراً مهماً يتمثل في تشجيع التوحيد عندما تتطابق أهدافها مع أهداف النخبة الداخلية الرغبة في القيام بالتوحيد<sup>1</sup>.

ويستند إيتزيوني في هذه النتائج على الاختلاف بين الدور البريطاني في اتحاد الوسط انديز والدور الأمريكي في نشأة الاتحاد الأوروبي. في المثال الأول لم تكن بريطانيا مؤثرة بالشكل الذي يسمح ببناء اتحاد يعبر عن قوة بعض الدول فيه (جمايكا وترينداد)، أما في الثاني، فقد لعبت الولايات المتحدة الأمريكية كنخبة خارجية دوراً في دعم ألمانيا لخلق نخبة داخلية ملائمة<sup>2</sup>. وتتمثل أهمية التذويت في دراسات التكامل وفقاً للمثاليين السابقين في المنطق التالي:

<sup>1</sup> - جيمس دويرتي، روبرت بالاستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي، الكويت:

كازمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 1985، ص 280

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، المكان نفسه.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

" كلما اتسع نطاق ومستوى التكامل كلما زادت النخب الداخلية من تذويت الوظائف والمهام التي تقوم بها النخب الخارجية، ولكن المشكلة في اتحاد الوسط انديز هي فشل الاتحاد بشكل جزئي في عدم قدرة أو عدم رغبة النخبة الداخلية في القيام بالمهام التي كانت موكلة للنخبة الخارجية -بريطانيا- على عكس ما حدث في أوروبا حيث أصبحت النخب الداخلية هي المحرك الرئيسي -الولايات المتحدة الأمريكية- نحو الوحدة"<sup>1</sup>

ويحدد اتزيوني ثلاث شروط لكي يكون التذويت محفزا وليس عائقا نحو الوحدة، وتتمثل في:

- 1- أن تكون المؤسسات القائمة على الوحدة هي المسؤولة عن إدارة الوظائف المذوتة وليس الأطراف الأعضاء.
- 2- أن تتناسب مكاسب الأعضاء مقارنة ببعضهم البعض، فإذا كانت غير متناسبة فإن ذلك يزيد من حدة الطرف المعارض للتذويت.
- 3- أن يكون التذويت متوازنا بين القطاعات العسكرية والقطاعات الاقتصادية<sup>2</sup>.

ومن جهة ثانية، تميز أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci بسؤال مهم طرحه بشأن أسباب نجاح الثورة العمالية من خلال مقارنته بين ما حدث في روسيا وفشل الثورة في أوروبا. طرح غرامشي السؤال التالي:

"لماذا ما أمكن تحقيقه في روسيا عام 1917، أي الثورة العمالية، قد فشل في كل مكان آخر؟ وكيف حدث أن الحركة، في تلك الحقبة، قد تفككت في سائر الدول الأوروبية، في ألمانيا والمجر كما في إيطاليا زمن "مجلس تورينو"، في وقت كان العمال في شمال البلاد قد احتلوا المصانع لعدة أشهر في عامي 1919-1920؟"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 281.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، المكان نفسه.

<sup>3</sup> - رازميك كوشيان، "أنطونيو غرامشي، فكر أصبح عالما"، القيس Monde Diplomatique، السنة السادسة، العدد 7، يوليو 2012، ص 46.

ولد غرامشي سنة 1891 وتوفي سنة 1937. وماركسي ايطالي ومنظر اجتماعي. انضم إلى الحزب الاشتراكي سنة 1913، وأصبح الأمين العام للحزب الشيوعي الايطالي عام 1921. تم انتخابه في البرلمان الايطالي سنة 1924، لكن

### الفرع الثاني: التذويت وفق مقارنة أنطونيوغرامشي

ويشرح رازميك كوشيان الفكرة التي توصل لها غرامشي كإجابة على السؤال الذي طرحه، موضحاً إياها بما حدث في الدول العربية من احتجاجات وإطاحة لبعض الأنظمة السياسية. ويقول بأن البعد الثقافي ضروري جداً ويجب أن يكون موجوداً في نضال الطبقات الثائرة. ولقد أكد غرامشي على أن الهيمنة تقوم بشكل أساسي على القوة والرضا. فتراجع مقدار الرضا يسمح بالإطاحة بالسلطة الموجودة<sup>1</sup>. ويضيف بأن الهيمنة واستمراريتها يتوقفان على مدى قدرة القائمين على الهيمنة على إقناع الخاضعين لهم بأنها تخدم مصلحتهم وإن لم يكن ذلك بشكل كلي<sup>2</sup>.

توصل غرامشي إلى أن نظام الطبقة الرأسمالية لا يستند فقط على غياب المساواة في القوة الاقتصادية والسياسية، بل على هيمنة أفكار ونظريات البرجوازيين. وتشير الهيمنة الإيديولوجية إلى القدرة على الحلول محل الأفكار المنافسة، والتحول إلى أفكار ذات معنى عام مقبول في الفترة التي تتصاعد فيها قوتها. ويقول غرامشي بأن هذه الإيديولوجية تكون مُجسّدة في كل مستوى من مستويات المجتمع: الفنون، الأدب، نظام التعليم والإعلام، وكذلك في اللغة المستخدمة يومياً والثقافة الشعبية. وهو يؤكد بأن تحدي هذه الهيمنة يجب أن يبدأ من المستوى الفكري والثقافي، من خلال أفكار تنافس أفكار الطبقة البرجوازية والقيم التي تدافع عنها<sup>3</sup>.

وتتلخص فكرة غرامشي في أن هيمنة الطبقة الحاكمة في المجتمع هي التي تؤدي إلى خضوع طرف معين إلى آخر. فالجماعة المهيمنة لها قيمها الأخلاقية والسياسية والثقافية التي تنتشر بفعل الهيمنة في المجتمع، وتصبح مقبولة من طرف الجماعات المختلفة فيه. ومع مرور الزمن، تترسب هذه

---

موسولينى قام بسجنه سنة 1926 وبقي كذلك إلى غاية وفاته. في عمله الذي يحمل عنوان "دفاتر السجن" والذي كتبه في الفترة الممتدة من 1929 إلى 1935، حاول استدرارك النتيجة التي توصل إليها ماركس والذي ركز على العوامل المادية والاقتصادية. ومن خلال مفهوم الهيمنة، ركز غرامشي على الصراع الثقافي والسياسي. أنظر:

<sup>1</sup> - رازميك كوشيان، مرجع سبق ذكره، ص 46.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 47

<sup>3</sup> - Andrew Heywood, Op.Cit, p7.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

القيم في المجتمع من خلال مؤسسات المجتمع المدني، الإعلام ونظام التربية. وتصبح هذه القيم بمثابة ما يشكل المعنى العام في المجتمع Common Sense<sup>1</sup>.

وقام روبرت دبليوكوكس Robert w. Cox بتكييف فكر أنطونيوغرامشي مع دراسة الاقتصاد العالمي المعاصر، وعمد إلى تحليل دور القوى الاجتماعية في صنع التاريخ. وارتكز مفهوم الهيمنة عنده على مفهوم بنيوي للقوة يتمثل في ربط نجاح الاستقرار الذي يعرفه دستور نظام معين بتصنيع الانسجام بين الأفكار المهيمنة، المؤسسات والقدرات المادية. وهو يقول بأن كل بنية هي نتاج التفاعل بين الأفكار، المؤسسات والقدرات المادية. وعندما تتحقق الهيمنة، يلاحظ بأن أولئك الذين يتحكمون في المؤسسات لا يعمدون إلى استخدام القوة طالما يوجد لدى المحكومين قبولاً بعلاقة القوة على أنها علاقة شرعية، فالهيمنة تكون بشكل ضمني. ويضيف روبرت كوكس بان هذا الإذعان يتعزز إذا كان الحكام يقدمون ما يقدمونه على شكل تنازلات ومنح للمهيمن عليهم، وعبروا عن قيادتهم من خلال الترويج بأنها تصب في المصلحة العامة وهي مصلحة عالمية. وهو بذلك، يركز على أن قوى الهيمنة تستخدم القدرات المادية، وكذلك تطوير الصور العالمية الجماعية وعدد من المؤسسات التي تدعي العالمية. وهو يفسر نظام الهيمنة العالمية بكونها تعبر عن توسع لهيمنة طبقة اجتماعية داخلية باستخدام الثقافة والمؤسسات الاجتماعية التي تخترق كل الدول<sup>2</sup>.

واعتبر روبرت كوكس بان بواذر ظهور نظام للهيمنة تتجلى في قيام تكتل تاريخي منتظم حول مجموعة من الأفكار المهيمنة والتي تتحالف بموجبها الطبقات الاجتماعية وتكون مقبولة من طرف الطبقات التابعة. ويتوقف نجاح هذا التكتل على مدى تنظيمه سياسياً - حسب روبرت كوكس- من خلال ممارسة قيادة ثقافية وأخلاقية وتشكيل رابط عضوي بعيد المدى بين المجتمع المدني والسياسي، على أن تكون هذه الأفكار مُقنعة وأن يكون لدى المهيمنين حجج قوية. ولكي تستقر علاقات القوة القائمة، يجب أن تكون هناك حكومة للدولة، إضافة إلى شمولها على مظاهر المجتمع المدني، الصحافة، الكنيسة

<sup>1</sup> - عامر مصباح، نظرية العلاقات الدولية الحوارات النظرية الكبرى، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2009، ص 159  
<sup>2</sup> - Peter Burnham, « Neo-Gramscian Hegemony and the International Order », Capital and Class, 45 (1), october 1991, p75.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

والثقافة الشعبية. إذن على الدولة أن تتضمن آلة الإكراه وآلة أخرى لتنظيم القبول. ويرتبط نجاح التكتل بإقناع الطبقات العاملة بقبول سياق مؤسسي جديد والقيم المرتبطة به بأنها شرعية<sup>1</sup>.

وتطبيقاً على السياسة الخارجية الأمريكية، تتجلى الأفكار السابقة الذكر في محاولة الولايات المتحدة الأمريكية لفرض المضمون الفكري لسياستها الخارجية، والذي ينتمي إلى الإيديولوجية الليبرالية وما تنطوي عليه من رؤى سياسية واقتصادية. ولأجل ذلك، بدأت منذ نهاية الحرب الباردة وتفكك المعسكر الاشتراكي في العمل على خلق بيئة ملائمة لعرض أفكار هذا الإيديولوجية. ولتحقيق هذا الهدف، قامت بالترويج للإيديولوجية الليبرالية من خلال ربطها بالبعد الإنساني وإمكانية تطبيقها على المستوى الكوني، وبأن أفكارها ومبادئها هي التي يمكن بواسطتها فك العزلة الثقافية عن المجتمعات وتحريرها بشكل كامل عبر دفعها نحو الانفتاح. فهي تعتقد بان الليبرالية هي آخر ملجأ للإنسانية، وليس هناك ملاذ آخر بعد الانتصار الذي حققته على الإيديولوجيات الأخرى. وضمن هذا الاتجاه، هي تعمل على إقصاء الثقافات الأخرى أو تغييرها عبر الهيمنة<sup>2</sup>. وفي هذا الصدد، يقول جلين فيشر Glen Fisher:

"...أن هناك حاجة إلى الحذر من أولئك الذين يدعون العالمية لمعتقدات معينة يفكر بها البشر أو يعبرون بها عن مشاعرهم. فلئن كان كل البشر متماثلين أساساً في تركيبهم الجسماني، ويشتركون في الاحتياجات الأساسية والقدرات العامة،... فإن التماثل المفترض في الطبيعة البشرية يتبدد فيما يتعلق بالحالات الذهنية وعادات الإدراك... ودراسات الثقافة والشخصية التي أجراها الأنثروبولوجيون أثبتت وجود اختلافات صارخة في الجوانب الأساسية للوجود البشري: النظرة الكونية، والأخلاق، ومعنى الموت، والأدوار داخل الأسرة، والحكم الرشيد"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - Ibid, p-p : 76-77

<sup>2</sup> - حيدر علي حسين، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ومستقبل النظام الدولي، عمان: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص-ص: 45-59

<sup>3</sup> - جلين فيشر، دور الثقافة والإدراك في العلاقات الدولية، ترجمة أسعد حلیم، القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ط1، 2004، ص47.

### الفرع الثالث: التذويت وفق النظرية البنائية

وعلى صعيد آخر، تميزت النظرية البنائية في العلاقات الدولية بتركيزها على التفاعل الاجتماعي كمحدد للمصالح والهويات ومنها للسلوك. ويتشكل هذا الأخير بفعل تأثير الثقافة والقيم والسياق الذي تتشكل فيه قواعد وأعراف التعامل. والهوية هي ما يوجد في الذات ولا يوجد في الآخر، هي الحد الفاصل بين "نحن" و"الآخرين". وهي تتشكل من خلال التواصل الاجتماعي والتفاعل. ويبنى السلوك على أساس مجموعة من المبادئ قائمة بدورها على خلفية التجربة الذهنية والتاريخية والثقافية. هذه الخلفية تخلقها إلى حد كبير المبادئ، الأساطير والمعتقدات الموجودة في كل مجتمع، وهي التي تحدد مقدار قوة العنف والشر في المجتمع. ويعتبر البنائيون بأن الكيفية وطبيعة إدراك الأفراد لمحيطهم ومعتقداتهم وإطار العمل الذهني الخاص بهم هو الذي يحدد سلوكهم وليس الواقع الذي يوجد خارجهم. ويلعب إدراك الذات دورا في تشكيل ردود الأفعال تجاه عدة مواضيع<sup>1</sup>.

ويؤمن البنائيون بأن معتقدات النخبة والهويات والمعايير الاجتماعية هي التي تشكل سلوك الدولة، والأفكار والممارسات هي التي يقوم الأفراد من خلالها بصياغة وتشكيل وتغيير الثقافة. والفرد، الدولة والمصالح هي أمور متغيرة وليست ثابتة، وتبنى اجتماعيا من خلال التفاعل. وإذا أراد الباحث تفسير أو التنبؤ بسلوك الدولة، عليه أن يتعرف على الثقافة والمعايير والإجراءات والأحكام والممارسات الاجتماعية التي تشكل البنى القائمة والفواعل<sup>2</sup>.

ويعتبر التفاعل الاجتماعي عند البنائيين أساس تشكيل الدول والمجتمعات والعالم، وتتم صناعة المجتمع من طرف أفراد، وهو بدوره يعمل على تشكيلهم أيضا. وذلك لأن العلاقات الاجتماعية وما تتضمنه من أفعال وأقوال وقواعد وطريقة معينة في استخدام ما هو متاح من موارد، هو الذي يدفع إلى منح العالم شكلا معينا. والقيم والقواعد السائدة هي التي تحدد الأهداف ونمط سلوك الفواعل المختلفة<sup>3</sup>. وبعبارة أخرى، تقوم التفاعلات بشكل جوهري على القيم والقواعد المعتمدة والمؤسسات. وهي العناصر

<sup>1</sup> - Hamed Mohagheghnia, Ali Latifinia, « A Constructivist Approach into the Emergence of the Terrorism in the Middle East », *International Journal of Scientific Study*, July 2017, Vol 5, Issue 4, p-p : 189-191.

<sup>2</sup> - كارين أ. منغست، إيفان م. أريغوين، مبادئ العلاقات الدولية، ترجمة حسام الدين خضور، دمشق: دار الفرق،

ط1، 2013، ص 133.

<sup>3</sup> - خالد المصري، "النظرية البنائية في العلاقات الدولية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 30،

العدد الثاني، 2004، ص-ص: 318-319



## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

المسئولة عن خلق البيئة الاجتماعية. وما ينطبق على التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، ينطبق كذلك على التفاعل بين الدول؛ وهو تفاعل يخلق مجتمعا تكون فيه القيم هي أساس بنيته<sup>1</sup>.

ويعتبر السبيل المؤدي إلى اكتشاف الحقيقة الاجتماعية عند البنائين، هو ذلك الذي يعتمد على مناقشة القيم والدور الذي تلعبه الإيديولوجيات في صياغة الهويات. كما أن فهم طبيعة الأفكار واتجاهاتها هو الذي يسمح بتفسير أي حدث أو تطور<sup>2</sup>.

واعتمادا على ما سبق، التذويت هو عملية يتم من خلالها إدخال الأشياء في تركيبة أشياء أخرى لتصبح بذلك أحد مكوناتها. وتم الاعتماد في هذا المبحث على أن هذه العملية تتم في سياق اجتماعي وثقافي معين يساعد على نجاحها. وقد تم التوصل إلى الاستنتاجات التالية:

أولا: وفقا للمفاهيم التي سبق ذكرها عن هذه الآلية، وبحسب الأدوات التي تضمنها مشروع الشرق الأوسط الكبير، يمكن التأكيد على أن التذويت هو آلية التنفيذ الأساسية.

ثانيا: بما أن المشروع يتعلق بالقيم، فإنه، ووفقا لنظريات ومقاربات مختلفة في حقل العلاقات الدولية، هناك محاولة لتذويت قيم معينة لدى شعوب المنطقة. وهذا اعتمادا على مقولات وأفكار المقاربة الغرامشية والنيوغرامشية واللذان تركزان على استخدام القيم لتدعيم وضعية معينة في النظام. إلى جانب النظرية البنائية التي تعتبر أن التفاعل الاجتماعي أساس تكوين ونشر وتثبيت القيم.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 333

<sup>2</sup> - خالد حامد شنيكات، غالب عبد عربيات، "التنبؤ في العلاقات الدولية دراسة في الأدبيات النظرية"، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 39، العدد 3، 2012، ص-ص: 611-612

### المبحث الثاني: تذويت وشرعنة القيم الليبرالية والنيوليبرالية

تضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير أهداف تدفع بالدول المستهدفة نحو التحول إلى دول ليبرالية، فهو مشروع نص على ضرورة تبني هذه الدول للديمقراطية كنظام حكم سياسي، والسوق الحرة وحرية التجارة والخصخصة كنظام اقتصادي، إلى جانب ضمان الحريات الفردية وحقوق الفئات المختلفة في المجتمع وعلى رأسها المرأة والطفل كنظام اجتماعي. وهذا يمثل القيم التي تطمح الولايات المتحدة الأمريكية ومجموعة الثماني نحو تذويتها وإثبات شرعية المرفوض منها على مستوى شعوب المنطقة.

تشكل الفكر الليبرالي بناء على جهود مجموعة من الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، والذين قدموا جملة من الأفكار التي اعتبروها دليلاً يمكن الاعتماد عليه في صناعة السياسة الاجتماعية. وأصبح أطروحة تخاطب أي إنسان في العالم لتمنحه مقترحاتها بشأن السلوك الأمثل في الحياة. ومن بين الانتقادات التي تم توجيهها لهذا الفكر هي التركيز على الوجه المادي والخارجي للحياة، وإهمال أهمية الجانب الروحي والداخلي في تحقيق السعادة للإنسان، وهو ما لا توفره الماديات عند تجاهل الاحتياجات الروحية وغياب ما يُمكن الإنسان من تحقيق تطلعاته العميقة والنبيلة في الحياة. وفي هذا الشأن، يرد الليبراليون قائلين بأن أصحاب هذا الرأي هم أنفسهم لديهم مفهوم مادي عن تلك التطلعات، ويؤكدون على أن توفير السعادة ليس من أهداف السياسة الاجتماعية التي تسعى بشكل أساسي إلى تمكين الإنسان من فرص الحصول على الثروة ومساعدته على مواجهة الأسباب الخارجية للمعاناة. وهم يؤكدون على أن الأغراض النبيلة والمثل العليا هي شأن داخلي، ولا يوجد أي سياسة أو تنظيم اجتماعي بإمكانه بلوغ ذلك المجال الذي لا تتحقق فيه الثروة من العالم الخارجي بل من داخل وفي قلب البشر<sup>1</sup>. وبعد 1989، أصبحت الإيديولوجية الليبرالية أفضل نظام سياسي، وفرضت نفسها مهيمنة بواسطة عدد من القناعات كأسلوب أمثل للتفكير والاعتقاد بعدم فعالية الأساليب الأخرى البديلة. وهذا يؤدي بوضوح إلى سيادة طريقة واحدة في التفكير، والذي يصبح فكراً شرعياً بفعل التكرار<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>-Ludwing Von Mises, *Liberalism in the Classical Tradition*, Translated by Ralph Raico, NewYork : The Foundation for Economic Education Inc, 3rd Edition, 1985, p-p : 2-4.

<sup>2</sup>- Isabel David, « Rethinking Liberal Democracy : Prelude to Totalitarianism », *Journal of Liberty and International Affairs*, Vol.1, No.1, 2015, p1.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

ويوضح مارك بلاتنر Marc f.Plattner الفرق بين الليبرالية والديمقراطية. الديمقراطية تعني حكم الشعب وتختلف عن الحكم الملكي والأرستقراطي والأوليغارشي. النوع الأول من الحكم يعني حكم شخص واحد، والثاني يعني حكم الأفضل بينما الثالث فهو يقوم على حكم الأقلية. ويعتبر انتخاب الممثلين السياسيين الميكانيزم الأساسي الذي يقوم عليه الحكم الديمقراطي ويمارس بواسطته الشعب الحكم، وهذا نظرا لاستحالة تطبيق الديمقراطية المباشرة في العالم المعاصر ذو الدول الكبيرة الحجم والقوة. وباتت الانتخابات التي تعبر عن الأغلبية مظهرا من مظاهر الديمقراطية الليبرالية المعاصرة. ولكن كلمة ليبرالية لا تعني "من يحكم؟" بل "كيف تتم ممارسة هذا الحكم؟". تعني الليبرالية أن تكون سلطات الحكومة محدودة وكذلك أنماط سلوكها. ويعتبر الدستور هو الوسيلة التي تحقق هذا الغرض. ولكن في حقيقة الأمر، ليس الدستور هو الذي يضع حدودا على تصرفات الحكومة بشكل مباشر، بل سمو حقوق الأفراد، بما يتضمن حماية حياتهم الخاصة واحترام تعددية وتنوع الغايات التي يريدون تحقيقها في بحثهم عن السعادة<sup>1</sup>.

وتؤدي الديمقراطية إلى الليبرالية في المسائل السياسية، وإلى الرأسمالية في المسائل الاقتصادية. ويلاحظ بأن تطور الديمقراطية الليبرالية تاريخيا مر بثلاث مراحل:

- ◀ مرحلة القرون الوسطى وما قبل القرن الثامن عشر وهي مرحلة مبكرة من مراحل الديمقراطية الليبرالية. شهدت الإعلان عن حقوق الإنسان والمواطن سنة 1789، والذي يعتبر الوثيقة الأساسية لدى الليبرالية وحقوق الإنسان.
- ◀ مرحلة تحولت فيها الإمبراطورية البريطانية إلى مختبر للديمقراطية الليبرالية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.
- ◀ ظهور العديد من الديمقراطيات الليبرالية وإعلانها دعم اعتماد الدساتير، إجراء الانتخابات الحرة والنزيهة، والمجتمع التعددي، حماية حقوق الأفراد والأقليات لضمان الحرية ووضع حدود لسلطات الحكومات وإخضاعها لحكم القانون. وهو ما شهده القرن العشرون وبداية القرن الواحد والعشرون، حيث تزامن الحكم الديمقراطي (حكم الأغلبية) مع حماية حقوق الإنسان. ولقد أصبحت الديمقراطية الحديثة عبارة عن نظام هجين مكون من ضمان

<sup>1</sup> - Marc f.Plattner, « Liberalism and Democracy Can't Have One Without the Other », *Foreign Affairs*, Volume 77, No,2, p 172.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

سيادة الشعب والحفاظ عليه كمصدر للسلطة، وفي الوقت عينه، الحرص على عدم انتهاك حقوق الأفراد أو الأقليات عبر وضع حد لحكم الأغلبية<sup>1</sup>.

وبشكل عام، لا يوجد تعريف واحد للديمقراطية الليبرالية، غير أنه يستخدم من طرف علماء السياسة للإشارة إلى وجود الاقتراع العام، مبدأ الفصل بين السلطات، حكم القانون، قبول أحزاب معارضة، قوة الطبقة الوسطى وازدهار المجتمع المدني<sup>2</sup>. كما أن هناك مجموعة من القناعات حول فعالية الديمقراطية الليبرالية، ومن بينها:

- الربط بين الديمقراطية والرفاهية الاقتصادية والحرية.
  - معاناة الديمقراطيات الليبرالية من الفساد بشكل أقل من باقي الأنظمة السياسية بفعل وجود وسائل فعالة لاحتواء الفساد كحرية تبادل المعلومات وحرية الإعلام. إضافة إلى وجود أزمات في الدول غير الديمقراطية كالمجاعة وأزمة اللاجئين في حين تغيب في البلدان الديمقراطية.
  - فعالية إدارة المصالح العامة في الدول الديمقراطية الليبرالية مقارنة بالأنظمة الدكتاتورية<sup>3</sup>.
- سيتم من خلال هذا المبحث التعرف على الإيديولوجية الليبرالية وتحديد القيم الليبرالية التي تناولها مشروع الشرق الأوسط الكبير، وسيكون ذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الحرية الفردية كقيمة أساسية في الإيديولوجية الليبرالية

المطلب الثاني: العقلانية الاقتصادية كقيمة أساسية في الإيديولوجية النيولبرالية

<sup>1</sup>- Anton M, « The Future of Liberal Democracy », Journal of Political Sciences and Public Affairs, Volume 5, Issue 2, 2017, p1

<sup>2</sup>- Fraser Cameron, « Global Economic Governance in Asia : Through the Looking Glass of the European Sovereign Debt Crisis », <http://lkyspp2.nus.edu.sg/cag/wp-content/uploads/sites/5/2013/07/Is-Liberal-Democracy-the-best-form-of-Government-to-produce-Public-Goods-by-Fraser-Cameron.pdf>

02/04/2018 21 :21

<sup>3</sup>- Ibid.

### المطلب الأول: الحرية الفردية كقيمة أساسية في الإيديولوجية الليبرالية

يتكون الفكر الليبرالي من أطروحات مختلفة، تحتوي عددا من الحلول ومبادئ إدارة الحياة السياسية والاقتصادية. ولكن هي بشكل أعمق لا تعبر عن كيفية التحرر من دكتاتورية الدولة، بل هي في الأساس تعبير عن رغبة في التحرر من القيم المألوفة والمعروفة والمؤسسة تقليديا، من خلال الإيقاع بها، ثم تدميرها. فالقيم تتحول وفق هذا المنطق إلى سلع اجتماعية ليست ذات أهمية في حد ذاتها، بل هي موجودة كغيرها من السلع تتغير باستمرار نسبة للعلاقات الاجتماعية والتجارة. ويبدأ انهيار الثقافة (الغربية تحديدا) عند غياب المشروعية؛ سواء بانتهاك الحكومات للقانون أو التشكيك في مصدر هذا الأخير وجعله موضع تساؤل<sup>1</sup>.

### الفرع الأول: الفرد أساس المجتمع

تُعرف الليبرالية الكلاسيكية بمنحها الأولوية للحرية الفردية في حياته السياسية والاقتصادية. ويؤمن الليبراليون الكلاسيك بوجود تعظيم حرية الفرد والاعتراف بحقه في اختيار أسلوب حياته، بشأن القيود الممكن فرضها على هذه الحرية فيعتقدون بأنها يجب أن تكون بأقل قدر ممكن مع وجود مبررات قوية وإيجابية لفعل ذلك<sup>2</sup>.

تقوم الليبرالية على اعتبار الفرد هو أساس المجتمع، وتحكم على فعالية النظام الاجتماعي من الناحية القيمية بناء على مدى التقاف هذا النظام حول الفرد. وهي تعتبر بأن دور المجتمع هو السماح للفرد ببلوغ أقصى مرحلة تسمح له قوته بالوصول إليها إذا كانت لديه رغبة في ذلك، والليبراليون مقتنعون بأن على المجتمع أن يمنح الأفراد أكبر قدر ممكن من الحرية لأن هذه الطريقة المثلى لكي يتمكنوا من استغلال قدراتهم وتحقيق طموحاتهم<sup>3</sup>.

من الرواد الأوائل للفكر الليبرالي جون Lock، آدم سميث Adam Smith وجون ستوارت

مل John.Stuart Mill، ايمانويل كانت Emmanuel Kant وديفيد هيوم David Hume:

<sup>1</sup>- Isabel David, *Op.Cit*, p5.

<sup>2</sup> - Eamonn Butler, *Classical Liberalism-A Primer*, Great Britain : The Institute of Economic Affairs, 2015, p3.

<sup>3</sup> - Ronald Chau, « Liberalism : a Political Philosophy », <https://www.mannkal.org/downloads/scholars/liberalism.pdf>  
20/03/2018 20 :00

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

- دافع جون لوك عن الحقوق الطبيعية ويقول بأنها ليست فطرية، بل وعبر العقل ومن خلال التجارب يمكن اكتشافها.

والمتعة والألم هما اللذان يحددان سلوك الإنسان، ويمكن من خلالهما تحديد الخير وفق ما يجلب المتعة، والشر وفق ما يجلب الألم. والإنسان الذي يختار الالتزام بالفضيلة، هو لا يقوم بذلك لأنه مجبول عليها فطريا، بل هي مُريحة له.

- يرى آدم سميث بأن المصلحة الخاصة اعتمادا على ما يحقق المنفعة هي التي تحدد سلوك

الإنسان، وأيضا الحكومة. كما يعتبر أن الفرد هو أفضل من يحكم ويحدد ما ينفعه لأنه عقلاني، ولكل إنسان أخلاق خاصة. ويرى آدم بان العقوبات شر، لا يمكن قبولها إلا إذا كانت قادرة على إقصاء قدر كبير من الشر.

- أما جون ستوارت مل فيرى بأن السعادة هي الهدف الأسمى لكل المسائل الأخلاقية، وهي

أكثر الأهداف أهمية وأكثر ما يرغب فيه الإنسان. ويرى بأن الحرية هي المنبع المخلص للتقدم، ولا يحق للحكومة أن تتدخل في حياة الشخص عندما يتعلق الأمر بأسلوب حياته الخاص وآرائه حتى لو كانت مبرراتها في التدخل أخلاقية.

- يرى ايمانويل كانت أن الإنسان لا يحتاج إلى دين لكي يحدد التصرفات الصائبة والأخرى الخاطئة. فلكل فرد عقل

وبموجب الفطرة والحرية يستطيع أن يحدد بواسطته ما يجب فعله. ويساعده على ذلك ما يعتبره العقلانيون الآخرون في مجتمعه تصرفا جيدا ومرغوبا فيه.

- يركز ديفيد هيوم على طبيعة المشاعر التي تبرز عند القيام بأي فعل كمحدد للخير والشر، فإذا كانت المشاعر جيدة،

يدرك الإنسان بأنه يقوم بفعل أخلاقي، وإذا كانت المشاعر سيئة يدرك بأن سلوكه غير أخلاقي<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - Isabel David, *Op.Cit*, p-p : 2-3

### الفرع الثاني: تعزيز حرية الفرد

وتعتبر الرغبة في تعزيز حرية الفرد عاملاً مشتركاً في الجهود الفكرية التي قام بها الليبراليون. وتمثل هدفهم الأساسي في تحول المجتمعات إلى مجتمعات حرة يستطيع فيها الناس التعبير عن أفكارهم ومصالحهم بحرية في ظل القدر الأدنى من التدخل. ويشترك كذلك الليبراليون في كونهم يسعون إلى الإجابة على نفس الأسئلة: ما معنى الحرية؟ ما هي العناصر الواجب توفرها ليكون المجتمع حراً؟ ما هي الطريقة الأفضل التي تسمح بتعزيز الحرية في المجتمع؟. ولقد اختلف الليبراليون من حيث الأجوبة التي قدموها على الأسئلة السالفة الذكر، وظهرت بالنتيجة عدة اتجاهات لكل منها رؤيتها الخاصة في مفهوم الحرية ودور الحكومات والدول وكيفية تعزيز حرية الأفراد<sup>1</sup>. وينبع دفاعهم عن الحرية انطلاقاً من القناعات التالية:

- الأفراد (إناث وذكور) بطبيعتهم عقلائيون،
- لدى كل الأفراد القدرة على التصرف بحرية،
- الحرية هي تحرر الفرد من كل الصعوبات التي تعيق سعيه نحو تحقيق أهدافه (قوانين، عادات، ظروف...)
- لديهم من خلال العقل القدرة على التحكم في رغباتهم وتحديد السلوك الأمثل الذي يخدم مصالحهم.
- يتمتع كل الأفراد بفرصة متساوية للاستمتاع بحريتهم، ولا يمكن التذرع بالجنس أو العرق أو الدين أو الانتماء إلى طبقة معينة أو أي شيء آخر لمنع أحدهم من الحصول على نفس الفرص التي يتمتع بها الآخرون.
- الفرد هو أفضل من يقرر لنفسه ماهية أهدافه وما يخدم مصالحه، وله الحرية في العيش بالطريقة التي يعتبرها مناسبة طالما أنه لا يتدخل في قرار الآخرين بهذا الشأن.
- المصلحة الخاصة هي المحدد الأساس لسلوك وتصرفات الأفراد، والمنافسة بينهم هي حالة صحية في ظل وجود الإنصاف واللياقة في المنافسة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- Terence Ball, Richard Dagger, Daniel I.O'Neill, Political Ideologies and Democratic Ideal, United States of America : Pearson Education, 9th Edition, 2014, p45.

<sup>2</sup>- Ibid, p-p : 46-47.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن فهم الفكر الليبرالي بمعزل عن العوامل والظروف التي تبلور فيها بدءاً من القرون الوسطى والتي يمكن أن تتضح من خلال العناصر التالية:

### أولاً: تداعيات هيمنة الكنيسة

كانت هيمنة الكنيسة على حياة الناس في القرون الوسطى وتعاونها مع الأمراء في ذلك وإقصائهم لكل من لا يؤمن بأفكارها التي اعتبرتها حقيقية وعالمية، السبب الرئيس في بروز الفكر الليبرالي الذي كانت الدعوة إلى الفصل بين الدين والدولة أولى وأبرز معالمه. هذا إلى جانب رفض الأدوار التي تبقى لصيقة بالفرد طول حياته بحكم ولادته وانتمائه إلى طبقة معينة (سمو النبلاء وتمتعهم بامتيازات دون غيرهم، تمثيل الحكومة للبرجوازيين دون العبيد مثلاً) وعدم القدرة على تغيير هذا الوضع (عدم وجود خيار لدى العبيد لتغيير أوضاعهم سوى استخدام السلاح، الهرب أو قبول الوضع على أمل الحصول على الحرية وفق إرادة السيد). قاد مارتن لوثر Martin Luther عملية الإصلاح البروتستانتي رافضاً ادعاء الكنيسة بامتلاكها لصبوك الغفران وانفرادها بتفسير الإنجيل واستغلالها لمكانتها الدينية والروحية للحصول على السلطة والثروة. وهنا برزت فكرة حق الإنسان في اختيار الشكل الذي يمارس به إيمانه<sup>1</sup>.

ولكن توصل جون لوك John Lock إلى عدد من النتائج المؤثرة اعتماداً على الأحداث التي شهدتها بريطانيا أثناء الصراع بين الملك والبرلمان، حيث اعتبر جون لوك تدخل الحكومات في التوجهات الدينية للشعب تصرفاً خاطئاً، والإيمان بدين معين مسألة خاصة إلا في حالتين: إذا كان التنوع الديني يهدد النظام العام وكان لأتباع دين معين ولاء لسلطة خارجية وبالتالي عدم إمكانية الوثوق بهم. أما الحالة الثانية فهي وجود فئة لا تؤمن بالدين (الملحدون) وهؤلاء أيضاً لا يمكن الوثوق بهم لأنهم لا يؤمنون بوجود الله. كما توصل إلى أن دور الحكومة الوحيد هو حماية الحقوق الطبيعية لأفراد الشعب (الحق في الحياة، الملكية والحرية)، واحتفاظ الشعب بحق إسقاطها في حالة فشلها في أداء هذه المهمة<sup>2</sup>.

### ثانياً: الثورتان الأمريكية والفرنسية

أدت الثورة الأمريكية إلى تحديد مفهوم للتمثيل السياسي الذي يرتبط بالحق في جمع الضرائب وإعلان المستعمرات البريطانية في أمريكا رفضها تسليم أموال الضرائب للعرش البريطاني بسبب غياب

<sup>1</sup>- Ibid, p-p : 48-54

<sup>2</sup>- Ibid, p-p : 55-56



## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

التمثيل الحقيقي لشعوب المستعمرات في البرلمان البريطاني، وهوما أدى إلى إعلان الاستقلال سنة 1776. ولقد كانت هذه الثورة تأثراً بأفكار Thomas Pain الذي اعتبر الحكومة "شر لا بد منه" وهو يرى بأنها شر لأنها تتدخل في حياة الناس ويجب طاعتها طالما أنها تحمي حقوقهم، وهي شر ضروري لأن الإنسان لا يمكن الوثوق به في احترام حقوق غيره. أما الثورة الفرنسية، فقد أكدت على نتائج الثورة الأمريكية في تحديد هدف الحكومة في حماية الحقوق الطبيعية واعتبارها غير قابلة للتصرف فيها (الحرية، الملكية، الأمن، مقاومة الظلم، عدم ممارسة القمع تحت ذريعة التوجهات الدينية، المساواة، الأخوة)، وكذلك مسؤولية المواطن في المشاركة في الحياة العامة. ولقد نتج هذا عن طبيعة الحكم الذي مارسه الملك لويس الرابع عشر (ومارس لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر نفس الأسلوب)، والذي فرض الكاثوليكية على الجميع ومنح الطبقة الأرستقراطية امتيازات حصرية فيما يتعلق بعدم دفع الضرائب وتولي المناصب العليا، إضافة إلى كسب ولاء الكنيسة من خلال قمع البروتستانت وولاء النبلاء والبرجوازيين عبر منحهم مناصب وزارية<sup>1</sup>.

### ثالثاً: الثورة الصناعية

اعتبرت الرأسمالية التبادلات الاقتصادية شأناً خاصاً لأولئك الذي يسعون إلى تحقيق الربح وليس على الحكومة سوى حماية الدولة من العدوان الخارجي والاستعمار، ضمان العدالة وحماية الملكية وحفظ النظام، توفير البنية التحتية (الجسور، الطرق، الموانئ...). وكان للثورة الصناعية تداعيات سلبية على الطبقة العمالية التي كانت تعمل في ظل غياب تنظيم قانوني للعمل يحترم حقوق العمال القانونية والسياسية والإنسانية. وخلال هذه الفترة، ظهرت اتجاهات ليبرالية جديدة، كان لكل منها وجهة نظر مختلفة عن مفهوم الحرية ودور الحكومة<sup>2</sup>:

أ- النفعيون Utilitarianism: تزعم هذا الاتجاه Jeremy Bentham. وهو يرى بأن الحصول على المتعة وتجنب الألم هي محددات السلوك البشري، وبالتالي المنفعة Utility هي التي هدف الإنسان الأساس. وتتحدد المنفعة وفق قدرة سلوك ما على مساعدة الفرد في تحقيق رغباته ومنها بلوغه السعادة. والمجتمع العقلاني هو المجتمع الذي يعترف بذلك.

<sup>1</sup> - Ibid, p-p: 57-60

<sup>2</sup> - Ibid, p-p: 62-69

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

وفي هذه الحالة، يكون دور الحكومة مقتصرًا على مكافأة من يجلب المتعة للآخرين وتطبيق العقوبات على من يسبب لهم الألم. ويتميز النفعيون بكونهم حاولوا تحديد حدود حرية الإنسان وفق ما أسموه بمبدأ الضرر Harm Principle والذي يعني أن الفرد حر في فعل ما يريد وله حرية الفكر والتعبير مادامت أفعاله لا تهدد بإلحاق الضرر للآخرين ولا تسبب لهم الأذى فعليًا (يحق للحكومة تجريم قيادة السيارة في حالة سُكر، ولا يحق لها تجريم بيع الخمر مثلًا). كما يؤيد النفعيون حرية المنافسة باعتبارها شرطًا أساسيًا للتقدم، وعلى الحكومة أن تعمل على تشجيع التربية المدنية باعتبارها تسمح للمواطنين بتوسيع آفاقهم وتقديم خدماتهم مدنيًا.

ب- الليبرالية النيوكلاسيكية Neoclassical Liberalism: أثر هذا الاتجاه في إنجلترا وفي

الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر. وأطلق على أصحاب هذا الاتجاه اسم "المحافظين"، وتميز بوجود بعض المتطرفين الذين اعتمدوا في أفكارهم على نفس منطق داروين بشأن الانتقاء الطبيعي، وبات يطلق على توجهه اسم الداروينية الاجتماعية. ومن أبرزهم<sup>1</sup>:

- هربرت سبنسر Herbert Spencer : والذي أقر بأن البقاء في الحياة للأذكى والأقوى،

والفشل سيكون من نصيب الشخص الذي لا يملك مقومات المنافسة. وهو يرى بأن دور الدولة يقتصر على الدور الذي يقوم به الحارس الليلي ولا يجب مساعدة الفقراء لأن هذا يعيق حرية الأفراد ويخلق صعوبات في وجه الأقوياء بحيث يؤدي إلى تعطيل تقدمهم.

- وليام غراهام سمنر William Graham Sumner : يرى بأن دور الحكومة يقتصر على

مراقبة مدى حرية المنافسة، ولا يجدر بالمتنصر فيها أن يتقاسم ثمار نجاحه مع الآخرين خاصة الفقراء. ويؤيد عدم تقديم المساعدة للفقراء سواء من قبل الحكومة أو فاعلي الخير من العامة سوى في حالة وجوده تحت تهديد القوة بشكل غير مشروع أو تعرضه للغش، فالفقير يتواجد في المرتبة التي يجب أن يكون فيها.

<sup>1</sup> - Ibid, p-p: 70-73

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

ج-ليبرالية الرفاه Welfare Liberalism: أصبح خلال القرن العشرين الليبراليون هم

أولئك المؤيدون لأفكار ليبرالية الرفاه. تعتقد بإمكانية لعب الحكومة لدور ايجابي في حياة الشعب من خلال السهر على ضمان تمتع كل الأفراد بنفس الفرص. ووفق هذا الاتجاه تغير مفهوم الحرية التي بات فيها نوعان: حرية سلبية أي الحد من سلطة الحكومة ليكون الفرد حرا وعليها أن تدع الفرد وشأنه، وحرية ايجابية أي أن يكون هناك سماح بوجود الفرص التي تمكّن الفرد من تغيير وضعه نحو التطور والتقدم. تميز هذه الاتجاه (من أصحابه توماس هل غرين T.h.Green) بدفاعه عن الحرية الإيجابية التي تؤيد مساعدة الفقراء المحتاجين والطبقة العمالية لأن هذا السبيل يجعلهم أحراراً، ويعزز كذلك حرية الأقوياء نتيجة لخدمة الصالح العام التي تحقق المثل العليا. وهذا لأن تقديم المساعدة للآخرين يقيد أنانية الإنسان ويحرره عبر التعاون مع الآخرين. ومن الأدوار التي يجب أن تلعبها الدولة تنظيم المنافسة الاقتصادية لمعالجة تداعيات المنافسة الرأسمالية، ومحاولة تحديد مجال المنافسة في عدم حدوثها على حساب الآخرين. هيمن هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الثانية في الغرب ولكن بدأ يواجه عددا من التحديات في الستينات والسبعينات وخاصة مع نمو الاتجاه المحافظ في الثمانينات.

جاء الليبراليون بمفهوم "الحرية الإيجابية" والتي يقصد بها قدرة الفرد على صناعة القرار حول المسائل المختلفة والهامة في الحياة كإدارة الأعمال الخاصة. وجاء ذلك نتيجة لاكتشاف الليبراليين الأضرار الناجمة عن تبني المفهوم السابق للحرية والكامن في عدم تدخل الحكومة؛ حيث لاحظوا بأن الثورة الصناعية أدت إلى ظهور طبقة لم تتمكن من الحصول على الملكية الخاصة لأعمالها ومزارعها، كما كان على أفرادها الاستمرار في اعمل لصالح الآخرين مدى الحياة. وبناء عليه، خلص الليبراليون إلى أن الحداثة جعلت الناس ضعفاء، وأدركوا بأن أيديولوجيتهم فقدت جانبها الأخلاقي نتيجة للاكتفاء فكريا وعمليا بالمفهوم السلبي للحرية، أي الاكتفاء بالتححرر من الإكراه الحكومي المباشر. ولهذا جاء مفهوم الحرية الإيجابية والمبني على وجوب اهتمام الأمة الحرة بطبيعة مواطنيها. ظهر هذا التحول في الولايات المتحدة الأمريكية الذين سجلوا ملاحظاتهم حول تداعيات الثورة الصناعية على العمال، وأيقنوا بأن مساعدة صغار الملاك والمزارعين على إدارة أعمالهم الخاصة. ومن هنا برزت القناعة بضرورة وضع الحكومة لقواعد محايدة لدفع الناس للسعي نحو تحقيق مصالحهم الخاصة وتمكينهم من مواجهة نتائج قراراتهم. وهنا يقول مايكل ساندل Michel Sandel بأنه ليس من حق الحكومة أن تقوم بتعزيز

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

أي أفكار حول معايير الحياة الجيدة، وكل ما عليها فعلة تعزيز مجموعة من القواعد المنصفة التي تسمح للأفراد بتحقيق مصالحهم الخاصة<sup>1</sup>.

**سابعاً:** صعود اليسار الجديد الراض للأسمالية الاستهلاكية ووجهوا انتقادات للحكومات الليبرالية متهمين إياها بالعمل لحماية المصالح الاقتصادية للشركات الغنية الرأسمالية وتحويل الشعوب إلى مستهلكين. ومن هنا ظهرت اتجاهات أخرى في الإيديولوجية الليبرالية:

أ- ظهور مفهوم دولة الحد الأدنى Minimal State : يوضح روبرت نوزيك Robert

Nozick بأنه على الدولة أن لا تتعدى حدود دورها المتمثل في توفير الحماية. ويعتبر استغلال الضرائب في لمواجهة البطالة أو دعم برامج أخرى هو استغلال لجزء من عمل قدمه شخص ما لصالح آخرين. والدولة التي تتدخل في الأفعال الرأسمالية وفي حرية فكر وفعل الأفراد هي دولة غير شرعية. وهنا يؤيد كل من فريدريك هايك Friedrich Hayek وميلتون فريدمان Milton Friedman توسيع حرية الفرد حتى وإن تطلب الأمر إزعاج العادات والتقاليد.

ب- ظهور الفوضوية التحررية Libération Anarchisme: يؤمن هذا الاتجاه بضرورة

إلغاء الحكومة، فهي شر ليس لا بد منه (غير ضروري)، فالدولة هي التي تهدد الحرية الفردية. يرى موراي روثبورد Murray Rothbard بأن السوق الحر يسمح لكل فرد بالعيش بحرية وله فوائد عملية بحيث أن القطاع الخاص بإمكانه أداء ما تقوم به الحكومة (دفاع، تعليم، مطافئ،...) بشكل أفضل منها. وهم يعتقدون بأن المجتمع الليبرالي الحر بشكل حقيقي لن يتحقق ما لم تعترف الشعوب بعدم وجود مبرر جيد للاحتفاظ بالدولة. يؤيد التحرريون (هم ليسوا جميعاً فوضويون) قيادة السوق للمجتمع؛ مجتمع تخضع فيه الخدمات العامة أيضاً (المدارس، المستشفيات، المطارات، الخدمات الطبية،...) للسوق التنافسية لأن القطاع الخاص وفي ظل التنافس سيعمل على تقديمها بأرخص ضمن وبفعالية أكبر. ولذلك، يؤيدون إلغاء الدعم الحكومي للخدمات العامة وألا تقوم الحكومة بتنظيم كل المجالات فعقلانية الإنسان تدفعه إلى حسن الاختيار (مثلاً، ليس هناك حاجة للقيام بالتفتيش الصحي في المطاعم لأن

<sup>1</sup> - Charles Siegel, Classical Liberalism, California : Preservation Institute, 2011, p-p : 11-12.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

المطعم النظيف والذي يقدم أطعمة ذات جودة لديه سمعته في السوق والتي تجعل الزبائن تقدم على اختياره).

**ثامنا:** تحقق الليبرالية في العالم الغربي، وتنامي المطالبين بها في دول أخرى كدول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ولكن هذا لا يعني اتفاق كل الليبراليين، إذ لا يزالون متقنين بشأن الأهداف ومختلفين بشأن وسائل تحقيقها. ومن بين الخلافات المستمرة<sup>1</sup>:

أ- الاختلاف بشأن مبدأ الضرر من حيث عدم الاتفاق على مفهوم الضرر. على سبيل المثال،

منهم من يعتبر بيع المخدرات جريمة بلا ضحايا بناء على كونها عدوان من الناحية القانونية لكن تتم ضمن قبول الأطراف، وهم المتضررون، وبالتالي لا يحق للحكومة أن تتدخل وتُجرّم بيع المخدرات. في حين يرى آخرون، بأن هناك ضحايا لمثل هذه الأفعال، فهي قد تتم في إطار علاقات استغلالية، ولهذا يحق للحكومة التدخل لتنظيمها إذا كانت تسمح بها قانونيا.

ب- الاختلاف بشأن الحدود بين الحياة العامة والحياة الخاصة: من الليبراليين من يرى بأنه ليس

من حق الحكومة أن تفرض مفهوما معينا للخير والشر، يجب عليها أن تكون حيادية ولا تقوم بتعزيز أسلوب حياة معين يخدم أتباع دين ما على حساب الآخرين. في حين يرى آخرون، أن لحكومة لا يمكن أن تكون محايدة في هذا الخصوص، فالمجتمع الليبرالي يقوم على أفراد عقلانيين، متسامحين، يبذلون جهودا في سبيل المصلحة العامة وعلى الحكومة أن تشجع شعبها على تنمية هذه المبادئ. وكرد فعل على الخلاف بشأن الحرية ومسؤولية الأفراد تجاه المجتمع ظهر اتجاه يسمى بالليبراليين المجتمعيين Communitarianism، والذين يركزون على مسؤولية الفرد في تعزيز الخير للمجتمع ويؤيدون ضرورة وجود توازن بين الحريات والحقوق الفردية والمسؤوليات التي يجب أن يقوم بها أفراد المجتمع لخلق بيئة مناسبة تسمح لهم بممارسة هذه الحقوق. وكذلك، يمنحون أهمية لنظام القيم المشترك الذي يمكن الرجوع إليه عند مواجهة تحديات الحياة كالتنمر مثلا، وهو نظام يجمع كل أفراد المجتمع. ويُذكر أن هذه الأفكار كانت سببا في نجاح بيل كلينتون في الرئاسيات عام 1992، وباراك أوباما سنة 2008<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- Terence Ball, Richard Dagger, Daniel I.O'Neill, Op.Cit, p-p : 79-80

<sup>2</sup> - Ibid, p-p : 74-81

### الفرع الثالث: القيم المشتركة بين جميع البشر عند الليبراليين

يرى آيمون باتلر Eamonn Butler بأن للإيديولوجية الليبرالية عددا من القيم التي يعتبر الليبراليون بأنها مشتركة بين جميع البشر على اختلاف أعراقهم، دياناتهم، أجناسهم، لغاتهم وانتماءاتهم. وتتمثل في: الحياة، الحرية، الاحترام المتبادل، التعاون، التسامح، حرية التعبير والتجمع، عدم العدوان، حرية الإنتاج والتبادل، حرية انتقال السلع والأفراد ورؤوس الأموال، الملكية الخاصة، الحكومة محدودة السلطات، القضاء المستقل. وهو يشرح أهمية هذه القيم وكيفية المحافظة عليها من خلال الأفكار التالي:

1- تعظيم حرية الفرد وعدم فرض سلوك معين عليه. فهي حق حصل عليه من الله أو من الطبيعة.  
2- الفرد أهم من الجماعة (سمو الفرد)، ولا يمكن التضحية بحريته لصالح مصلحة الجماعة أوفي غياب مبررات قوية. ولا يمكن أن توجد الجماعة دون وجود الفرد الذي يقوم بالتفكير والتقدير والتأثير في الأحداث. وعند إعلاء مصلحة الجماعة على حساب حرية الفرد، سيؤدي ذلك إلى خدمة مجموعة من المصالح وليس كل المصالح. كما ليس باستطاعة أي حكومة أن تقرر ماهية الأفضل في عالم متغير باستمرار، ولهذا من الضروري ترك الأفراد أحرار لاتخاذ القرار المناسب.

3- عدم مشروعية استخدام القوة لفرض إرادة معينة على الأفراد دون وجود أسباب مُقنعة.  
4- إلحاق الضرر بالآخرين هي الحالة الوحيدة التي يمكن السماح بالتدخل عندها لكبح سلوك ما. أما إذا انعدم هذا الضرر فلا يحق التدخل حتى لو كان هذا السلوك يُصنف ضمن النشاطات غير المقبولة من قبل البعض (تجارة الخمر مثلا، اعتناق دين أو أفكار مغايرة...). وهذا على أساس عدم إمكانية إلغاء الاختلافات الإنسانية.

5- محدودية سلطات الحكومة وأحقيتها منفردة بامتلاك القوة واستخدامها، نظرا لضرورة وجود قدر من القوة للحيلولة دون إلحاق الضرر بالآخرين. ويأتي وضح الحدود على تصرفات الحكومة انطلاقا من تكوينها البشري الذي يقتضي وجود نفس العيوب البشرية في أفرادها ومن القناعة بميل السلطة إلى الفساد.

- 6- مساواة الجميع أما القانون بغض النظر عن العرق، الجنس، اللغة، الدين والتواجد في السلطة من عدمه. فحكم القانون يخلق الاستقرار النفسي القائم على وجود حدود فعلية لتصرفات الآخرين مهما بلغت قوتهم.
- 7- وجود نظام تشكل عفويا للمجتمعات بفعل التفاعلات البشرية التي تستمر منها السلوكيات الفعالة عبر الزمن، وتندثر السلوكيات غير المفيدة.
- 8- حرية الأفراد في التفكير وتبادل الأفكار، الاختراع، الابتكار، الادخار، الاستثمار، تبادل السلع والخدمات، الامتلاك وإبرام العقود، الانتقال، هي التي تخلق الثروة. هذه الأخيرة ترتبط باقتصاد السوق، وتكوين ثروة خاصة يسهل على الشعب مقاومة الاستغلال الحكومي.
- 9- ضرورة وجود مؤسسات للمجتمع المدني (نوادي، اتحادات، جمعيات خيرية،...) لتحقيق التعاون بين الأفراد بتجسيد القيم المشتركة، ويؤدي غيابها إلى سهولة ممارسة الاستبداد وقمع الحريات<sup>1</sup>.

### الفرع الرابع: انعكاسات تبني الليبرالية على العلاقات الدولية

اشتقاقا من مفهوم الليبرالية، جاء مفهوم اللبرلة Liberalization وهي العملية التي تهدف إلى تخفيض سلطات الدولة على حياة الأشخاص الخاضعين لسلطتها، وهي ذات أبعاد سياسية واقتصادية. يقصد باللبرلة السياسية Political Liberlization توسيع الحرية الفردية وحقوق الإنسان، بما فيها الحق في التعبير بحرية ضد سلطات الدولة والحق في معارضتها. أما اللبرلة الاقتصادية فهي تعني الحد من تدخل الدولة في السوق. وقد يحدث أن تؤدي اللبرلة السياسية إلى ما يعرف بالدمقرطة Democratization والتي تسمح للناخبين بتغيير حكومتهم<sup>2</sup>.

ولم يكتف الليبراليون بوضع معايير النظامين السياسي والاقتصادي، بل قدموا أفكارهم حول انعكاسات تبني المبادئ الليبرالية على مستوى العلاقات الدولية. وجاءت أفكارهم هذه في إطار ما يعرف بالليبرالية الدولية والتي بنيت على أفكار ايمانويل كانت. تقوم الليبرالية الدولية على افتراض أن الدول الليبرالية لا تحارب بعضها البعض. وهو يعتبر بأن هناك ثلاث قواعد يؤدي الالتزام بها إلى دوام السلم

<sup>1</sup> - Eamonn Butler , *Op.cit*, p-p : 4-12.

<sup>2</sup> - Bertrand Badie, Dirk-Berg Schlosser, Leonardo Morlino, eds, « Liberalism in International Relations », *International Encyclopedia of Political Science*, Los Angeles : Sage, 2011, p1439.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

وغياب الحرب بين الدول الليبرالية، ويعود عدم سلمية العلاقات بين الدول الليبرالية مع الدول غير الليبرالية، إلى غياب تلك القواعد، وهي:

◀ اعتماد النظام الجمهوري: يرى كانت Kant بأن هذا النوع من الأنظمة هو فقط الذي بإمكانه

حل مشاكل العلاقة بين استقلال الفرد أخلاقيا والنظام الاجتماعي، وكذلك مشاكل اقتصاد السوق والملكية الخاصة. وهو النظام الذي يضمن مساواة مواطنيه أمام القضاء الذي يكون مفصولا عن باقي السلطات. كما أن الفرد في هذا النظام بإمكانه أن يكون مستقلا أخلاقيا بفعل وجود حكومة تمثيلية له هو الذي يشارك في وضعها ويشارك أيضا في تشريع القوانين التي تصبح فيما بعد مطبقة على الجميع، والتي لا يشارك المواطن في تنفيذها وإدارتها.

◀ بروز تدريجي لاتفاق ضمني بين الدول الليبرالية حول السلم. ويضيف كانت kant بأنه مع

مرور الزمن، وبعد تبني القاعدة الأولى، تصبح الدول الليبرالية ملتزمة باحترام حقوق بعضها البعض خاصة من الناحية الأمنية. وهذا الاتفاق يكون ضمنيا وليس من الضروري وضع مؤسسات لتجسيده، إذ يكفي أن هناك قناعة فكرية لدى كل طرف بعدم الاعتداء على الآخر. وبعد العديد من التجارب في التعامل مع بعضها البعض، تستخلص الدول الليبرالية دروسا حول الطريقة الأمثل لحفظ هذا السلام الذي يصبح راسخا في علاقاتها مع بعضها البعض.

◀ حرية وحقوق تنقل مواطني الدول الليبرالية بين بعضهم البعض: وهذا ما يسمى بالنظام

الكوسموبوليتاني Cosmopolitan والذي يكون فيه احترام لحقوق الأجانب أي عدم الاعتداء على حياتهم، وتمكينهم من التمتع بفرص تبادل السلع والأفكار. وهذا يتضمن عدم الاستيلاء على ممتلكاته أو اعتدائه هو على مواطني الدولة التي يتواجد فيها، وتمكينه من الاستقرار فيها إذا تبين تعرض حياته للخطر عند مغادرتها<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>- Michael W.Doyle, « Liberalism and World Politics », *American Political Science Review*, Vol.80,No.4, December, 1986, p1158.



### المطلب الثاني: العقلانية الاقتصادية في مختلف مجالات الحياة كقيمة أساسية في الإيديولوجية النيولبرالية

لقد سبق الذكر في المطلب السابق، بان الليبرالية جاءت كدليل لصناعة السياسة الموجهة نحو المجتمع. وتعتبر العقلانية عنصراً شديداً الأهمية لدي الليبرالية الكلاسيكية وكذلك الليبرالية الجديدة (النيولبرالية). ويأتي تأييدهم لاستخدام العقل في حل مشاكل المجتمع اعتماداً على أن هذه الأخيرة تحدث بسبب طبيعة الأدوات المستخدمة في تنظيم المجتمع، وبالتالي، يكون حلها بتغيير هذه الأدوات أو تعديلها. هذا إضافة إلى كون العقل هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان، وبالتالي لا يجب على أن يتخلى عنه في مواجهة التحديات وعليه استخدامه لفهم الظروف التي تحيط به. ويمكن بين الفرق بين السلوك العقلاني وغير العقلاني في أن الأول يتطلب عدداً من التضحيات والتي تكون غالباً تضحيات مؤقتة لصالح تجنب تداعيات سيئة وانعكاسات مؤلمة فيما بعد<sup>1</sup>. ويتطلب فهم المقصود بالعقلانية الاقتصادية، وكيفية تمددها إلى المجالات الأخرى السياسية منها والاجتماعية، تسليط الضوء على الإيديولوجية النيولبرالية أولاً.

#### الفرع الأول: مفهوم النيولبرالية

جاءت النيولبرالية في خضم التطور المعتاد للفكر الاقتصادي الذي يشهد ظهور نظريات ومدارس جديدة كنتيجة لتغير الظروف الاجتماعية والتكنولوجية. وما حدث في بداية القرن العشرين من انعكاسات لتبني الفكر الليبرالي الكلاسيكي "دعه يعمل"، وتنامي الأفكار المناهضة للرأسمالية والتي تدعو إلى تدخل الدولة، إضافة إلى الكساد الكبير سنة 1929 الذي هباً لنمو الأفكار الكينزية (نسبة إلى المفكر الاقتصادي جون ماينارد كينز John Maynard Keynes) أدى إلى بروز مدافعين عن الأفكار الليبرالية.

وظهر مفهوم "النيولبرالية" لأول مرة في ندوة عُقدت في باريس International Walter Lippmann سنة 1938 حين استخدمها أليكسندر روستو Alexander Rustow وتم قبولها بشكل واسع<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- Isabel David, *Op.Cit*, p8.

<sup>2</sup> - Elzbieta. Maczynska, Piotr Pysz, « Classical Liberalism, Neoliberalism and Ordoliberalism », <http://www.pte.pl/pliki/2/12/2.17-39.pdf>  
02/04/2018 10 :53

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

هيمنت النيولبرالية على الاقتصاد نظريا وعمليا خلال السبعينات التي شهدت فترة ركود أسفرت عن محاولات لتجديد الفكر الليبرالي. وفي 1975، برز تأثير لمدرسة شيكاغو لعلم الاقتصاد النيولبرالي تجلى كتجربة أولى في الشيلي بعد الانقلاب، حيث استلمت جماعة من الشيليين دراست في جامعة شيكاغو خلال الفترة 1956-1970، السلطة على كل الوزارات الاقتصادية وهم يعرفون باسم "Chicago Boys" ومن بينهم فريدريخ هايك Friedrich Von Hayek ميلتون فريدمان Milton Friedman. تميزت التجربة الشيلية بتطبيق فكرة العلاج بالصدمة لصاحبها فريدمان من أجل مواجهة التضخم المفرط وتراجع الاقتصاد الشيلي. كما كان هناك حدث آخر أثر اقتصاديا لصالح انتشار النيولبرالية في دول أوروبا الوسطى والشرقية بعد انهيار المعسكر الاشتراكي، وهو إجماع واشنطن الني وليبرالي<sup>1</sup>.

ويرى فريدمان بأن نظام السوق الحر يؤدي إلى التقدم الاقتصادي والتقني، وإلى استخدام الموارد بفعالية، ورفع المستوى المعيشي الذي يتم توزيعه بعدل. كما أنه نظام يسمح بتكوين مجتمع تسوده الحرية السياسية والحراك الاجتماعي. وهو يؤمن بأن دور الحكومة يجب أن يكون مقتصرًا على المهام الأساسية كال دفاع والقضاء والأمن والنظام العام وغيرها. لأن تجاوزها لهذه الوظائف يحول دون الاستخدام الفعال للموارد وبالتالي التقدم الاقتصادي. ومن بين انعكاسات ذلك أيضا، الحد من الحرية السياسية والحراك الاقتصادي<sup>2</sup>.

وذلك عكس ما كانت تنادي به النظرية الكينزية التي تضمنت رفضا لسياسة عدم التدخل وتبني فكرة الريادة الحرة Free Enterprise التي تشترط عدم تدخل الحكومة حتى يتسنى لما تقوم به من تخصيص للموارد أن يحقق أعلى قدر من الفوائد للمجتمع. وعليه، يجب على الحكومة أن تتدخل للتحكم في النشاط الاقتصادي، ولا بد أن تكون هناك سياسة حكومية للتخفيف من ما يعترضه من تقلبات. كما أن كينز يقول بأنه لا يمكن أن نكون متأكدين بشأن ما سيحدث مستقبلا، ولا يمكن أن نعلم ذلك، وبناء عليه، لا يمكن الجزم بأن آلية السوق الحرة ستقضي بشكل دائم إلى تحقيق التوازن في الاقتصاد، وبالنتيجة ترفض الكينزية إمكانية وجود سلوك عقلائي صارم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- Ibid.

<sup>2</sup>- ضياء مجيد الموسوي، العولمة واقتصاد السوق الحرة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 2007، ص 18.

<sup>3</sup>- ضياء مجيد الموسوي، أسس علم الاقتصاد، د.م.ن: ديوان المطبوعات الجامعية، ج1، 2011، ص 65.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

عبرت النيولبرالية تحولا في الفلسفة الاقتصادية وكانت محددًا للسياسات الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس رونالد ريغان والمملكة البريطانية في عهد رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر. ويذكر أن تاتشر بررت تبنيها للفكر النيولبرالي بغياب البديل. ومن هنا بدأ استسلام الدول الغربية وأيضًا دول ما بعد الاشتراكية للانتصارات التي بدأ السوق يحققها في هذه الدول والذي خيب توقعات كارل ماركس، وعبر عنه فوكوياما F.Fukuyama بنهاية التاريخ المتجسد في انتصار الرأسمالية. ومن هنا ظهر افتراض أن اقتصاد السوق والديمقراطية الليبرالية المبنية على الحرية الفردية والملكية الخاصة لعوامل الإنتاج هي التي ستهيمن عالميا وبشكل دائم على مستقبل الإنسانية<sup>1</sup>.

وتميز فريدريك هايك (أحد أقطاب الفكر النيولبرالي) بتركيزه على الحرية الاقتصادية عند تعريف الحرية الفردية، فهو يرى أن الحرية الاقتصادية شرط مسبق لتحقيق كل الحريات الأخرى. وتتجسد حرية النشاط الاقتصادي في قوة وحق الاختيار مع تحمل نواظر ومسؤولية هذا الحق. وهو يدافع عن أخلاقيات السوق (الملكية، الصدق، الانضمام إلى العقود) لكونها تقود إلى جلب الفائدة للآخرين، وهذا لا ينتج عن وجود نية لدى الفواعل لتحقيق تلك الفائدة بل عندما تتصرف الفواعل وفق هذه الأخلاقيات، فإن سلوكهم هذا يؤدي إلى تلك النتيجة المتمثلة في الانعكاسات الايجابية على الآخرين. وفيما يتعلق بالالتزام الأخلاقي تجاه المجتمع ككل، فإن الفرد ليس بإمكانه أن يلبي ذلك بسبب محدودية معرفته. كما يرفض تبني حكم الأغلبية عند صناعة القرارات السياسية وهو ما يعتبر عنصرا مركزيا في النظام الديمقراطي، فهو مقتنع بخطورة هذه القاعدة لكونها قد تعطي المجال لتأثير العقلانية الجماعية؛ ويفسر ذلك بأن الدعاية قد تلعب دورا في دفع الشعب لاتخاذ قرار بمنع الحرية الفردية، وقد يتحول حكم الأغلبية إلى حكم استبدادي. كما أن المجتمع الذي يعتمد هذا الأسلوب مجتمع جامد ورأي الأغلبية رأي ثابت ورجعي<sup>2</sup>.

النيولبرالية هي مجموعة من المعتقدات السياسية التي تحدد الهدف الشرعي للدولة في حماية الحقوق التجارية، الحرية والملكية الخاصة، وتفضل أن لا تتعدى الدولة في تصرفاتها حدود هذا الهدف. وهي تعتبر بأن تنظيم كل المبادلات في السلع والخدمات لن يتحقق بالشكل الأمثل سوى عند اعتماد

<sup>1</sup>- Elzbieta. Maczynska, Piotr Pysz, Op.Cit.

<sup>2</sup>- Jakob Kapeller, Stephan puhringer, « Democracy in Liberalism and Neoliberalism the case of Popper and Hayek », ICAE Working Paper Series, Austria Institute For Comprehensive Analysis of Economy, No10, November 2012, p-p : 12-13

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

ميكانزمات السوق بحرية. وهذا يعود إلى اقتناع النيولبراليين بأن الرفاهية تنتج عن انطلاق حرية الإبداع والحماس لإدارة الأعمال وتنظيم المشاريع وهذا بفعل حرية السوق وحرية التجارة<sup>1</sup>.

وللنيولبرالية رؤيتها الخاصة بشأن الأخلاق؛ إذ أن النيولبراليين يعتبرون أن الشخص (رجل أو امرأة) الفاضل أخلاقيا هو الذي له القدرة على بلوغ الأسواق والعمل كفاعل كفاء فيها. وهو كذلك الذي له استعداد لقبول المخاطر المتعلقة بالسوق الحر، والتكيف مع التغيرات السريعة التي تميزه. والشخص الفاسد أخلاقيا والمتخلف هو ذلك الذي يطالب الدولة بالتدخل لتنظيم السوق أو تطبيق إصلاحات تصب في صالح الذين خسروا في لعبة السوق، فهو في هذه الحالة لا يختلف كثيرا عن أولئك الذين يؤيدون الحكم الاستبدادي. أما بالنسبة للديمقراطية، فيرى النقاد بأن النيولبراليين لا يعتبرون الحكم الديمقراطي ضروريا بشكل دائم؛ فهم يعرضون المبادئ الديمقراطية إذا كانت تؤثر سلبيا على سرعة تطبيق الإصلاحات النيولبرالية أو تشكل تهديدا لحرية الفردية والتجارية<sup>2</sup>.

ويرى ويندي براون Brown Wendy بأن تعريف النيولبرالية بأنها عبارة عن مجموعة من السياسات الاقتصادية المتعلقة بتحرير التجارة وتعظيم مكاسب الشركات، هو تعريف بسيط جدا ولا يشرح المضمون الفعلي للنيولبرالية. وهو يقول بأنها تحمل تحليلا اجتماعيا، انتشر كشكل من أشكال الحكم، وهو يتعدى المجال السياسي ليلبغ روح المواطن الخاضع لسياسة تعليم معينة. ويضيف قائلاً:

"إن العقلانية النيولبرالية، في الوقت الذي تؤسس فيه لأرضية السوق، هي لا تركز فقط بشكل أولي على الاقتصاد. إنها تتضمن نشر قيم السوق وتمديدتها إلى كل المؤسسات والأفعال الاجتماعية... وفي المجال السياسي، هناك أيضا خضوع للعقلانية الاقتصادية؛ كل أبعاد الحياة البشرية يتم تصويرها من حيث عقلانية السوق..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- Dag Einar Thorsen, Amund Lie, « What is Neoliberalism ? », <http://folk.uio.no/daget/What%20is%20Neo-Liberalism%2010-11-06.pdf>  
02/04/2018 20 :46

<sup>2</sup>- Ibid.

<sup>3</sup>- Brown wendy, *Edgework Critical essays on Knowledge and Politics* , Princeton University Press, 2009, p-p :39-40

### الفرع الثاني: العقلانية الاقتصادية والقيم الأخلاقية عند النيولبراليين

بحسب ويندي براون، يعني ذلك، أن تصبح كل الأفعال البشرية والمؤسساتية أفعال عقلانية تخضع لحسابات المنفعة والربح والعرض والطلب في ظل الحيادية الأخلاقية. وهذا لا يعني تقزيم مظاهر الحياة السياسية، الثقافية والاجتماعية في شكل حسابات، لكن النظام الذي يقوم على هذه الإيديولوجية يحرص على تنمية مجموعة من الممارسات المؤسساتية التي تخدم هذه الأفكار ويقدم مكافآت للناجحين فيها. فهي تختلف عن الليبرالية الكلاسيكية التي تقول بأن هناك نزعة طبيعية لدى البشر للمقايضة، ولكن النيولبرالية تقول بأن السلوك الاقتصادي العقلاني ليس طبيعياً بشكل كلي؛ فهو يتم بناؤه. ويعني ذلك أن هذا السلوك يتم تنظيمه بموجب القانون والمؤسسات السياسية، حيث يتم نشر الأعراف الاجتماعية التي تسهل المنافسة وحرية التجارة. ومن هنا، لا تعتبر المنافسة شيء طبيعياً بل هي لا يمكن أن توجد دون وجود ضمانات وإجراءات قانونية. يقول بأن النيولبرالية عبارة عن مشروع بنيوي تأخذ على عاتقها مهمة تنمية ومأسسة هذه العقلانية. وبالتالي يصبح السوق المبدأ المنظم للدولة والمجتمع. ويتحقق ذلك من خلال المؤشرات التالية:

- مجموع السياسات التي تنتهجها الدولة (السياسة النقدية، المالية، الهجرة، التعليم...) كاستجابة لاحتياجات السوق.

فتصبح بذلك شرعية الدولة مرتبطة بنجاح الدولة في قدرتها على دعم السوق. وبناء عليه، تغير مفهوم السيادة والشرعية ليصبح مرتبطاً بالنمو الاقتصادي. الدولة الشرعية وفق هذا المنطق، هي تلك التي تتحمل مسؤوليتها عن صحة الاقتصاد.

- تصرفات الدولة مبنية على حسابات التكاليف والفوائد وهذه عقلانية السوق. وحتى صياغة

الخطابات تصاغ بمفاهيم إدارة الأعمال. وفي هذه الحالة، الدولة لا تهتم فقط بالسوق، بل تفكر وتتصرف كفاعل من فواعل السوق في كل وظائفها، التشريعية منها والمالية والتعليمية والأمنية أيضاً. ويصبح مع ذلك، الجهاز السياسي عبارة عن مجموعة من الأفراد الذين يقومون بتنظيم المشاريع ويتعاملون مع مستهلكين (مثلاً، تعامل المترشحين من خلال خطاباتهم مع الناخبين، خضوع الجامعات لمنطق السوق من حيث معايير القبول والتوظيف واهتمام الطلبة بالأسماء التجارية للجامعات، الأسلوب الذي يتم

## الفصل الثاني      التدويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

---

بواسطته تفسير الأخطاء التي يقوم بها المسؤولون سواء سياسيين أو رجال دين أو رجال أعمال بأنها ناتجة عن أخطاء في التقدير وليس الشخص هو السبب أو أن الفعل هو فعل خطأ من الأساس).

- في ظل النظام النيولبرالي، يتم قياس الاستقلالية الأخلاقية للفرد بناء على قدرته على الاهتمام بذاته وتوفير احتياجاته وخدمة طموحاته الخاصة. فالنيولبرالية لا ترى أن هناك تناقض بين السلوك الاقتصادي والسلوك الأخلاقي، فالأخلاق نفسها تتكون كموضوع عقلائي من خلال حسابات التكاليف والمنفعة والنتائج المتحصل عليها من تبني سلوك أخلاقي معين. والالتزام بالقوانين لا ينبع من احترام القانون بل من إجراء الفرد لحسابات الربح والخسارة. وتختلف الدولة النيولبرالية عن غيرها من حيث تقنية الحكم، فهي تقود المحكومين من خلال حريتهم دون أن تكون مسؤولة عنهم<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup>- Ibid , 40-43

### المبحث الثالث: أدوات تذويت القيم الليبرالية والنيولبرالية

اتضح من خلال ما سبق كيف ربطت الاستراتيجية الأمريكية بين ما يحدث في منطقة الشرق الأوسط وما تعرضت له خلال أحداث 11 سبتمبر 2001، وبين الأفكار السائدة فيها. حيث قام مشروع الشرق الأوسط الكبير على العلاقة بين الفكر، الإرهاب والتطرف.

وبناء عليه، تم التركيز منذ ذلك على ضرورة نشر القيم الليبرالية والنيولبرالية باعتبارها وفق الغدارة الأمريكية أفضل إيديولوجيا تساعد على تحقيق الاستقرار في المنطقة. ويتمثل المنطق القائم هنا في الشرعية التي تتمتع بها الأفكار السائدة والتي لا يمكن القضاء عليها دون توفير أفكار وقناعات بديلة.

ونظرا للتداعيات التي خلفتها الحرب على العراق واستخدام القوة العسكرية في التغيير، بدأ توجه جديد يحظى بالتأييد داخل الغدارة الأمريكية يدعو إلى استخدام القوة الناعمة لتحقيق هدفين رئيسيين هما: إقناع الشعوب والدول بجاذبية النموذج الأمريكي، ومن ثم، دفع دول وشعوب المنطقة نحو تغيير أنظمتها إلى الأنظمة الديمقراطية.

وهنا بدأت تبرز أهمية الدبلوماسية العامة التي تركز على دور التبادلات الثقافية والتعليمية في إقناع وتشكيل رأي عام مؤيد للنموذج الأمريكي. ومن الآليات الأكثر فعالية في تحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية أن يتولى الدفاع عنها أشخاص غير أمريكيين يكون لديهم فهم للقيم الأمريكية. ولإنجاز هذه المهمة المتمثلة في دفع شخصيات من منطقة الشرق الأوسط الكبير للدفاع عن الأفكار الأمريكية، تقترح الدبلوماسية العامة إشراك إجراء التبادلات بين الطرفين على المستوى الثقافي والتعليمي والمهني أيضا. وفي هذا المبحث، سيتم التركيز على اثنين من الأدوات التي يتم استخدامها لنشر تلك القناعة وتغيير الصورة السيئة التي طالت الولايات المتحدة الأمريكية بعد حربها على العراق. وسيكون ذلك من خلال المطالبين التاليين:

المطلب الأول: التبادلات الثقافية

المطلب الثاني: الإصلاحات التعليمية

### المطلب الأول: التبادلات الثقافية

الثقافة هي أسلوب الحياة المشترك لأفراد ينتمون إلى مجموعة معينة. ويشمل هذا الأسلوب على جملة النشاطات التي يمارسونها، اهتماماتهم ومواقفهم. وأصبحت الثقافة عاملاً مهماً في التأثير على الاقتصاد، السياسة وغيرها من مجالات الحياة<sup>1</sup>.

### الفرع الأول: الثقافة والقوة الناعمة

يرى جوزيف ناي Joseph Nye الثقافة هي عامل من عوامل القوة، أي من عوامل القدرة على التأثير على الآخرين للحصول على النتائج المرغوبة. ومن بين أدوات التأثير على السلوك، إلى جانب التهديد بالإكراه واستخدام المساعدات والحوافز، هناك وسيلة الجذب والتي تجعل الآخرين يرغبون في نفس ما ترغب فيه أنت. وبذلك، يمكن تحقيق النتائج المرجوة، عبر دفع بلد ما إلى إتباع نفس نموذج البلد ذو المصلحة من تغيير السلوك، وهذا ما يعد استخداماً للقوة الناعمة في السياسة الدولية. القوة الناعمة هي تشكيل تفضيلات الآخرين. ويقول جوزيف ناي:

"الثقافة هي مصدر القوة الناعمة، فالمصادر التي تنتج هذه الأخيرة يمكن أن تتمثل في القيم التي تعبر عنها منظمة معينة أو دولة ما ضمن ثقافتها، وتتجلى عبر ممارساتها وسياساتها الداخلية، وفي الطريقة التي تدير بها علاقاتها مع الآخرين. والدبلوماسية الثقافية هي إحدى أدوات الدبلوماسية العامة التي تستخدمها الحكومات لإنتاج الجاذبية من خلال التحوار مع جماهير ولي حكومات البلدان الأخرى. وإذا لم تكن ثقافة وقيم وسياسات البلد المعني جذابة، فإن الدبلوماسية العامة التي تعمل على نشرها، لن تتمكن من إنتاج القوة الناعمة، بل ستؤدي إلى العكس"<sup>2</sup>.

ويقصد بالتبادل الثقافي، التبادل الفني، الأدبي، الرياضي، الدراسي والموسيقي، وغيرها. ومن خلال التبادلات الثقافية، يتزايد تأثير ثقافة على أخرى، في اتجاه تشكيل انطباعات ايجابية. وهي تساعد

<sup>1</sup>- Bin Sang Hun, Cho Kyung Ryun, Na Hong Ju, Park Young Hee, « Correlation between Cultural Diplomacy and Cultural Exchange in cases of the british Council and the Korean Cultural Center », Participant Papers 2013 in The International Symposium on Cultural Diplomacy, UK, July 2013, p4

<sup>2</sup>- Joseph Nye ? « Soft Power and Cultural Diplomacy », in Tala Mohebi, « Cultural Diplomacy », Public Diplomacy Magazine, Winter 2010, p-p :120-121.



## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

على التفاعل بين الدول وتشجع الشعوب على معرفة ثقافات أخرى، وتتعلق هذه الفكرة من إمكانية أن يكون العالم ضمن لعبة غير صفرية يحصل فيها كلاهما على الربح، ويصبح بإمكانهما التطور عبر فهم أعمق للثقافات<sup>1</sup>.

### الفرع الثاني: أهمية التبادل الثقافي في الدبلوماسية العامة الأمريكية

يقول جيسون إيرنيك Gibson Irenek بأن إدارة جورج بوش الابن على التبادلات الهامة في الشرق الأوسط فيما يتعلق بالأمن الوطني، الدبلوماسية، الاستراتيجية، معتمدة على أهمية القوة الصلبة والإكراه لإلحاق الهزيمة بالإرهاب ونشر الديمقراطية، ولكن في نفس الوقت، تبني القوة الناعمة وتحري عنصر الجاذبية في تلك المجالات، وما يدل على ذلك تخصيصها لميزانية متغيرة نحو التزايد بشكل مستمر لتنفيذ برامج مكتب الشؤون التعليمية والثقافية. ويضيف بأن هذا يتم انطلاقاً من تحول التبادل في المجال الثقافي إلى إحدى الأدوات التي يمكن استخدامها لتشجيع الديمقراطية من خلال التواصل مع أكبر شريحة من الشعوب في المنطقة. وجاء هذا لاهتمام إثر الهجوم الذي استهدف برج التجارة، واعتبار التطرف وكرهية أمريكا كأسباب أساسية له. وكذلك اعتبار العجز الديمقراطي الذي تشهده المنطقة وغياب الحرية السياسية هي العوامل التي أدت إلى هذا التصرف، وهي التي تهدد السلم، الرفاهية والحدثة. ويعرض Gibson Irenek خطة الدبلوماسية العامة بأنها تقوم على:

1- جلب أشخاص في إطار جولات دراسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتعريضهم للمؤسسات والممارسات الديمقراطية الأمريكية.

2- تواجد المنخرطين في تلك الجولات هناك سيساعدهم على تكوين روابط شخصية مع الأمريكيين<sup>2</sup>.

ولقد تم إدراك أهمية البعد الثقافي في السياسة الخارجية الأمريكية وضرورة استخدامها لتحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية بفعل عدة عوامل وردت في تقرير للجنة تقصي الحقائق التي زارت

<sup>1</sup> - Bin Sang Hun, Cho Kyung Ryun, Na Hong Ju, Park Young Hee, *Op.Cit*, p 4.

<sup>2</sup> - Gibson Irenek, « Improving U.S State Department Cultural Exchanges With the Middle East : A Case Study Comparison of Iraq and Jordan », *Political science Honors Projects*, Patrick Schmidt, Paper 19, april 22, 2015, p-p : 13-15.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

مسقط، القاهرة والأردن في شهر جوان 2004. وكانت مهمتها دراسة دور الفنون والثقافة في إدارة السياسة الخارجية وتحديد كيفية دعم البرمجة الثقافية والفنية. ولاحظ أعضاء اللجنة:

1- وجود غضب شديد من السياسات الأمريكية في المنطقة، وذلك رغم وجود صورة

أخرى عن الولايات المتحدة الأمريكية في أذهان سكان المنطقة والذين يعتبرونها المكان الذي يمكن فيه تحقيق الأحلام. إضافة إلى إعجاب بنظامها التعليمي، التطور العلمي والتكنولوجي، قيم الحرية والديمقراطية والكرامة الإنسانية. كما أن هناك رغبة في تغيير الأوضاع وغياب الخوف من ذلك ووجود صفات جيدة في المنطقة من صدق وكرم وانفتاح.

2- غياب التأثير الثقافي الأمريكي في ظل وجود تأثير فرنسي، بريطاني وألماني.

3- تأثر صورة الولايات المتحدة الأمريكية بالتغطية الإعلامية العربية للصراع مع إسرائيل والحرب في العراق خاصة صور فضيحة أبوغريب.

4- قلة الترجمات من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية. وهنا برزت فكرة إمكانية حل سوء

التفاهم من خلال الاطلاع على تقاليد الآخرين الثقافية ومنتجاتهم الأدبية. وهذا في ظل انخفاض تكلفة عملية الترجمة وفعاليتها في التبادل على المدى البعيد. فالترجمة تؤدي إلى نشر المعلومات والأفكار، وزيادة التعاطف والاعتراف بالقيم الإنسانية المشتركة، وغرس الآراء من الثقافات الأجنبية.

5- ضرورة تكثيف التبادلات الفنية (الممثلين، المنشطين، الفنانين، المخرجين، الكتاب،

مصممي مواقع الويب ...)<sup>1</sup>.

تأسست هذه اللجنة الاستشارية حول الدبلوماسية الثقافية في مارس 2004 بعد الحصول على إذن الكونجرس الأمريكي. وجاءت بغرض تقديم المشورة لوزيرة الخارجية بشأن البرامج والسياسات التي من شأنها دفع الدبلوماسية الثقافية في السياسة الخارجية الأمريكية بالتركيز على تطوير استراتيجيات لعمل شراكات بين القطاع العام والخاص لرعاية برامج التبادل الثقافي التي تخدم المصالح الوطنية الأمريكية. ويتمثل مبدأ هذه التبادلات في الفكرة التالية: عند عودة الطلبة إلى بلدانهم بعد إتمام دراستهم

<sup>1</sup>- « Cultural Diplomacy The Linchpin of Public Diplomacy », Report of the Advisory Committee on Cultural Diplomacy, US Department of State, September 2005, p12.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

سيكون قد تكون لديهم امتنان للتعليم الذي تلقوه هناك، وبالتالي سيكونون عبارة عن سفراء غير رسميين لهذا البلد ويصبحون مجسدين للمثل الأمريكية، وهو ما يسمح بخلق رصيد احتياطي من النوايا الحسنة. وشرح كولن باول Colin Powell أهمية هذه التبادلات بالنسبة للمصالح الأمريكية قائلاً بأن ليس هناك ما هو أكثر أهمية من المدخرات لهذا البلد، أكثر من صداقة قادة العالم المستقبليين والذين تلقوا تعليمهم هنا<sup>1</sup>.

وتعززت فكرة دعم التبادلات الثقافية لدى الإدارة الأمريكية انطلاقاً من الفئات التالية:

1- ما يثبت التاريخ بشأن الدول التي لا تملك صداقات، فهذا يؤدي إلى انهيارها. والولايات المتحدة الأمريكية مهددة بذلك بفعل تزايد قوتها وما ينجم عن ذلك وبشكل طبيعي في العلاقات الدولية من تزايد الشكوك حول الاستخدامات المستقبلية لتلك القوة ومخاوف من أن يتم ذلك دون اعتبار لآراء الآخرين.

2- النشاطات الثقافية هي فضل تمثيل لما تعتقده الأمم بشأن نفسها. ويتم من خلالها تبادل

الأفكار، المعلومات والفنون ما يشجع التفاهم المتبادل.

3- خسارة الولايات المتحدة الأمريكية لتعاطف العالم وبات ينظر لها كقوة عدائية وهو ما يصعب تنفيذ السياسة الخارجية في حالة عدم معالجة هذه الصورة. وهذا بفعل فضيحة سجن أبوغريب وغموض ملف المعتقلين في غوانتانامو وبسبب ذلك فقدت صورتها كمصدر للأمل. تراجعت مصداقيتها وقدرتها على الدفاع عن قيم الحرية والديمقراطية والكرامة الإنسانية. وكلها أفكار وجب العمل على تغييرها<sup>2</sup>.

ولم يكن تقرير اللجنة الاستشارية تلك الوحيد الذي بنيت عليه سياسة التبادلات الثقافية. ففي 2002، 2003، وكذلك في 2004، ظهرت استطلاعات رأي من إعداد بعض المراكز ( Zogby International، The Pew Research Center ) بينت انتشاراً واسعاً للعداء ضد الولايات المتحدة

<sup>1</sup>- Ibid, p-p : 6-8

<sup>2</sup>- Ibid, p-p : 4-6

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

الأمريكية وسياساتها خاصة عقب الحرب على العراق، وكان هذا العداء أشد في العالم العربي والإسلامي ( مصر والمغرب والمملكة العربية السعودية) مقارنة بدول أخرى، وتم اعتبار جورج بوش الابن أخطر من أسامة بن لادن على الأمن في العالم<sup>1</sup>.

وبعد أحداث 11 سبتمبر 2001، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بالتركيز على الدبلوماسية العامة لنشر آراء الولايات المتحدة الأمريكية والتعريف عن نفسها بنفسها لدى الجماهير الأجنبية وخاصة المتواجدة في الدول ذات الأغلبية المسلمة، وهو ما يمثل الخروج عن المجال التقليدي للعلاقات بين الحكومات والتواصل مع النخب القادة للرأي العام. كما أنها قررت بذلك دفع الشعوب إلى تغيير مواقفها وسلوكها تجاه الولايات المتحدة الأمريكية ما يدفع إلى الحد من الدعم الذي تحصل عليه المنظمات المتطرفة التي تستخدم العنف. وجعلت الحد الأدنى في معايير نجاح هذه الجهود محددًا في تثبيط الكراهية الموجودة تجاهها بحيث لا تبلغ استخدام العنف وإلحاق الضرر بمصالحها الحيوية. وهذا ما يتطلب التعامل مع النخب، طلبة التعليم العالي، الشركات والمؤسسات الدينية<sup>2</sup>. وبناء عليه، بدأت الإدارة الأمريكية تعيد النظر في جهازها القائم على الدبلوماسية العامة وتفكر في دعمه وزيادة فعاليته لمواجهة هذا التحدي. ويعبر عن ذلك بوضوح إدوارد جيرجيان Edward Djerejian وهو رئيس المجموعة الاستشارية للدبلوماسية العامة قائلًا:

" في لحظة حرجة من تاريخ بلدنا أثبت جهاز الدبلوماسية العامة أنه غير كفاء وخاصة في العالم العربي والإسلامي، ويكمن النقص، لا في الرجال والنساء المتقنين في وزارة الخارجية وغيرها من الذين يمارسون الدبلوماسية العامة نيابة عن أمريكا في أنحاء العالم، وإنما في نظام أصبح بالياً يفتر إلى التوجيه الاستراتيجي والمصادر... إن الحلول التي ندعو إليها تسابير هذه الأزمنة، حيث نخوض صراعا كبيرا طويل الأجل ضد قوى التطرف سواء كانت علمانية أو دينية. إننا ندعو إلى تحول دراماتيكي في الدبلوماسية العامة، في الطرق التي بها تتواصل الولايات المتحدة لتوصل قيمتها ولتعزز أمنها القومي. ويتطلب هذا التحول نهاية فورية لنقص التمويل الخطير والذي يبلغ حد العبث للدبلوماسية العامة في زمن خطر، حينما نجح أعداؤنا

<sup>1</sup>- Ibid, p-p :1-4

<sup>2</sup>- Walter Douglas, Jeanne Neal, *Engaging the Muslim World Public Diplomacy after 9/11 in the Arab Middle East, Afghanistan, and Pakistan*, Washington : Center for Strategic International Studies, November 2013, p-p : 1-4

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

في نشر مزاعم غير دقيقة عن نياتنا وأفعالنا. ويشكل نجاح خصومنا في صراع الأفكار صدمة كلية لأن القيم الأمريكية مشتركة على نطاق واسع للغاية. وكما يعبر أحد محاورينا الإيرانيين "من يمكن أن يكون لديه أي اعتراض على الحياة والحرية والبحث عن السعادة؟" لقد قيل لنا أيضا أنه لو لم تعرّف أمريكا نفسها فإن المتطرفين سيفعلون هذا عنها"<sup>1</sup>

ومنذ ذلك، زادت أهمية الإقناع كمبدأ في إدارة التغيير الذي تريد الولايات المتحدة الأمريكية أن يحدث في النظام الدولي. ويرجع ذلك، لما يتضمنه هذا الأسلوب من تأثير على العقل والفكر لدفع الأطراف الأخرى لتقبل وجهة نظر معينة. ولهذا بات التغيير الأمريكي مقترنا بتغيير الإدراك لدى الآخرين وتغيير قناعاتهم. واعتمادا على كون حركة إرادة الشعوب ترتبط بما يتلقونه من وعود وما لديهم من آمال، أيقنت الولايات المتحدة الأمريكية ضرورة إقناع المستهدفين بأن قناعاتهم أصبحت قديمة وتمسكهم بها يعيق مواكبة التقدم. وهنا يأتي الجذب الفكري كوسيلة أساسية لتغيير السلوك والقناعات بعد إحداث اهتزازات في المفاهيم السائدة في تلك المجتمعات<sup>2</sup>.

وتعتبر التبادلات سواء تبادل الأفراد أو الأفكار، على المستوى المهني أو على المستوى التعليمي، والتي تمثلت في برامج فولبرايت Fullbright والزائرين الدوليين International Visitors أساس الدبلوماسية العامة. وهي تمثل التزاما أمريكيا بعيد المدى بالعلاقات الثنائية. وتكمن قيمة هذه البرامج في بلوغ قادة الرأي العام بين الجماهير الأساسية مثل النساء والشباب. كذلك يشكل التتويرون Alumni قوة لا يستهان بها في هذا المجال ويعمل موظفو الدبلوماسية العامة على تدعيم هذه القوة، ويتم اعتبارهم كمستشارين في مجال خبرتهم. وعندما تحاول الحكومات إلغاء أحد البرامج الثقافية الأمريكية، يتدخل التتويرون. وإضافة إلى هذه البرامج، تولي الدبلوماسية العامة اهتماما بالغا بتعليم اللغة الإنجليزية وذلك راجع إلى اهتمام شعوب المنطقة بها لتحسين فرص التوظيف لديهم، ومن جهة أخرى تستخدمها الدبلوماسية العامة لاطلاع المنخرطين على العالم وتدريبهم على التفكير النقدي وفتح آفاق لحياتهم لدفعهم نحو عدم اللجوء إلى العنف. وهو ما يسمح أيضا بمعالجة الخلافات الموجودة بشأن السياسة

<sup>1</sup> إدوارد جيرجيان، "تغيير العقول لكسب السلام: توجه استراتيجي جديد للدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربي والإسلامي"، المستقبل العربي، نوفمبر 2003، العدد 297، ص-ص: 103-104

<sup>2</sup> حازم حمد موسى الجنابي، إدارة التغيير الاستراتيجية الأمريكية الشاملة نموذجا، عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص-ص: 275-280

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

الخارجية الأمريكية. وتشمل هذه البرامج أبناء العائلات غير المستفيدة، فبانخراط أولادهم في هذه البرامج وما يسمونه عن مضمونها سيحد من كراهيتهم للولايات المتحدة الأمريكية ويزيد من عدد الراغبين في تلقي مواد هذه البرامج<sup>1</sup>.

وتجدر الإشارة إلى الفرق بين الدبلوماسية العامة ومفهوم الدبلوماسية الثقافية. تعني الأولى التركيز أحادي الجانب على شرح السياسات المتبعة من قبل صاحبها للآخرين. أما الثانية، فهي عبارة عن مقارنة قد تكون ثنائية أو متعددة الأطراف تركز على الاعتراف المتبادل. وهذا الأخير شرط ضروري لتبادل الأفكار والمفاهيم والصور التي يتم إجراء الحوارات بشأنها<sup>2</sup>. وتقول Charlotte Huygens بأن قلب النزاع بين العالم الغربي والعالم العربي تحديدا هو ما اختبره كلاهما من اعتداء كل منهما على أسلوب حياة الآخر، ووجود قلق متبادل بشأن النوايا الموجودة تجاه بعضهما البعض. وهي تستدل على بما تسميه الصرخة التي عبر عنها السؤال الذي طرحه جورج بوش الابن "لماذا يكرهوننا؟" وادعاؤه بأنهم "يكرهون حريتنا وديمقراطيتنا"، يمثلان القلق الغربي من النوايا العربية والإسلامية. وفي نفس الوقت، هناك صراع في العالم العربي بين التقاليد التي يعتبرونها عربية بشكل خالص، والتدفق الآتي من الغرب لمفاهيم سياسية، اجتماعية واقتصادية. وتقول بأن ما يعزز هذا التناقض، هو واقع أن العرب هم غالبا من يستوردون بعض أشكال الحياة الغربية كطريقة اللبس أو الموسيقى والفنون. وهنا برز سؤال كيفية التعامل مع هذا التناظر الذي يغلق قنوات الحوار. وهي ترى بأن المشكلة الأساسية لا تكمن في مضمون ما يُقال وإنما في من يصرح بهذا المضمون وبأية طريقة<sup>3</sup>.

وفي ظل هذه الظروف، برزت أهمية تغيير المقاربة في التعامل مع الوضع، وبدلا من أن تكون العلاقات مقتصرة على الجانب الرسمي فقط وبين الحكومات، يصبح التعامل بين الشعوب مباشرة. وتعرف هذه الأداة المباشرة من أدوات الدبلوماسية العامة باسم People-To-People، وهي أداة قوية في مساعدة الشعوب على تغيير مدركاتهم بشأن البلدان التي ينتمون لها وثقافات بعضهم البعض. وذلك أن التعامل المباشر ووجها لوجه، يساعد على إزالة الأفكار النمطية ويسهل التواصل بين الثقافات. ولهذا،

<sup>1</sup>- Walter Douglas, Jeanne Neal, *Op.Cit*, p-p : 17-19

<sup>2</sup>- Maurits Berger, Els Van Der Plas, Charlotte Huygens, Neila Akrimi, Cynthia Schneider, « Bridge the Gap, or Mind the Gap ? Culture in Western-Arab Relations », *Clingendael Diplomacy Papers* No.15, The Hague : Netherlands Institute of International Relations, January 2008, p3

<sup>3</sup>- *Ibid*, p5

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

تعتبر التبادلات التعليمية والمهنية من الأدوات التي تلعب دورا حيويا في الدبلوماسية الثقافية والدبلوماسية العامة<sup>1</sup>. والأهداف المعلنة لهذه البرامج تتمثل في:

- تحسين مدركات المجتمع بشأن البلدان التي ينتمي لها أعضاء التبادل (الطلاب والمهنيين)، وبناء علاقات بينهم
- تجاوز الأحكام والصور النمطية.
- تعزيز الفهم المتبادل للأديان.
- بناء الثقة.
- تحقيق مكاسب علمية وأكاديمية وخوض لتجارب ايجابية<sup>2</sup>.

### الفرع الثالث: برامج التبادل الثقافي

من بين البرامج والمؤسسات القائمة على التبادلات الثقافية والموجهة لمنطقة الشرق الأوسط الكبير:

- أ- برامج تبادل الطلاب والقيادات
- برنامج The Tunisia Community College Scholarship: وهو منحة دراسية تستقطب طلبة المدارس التقنية التونسية وجلبهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة لمدة سنة واحدة. وهو يهدف إلى فهم الطلبة للثقافة الأمريكية وتزويدهم بالمهارات والخبرات المطبقة عالميا والتي تؤهلهم للإسهام في النمو الاقتصادي لبلدهم. وتشمل مواضيع البرنامج ما يتعلق بالاقتصاد التونسي من زراعة، الهندسة التطبيقية، إدارة الأعمال، التربية المدرسية، تكنولوجيا المعلومات، الإعلام والسياحة<sup>3</sup>.
- برنامج Sports Visitor: وفيه تستقبل الولايات المتحدة الأمريكية الشباب الرياضيين من

<sup>1</sup>- Jesse Lutabingwa, « Cultural Diplomacy Through Educational and Cultural Exchanges the Case of North Carolina-Pakistan School Exchange Project »,

<sup>2</sup>- Ibid

<sup>3</sup> - <https://exchanges.state.gov/non-us/program/tunisia-community-college-scholarship-program>

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

دون النخبة لمدة أسبوعين، وفيه يتفاعلون مع المجتمع والخبرة الأمريكية ويمارسون نشاطات تتضمن دورات حول التغذية، المساواة بين الجنسين في مجال الرياضة، بناء الفرق وكيفية إعداد خطط العمل الشخصية وتطوير الذات<sup>1</sup>.

- برنامج Yes-Youth Exchange and Study Program: وفيه تقوم أسر باستضافة الطلبة

الذين يسمح لهم بحضور حصص في المدارس الثانوية لمدة فصل دراسي أو سنة دراسية، يتعرف فيها الطلبة عن البلد المضيف والقيم والمهارات القيادية. وبرنامج Yes موجه للطلاب الذين ينتمون للدول ذات الأغلبية المسلمة.<sup>2</sup>

- منظمة امديست America-Mideast Educational and Training Services: وهي

منظمة غير هادفة للربح تهدف إلى التبادل الثقافي بين طلاب الولايات المتحدة الأمريكية ودول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وهي موجهة في برامجها لكل مراحل التعليم من الثانوي إلى الدراسات العليا، وتقدم دورات في اللغة الانجليزية والمهارات التدريبية<sup>3</sup>.

- برنامج روتاري لتبادل الطلاب والخبرات والكفاءات: يقوم على دعم الطلبة المقيمين لمدة

محددة في الولايات المتحدة الأمريكية في ضيافة عائلة، وقد يكون هذا الدعم المادي كلياً أو جزئياً<sup>4</sup>.

- برنامج رواد الديمقراطية: هو برنامج زمالة في الولايات المتحدة الأمريكية للقادة والنشطاء

المدنيين الشباب من منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وفيه يتلقون تعليماً نظرياً حول مفاهيم القيادة والديمقراطية وكيفية إجراء النقاشات النظرية. ثم يتوجهون إلى الجانب العملي الذي يتضمن العمل مع منظمات حكومية وغير حكومية، مع الحرص على أن يكون المنخرطون أشخاصاً يتقبلون العمل مع

<sup>1</sup>- <https://exchanges.state.gov/non-us/program/sports-visitor-program>

<sup>2</sup>- <https://www.yesprograms.org/>

<sup>3</sup>- <https://www.amideast.org/>

<sup>4</sup>- <http://educationinusanow.com/livinginus/educatio/exstudent/>



## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

غيرهم بغض النظر عن الجنس، العرق، الدين وآرائهم السياسية وموقعهم في سلم الترتيب الاجتماعي والاقتصادي<sup>1</sup>.

- برنامج رواد الغد: يهدف إلى بناء كوادر قيادية الذين يتمتعون بالقدرة الفكرية والمهارة

المهنية. يقدم منحا جامعية لبرامج أكاديمية لمدة أربع سنوات لطلاب السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، والذين ينتمون إلى طبقات اجتماعية غير ميسورة اقتصاديا، ولكن لديهم الدافع والطاقة ليصبحوا قادة. تمنح لهم فرصة المشاركة في الدراسة في إحدى الجامعات المعتمدة في المنطقة (الجامعة الأمريكية في بيروت-الجامعة اللبنانية الأمريكية). ويفترض بهؤلاء أن يصبحوا قادة مجتمع مستقبلا، رجال أعمال وقيادات وطنية<sup>2</sup>.

- برنامج القادة الطلاب: يقوم على تدريب الطلاب الجامعيين المتميزين على القيادة من خلال

دورات تدريبية مكثفة حول الحوكمة التشاركية وماهية المجتمع المدني وكيفية تطبيق المعارف المتحصل عليها في بلدانهم<sup>3</sup>.

- برنامج الزائر الدولي International Visitor Leadership Program: أحد أهم برامج

وزارة الخارجية الأمريكية للتبادل وأكثرها مهنية. يهدف إلى إقامة علاقات طويلة الأمد بين الأمريكيين والزعماء الحاليين أوالمستقبليين للمنطقة، بما يدعم أهداف السياسة الخارجية الأمريكية وأهداف المشاركين<sup>4</sup>.

- برنامج فولبرايت Fullbright: يمنح فرصة الدراسة والقيام بالبحوث في الولايات المتحدة

الأمريكية، ويتميز بتحملة للتكاليف من سفر، كتب، رسوم الدراسة والتأمين الصحي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - <https://mepi.state.gov/ar/education-ar/ldf/>

<sup>2</sup> - <https://mepi.state.gov/ar/education-ar/tomorrows-leaders-scholarship-program/>

<sup>3</sup> - <https://mepi.state.gov/ar/education-ar/student-leaders-program-ar/>

<sup>4</sup> - <https://exchanges.state.gov/non-us/program/international-visitor-leadership-program-ivlp>

<sup>5</sup> - <https://www.hotcourses.ae/study-abroad-info/applying-to-university/fulbright-scholarship/>

### ب- برامج تمكين المرأة

تتضمن تنظيم ورش عمل ودورات لتدريب المرأة، وتفعيل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية للدفاع عن القضايا المتعلقة بها ووضع استراتيجيات لتمكينها من حقوقها، توفير بيئة آمنة لها ومساعدتها على إنشاء وإدارة مشاريعها الخاصة. وإلى جانب برنامج الزائر الدولي الذي يتيح للنساء العربيات فرصة التعرف على قضايا المشاركة السياسية وإدارة الأعمال، هناك عدد من البرامج التي تسعى إلى تحقيق أهداف مماثلة والموجهة لمنطقة الشرق الأوسط الكبير، ومن بينها:

- برنامج تفعيل المؤسسات الحكومية والمنظمات غير الحكومية في بلورة استراتيجية لمنع العنف ضد المرأة في الأردن، والذي قامت بتنفيذه مؤسسة فريدم هاوس Freedom House.
- برنامج رفع قدرات المنظمات النسائية الأردنية والمصرية للمشاركة في الحوار السياسي والإصلاح الديمقراطي. والذي قامت بتنفيذه في الأردن "المعونة الأمريكية للاجئين الشرق الأدنى ANERA" مع "الاتحاد العام للجمعيات التطوعية الأردنية". أما في مصر، فقد كان التنفيذ من طرف "النشاط التنموي والسكاني CEPDA بالتعاون مع "المجلس القومي للمرأة".
- برنامج الشراكة الأمريكية العراقية لسيدات الأعمال بالتعاون مع رابطة سيدات الأعمال الأمريكيات وشركاء مدنيين من مبادرة الديمقراطية للمرأة العراقية.
- برنامج تدريب الرواد بالشرق الأوسط والذي يقدم تدريبات في مجال خدمات الاتصالات والتكنولوجيا وإدارة الأعمال.
- برنامج الوعي التعليمي للفتيات الريفيات وبرنامج آفاق جديدة New Horizons.
- برنامج التدريب السياسي للناشطة الكويتية بتمويل من "التمويل الأمريكي للشرق الأوسط الديمقراطي" وتنظيم "منظمة رايتس RIGHTS" والمؤسسة القومية الديمقراطية NDI.
- برنامج القيادة النسائية الذي يشرف عليه مكتب الشؤون الثقافية والتعليمية التابع لوزارة الخارجية الأمريكية، والذي اهتم بتدريب بعض القياديات من العراق، وناشطات في المجتمع المدني من سوريا ومصر.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

- برنامج التعليم الوظيفي للمرأة العربية بتنفيذ من منظمة CARE في اليمن تحت رعاية الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، لتقديم المساعدة في المجال الزراعي والبيئة والاقتراض والرعاية الصحية للأم والطفل.
- برامج الرعاية الصحية والمعونة للأمهات العربيات بتمويل من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية لبناء مستشفيات ووحدات الرعاية الصحية في مصر، اليمن، الأردن والمغرب، وتدريب الأمهات الفلسطينيات على تنظيم النسل.
- برنامج تقديم الخبرات الإدارية والتجارية للنساء الشابات بالشرق الأوسط تحت إشراف مكتب الشؤون الثقافية والتعليمية بجامعة Duke و Emory.
- مبادرة الديمقراطية للمرأة العراقية من خلال شراكة مع المنظمات المدنية في العراق تحت إدارة "مكتب المنسق الأعلى لقضايا المرأة الدولية" لتمكين المرأة العراقية من الوظائف العامة عبر التدريب والتنمية الاقتصادية والقيادية، وعبر الحرص على أن تكون المنظمات النسائية غير الحكومية مستقلة.
- "مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط...بناء الأمل لسنين" لمكافحة الأمية مساعدة المؤسسات التعليمية والتربوية والقطاعين العام والخاص على القيام بمشاريع استثمارية.
- مبادرة مدارس الاكتشاف: التي تقوم على استخدام التكنولوجيا الحديثة ومناهج التعليم الحديث.
- مبادرة التعليم على الانترنت: والتي تهدف إلى تضيق الفجوة الرقمية بين الشرق الأوسط وبقية العالم.
- مبادرة تدريس إدارة الأعمال: من خلال شراكات بين مدارس الأعمال في دول مجموعة الثمانية والمعاهد التعليمية في المنطقة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> شيرين حامد فهمي السيد، "الأبعاد الثقافية للإستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية بعد 11 سبتمبر"، دراسة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2010، ص-ص:

### المطلب الثاني: الإصلاحات التعليمية

بدأت العديد من الدول العربية والإسلامية في تطبيق سلسلة من الإصلاحات في قطاعها التعليمي، ولم تكن بعيدة عن الجدل والتساؤل حول جدواها ومدى تناسبها مع القيم الدينية والاجتماعية.

#### الفرع الأول: إصلاح التعليم وتكوين المجتمع المعرفي

يقول الدكتور عبد الجليل محمد حسين بأن التعليم هو وسيلة صياغة العقل والشخصية، والسيطرة عليه هي سيطرة على العقل. والتعليم هو الوسيلة المثلى والوحيدة لتغيير الوعي والتأثير في طريقة التفكير والشخصية ومن ثم السلوك. ولذلك، تعتمد الاستراتيجية الأمريكية على تغيير قيم وأفكار شعوب المنطقة العربية والإسلامية. وفي هذا الصدد، سجل عددا من الملاحظات حول الهدف الثاني من مشروع الشرق الأوسط الكبير المتمثل في تكوين مجتمع معرفي، والذي يعتبر الإصلاح التعليمي من بين سبل تحقيقه. وفي هذا الصدد هو يلاحظ التالي:

- 1- تعتمد عدم تسليط الضوء على هذا الجانب من قبل الإعلام، وعدم إثارة النقاش بشأنه في الوقت الذي كان هناك اهتمام كلي بالإصلاح السياسي.
- 2- تصلب الولايات المتحدة الأمريكية بشأن الإصلاح التعليمي من حيث المضمون وأيضا المجال الجغرافي الذي استهدفه بحيث شمل كل الدول الإسلامية الواقعة في منطقة الشرق الأوسط الكبير، في حين خضع جانب الإصلاح السياسي للمساومة والتعديل. ويعود ذلك إلى توافق مضمون هذه الإصلاحات مع أهدافها والتي يعززها تغيير القيم والأدوار التي تقوم بها مؤسسات التنشئة (الأسرة، المدرسة، الجامعة، المسجد).
- 3- استجابة الأنظمة السياسية لمطلب الإصلاح التعليمي بحجة مواكبة التطور ومقتضيات العولمة، مع نفي تداعيات هذا الإصلاح على الثوابت الوطنية والدينية، ونفي دور الضغوط الأمريكية في هذا الموضوع.
- 4- اعتبار الولايات المتحدة الأمريكية إصلاح التعليم جزءا من حربها على أفكار ما تسميه

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

الإرهاب الإسلامي. وتتجلى أهمية هذا الهدف بالنسبة لها في كونها عمدت إلى إنشاء إطار وزاري لوزراء التعليم في الشرق الأوسط ومجموعة الثماني تم فيه تحديد الإطار العام للتعاون في هذا المجال بشكل نهائي لا رجعة فيه<sup>1</sup>.

### الفرع الثاني: مستويات الإصلاحات التعليمية

يعتمد تحديث الأنظمة التعليمية على إعادة النظر في مدخلاتها، نتائجها وعلاقتها بسياقها الاجتماعي. ويقصد بالمدخلات مجمل الموارد التي يعتمد عليها النظام التعليمي من أساتذة، معلمين، كتب دراسية، الهياكل الدراسية والسياسات المتبعة. ويقصد بالنتائج ما يتعلق بالتعلم ورأس المال الاجتماعي. أما السياق الاجتماعي فهو يتضمن العناصر التي قد تؤثر إما على المدخلات أو على المخرجات التي لا يتحكم فيها النظام التعليمي بشكل مباشر مثل الوضعية السوسيواقتصادية أو المستوى التعليمي للأمم<sup>2</sup>. ولقد تمت هذه الإصلاحات على مستويين:

#### أ- مستوى يهدف إلى إنشاء اقتصاد ومجتمع المعرفة:

منذ صدور تقرير التنمية البشرية العربي لعام 2002 إلى سنة 2011، تغير المشهد التعليمي في منطقة الشرق الأوسط. فعلى مستوى التعليم العالي، شهدت هذه الأخيرة تغيراً في نوعية البرامج التعليمية التي تقدمها الحكومات سواء في مستويات التدرج أو ما بعد التدرج، وكذلك على مستوى الشهادات التي تمنحها المعاهد التطبيقية ومراكز التكوين المهني والبرامج التعليمية عبر الانترنت. وهو تغير كمي وكيفي في المؤسسات وعلاقة التعليم بالقطاعين العام والخاص. عرفت المؤسسات الخاصة وغير الحكومية، الجامعات الأجنبية المرفقة بإقامات محلية، الجامعات الافتراضية والشراكات المبرمة بين الجامعات المحلية والأجنبية، نمواً سريعاً رغم اختلاف الظروف بين دول المنطقة التي يشهد بعضها ضغوطاً ديمغرافية وقلة في الموارد. ولقد ارتفع خلال هذه الفترة عدد الجامعات في المنطقة إلى أكثر من الضعف، من 178 إلى 398، هذا إضافة إلى مراكز التكوين المهني، معاهد تدريب الأساتذة،

<sup>1</sup> - عبد الجليل محمد حسن كامل، مرجع سابق ذكره، ص-ص: 403-405

<sup>2</sup> - Ted Purinton, Amir ElSawy, « School Reform in the Middle East : Educational Researchers Adapting the Arab Spring », [https://onthinktanks.org/wp-content/uploads/2016/06/egypt-school-reform\\_communicating-complex-ideas-book.pdf](https://onthinktanks.org/wp-content/uploads/2016/06/egypt-school-reform_communicating-complex-ideas-book.pdf)

12/04/2018

19 :25

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

ومؤسسات أخرى غير مرتبطة بالجامعات، ارتفع عددها إلى 1.139. كما تشكل مؤسسات القطاع الخاص حوالي 30%، إذ تبلغ نسبة جامعات القطاع الخاص في البحرين، لبنان، فلسطين، قطر والإمارات العربية المتحدة، ما يفوق 80%، وتقل النسب عن 20% في الجزائر، العراق، ليبيا والمغرب. وتعمل المؤسسات الجديدة وفق نموذج ربحي. وتم تأسيس المراكز التعليمية للسوق الحرة مثل قرية المعرفة في دبي. وهي نموذج من المؤسسات الفرعية التي تم التوسع فيها وتضاعف عددها ليلبلغ 162 في الفترة الممتدة من 2006 إلى 2009، ويتواجد 30% في الإمارات العربية المتحدة وقطر فقط<sup>1</sup>.

وتضمنت الإصلاحات التعليمية ربطا بين العملية التعليمية والتدريب على المستويين التقني والمهني بناء على متطلبات اقتصاد المعرفة. وأصبح هناك تركيز أكبر على مراكز التكوين المهني، وهي مؤسسات لا تحظى بالتفضيل اجتماعيا، إذ تعتبر ملجأ الطلبة الذين لم يتمكنوا من مواصلة مسيرتهم الأكاديمية. وتم اعتبار تدني مستوى التعليم الذي تقدمه هذه المراكز أحد مصادر عدم المساواة في المجتمع لأن أغلب المتخرجين منها ينتمون إلى طبقات أدنى اقتصاديا وسياسيا، وأن تبعيتها للمؤسسات المركزية في الدولة، وعدم قدرتها على اتخاذ القرارات المتعلقة بمضمون العملية التعليمية أو العاملين فيها أو المسائل المالية، هي معوقات تحد من فعاليتها. وجاءت الإصلاحات كتعبير عن محاولة لمواجهة هذه التحديات وتمكين مراكز التكوين المهني والتدريب من التكيف مع مقتضيات مجتمع المعرفة<sup>2</sup>.

### أولا: المقصود باقتصاد المعرفة

يوضح محمد أنس أبو الشامات مفهوم المعرفة واختلافها عن مفهومي البيانات والمعلومات. فالبيانات هي تلك الرموز والأرقام والكلمات التي يتم التعبير بواسطتها عن واقع معين. والمعلومات هي المعاني التي تحملها البيانات، وهي ما يتم الحصول عليه من معطيات نتيجة لتحليل هذه الأخيرة ومعالجتها. أما المعرفة، فهي إدراك وفهم الواقع بناء على كل من البيانات والمعلومات. ويقول:

<sup>1</sup> - Katherina Wilkens, Higher Education Reform in the Arab World, The Saban Center for Middle East Policy, Brookings, August 2011, p-p : 1-2

<sup>2</sup> - ممدوح جابر شلبي وآخرون، تقنيات التعليم وتطبيقاتها في المناهج، مصر: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، د.ت.ن،

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

"المعرفة هي الاستخدام الكامل والمكثف للمعلومات والبيانات التي ترتبط بقدرات الإنسان الأصلية والمكتسبة، بحيث توفر له الإدراك والتصور والفهم من المعلومات التي يتم التوصل إليها عن طريق البيانات الخاصة بحالة أو ظاهرة أو مشكلة معينة أو مجال معين"<sup>1</sup>

ويعرف الدكتور علي بن ضميان العنزي اقتصاد المعرفة بأنه الاقتصاد الذي تشكل المعرفة أساسا له لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بوتيرة سريعة وخلق الثروة وفرص العمل؛ بحيث يقوم على اكتسابها وإنتاجها وتسخيرها لتحقيق ذلك. وهو اقتصاد قائم على تقنية المعلومات والاتصالات. وهو يتميز بكونه اقتصادا معولما، قادرا على التكيف والاستجابة السريعة لرغبات الزبائن ويركز على خدمة المستهلك. كما أنه يتميز بحاجة كل النشاطات فيه إلى المعرفة وتواجد الطلب على منتجاته التي تكون معرفية أيضا. فهو اقتصاد يعتمد على وجود علاقة قوية بينه وبين مصادر المعرفة العالمية، ويعتمد على قوى إنتاجية ذات مستوى تعليمي عالي<sup>2</sup>. اقتصاد المعرفة هو:

"...اقتصاد قائم على الاستفادة من تطور التطبيقات التكنولوجية واستخدام العقل البشري كراس للمال، وتوظيف البحث العلمي لإحداث مجموعة من التغييرات الاستراتيجية في طبيعة المحيط الاقتصادي وتنظيمه ليصبح أكثر استجابة وانسجاما مع تحديات العولمة وتكنولوجيا الاتصالات وعالمية المعرفة والتنمية المستدامة... هو الاقتصاد الذي يكون للتطور المعرفي والإبداع العلمي الوزن الأكبر في نموه، ويقوم على تنمية الموارد البشرية (عمال المعرفة) علميا ومعرفيا كي تتمكن من التعامل مع التقنيات الحديثة والمتطورة، معتمدا على المعرفة التي يمتلكها العنصر البشري كمورد استثماري، وكسلعة استراتيجية، وكخدمة للدخل القومي"<sup>3</sup>

وقررت الدول العربية بالتعاون مع المنظمات الدولية والإقليمية والوطنية في بداية الألفية الجديدة، أن تسلك مسار اقتصاد المعرفة لتحقيق التنمية مستفيدة من التطور التكنولوجي والمعرفي. وعبرت في

<sup>1</sup> محمد أنس أبو الشامات، "اتجاهات اقتصاد المعرفة في البلدان العربية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 28، العدد الأول، 2012، ص 594.

<sup>2</sup> علي بن ضميان العنزي، "مدى توافق الاستثمار في وسائل التواصل الاجتماعي مع معايير اقتصاد المعرفة"، ورقة بحثية مقدمة للمنتدى الإعلامي السنوي السابع للجمعية السعودية للإعلام والاتصال..تكامل الأدوار في خدمة التنمية، الرياض، 11-12 أبريل 2016.

<sup>3</sup> محمد أنس أبو الشامات (بتصرف)، مرجع سبق ذكره، ص 597

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

مناسبات عديدة (الإعلان عن أهداف الألفية من طرف هيئة الأمم المتحدة، القمة العالمية لمجتمع المعلومات في تونس سنة 2005، إعلان الاستراتيجية العربية العامة لتكنولوجيا والمعلومات في دمشق عن السعي لبناء مجتمع المعلومات 2007-2012، مؤتمر الصناعات المعرفية وتقنيات النانو في الدوحة سنة 2008، ...) عن عزمها على الانفتاح تجارياً ومالياً والاستفادة من الثورة الرقمية في الحكم والتعليم والتدريب، وتطوير الصناعات المعرفية لتحقيق التنمية المستدامة وتحسين نوعية الحياة لدى شعوب المنطقة. ومن بين مؤشرات الاهتمام بذلك:

- إقامة مدينة المعرفة الاقتصادية بالمدينة المنورة في المملكة العربية السعودية، قائمة على

الصناعات المعرفية.

- الجمعية المصرية لحاضنات الأعمال المكونة من كبار رجال الأعمال ووزراء سابقين، لدعم

رواد المشروعات الصغيرة.

- تكوين حاضنة تكنولوجية متخصصة في تكنولوجيا الاتصالات Ideaveloper داخل القرية

الذكية في مصر.

- إقامة مدينة دبي للإنترنت<sup>1</sup>. وهي عبارة عن منطقة حرة لتكنولوجيا المعلومات تسعى إلى

استقطاب ودمج الشركات العالمية، والعقول العربية المهاجرة، في هذا المجال. ويتم فيها تكوين الكوادر وطلبة الجامعات. كما تم تأسيس مدينة دبي للإعلام التي تعمل على جذب الكفاءات في الإعلام (الصحافة والإنترنت)، وشركات التكنولوجيا والتجارة الإلكترونية والقنوات الفضائية العربية المهاجرة. وتهدف إلى تحويل الحكم في المدينة إلى الحكومة الإلكترونية. وفي سنة 2001 تم إنشاء قرية المعرفة في دبي تضم مؤسسات تعليمية وتدريبية وبحثية عالمية وهي تؤدي مهامها بملكية أجنبية خالصة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 603-605

<sup>2</sup> - خالد عبد الحفيظ محمد حمد، "اقتصاديات المعرفة في الدول العربية: الواقع وتحديات المستقبل"، مجلة النيل العلمية،

يناير 2011، ص-ص: 56-57



## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

الجدول رقم 04: خصائص اقتصاد المعرفة بالمقارنة مع الاقتصاد التقليدي<sup>1</sup>

| الاقتصاد التقليدي (مقيد بالزمان والمكان)   | اقتصاد المعرفة (غير مقيد بالزمان والمكان)   |
|--|---|
| الاستثمار في رأس المال المادي  | الاستثمار في رأس المال المعرفي  |
| الاعتماد على الجهد العضلي (الملمسات) بدرجة أساسية في الاقتصاد التقليدي   | الاعتماد على الجهد الفكري (اللاملموسات) بدرجة أساسية في الاقتصاد المعرفي  |
| استقرار الأسواق في ظل منافسة تتحكم فيها -غالبا- البيروقراطية السلطوية  | ديناميكية الأسواق والتي تعمل في ظل تنافسية مفتوحة   |
| المكننة Mechanisation هي المحرك الأساسي للاقتصاد الصناعي   | الرقمنة Digitization هي المحرك الأساسي للاقتصاد المعرفي   |
| يهدف الاقتصاد التقليدي إلى التوظيف الكامل للقوى العاملة دون تحديد مهارات مميزة لأداء العمل   | يهدف الاقتصاد المعرفي إلى وضع قيمة حقيقية للأجور والتوسع في استخدام اليد العاملة ذات المهارات العالية التي تتفاعل مع التعليم والتدريب المستمر |
| أنه اقتصاد ندرة، حيث تنصب موارد بكثرة الاستخدام  | أنه اقتصاد وفرة، حيث تزداد موارده (المعرفة) بكثرة الاستخدام   |
| خضوع الاقتصاد الزراعي لقانون تناقص العوائد (تزايد التكاليف). والاقتصاد الصناعي لقانون ثبات العوائد (ثبات التكاليف) مع الاستمرار في الاستخدام | خضوع الاقتصاد المعرفي لقانون تزايد العوائد (تناقص التكاليف) مع الاستمرار في الاستخدام   |
| العلاقة بين الإدارة والقوى العاملة في الاقتصاد التقليدي تتسم بالاستقرار  | العلاقات بين الإدارة والقوى العاملة في الاقتصاد المعرفي تتسم بعدم الاستقرار. إذ ينتهي مبدأ التوظيف مدى الحياة                                 |
| العلاقة بين قطاعات الأعمال والدولة غير متكافئة. إذ تفرض الدولة سيطرتها وتصدر أوامرها طبقا لمتطلبات الدولة وتوجهاتها الاقتصادية.              | العلاقة بين قطاعات الأعمال والدولة في الاقتصاد المعرفي قائمة على التحالف والتعاون.  |

<sup>1</sup> - علي بن حسن يعن الله القرني، "متطلبات التحول التربوي في مدارس المستقبل الثانوية بالمملكة العربية السعودية في ضوء تحديات اقتصاد المعرفة"، رسالة دكتوراه في الإدارة التربوية والتخطيط، نقلا عن بن ونيسة ليلي، "اقتصاد المعرفة وجودة التعليم العالي الجزائر -دراسة مقارنة-"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية، العلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر، 2015-2016، ص-ص: 35-36

ويوضح محمد جبار طاهر الشمري أهمية اقتصاد المعرفة في العناصر التالية:

- 1- إجبار المؤسسات على الإبداع والابتكار، والاعتماد على التبادل الإلكتروني.
- 2- تدفق المعرفة التي تعتبر هدفا لهذا النوع من الاقتصاديات ووسيلة يتم استخدامها لإنتاج معارف جديدة، ما يجعلها منتجا أيضا وهدفا في نفس الوقت.
- 3- الفعالية على مستوى العمليات التعليمية، بحيث يسمح بتحقيق نتائج تعليمية أساسية.
- 4- توسيع خيارات المستهلكين ودعم ثقتهم في المنتجين والإنتاج<sup>1</sup>.

### ثانيا: المقصود بمجتمع المعرفة

بحسب تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003، مجتمع المعرفة هو ذلك المجتمع الذي يقوم أساسا على نشر المعرفة وإنتاجها، وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصاد والمجتمع المدني والسياسة، والحياة الخاصة، وصولا للارتقاء بالحياة الإنسانية باطراد<sup>2</sup>.

ولقد شكل بناء مجتمع معرفي الهدف الثاني في مشروع الشرق الأوسط الكبير. وجاء إصلاح التعليم من بين المبادرات التي وردت في هذا البند. حيث أعلنت المبادرة الأمريكية للشراكة في الشرق الأوسط عزمها على رعاية قمة الشرق الأوسط لإصلاح التعليم للوقوف على أوجه القصور في الأنظمة التعليمية بحضور المتطلعين لإصلاحها من قادة الرأي العام والفاعلين الخواص ومؤسسات المجتمع المدني. وهذا إلى جانب مبادرات أخرى، تتمثل في:

- مبادرة التعليم في الإنترنت بغية التقليل من الفجوة الرقمية بين المنطقة والمناطق الأخرى. وهي تقوم على التحول إلى استخدام الكمبيوتر في التواصل والتعليم حيث يدعو المشروع إلى حصول المعلمين على التدريبات التي تمكنهم من استخدام الانترنت في عملهم وعرض مناهجهم الدراسية. واقترحت

<sup>1</sup> محمد جبار طاهر الشمري، "دور اقتصاد المعرفة في تحقيق النمو الاقتصادي/ مصر أنموذجا"، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة الكوفة، العراق، المجلد 2، العدد 10، 2008، ص 72.

<sup>2</sup> "نحو إقامة مجتمع المعرفة"، تقرير التنمية الإنسانية العربية، المكتب الإقليمي للدول العربية، البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، الأردن: المطبعة الوطنية، 2003: ص-ص: 2-3

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

المبادرة التركيز على البلدان التي يوجد بها استخدام ضئيل لهذه التقنية (المغرب، الجزائر، ليبيا، مصر، سوريا، اليمن، العراق، أفغانستان، باكستان).

- إعلان مجموعة الثمانية عن إمكانية تمويلها لترجمة كتبها الأساسية والكلاسيكية في مجالات الأدب والفلسفة وعلم الاجتماع وعلوم الطبيعة. إضافة إلى دعم فرق محو الأمية مع التركيز على الإناث من خلال تحسين مستواهن في الكتابة والقراءة، وتزويد المعلمات بالتدريب اللازم في مهنتهن.
- مبادرة مدارس الاكتشاف: وهي مدارس تعتمد على التكنولوجيا ومناهج التعليم الحديثة والمتطورة.

- مبادرة تدريس إدارة الأعمال: وهي تعتمد على الشراكات بين الجامعات والمعاهد التعليمية المتخصصة في إدارة الأعمال في المنطقة ونظيرتها في دول مجموعة الثمانية. وهي مبادرة تركز على تلقي الطلبة لتدريبات في ريادة الأعمال من خلال تعليمهم استراتيجيات التسويق وإدارة الشركات<sup>1</sup>.
- ولقد ارتفعت الأصوات المطالبة بتأسيس مجتمعات المعرفة؛ لكون هذا النوع من المجتمعات يقوم على تبادل الخبرات والاستشارات على المستويات الدولية، الإقليمية والقطرية. ويرجع ذلك إلى تزايد درجات التواصل عبر العالم من جهة، وسيادة حالة من عدم اليقين في مواجهة المشاكل المختلفة من جهة أخرى. وفي ظل التغيرات التي يشهدها مجال الاتصالات والمعلوماتية، تأتي مجتمعات المعرفة كنتيجة لظاهرة العولمة التي يشكل المشروع الإيديولوجي لليبرالية الاقتصادية الجديدة جوهرها. وهي ظاهرة لم يقتصر تجلي معالمها في المجال الاقتصادي فحسب، بل امتد ليشمل المجالات السياسية والثقافية<sup>2</sup>. وبخصوص هذا التأثير يقول منير الحمش:

<sup>1</sup> - "الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة مشروع الشرق الأوسط الكبير"، في الموقع:

<http://alkashif.org/html/center/2/1.pdf>

تاريخ الدخول 2018/04/17 على الساعة 01:52

<sup>2</sup> - منير الحمش، "العولمة وتأثيراتها"، أوراق عربية 24، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ماي 2012، ص-ص: 13-12.

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

" للعلومة تجلياتها الثقافية، الهادفة إلى صياغة ثقافة عولمية، تقوم على أساس نسق عالمي من القيم المؤثرة في سلوك البشر على نحو متشابه في كل مكان، وبالتالي إعادة تشكيل الشخصية الإنسانية على نحو غير ما نشأت عليه وتوارثته عبر الأجيال، فهي تعمل على توحيد السلوك الإنساني وفق معايير عالمية"<sup>1</sup>

واستنادا إلى تحكم الإيديولوجية الليبرالية في العولمة، السوق والديمقراطية، يتم تصوير انتشار السوق الحرة كمعيار للحكم على وجود الحداثة من عدمه وكهدف تسعى إلى تحقيقه البشرية في كل دول العالم. ومن الناحية الثقافية، وبفعل برامج المؤسسات الدولية، بات تغيير أساليب التفكير وألويات الثقافات أحد استراتيجيات إلحاق الدول بالاقتصاد العالمي. وذلك بناء على افتراض أن الدول النامية بما فيها الدول العربية لها أسواق قادرة على العمل بكفاءة، قطاع خاص قادر على أن يحل محل القطاع العام، وهوما سيؤدي إلى تدفق رؤوس الأموال الأجنبية، تحفيز قوى التنمية في المجتمع بما يؤدي إلى تحسين المواقع التنافسية لهذه الدول<sup>2</sup>.

### ب- مستوى يهدف إلى نشر قيم التسامح، السلم ونبذ معاداة الغرب

يعتبر تغيير مناهج التعليم استراتيجية طويلة الأمد لتغيير قيم وأفكار شعوب الشرق الأوسط، وذلك انطلاقا من أن التعليم هو الذي يشكل وعي الإنسان، وإن تغيير الوعي والتأثير في طريقة التفكير يؤدي إلى ضمان صياغة الشخصية وسلوكها وأفكارها مستقبلا. ولهذا، أولت الإدارة الأمريكية اهتماما بالمناهج التعليمية في دول الشرق الأوسط وتبنت موقفا حاسما بشأنه؛ إذ أنه جاء في إطار "حرب الأفكار" التي تخوضها ضد ما تسميه "الإرهاب الإسلامي"، وبناء على اقتناعها بان تغيير القيم في الدول الإسلامية وأدوار المؤسسات القائمة على نشرها (الأسرة، المدرسة، المسجد، الجامعة) يتناسب مع الأهداف والمصالح الأمريكية. ولذلك، تم إنشاء إطار وزاري لوزراء التعليم في الشرق الأوسط ومجموعة الثماني لتحديد سبل التعاون<sup>3</sup>. ويشمل التغيير المطلوب استيفاء المعايير التالية:

<sup>1</sup> - نفس المرجع (بتصرف)، ص 15.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 16-19

<sup>3</sup> - عبد الجليل محمد حسين كامل، مرجع سابق ذكره، ص-ص: 403-405

## الفصل الثاني التذويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير

- 1- عدم التركيز على دين واحد في المرحلة الابتدائية والتأكيد على الأديان السماوية الثلاثة (الإسلام، المسيحية، اليهودية) ودورها في الحضارة البشرية، مع السماح بدراسة الديانة المتبعة في المرحلة الثانوية. أما في المرحلة الجامعية، فيتم اعتماد مناهج ومواضيع تشيد بالنموذج الأمريكي.
- 2- حذف المواضيع التي تتطرق إلى الفتوحات الإسلامية وحروب العالم الإسلامي مع غيره، أو مراحل الاستعمار والشهداء والزعماء الوطنيين؛ حيث تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تركز كراهية الآخر ما يحول دون التعاون معه مستقبلاً بفعل تصويره بأنه عدو. وبدلاً عن ذلك، يتم التركيز على الثورات العلمية ودور الحضارة الغربية في حياة الشعوب العربية والإسلامية.
- 3- تدريب الأساتذة والمعلمين والقائمين على المؤسسات التعليمية عبر استضافتهم في الولايات المتحدة الأمريكية وتعزيز قدرتهم على فهم المفاهيم المراد تذويتها لتمكينهم من نقلها إلى طلبتهم بنجاح<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص 406.

## الفصل الثالث

انتشار الليبرالية في منطقة الشرق

الأوسط الكبير

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

تطرقنا في الفصل الثاني إلى عملية إدخال القيم الليبرالية والنيوليبرالية في ذهنية وفكر شعوب منطقة الشرق الأوسط الكبير، وذلك في إطار ما يسمى بعملية التذويت. وتتمثل تلك القيم في تبني قدر من الانفتاح الاجتماعي في نمط الحياة والمواقف والاتجاهات، اقتصاد السوق وحرية السوق المحلي الاقتصادية، اكتفاء الدولة بلعب الدور السياسي وتخليها عن الدور الاقتصادي، قبول واحترام الآخر وتداول السلطة، الإيمان بالتعددية السياسية والفكرية والدينية والثقافية وضمان حرية واستقلال الأفراد الكامل في حياتهم الخاصة<sup>1</sup>.

وتبين من خلال التعرف على مجمل الأدوات المستخدمة من طرف الإدارة الأمريكية لاستدخال القيم الليبرالية والنيوليبرالية، بان هناك محاولة لتغيير الفكر في منطقة الشرق الأوسط ودعم انتشار الفكر الليبرالي في المنطقة كطريقة لتغيير الأوضاع نحو الديمقراطية وفق النموذج الغربي/الأمريكي. وذلك باعتباره فكراً يشكل أرضية ملائمة لتأسيس نظم ديمقراطية بديلة للنظم القائمة.

تم إجراء مناقشات حول الليبرالية العربية والديمقراطية في الشرق الأوسط، على مستوى هيئة الوقف الديمقراطي The National Endowment for Democracy في سنة 2004. تم من خلالها تحليل وضعية التيار الليبرالي وتحديد الأسباب التي تمنعه من لعب دور فعال في شؤون دول المنطقة. وفي هذه الفترة، حدثت عملية تقييم للآراء السابقة بشأن العلاقة بين الإسلام والغرب وكذلك قضية الإرهاب، وما يتم تقديمه من دعم للإصلاحيين العرب. وتمثل السبب الذي دفع إلى هذه المراجعة في إدراك الإدارة الأمريكية لسوء تقديرها لحقيقة ما يحدث على أرض الواقع، وبأن ذلك ما أدى إلى تصاعد ما أسموه بالإرهاب الإسلامي على المستوى الدولي؛ إذ أدركوا أن ذلك التقدير لم يسمح لهم بمعرفة مدى صعوبة تأسيس نظام عراقي ديمقراطي ومستقر بعد إسقاط الرئيس العراقي السابق صدام حسين. وبناء عليه، تقرر ضرورة الاعتراف بمحدودية الدعم المقدم للإصلاحيين العرب، وبأنهم يشكلون أقلية ضعيفة، وعدم التقليل من الصعوبات التي يواجهونها<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - باقر سلمان النجار، "حقيقة الليبرالية الخليجية"، في: أحمد صدام عبد الصاحب الشبيبي وآخرون، مجلس التعاون الخليجي لدول الخليج العربية قضايا الراهن وأسئلة المستقبل، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر 2008،

ص-ص: 154-155

<sup>2</sup> - Barry Rubin, « Arab Liberalism and Democracy in the Middle East », Middle East Review of International Affairs, vol 8, N 4v December 2004, p20.

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

وتجدر الإشارة إلى أن التيار الليبرالي سبق وأن انتشر في العالم العربي، لكن ما يهم في هذا السياق، هو أنه قد حدث تحول في السياسة الخارجية الأمريكية من الحفاظ على مصالحها الاستراتيجية وفق السياسات المعتادة (التحالفات، التدخل العسكري)، إلى الرغبة في وجود تيار ليبرالي ذو أفكار وقيم تتناسب مع الأهداف الاستراتيجية للإدارة الأمريكية، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، يتميز هذا التيار بقبوله وبسهولة للتوجه الديمقراطي لكونه يؤمن بالحرية والتعددية والمنافسة. ويؤمن بأن سهولة تطور وتحديث الاقتصاديات العربية ترتبط بسيادة المناخ الديمقراطي في مجال السياسة. وبسبب تأييده للرأسمالية وانتقاده للاشتراكية، كان أكثر التيارات انسجاما مع مرحلة الانفتاح الديمقراطي في بداية التسعينيات<sup>1</sup>.

وفي هذا الفصل، سيتم التعرف على نشأة التيار الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط وتحديدا في العالم العربي، وفهم طبيعته من خلال تفاعله مع القضايا التي تشهدها المنطقة، ثم محاولة استشراف مستقبله في ظل المتغيرات الدولية الجديدة التي أثرت بشكل جوهري على السياسات الخارجية والداخلية للدول المعنية، وذلك عقب أحداث 11 سبتمبر 2001، والتي شكلت منعطفا مهما في تاريخ منطقة الشرق الأوسط وكان لها دور في تحديد معالمه الراهنة من حروب ونزاعات ومشاكل طالت مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وسيتم ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: نشأة وتطور التيار الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط

المبحث الثاني: طبيعة التيارات الليبرالية الراهنة في منطقة الشرق الأوسط

<sup>1</sup> - اسماعيل معارف، مسارات التحول الديمقراطي في المنطقة العربية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، نوفمبر



### المبحث الأول: تطور التيار الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط

ارتبطت الدعوة إلى الفكر الليبرالي في العالم العربي وفي مصر على وجه التحديد بظروف الاحتلال والحملات المتكررة عليه؛ حيث كانت تبرز شخصيات في تلك الأثناء تؤيد محتوى هذا الفكر وترتبط بينه وبين التحضر والازدهار. فخلال الحملة الفرنسية على مصر، كان "المعلم يعقوب" يدعو إلى إلحاق مصر بالغرب الأوربي وفصلها عن امتدادها الحضاري الإسلامي الشرقي. وذلك باعتبار مصر تمتد تاريخيا وطبيعيًا عبر البحر الأبيض المتوسط لأوروبا. وخلال الاحتلال البريطاني لمصر سنة 1882، قاد هذه الدعوة عدد من المفكرين مثل يعقوب صروف، شبلي شميل، جورج زيدان، فرح أنطوان. وكان يتم نقل هذه الأفكار من خلال مجلة المقتطف (1876-1952) وجريدة المقطم (1889-1952). وهم اعتبروا أن ما حدث للدولة العثمانية يعود إلى الإسلام، والتحالف الموجود بينه كسلطة روحية وبين الخلافة العثمانية كسلطة زمنية، وهذا في مقارنة بين ما حدث في العالم العربي وما حدث في أوروبا في عصر النهضة<sup>1</sup>. ولقد كان التواصل الفكري مع أوروبا هو السبب في ولادة الليبرالية العربية؛ حيث اقتنع بعض المفكرين أمثال قسطنطين زريق من سوريا، بطرس البستاني من لبنان، أحمد لطفي السيد من مصر، بأن العلمانية هي التي أدت إلى تقدم الغرب. ولذلك، دعوا إلى التخلص من تأثير الإسلام على المجتمع العربي وإقصاء الدين عن الحياة العامة<sup>2</sup>.

ومنذ انتشار الأفكار الليبرالية في العالم العربي وهي ذات وجود غير مستقر؛ إذ ما إن تخبو الدعوات المؤيدة لها حتى تحدث الظروف التي تدفع إلى إحيائها من جديد. فخلال الاحتلال الأجنبي للمنطقة، كان وجود الفكر الليبرالي سطحيًا وانصب الاهتمام على المجال الثقافي دون السياسي والاقتصادي؛ وكان ذلك يصب في مصلحة المحتل لكون الليبرالية تسمح ببناء مصالح مستقلة وهو ما لا يخدم الإدارات الاستعمارية. وفقد هذا الفكر جاذبيته في فترة تصاعد حركات التحرر الوطني وسيادة الاشتراكية وحصول المستعمرات على استقلالها. غير أن ظروف ما بعد الاستقلال والحرب الباردة، تم

<sup>1</sup> - دوران يوسف، الفكر السياسي عند مالك بن نبي، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، ص-ص: 87-88.

<sup>2</sup> - حازم قنديل، "على هامش الهزيمة: دراسة اجتماعية للمفكرين العرب في ظل الاستبداد"، في: بهجت قرني، الشرق الأوسط المتغير نظرة جديدة إلى الديناميكيات العربية، ترجمة: محمد بدوي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2015، ص 171.

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

طرح الليبرالية كإيديولوجية لها القدرة على تحويل أنظمة الحكم إلى أنظمة ناجحة بفعل الانتقال إلى الديمقراطية. وهنا، ظهر مؤيدوها في العالم العربي والذين لم يكتفوا بالمطالبة بتبني هذا الفكر سياسيا واقتصاديا فحسب، بل حتى اجتماعيا. وذلك ما تسبب في عودة النقاش والجدل حول الليبرالية بسبب تأييدهم للضغوطات السياسية والاقتصادية والقوة العسكرية كأدوات لتغيير أنماط الحكم والمفاهيم الفكرية<sup>1</sup>.

المطلب الأول: الليبراليون العرب التقليديون

المطلب الثاني: عوامل بروز الليبراليين العرب الجدد

المطلب الأول: الليبراليون العرب التقليديون

مرت الليبرالية العربية بعدة مراحل، وكانت تتأثر بالظروف السياسية والاقتصادية التي عاشها العالم العربي خاصة في تلك الفترات التي خضع فيها للسيطرة الأجنبية. وكانت العلاقة بين الليبرالية والفكر العربي تتراوح بين الجاذبية والنفور، وارتهن ذلك بطبيعة الحلول المقترحة من طرف المفكرين والسياسيين على حسب كل مرحلة:

الفرع الأول: مرحلة الاحتكاك بالحضارة الأوروبية وغياب تيار ليبرالي عام:

يمكن إرجاع بداية الاحتكاك بالحضارة الأوروبية إلى عهد الدولة العثمانية التي لجأت إلى تطبيق إصلاحات تشريعية، إدارية وعسكرية، لمواجهة التهديدات التي كان مصدرها القوى الأوروبية وحركات التمرد الداخلية. ودفعت تلك الظروف إلى المطالبة بأخذ القيم الحديثة بعين الاعتبار عند إجراء الإصلاحات السياسية والإدارية والقضائية، من بينها إلغاء التمييز بين المواطنين على أساس الدين، العرق أو اللغة، عندما يتعلق الأمر بفرص تولي الوظائف العامة، أداء الخدمة العسكرية، دفع الضرائب، التعليم والتقاضى. وتضمن التوجه الليبرالي هذه المطالب كطرح من شأنه أن يؤدي في نهاية الأمر إلى تمكين الدولة العثمانية من الاستمرار. ومن أسباب تطور الإدراك بالحاجة إلى دخول مرحلة التحديث

<sup>1</sup> - محمد صالح المسفر، "الليبرالية بين العروبة والتبعية (مصر نموذجا)"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد الثالث والرابع، 2008، ص-ص: 358-356.

## الفصل الثالث انتشار اللبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

على المستوى القيمي، وجود بعثات تبشيرية من الغرب ووجود المطابع، ما سمح باتقاء الثقافات والتعرف على مسببات ونتائج مسيرة التقدم الأوربية<sup>1</sup>.

يعتبر غزو نابليون بونابرت لمصر سنة 1798 بداية توسع الاحتكاك بالحضارة الأوربية وبشكل مباشر؛ حيث شكلت الحملة الفرنسية على مصر تعبيراً عن المواجهة بين الغرب ممثلاً بأوروبا والشرق ممثلاً بالخلافة العثمانية، ثم المواجهات التي عرفتها مصر مع إنجلترا والمغرب العربي مع فرنسا. ولقد أثار اطلاع العرب على مدى التقدم الذي بلغته أوروبا ومقارنة ذلك مع أوضاعهم إلى طرح عدد من الأسئلة، وأبرزت محاولات الإجابة عليها صراعات فكرية بين ثلاثة تيارات: الديني، اللبرالي والتقدمي. وتمثلت تلك الأسئلة في:

- ما هي الأسباب الكامنة وراء ضعف الشرق لدرجة استسهل معها الغرب احتلاله والسيطرة عليه؟ وما هي الحلول التي تمكن الشرق من الانتقال من الانحطاط والتخلف إلى الازدهار والتقدم؟
- هل يكمن الحل في القبول الكلي للثقافة الغربية، أم لبعض قيم هذه الثقافة فقط؟
- هل العلم وحدة كفيل بإصلاح الأوضاع أم الدين هو القادر على تحقيق ذلك؟
- ما هو الأفضل بالنسبة للشرق؟ الإبقاء على الخلافة الإسلامية والاحتفاظ بالثقافة الدينية أم إقامة مجتمعات علمانية؟<sup>2</sup>

وتضمنت مرحلة تولي محمد علي باشا الحكم في مصر العديد من المظاهر التي تبين تأثير الحملة الفرنسية والخبرة الأوربية بشكل عام على السياسة المصرية في محاولته للنهوض بمصر نحو التحديث؛ فكان أبرز ما قام به في هذا الشأن هو إرسال الطلاب إلى أوروبا والسماح بدخول الراغبين في الهجرة إلى مصر، خاصة أولئك الذين يملكون كفاءات في المجال الصناعي. كما

<sup>1</sup> - وليد بن صالح الرمضان، اللبرالية في السعودية والخليج دراسة وصفية نقدية، بيروت: روافد للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص-ص: 62-64

<sup>2</sup> - حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، نوفمبر 1998، ص398.

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

عرفت مصر في عهده معالم الحرية الدينية حين سمحت لمختلف الطوائف بممارسة شعائرتهم الدينية وإنشاء المؤسسات التي تكفل لهم ذلك من كنائس ومعابد ومدارس ونوادي اجتماعية<sup>1</sup>.

ولقد تأثر المفكرون العرب أمثال رفاة الطهطاوي ومحمد عبده بالإيديولوجية الليبرالية بفعل نتائج تطبيقها في أوروبا، فأرادوا أن يحققوا مواءمة بينها وبين التراث الإسلامي. وفي هذه المرحلة تأثرت الفئات العليا في المجتمعات العربية والإسلامية بالنظر إلى السيطرة الاقتصادية للأجانب والتغييرات التي شهدتها مناهج التعليم<sup>2</sup>.

ومنذ البداية، كان هناك اتجاهان مختلفان؛ يرى مؤيدو الأول مثل رفاة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني إمكانية التوفيق بين أساليب الحكم في الدول الغربية والثقافة والهوية العربية، بينما يعتقد مؤيدو الاتجاه الثاني مثل محمد عبده إمكانية تطبيق الديمقراطية الغربية والآليات السياسية الإسلامية (الشورى) في نفس الوقت. ليتحول فيما بعد هذا الرأي إلى المطالبة بضرورة إحداث تغيير جذري في الهوية واستبدال المفاهيم العربية بالمفاهيم الغربية، وكان ذلك من طرف الفرع العلماني من مدرسة محمد عبده، والذي مثله لطفي السيد، طه حسين وسعد زغلول في مصر<sup>3</sup>. ولقد شجع الاستعمار هذا التيار في مواجهة التيار الوطني المتهم بالتعصب. ورغم أن إنشاء حزب الأمة وحزب الوفد في مصر كان أبرز ما يعبر عن التيار الليبرالي، كان الأول بتشجيع من الإدارة الانجليزية بفعل تأييده للمنهج المعتدل في مواجهة الاحتلال، والثاني لم يصل إلى السلطة إلا بدعوة منها أيضا. ولذلك، في هذه المرحلة، اقتصر التيار الليبرالي على النخب العليا في المجتمعات العربية<sup>4</sup>.

وتتمثل الحلول المقترحة من طرف التيار الديني في المرحلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى في الاعتماد على الدين الإسلامي، وانقسم في ذلك إلى مجموعتين هما<sup>5</sup>:

✓ **مجموعة المحافظين والتقليديين:** تكونت من علماء الدين والمفكرين والمستشارين

<sup>1</sup> - وليد بن صالح الرميزان، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 64-65

<sup>2</sup> - محمد صالح المسفر، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 367-369

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 380

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 369-370

<sup>5</sup> - حليم بركات، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 399-403

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الملتقين حول الخلافة العثمانية والعائلات الإقطاعية البرجوازية، معتمدين على أفكار الماوردي (991م-1031م) وابن تيمية (1263م-1328م). ترفض تغيير النظام القائم وتغيير مؤسساته، لأن ذلك يؤدي إلى الفوضى والفتنة وانقسام الأمة. تؤيد طاعة الحاكم طاعة مطلقة ولو كان ظالما، وتعتبرها واجبا دينيا. كما ترى أن الخلافة هي مصدر الشرعية في المجتمع والدولة والحاكم خليفة الله والنبي صل الله عليه وسلم، مع ضرورة التمسك بالمؤسسة الدينية كما هي، حتى وإن اشتملت على خرافات وأباطيل.

### ✓ مجموعة الإصلاحيين السلفيين: تكونت من الإصلاحيين الذين تبنا أفكارا ليبرالية

على أسس سلفية. تعتقد بضرورة تغيير النظام القائم ومؤسساته ورفض تقاليده، والعودة إلى القرآن وإسلام الجيل الأول من السلف. ترى بأن الحاكم له سلطة مطلقة لا تقيدتها إلا حدود الشريعة الإسلامية وهو مسئول أمام الله فقط (الطهطاوي) وأيضا شورى أهل الحل والعقد (خير الدين التونسي، محمد عبده، جمال الدين الأفغاني، محمد رشيد رضا). تؤمن بإمكانية تغيير المؤسسات عند ثبوت الحاجة إلى ذلك مع وجوب إشراك الشعب في الحكم (الطهطاوي). إلى جانب إمكانية تغيير الشرائع حسب الأزمنة والظروف وتغيير الشريعة الإسلامية حسب حاجات العصر، تعليم المرأة لتحسين مستواها ولكن ليس للمشاركة في المجال العام، كما تعتبر الإقبال على العلوم الحديثة ضروريا ولكن باعتبارها علوما إسلامية في الأساس أخذتها أوربا ولا بد من استعادتها (الطهطاوي، محمد رشيد رضا).

وفي حين ركز التيار الديني على الخلافة، السلطة الدينية، الإيمان المطلق وتفضيل كل ما هو تقليدي، برز عدد من المفكرين للتأكيد على أن حل المشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامي تكمن في القومية، العلمانية، العقلانية والتحرر الاجتماعي. ومن الأفكار التي طرحت في هذه السياق<sup>1</sup>:

- العمل السياسي من أجل الوحدة القائمة على أساس اللغة والإقليم والانتماء إلى الوطن وليس على أساس الدين أو الطائفة (إبراهيم اليازجي، بطرس البستاني)
- فصل الأمور الدينية عن الأمور السياسية والمدنية، ولا يمكن للدين وحده أن يبني دولة متقدمة.

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 404-406

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- الحرية في ظل قوانين تحمي الحقوق المدنية لكل الأفراد والجماعات وتضمن المساواة وتشجع على التعاون وحب الوطن.

- تحسين أوضاع المرأة عن طريق تعليمها وتحريرها من الاستبداد، واعتبار أن طبيعة العلاقات الاجتماعية تؤثر في طبيعة العلاقات السياسية؛ فما يقع على المرأة من ظلم بسبب الرجل واستبداده، يقع على الشعب ككل من طرف الحكومة من حيث الاستبداد والاستعباد والحكم المطلق. وما تعانيه المرأة يمثل جزءا من معاناة الشعوب بسبب الحكم وفق قانون القوة، والذي كان من تداعياته احتقار الرجل في قوته المرأة في ضعفها (قاسم أمين).

وفي نفس هذه الفترة، جاءت أفكار عبد الرحمن الكواكبي (1854-1902)، ثم شبلي الشميل (1860-1916) وفرح أنطون (1874-1922) لتشكل بداية ما عرف باسم التيار التقدمي في العالم العربي والإسلامي، والذي تميز ب<sup>1</sup>:

- رفض النظام القائم الذي يسوده الجهل والتعصب ويعتمد على القدر والإجبار والحكم المطلق، والدعوة إلى هدمه واستبداله بآخر يقوم على العلمانية، القومية، الديمقراطية والاشتراكية، التسامح، تحكيم العقل والاستناد إلى العلم). فأفكار النظام القائم تسمح للحاكم بأن يتملص من المسؤولية في استبداده مستندا على أفكار القضاء والقدر الذي يتم تحميله مسؤولية الاستبداد وشقاء المحكومين.

- رفض فكرة الخلافة وإقامة نظام سياسي على أساس الدين، بل على أساس القومية.

- فصل الدين عن الدولة والخلط بينهما يؤدي إلى إلحاق الضرر بالدين قبل كل شيء.

- لا يمكن للدين أن يساعد على تحقيق التقدم في ظل التخلف والجهل والاستبداد، والعلم كفيل بإصلاح ما فسد بسبب سوء استخدام الدين وفساد الأخلاق.

- النظام الديمقراطي الاشتراكي هو الأفضل لأنه يجعل الحكومات في خدمة الشعوب وليس العكس، ويضمن العدالة والمساواة ويضع حدا لاحتكار الثروة بيد القلة.

- تفسير القرآن تفسيراً علمياً.

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 407-417

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- الوحدة الإسلامية تتحقق بالولاء القومي وفصل السلطة الدينية عن السلطة الزمنية وذلك لعدة أسباب من بينها:

◀ الربط بين السلطتين يقيد الفكر الإنساني وهو ما يعيق التطور وبالتالي تحقيق مستقبل أفضل. ويرجع ذلك لاختلاف هدف الحكومة عن هدف الدين؛ فالأول يتمثل في حماية حرية الفرد وبالتحديد حرية الفكر، أما الثاني فهو تقديم حقائق مطلقة لا مجال لمناقشتها أو التشكيك بها. كما أن الدين جاء ليخدم الآخرة عكس الحكومة التي تخدم الدنيا.

◀ الفصل بينهما يكفل تحقيق المساواة بين الأفراد بغض النظر عن مذاهبهم ومعتقداتهم.

يمكن توضيح مكانة الليبرالية في الفكر العربي والسياسة من خلال فحص تواجد التيارات الأخرى منذ دخول الأفكار الليبرالية إلى العالم العربي وطبيعة العلاقة فيما بينها، حيث تتنازع المكانة السياسية والفكرية كل من الليبراليين، الإسلاميين، القوميون واليساريين.

### الفرع الثاني: الانقسام الليبرالي-الإسلامي

وتمثل الخلاف بينهما في رغبة الليبراليين في إعادة إنتاج الحداثة الغربية في الشرق، بينما رغب خصومهم الإسلاميون في الحفاظ على الدور المركزي للإسلام في الحياة العامة. وعلى هامش هذا الانقسام، عمل اليساريون على حشد قوى التغيير الثوري وطرح القوميون فكرة الوحدة العربية بديلاً عن الخلافة الإسلامية<sup>1</sup>.

فرض السعي نحو الاستقلال وجود أفكار مختلفة تركز لوعي قومي يسمح بتحقيق هذا الهدف بغض النظر عن الولاءات المحلية أو العشائرية أو الطائفية. وبرزت الدعوة إلى فكرة القومية الليبرالية الدستورية (من خلال حزب الأمة وحزب الوفد) قدوة بأوروبا التي تنبثق قوتها من اعتمادها على العلمانية، الديمقراطية النيابية الدستورية، حرية المرأة والفكر واحترام الحقوق الفردية، الوحدة والسيادة القومية. غير أن هذا لم يمنع من ظهور خلاقات عبرت عن صراع فكري بين الليبرالية والدين، ومن هنا انقسم العالم العربي إلى قسمين عبر كل منهما عن وجه من أوجه هذا الصراع<sup>2</sup>:

<sup>1</sup> - حازم قنديل، مرجع سبق ذكره، ص: 164

<sup>2</sup> - حليم بركات، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 418-422

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- المشرق العربي وتحديدًا مصر: حدث صراع بين فكرة الخلافة وفكرة القومية الليبرالية.

وفي الوقت الذي كان يدعم فيه القصر الملكي بتأييد من علماء الأزهر الفكرة الأولى، ويدعم الليبراليون الدستوريون الفكرة الثانية، احتدم الجدل بشأن الخلافة وأثرها على الحياة الفكرية والسياسية أيضًا. ومن أبرز ما يعبر عن هذا كتابات طه حسين وعلي عبد الرازق. ولقد آمن طه حسين بالانتماء الأوربي لمصر ورأى علي عبد الرازق بأن الخلافة ليست نظامًا دينيًا ولم يقدّم الإسلام بفرضها، وليس لها أساس لا في القرآن ولا في السنة النبوية. وأضاف بأن الإسلام لم يحدد النظام السياسي وهو ما يسمح باعتماد النظام الأصح؛ إذ ليس بالضرورة أن يكون الصالح العام متوقفًا على اعتماد نظام الخلافة.

- المغرب العربي: شهد ميلًا نحو الاتجاه الديني-التقليدي السلفي تجنبًا للميل نحو الاتجاه

الأوربي وفقدان الأصالة، في مجابهة المحاولات الاستعمارية لإلغاء الهوية العربية الإسلامية، متأثرًا بفكر جمال الدين الأفغاني، رشيد رضا، انتفاضات الجزائر بقيادة الأمير عبد القادر، الشيخ محمد الحداد، الحاج محمد المقراني، وتونس بقيادة عمر بن عثمان، والمغرب بقيادة عبد الكريم الخطابي. وكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي ممن عبروا عن هذه النزعة. تمت الدعوة إلى التخلص من البدع والخرافات التي طالت الدين الإسلامي ونشر التعليم وصون اللغة العربية، وإصلاح الفرد المسلم استنادًا على القرآن والسنة لضمان صلاح المجتمع.

أما بالنسبة للخليج العربي، فإن الكاتب إبراهيم خلف العبيدي يرى بأن المطالبة بالإصلاح ترجع إلى المرحلة التي تلت اكتشاف النفط وما كان له من تداعيات على الفكر والمجتمع الخليجي، الذي بدأت الفئات ذات النفوذ فيه والمكونة من كبار التجار وعلماء الدين ورؤساء القبائل تطالب بتوسيع المشاركة السياسية وعدم اقتصرها على الأُسَر الحاكمة التي طالبا بتقييد سلطاتها من خلال البرلمان والمجالس التشريعية ومجلس الشورى وكذلك التخلص من سيطرتها على القضاء. إلا أنها لم تتمكن من تحقيق مطالبها. وعلى الرغم من أنها أثرت إيجابًا في تزايد الوعي الوطني، إلا أنها لم تكن ناضجة سياسيًا ولم تتمكن من تأسيس رابطة قوية بينها وبين الشعوب. وهو يرى بأن نجاحها وتوسعها يعود بشكل كبير إلى



## الفصل الثالث انتشار اللبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

فشل التيارات الأخرى بسبب الضغوطات الخارجية والأوضاع الداخلية<sup>1</sup>. ويضيف بان البداية كانت في كل من البحرين والكويت، ويبين ذلك من خلال المؤشرات التالية<sup>2</sup>:

- المعارضة في البحرين لقرار السلطة البريطانية على أساس أنها تريد تطبيق قوانين تتعارض مع الشريعة الإسلامية، بعد أن قررت تطبيق القوانين المدنية والجنائية التي كان معمولاً بها في الهند. إضافة إلى المطالبة بإنشاء مجلس يكون أعضاؤه من الشخصيات التي لها رأي في شؤون البلاد، وبالتالي تكون قادرة على اتخاذ القرار الملائم لطبيعة المجتمع البحريني.
- إصدار لائحة الإصلاح عن المؤتمر الوطني الذي انعقد في البحرين عام 1923، والتي طالبت بأن تكون الشريعة الإسلامية هي مصدر الأحكام، وبأن تكون عامة الناس هي الهيئة الناخبة لمجلس الشورى.
- تأسيس الهيئة التنفيذية العليا في عام 1954 في البحرين لتجاوز النزاعات الطائفية والمطالبة بتأسيس مجلس تشريعي والحق في تأسيس نقابات للعمال. لكنها انقسمت على نفسها بفعل اختلاف المقاربات بين تكوينها البرجوازي الذي لم يكن هدفه تحقيق تغييرات جذرية وبين مطالب الشعب في ذلك.
- إجراء انتخابات المجلس الوطني البحريني عام 1973، ولكن تم حله سنة 1975.
- تأسيس المجلس الاستشاري في الكويت سنة 1921، والذي عارض استئثار الأسرة الحاكمة بالسلطة وطالب بإصلاح نظام الحكم. كما تمت المطالبة بإنشاء مجلس تشريعي من طرف جمعية سرية تأسست سنة 1937، والتي اتخذت اسم "الكتلة الوطنية" عندما خاضت الانتخابات بعد ذلك وفازت بأغلبية الأصوات، لتتخذ من الرغبة في توسيع سلطات المجلس التشريعي (تم حله في 1939) كأحد أهم المبادئ التي تعمل وفقاً لها، لكي تمتد إلى تشريع كل القوانين والمصادقة على المعاهدات الخارجية، وغيرها من الإصلاحات التي تهدف إلى توسيع المشاركة في اتخاذ القرار.

<sup>1</sup> - إبراهيم خلف العبيدي، "التيارات السياسية في الخليج العربي"، مجلة المجمع العلمي، بغداد، ج2، المجلد 45،

1998، ص-ص: 14-21

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 13-14، ص23

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- تشكيل المجلس التأسيسي في الكويت سنة 1962 وإجراء أول انتخابات تشريعية في 1963. وإلى غاية التسعينيات، لم يتمكن المجلس من أن يكون معبرا عن المطالب الشعبية بشكل حقيقي. كما تراجعت القوى الليبرالية لصالح الإسلاميين في هذه الفترة. ولكن مجلس الأمة الكويتي بدأ يعرف مع مرور الوقت تنوعا كبيرا في تركيبته من ناحية البعد الإصلاحي؛ اتفق العديد منها على المطالبة بالقضاء على الفساد وتطبيق الديمقراطية باعتبارها أفضل نظام للحكم، وكذلك مناهضة الشركات الاحتكارية وتتنوع مصادر الدخل وعدم الاقتصار على النفط، وغيرها من الإصلاحات المتعلقة بتطبيق القانون على الجميع ونبذ الصراعات الطائفية والقبيلة والتعليم والصحة.
- ظهور حركة وطنية إصلاحية في دبي سنة 1938، تطالب بإنشاء مجلس تشريعي.

### الفرع الثالث: تلاشي التيار الليبرالي وصعود الأنظمة القومية

بعد الاستقلال ساد الفكر الاشتراكي ونظام الحزب الواحد، تزامنا مع فشل التيار الليبرالي في بناء دولة مستقلة ومؤسسية. وتراجعت مكانة البرجوازيين اقتصاديا ومن ثم سياسيا بسبب سيطرة حركات التحرر على المجال الاقتصادي. كما لم يكن التيار الليبرالي موثوقا به بسبب الدعم الذي تتلقاه أفكاره من طرف الدول الغربية. وتسبب ما تعرضت له الدول العربية من ضغوطات في سبيل تحقيق الاستقلال التام، وانهايار المعسكر الاشتراكي إلى إحياء الفكر الليبرالي. وتلقى نظام الحزب الواحد انتقادات شديدة واتهامات بالفساد وعرقلة التنمية، وشكل ذلك فرصة سانحة لعودة العلاقات مع الدول الاستعمارية. وفي هذه الظروف، بدأ الضغط على الأنظمة الحاكمة لإجراء تغييرات نحو الليبرالية السياسية والاقتصادية. وتسبب ذلك في خلق أنظمة سياسية يخضع فيها العمل السياسي للدولة وهوما ترفضه الديمقراطية، وأنظمة اقتصادية ليبرالية أنتجت المزيد من مطالب التمثيل السياسي بفعل ظهور فئات اجتماعية جديدة. وفي هذه المرحلة، تم اتهام الليبراليين بالرجعية وخيانة الثورات والأنظمة الحاكمة، وهوما هدد بزوال التيار الليبرالي<sup>1</sup>.

وسمحت الظروف بصعود أنظمة قومية في ظل انقسام يساري-إسلامي واستهداف الاتجاه الليبرالي في الخمسينيات والستينيات. وفي هذه المرحلة عملت الأنظمة القومية سواء التقدمية (مصر،

<sup>1</sup> - محمد صالح المسفر، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 371-373

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

سوريا، العراق (الجزائر) أو المحافظة (المملكة العربية السعودية، المملكة الأردنية، المملكة المغربية، إمارة الكويت) على تحطيم القواعد الاجتماعية لليبراليين من أجل تقويضهم. ولذلك، قام البعض منهم من الذين حصلوا على دعم النظام الحاكم بتخفيض سقف طموحاتهم في التغيير السياسي للحفاظ عليه في حين آثر الآخرون من الذين تعرضوا إلى القمع الطموح نحو الإصلاح الثقافي لتأمين أنفسهم من المواجهة السياسية. وفي هذه الأثناء، قامت الأنظمة التقدمية بإدماج القوميين واليساريين الموالين لها في مؤسسات الدولة واضطهاد الإسلاميين الذين كان نظرًا لهم يحصلون على الدعم من الأنظمة المحافظة إلى جانب القوميين في ظل استهداف اليساريين<sup>1</sup>.

ولقد غاب التأثير السياسي لليبراليين في ظل خلاف قومي بشأن اليساريين والإسلاميين. وفي هذه الفترة لم يحصل الليبراليون على أي دعم مؤسسي ولم يعد لأفكارهم تأثير سياسي، كما ابتعد الصراع الفكري عن الانقسام الليبرالي-الإسلامي في ظل سيادة الفكر القومي الذي كان يسهم في توحيد الجماهير مع حكوماتهم ويقدم مبررات لسياساتهم. وكان يتم ربط المفكرين الليبراليين بالاستعمار الغربي. وكان الاختلاف بين الأنظمة التقدمية والمحافظة قائمًا في مقاربة كل منهما لليساريين والإسلاميين. وفي الوقت الذي كانت فيه الأنظمة الملكية تعتمد على الإسلام لتعزيز امتيازاتها وتأمين الدفاع عنها وتقوم بإقصاء اليساريين، كان هؤلاء يعملون على توطيد علاقتهم مع الأنظمة التقدمية معتبرين أن القومية ستقضي إلى الاشتراكية مستأنسين للسياسات التنموية التي تم اعتمادها آنذاك لإعادة توزيع الثروات من أجل تقويض النخب التقليدية وكسب دعم القواعد الشعبية الفقيرة. أما الإسلاميون، فقد تم اتهامهم بالعمالة للرجعية وكان يتم رفض السياسات والأفكار المستندة إلى الدين<sup>2</sup>. ويمكن توضيح انحسار مكانة الأفكار الليبرالية من خلال توضيح معالم كل من الفكر القومي واليساري والإسلامي، وهي التوجهات التي طغت في هذه المرحلة التي كانت تسعى فيها الدول إلى بناء نفسها ومواجهة قضاياها الوطنية وقضايا الأمة العربية.

أ- معالم التوجه القومي: خضع الفكر القومي لعدة مراجعات لمضمونه والسياسات التي

<sup>1</sup> - حازم قنديل، مرجع سبق ذكره، ص 160

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص-ص: 164-165

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

يتم بناؤها على أساسه بهدف البحث عن طرق جديدة تؤدي إلى تخلص العالم العربي من التبعية والانقسام، خاصة بعد النكسة سنة 1967 التي عبرت عن فشل التوجهات المبنية على أساس الأفكار السابقة. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الفكر مثله مثل التيارات الفكرية الأخرى، لم يكن تطوره في العالم العربي تصاعدياً أو خالياً من العقبات؛ فهو وإن تصاعد في فترة ثورات التحرر على غرار الثورة الجزائرية سنة 1954 والثورة في العراق سنة 1958، إلى جانب الأحداث التي شهدتها مصر في 1952 ووحدها مع سوريا سنة 1958، فإن نكسة 1967 كانت منعطفاً فرض على الاتجاه القومي أن يعيد النظر في كيفية مقارنته للقضايا التي تهم العالم العربي. ولقد كان للقضية الفلسطينية دور في التصاعد المذكور عقب نكبة 1948 والتي دفعت القوميين العرب إلى التركيز وبعثوا على الوحدة العربية بفعل ما رأوه من دعم غربي للكيان الصهيوني والمشاكل التي يعاني منها العالم العربي في كل المجالات. ويشكل ارتباط الاتجاه القومي بالقضايا العربية خطأ ثابتاً في تاريخه ونمط تطوره؛ فهو، وإلى جانب ما ذكر سابقاً، كان نتاجاً مباشراً لمناهضة السياسة البريطانية التي أخلفت وعودها للعرب عندما أرادوا الاستقلال عن الحكم العثماني، ليجدوا أنفسهم أمام اتفاقية سايكس-بيكو سنة 1916 ثم وعد بلفور لاحقاً سنة 1917، والذي ساند اليهود في خلق وطن لهم بين الأقطار العربية. ومنذ ذلك، لم تعد هناك ثقة بين القوميين العرب والدول الغربية، وجاء حزب البعث العربي الاشتراكي، حركة القوميين العرب وما أصبح يعرف بالناصرية نسبة إلى أفكار وسياسات الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، تعبيراً عن هذا الموقف. ورغم التعثر الذي كانت تتعرض له القومية العربية في تاريخها، إلا أنها تحتفظ بأهدافها الرئيسية والتمثلة في نيل العصبية القبلية والطائفية وأن لا تكون الأديان أساساً للتمييز بين الأفراد. وحاولت أن تجعل من الدين والتراث الإسلامي مصدراً ملهماً للتجديد والتكيف مع متطلبات العصر<sup>1</sup>.

ولقد كان للتيار القومي موقفاً مختلفاً من التحول الديمقراطي عندما بدأ العالم يتجه نحو الديمقراطية والليبرالية كحل وحيد ونهائي لمشاكل الدول السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وله العديد من المآخذ على الديمقراطية، والتي يرى بأنها في كثير من جوانبها لا تخدم الأهداف القومية وعلى رأسها وحدة المجتمعات العربية. ومن بين تلك المآخذ:

<sup>1</sup> - مفيد الزبيدي، "التيارات الفكرية في الخليج العربي 1930-1971"، سلسلة أطروحات الدكتوراه 35، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص-ص: 165-169

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- فكرة الانتقائية والتي تشكل خطرا على وحدة المجتمعات العربية حيث أنها تقوض الجهود المبذولة في سبيل تحقيق ذلك.
- عدم مراعاة ما تمتاز المجتمعات العربية من خصوصية ثقافية وقيم مختلفة عن تلك التي يؤيدها دعاة التحول الديمقراطي.
- رفض المكانة التي يحيلها التحول الديمقراطي لمؤسسات المجتمع المدني، بحيث يمنحه فرصة اقتراح البدائل والحلول، رغم عدم كفاءته من وجهة نظر القوميون. وهم يعتقدون بأهمية احتكار الأحزاب السياسية لهذا الدور لأنه عملها الطبيعي وهي الأقدر على أدائه نظرا لامتلاكها للخبرة الكافية. وفي نفس السياق، يشكك القوميون في تركيز دعاة التحول الديمقراطي على المجتمع المدني، ويستندون في هذا إلى سهولة التواصل معه لكونه يدخل ضمن الفواعل غير الرسمية، ويقارنون ذلك بإمكانية فعل التصرف ذاته مع الأحزاب السياسية، فيؤكدون على صعوبة تمرير أفكار وقيم لا تتناسب مع القيم الإسلامية والعربية عبر الأحزاب، لأنها ذات إيديولوجيات ضابطة لها وتستند في عملها على مرجعيات فكرية من الصعب عليها أن تتجاوزها.
- غياب العلاقة بين الجانبين السياسي والاجتماعي عند طرح الأفكار الديمقراطية على الدول العربية، والتي يرى القوميون بأنها من جهة لم تشهد تطبيق هذه الأفكار في تاريخها، ومن جهة أخرى، بأن ما يهم الشعوب العربية ليس الجانب السياسي فقط، بل أكثر من ذلك، العدالة الاقتصادية والاجتماعية. وينظر القوميون إلى التحول الديمقراطي ابتداء من هذه النقطة؛ فبالنسبة لهم، يعد تعزيز حرية حركة الأفراد وتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية بينهم هو أول ما يجب الاهتمام به حتى يتسنى للديمقراطية أن تأخذ مسارها بشكل طبيعي كنتيجة طبيعية لإدراك الأفراد لحقوقهم وواجباتهم. ويستدلون على ذلك بضعف المشاركة السياسية نتيجة لتدهور المستوى المعيشي للفرد والمشاكل التي تواجهه في حياته اليومية<sup>1</sup>.
- ب- معالم التيار الإسلامي: جاء كرد فعل على انتشار الأفكار الغربية في المجتمعات الإسلامية، معبرا عن الرغبة في العودة إلى الاعتماد على الدين الإسلامي والقوانين المستمدة منه، والتي تقوم على أوامر الله التي تضمنها القرآن وما جاء في السنة النبوية، وليس على ما

<sup>1</sup> - إسماعيل معارف، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 27-29

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

يصدره البشر من أحكام يعبرون عنها من خلال القوانين الوضعية. وكل حركة أو جماعة تتادي بمثل هذه الأفكار، تدخل ضمن تصنيف التيار الإسلامي<sup>1</sup>. وفي تبيان معنى "الإسلامي" وتحديد هوية "الإسلاميين" يقول العربي صديقي:

"بما أن مصطلح الإسلاميين يشير لذاته، فإنه يبرز الحركات الإسلامية بطريقتين: الأولى بتمييزها عن كل الملتزمين بالإسلام-كل الإسلاميين مسلمون لكن العكس ليس صحيح. والثانية، بتمييزها عن المعتقدات والإيديولوجيات الأخرى، أي العلمانيين والشيوعيين والاشتراكيين، فالإسلام مدرسة فكرية "ism" بالنسبة للإسلاميين مثلما الاشتراكية (socialism) بالنسبة للاشتراكيين"<sup>2</sup>.

ويشترك الإسلاميون في توجهاتهم السياسية في اقتناعهم بأن لدى الدين الإسلامي قدرة على تفسير ووضع حلول لصالح كل البشر وليس المسلمين منهم فقط سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية. وبإمكانية أن يقوم ذلك باحترام الأخلاق وأخذه بعين الاعتبار. كما يتفقون على رفض العلمنة وبامتلاك الإسلام للتفسير لما تواجهه العلمانية من تحديات ومشاكل<sup>3</sup>. كما أنهم يتفقون بشأن السعي إلى تأسيس دول إسلامية وأن تكون المجتمعات إسلامية قائمة على حكم الشريعة والقيم الأخلاقية التي نادى بها الإسلام. غير أنهم يختلفون حول الوسائل المستخدمة لتحقيق ذلك. وطبيعة الهدف والآليات التي وضعتها الحركات الإسلامية المختلفة لنفسها واستخدمتها يفسر جوهر العلاقة بينها وبين غيرها من التيارات وكذلك الأنظمة السياسية التي تعاملت معها، وهي علاقة لطالما تأرجحت بين التعامل بحذر وشك في إطار تنافسي وبين التصادم والعداء<sup>4</sup>.

وفي حين ظهرت الحركات الإسلامية في البداية، مثل الحركة الوهابية في السعودية (1703-1792) والسنوسية في ليبيا (1787-1859) والمهدية في السودان (1848-1885)، كرد فعل على تدهور

<sup>1</sup> - مفيد الزيدي، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 243-244

<sup>2</sup> - العربي صديقي، البحث عن ديمقراطية عربية الخطاب والخطاب المقابل، ترجمة: محمد الخولي وعمر الأيوبي،

بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ماي 2007، ص 118

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 119

<sup>4</sup> - علا عبد العزيز أبوزيد، "الممارسة السياسية للحركات الإسلامية: بين مقاومة الاستعمار والتعامل مع النظم

السياسية المعاصرة"، أمّتي في العالم، العدد 3-4، 2002، ص 16

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

أوضاع المسلمين داخليا وحالة الانقسام التي عرفها العالم الإسلامي، وهي حركات كان لها تصورهما الذي تراه صحيحا حول طبيعة الدولة الإسلامية الحققة، دفع الاستعمار الأوربي للمنطقة إلى نشأة حركات إسلامية أخرى احتفظت بالدفاع عن نفس القضايا المتعلقة بحكم الله وبالشرعية، وقضية الاستقلال والتخلص من الاستعمار مثل حركة الإخوان المسلمين في مصر والجماعة الإسلامية في باكستان<sup>1</sup>.

ولقد اتفقت الحركات الإسلامية مع الحركات الوطنية بشأن قضية التحرر، وكانت العلاقة بينهما قوية في المغرب العربي بشكل واضح؛ حيث التفت جميع التيارات حول الإسلام للتعبير عن الهوية وتحقيق الوحدة وبالتالي القوة في مواجهة الاستعمار الفرنسي والغزو الثقافي. ومن أبرز ما يبين هذه العلاقة قائد حزب الاستقلال المغربي علال الفاسي، مؤسس رابطة علماء الدين في الجزائر عبد الحميد ابن باديس ومؤسس حزب الدستور التونسي عبد العزيز الثعالبي. وكانت بداية الخلاف بين الحركات الإسلامية والحركات الوطنية انطلاقا من طبيعة إدراك كل منهما للغرب عموما. فالحركات الإسلامية عبرت عن رفضها للثقافة التي يحاول فرضها على العالم الإسلامي واعتبرها تهديدا للعقيدة الإسلامية، في حين كانت الحركات الوطنية ترغب في الحصول على الاستقلال ولكنها لم ترفض ما وصل إليه الغرب من تقدم حضاريا وماديا. وهذا الاختلاف الذي أصبح مصدرا للخلاف والصراع في مرحلة لاحقة من تاريخ العالم العربي والإسلامي، لم يتضح إلا بعد أن حصلت الدول المستعمرة على استقلالها. ويتبين ذلك من خلال الخلاف حول توجهات الولاء لدى الشعوب في مصر وأغلب دول المشرق العربي بشكل خاص بين الحركات الإسلامية التي ترى بأنه يجب أن يكون للأمة الإسلامية اعتمادا على قيم الدين الإسلامي، ومن بين من أعلنوا ذلك محمد رشيد رضا ثم حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين والمودودي مؤسس حركة الجماعة الإسلامية في باكستان الذي اعتبر القومية تؤدي إلى انقسام العالم الإسلامي، وبين الحركات القومية وهي حركات غلب عليها الطابع العلماني، اعتبرت الإسلام عنصرا أساسيا إلى جانب العناصر الأخرى كاللغة والتقاليد، الأرض المشتركة والتاريخ، ووافقت على الشعار الذي رفعه سعد زغلول "الدين لله والوطن للجميع"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 23-24

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 25-29

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

لقد كانت الحركات الإسلامية في توافق مع الحركات الوطنية خلال فترة الاستعمار، حيث تضافرت جهودهما في الدفاع عن القضايا التي أمانا بها. لقد كان كلاهما يسيران في اتجاه واحد، ذلك الاتجاه الذي حمل التطلع نحو تحقيق نفس الأهداف المتمثلة في الاحتفاظ بالهوية العربية والإسلامية، الحصول على الاستقلال ورفض التواجد الإسرائيلي في المنطقة وحصول فلسطين والشعوب الراغبة في التحرر على استقلالها. ولكن ما أدى إلى توتر هذه العلاقة، هو إدراك وتباعد الطرفين، هو ما حصل بعد الاستقلال حين اتضح لدى الحركات الإسلامية بأن بناء الدول لن يكون على أساس الأفكار التي نادى بها، أي لن يكون بناء على العقيدة الإسلامية بل سيكون الأساس متمثلاً في القومية العلمانية. وحسب معيار العلاقة بين الدين والدولة، ظهرت ثلاث أنماط من الدول: تركيا العلمانية، المملكة العربية السعودية التي تتخذ من الإسلام مصدراً لشرعيتها وباقي الدول التي اتخذت موقعا وسط الاثنين تم التعبير عنه من خلال الإعلان عن الدين الإسلامي هو مصدر قوانينها ولكنها تعتمد على النموذج الغربي في التنمية وانحسر فيها تواجد الدين في تطبيقاته على الحياة الخاصة للمواطنين.<sup>1</sup>

إذن وبحسب ما سبق، فإن المتتبع لتاريخ العلاقة بين التيارات المختلفة في المنطقة، سيجد نفسه أمام صعوبة تحديد الخطوط الفاصلة وسيصعب عليه أن يضع حدا قاطعا في هذا الموضوع. إذ يمكن القول بأن التيار الليبرالي كان يظهر ويختفي في كل مرة من المراحل التاريخية حسب العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي ككل؛ ففي فترة الاحتكاك بالحضارة الغربية، بدأ لدى البعض بأن الغرب محق في الاعتماد على القيم التي يدافع عنها لأنه تمكن من التقدم واقعا وهي باتت حقيقة يشهدها الجميع. ثم تأتي فترة الاستعمار، لتدفع الحركات المختلفة سواء كانت وطنية أو إسلامية، إلى أن تضع القيم الغربية في موضع التشكيك والتمحيص، ثم تهاجم هذه القوى التي لها قيم مختلفة تماما عن قيم الشعوب التي استعمرتها، وتلاحظ بان تلك القيم وإن كانت قد أسهمت في تطور الغرب، إلا أن هذا الغرب هو نفسه الذي يحاول طمس هوية هذه الشعوب، وهذه الأخيرة لم تشهد منه سوى الظلم والاستغلال. وهنا برز دور الحركات الإسلامية وحركات التحرر والمقاومة في ظل تلاشي قوة الأفكار الليبرالية. لتعود هذه الأخيرة ولكن ليس كمنظومة بمجملها، بل فيما يتعلق بالمساحة التي يحصل عليها الدين في نظام الحكم، بحيث يكون ذلك هو النقطة التي التقت فيها الأنظمة مع الفكر الليبرالي، إلى جانب عدم رفضها لإمكانية

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 33-34



## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

تحقيق التقدم دون أن تكون الدولة قائمة على التشريع الإسلامي. ولكن هنا، من الضروري التطرق إلى صراع آخر، أو بعد آخر للصراع الذي قام على خط الصراع أو الانقسام الإسلامي-القومي-الليبرالي، وهو ما تداعى عن انتشار الإيديولوجية الاشتراكية والتي نافست الليبرالية وتزامن ذلك مع ظهور المستقلة والتي كانت في طور بناء نفسها وتبحث عن الإيديولوجية الأنسب أو يمكن القول أنها كانت تنتقي الأفكار التي تناسب مرحلتها الجديدة وتمكنها من تحقيق الأهداف التي سطرت لنفسها بعد التخلص من الاستعمار.

ج- معالم الفكر الاشتراكي: إن الظروف التي سمحت بتصاعد التيار الإسلامي، وظهور الأفكار الليبرالية، ثم التوجهات القومية، هي نفسها التي كان سببا في انتشار الاشتراكية في العالم العربي. شهدت سنة 1917، اندلعت الثورة الروسية وفي سنة 1922 تمت ترجمة البيان الشيوعي إلى اللغة العربي، وهو ما سمح بتأثر الأحزاب الشيوعية بهذا الفكر والعمل على نشره. وكانت الدوافع وراء ذلك، هو قيامه على فكرة العدالة والمساواة، وهي تتمحور حول نفس القيم التي تؤمن بها وتتطلع إلى تحقيقها الشعوب العربية والإسلامية. وهذا ما جعلها تنتشر في فترة كان فيها الاستعمار يستولي على ثروات الشعوب وغير آبه بحقوق العمال والظلم الواقع عليهم. وكان نضالهم من أجل التحرر من هذا الوضع سبب توافقه مع الحركات والتوجهات الأخرى التي كان لها نفس الهدف وهو الاستقلال والتخلص من الظلم الاستعماري. وهو ما كان سببا في قوتها، خاصة بعد طرح الأحزاب التي تبنتها لقضايا التغيير نحو العدالة بعد الاستقلال، حيث شكل مضمونها المجتمع المثالي الذي تريده الشعوب ولا تستطيع أن تصل إليه وشكل المبادئ التي ترضي ضمائرهم. إلا أنه، وفي للوقت ذاته، لم يتمكن من التغلغل في المنطقة حيث لم تستوعبه المجتمعات العربية والإسلامية ولم يستمر التيار القومي في الوثوق بها بسبب علاقة الأحزاب الاشتراكية مع الاتحاد السوفياتي الذي أيد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. إضافة إلى أنها فشلت في تحقيق أهدافها ولم تتمكن من تحقيق الالتفاف حولها من طرف الحركات والأحزاب الأخرى<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - مفيد الزبيدي، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 287-290

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

إن الهدف من العرض السابق، هو محاولة رصد خريطة للتنوع الفكري ثم السياسي الذي شهده العالم العربي والذي لطالما كان عرضة للتأثر بالظروف السياسية، الاقتصادية والاجتماعية سواء كان ذلك داخليا أو خارجيا. وحتى تتبين العلاقة بين كل العناصر المكونة للفكر العربي وأبعاد ذلك السياسية. وكانت البدايات الأولى للدول المستقلة شاهدا على التآرجح بين المعالم المذكورة آنفا. وكانت سنوات الخمسينيات فترة مهمة في هذا الجانب. وذلك لعدة أسباب أهمها أن التيار القومي كان يعرف تصاعدا مستمرا وتأثيرا قويا تجلى في الوحدة المصرية السورية سنة 1958، بفعل الدعم الإعلامي والسياسي الذي تلقاه من الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر. حيث كان هذا الأخير قادرا على تعبئة الجماهير العربية وتحفيزهم على النضال ضد الاستعمار. وكان هناك توافق قومي-اشتراكي عبّر عنه الاتحاد الاشتراكي في مصر وحزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا والعراق. ورغم ذلك، ورغم تشابه أنظمة الحكم في الدول الثلاثة، إلا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق التجانس الذي يفضي إلى أهداف القومية. وظهر ذلك في الانفصال بين مصر وسوريا سنة 1961 الذي أحدث تشاؤما حول إمكانية التوافق حول مواجهة مع إسرائيل. وكانت الهزيمة سنة 1967، ضربة قاسية للتيار القومي الذي فشل في تحقيق الوحدة التي كان يطمح إليها وفشل في تحرير الأراضي المحتلة<sup>1</sup>. ويفسر الكاتب رضوان أحمد شمسان الشيباني هذا الفشل باستبعاد الدين الذي يعد الأساس الذي يمكن أن تلتف حوله الشعوب العربية المسلمة. ويرى بأن هذا الاستبعاد قد يكون بدافع اعتقاد غير صحيح حول رأي الإسلام في القومية، وبأنه يرفضها<sup>2</sup>.

إذن، نستخلص مما سبق بأن الأفكار الليبرالية عرفت طريقها إلى العالم العربي عن طريق الاحتكاك بالتقدم الأوربي، حيث اطلع العرب والمسلمون على التجربة الأوربية وحاول البعض منهم فهم أسباب هذا التطور ومن ثم مقارنة الحال مع ما عرفه العالم العربي والإسلامي من تدهور. ومنهم من توصل إلى أنه من الممكن الاستعانة بالتجربة الأوربية مع الاحتفاظ بالقيم الأصيلة للمجتمعات العربية الإسلامية، واعتقد بأنه يمكن أن يكون هناك توافق بينهما. في حين رفض آخرون أفكارا أساسية قام

<sup>1</sup> - رضوان أحمد شمسان الشيباني، الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي-دراسة تحليلية، د.م.ن: مكتبة

مدبولي، 2006، ص-ص: 40-41

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 41

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

عليها الفكر الإسلامي بخصوص نظام الحكم كالخلافة وطالب بفصل الدين عن الدولة، وهو الأساس الذي بنيت عليه عملية التحديث في أوروبا.

ولكن، خففت مرحلة الاستعمار من حدة النقاش حول نقاط الاختلاف بين الفكرين الإسلامي والأوروبي على مستوى الداخل، فكان الهم والهدف الأسمى هو التحرر والتخلص من الاحتلال الأجنبي، لتشهد هذه المرحلة توافقا بين مختلف الاتجاهات.

إلا أن التوافق المذكور آنفا، والذي سبق التطرق له بالتفصيل، لم يدم طويلا، إذ سرعان ما عاد الخلاف لتطور إلى صراع لاحقاً، اشتمل على تبادل الاتهامات بين من يريد إقامة دولة مستقلة على قاعدة الشريعة الإسلامية، أي دون الفصل بين الدين والدولة، وبين من رأى في عدم إمكانية الاعتماد على الدين في كل شؤون الدولة. إن هذه الأحداث والتطورات، تساعد على فهم الخلفية التاريخية لما يشهده العالم العربي والإسلامي، والذي عرف ظهور فئة جديدة من الليبراليين، أُطلق عليهم اسم الليبراليون العرب الجدد. وأحدث ظهورهم نقاشات كانت أكثر حدة من ذلك الذي عرفته الليبرالية العربية سابقاً، وذلك لارتباطه بمواضيع شائكة كالحركات الإسلامية التي أصبحت شديدة التنوع عددياً وفكرياً، وكذلك بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

### المطلب الثاني: عوامل ظهور الليبراليين العرب الجدد

كانت أحداث 11 سبتمبر 2001 وما تلاها من أحداث وتحولات عاملا جوهريا في تحول مسار الاتجاه الليبرالي في العالم العربي وتنامي تواجده على الساحتين السياسية والإعلامية؛ إذ ساعدته تلك الظروف على أن يكون جريئا في طرح أفكاره السياسية والاقتصادية، خاصة مع تزايد مكانة الليبرالية في التفاعلات الدولية. وتبرز تلك الجراءة في طرح أفكار لم يكن باستطاعتهم الإعلان عنها في مراحل سابقة من تاريخ العالم العربي. وكان ما يعرف بالمانفستو الذي يعبر عن مسودة تضمنت بيان معتقدات وأفكار من اصطلح على تسميتهم بالليبراليين الجدد، وتم التعبير من خلاله عن وجهة نظرهم بشأن الحلول الممكنة للقضايا العربية وعلى رأسها الإرهاب والقضية الفلسطينية<sup>1</sup>، ويمكن تلخيص ملامح الفكر الليبرالي في نقطتين<sup>2</sup>:

1- تبني الواقعية سياسيا: حيث أن هذا التيار مقتنع الحوار الثقافي والسياسي هو الحل في مواجهة الأعداء وبخصوص إسرائيل، فإن الحوار والمفاوضات هي الحل نظرا لتفوقها عسكريا واقتصاديا. كما يقبل أولا يمانع طلب مساعدة القوى الخارجية سواء في القضاء على الأنظمة السياسية أو إجراء الإصلاحات المطلوبة. ويعتبر بأن تحقيق الحداثة ممكن من خلال العولمة، فهي وسيلة للتقدم الاقتصادي، والتحديث الثقافي والسياسي.

2- تبني الرؤية النقدية دينيا: حيث يرى التيار الليبرالي وجوب إعادة النظر فيما يتم اعتباره مقدسا وإمكانية تغيير الأحكام الشرعية حسب ظروف الزمان والمكان كتلك المتعلقة بالحجاب مثلا أو الميراث. إضافة إلى التمييز بين حقيقة الدين والتفسيرات التي قدمها العلماء والفقهاء، مع ضرورة التخلي عن الماضي؛ فالتمسك به لن يفيد لا في الحاضر ولا المستقبل.

<sup>1</sup> - وليد بن صالح الرميزان، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 71-72

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 72-74

## الفصل الثالث انتشار البرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

### الفرع الأول: التدخل الأمريكي

لقد شكلت أحداث 11 سبتمبر 2001 منعطفًا تاريخيًا في علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط. إذ طغى مفهوم القوة وتحديدًا القوة العسكرية على السياسة الخارجية الأمريكية خلال السنوات التي تلت هذا الحدث. لقد أحدث هذا الهجوم تغييرًا حادًا في أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية، ويمكن فهم هذا التغيير من خلال فهم كيف أدركت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الحدث. لم يكن هجوم 11 سبتمبر بالنسبة لها عدوانًا على سيادة الدولة فقط أو انقصاصًا من الشعور بالأمن فحسب، بل تم اعتباره عدوانًا على القيم الديمقراطية. وبناءً على هذا الإدراك، أعلنت منذ ذلك الحين حربًا عالمية على الإرهاب، وقررت أن تستخدم فيها كل الوسائل. وأعطت إدارة جورج بوش الابن لنفسها الحق في التصرف عند وجود تهديد مباشر أو خطر على وشك التحقق في إطار ما سمي بالتصرف الوقائي<sup>1</sup>.

وشكل هذا التغيير الجديد محور استراتيجية الأمن القومي، والتي تم الإعلان عنها سنة 2002؛ والتي جاء فيها بأن الولايات المتحدة الأمريكية لا يهمها فقط الدفاع عن نفسها، بل هي بلد له قضية، وهي تتمثل في دعم المجتمعات الحرة في كل مكان. وهو ما عبر عنه الرئيس السابق جورج بوش الابن قائلا:

"إن قضية أمتنا كانت ولا زالت بشكل دائم أوسع من دفاع أمتنا. نحن نحارب، كما نحارب دائمًا، من أجل سلام عادل-سلام يكون لصالح الحرية. سندافع عن السلام ضد التهديدات الصادرة عن الإرهابيين والمستبدين. سنحافظ على السلام من خلال بناء علاقات جيدة بين القوى العظمى. وسنعمل على توسيع السلام من خلال تشجيع المجتمعات الحرة والمنفتحة في كل قارة"<sup>2</sup>. وأضاف: "...إن هذه الحرب تم الإعلان عنها علينا وفق توقيت ومفاهيم حددها آخرون، ولكن نهايتها ستكون وفق الطريقة والتوقيت الذي نختاره نحن"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - اسكندر وولف، "تدخلات الولايات المتحدة الأمريكية في الخارج ظهور مذهب باول؟"، في الموقع:  
[http://www.au.af.mil/au/afri/aspi/apjinternational/apj-a/2011/2011-2/2011\\_2\\_03\\_Wolf.pdf](http://www.au.af.mil/au/afri/aspi/apjinternational/apj-a/2011/2011-2/2011_2_03_Wolf.pdf)

تاريخ الدخول: 2019/07/25 على الساعة 12:24

<sup>2</sup> - « The National Security Strategy », <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/nsc/nss/2002/nss1.html>

25/07/2019 12 :40

<sup>3</sup> - « The National Security Strategy »,

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر بان الدول الفاشلة هي أكبر ما يهدد الأمن القومي الأمريكي وقررت بناء على ذلك أن تعمل على إلحاق الهزيمة بالإرهاب العالمي من خلال تقوية تحالفاتها ومنعه من المساس بأن حلفائها وأصدقائها، منع انتشار أسلحة الدمار الشامل وحصول الأعداء عليها، العمل على توسيع دائرة المجتمعات المنفتحة وتأسيس بنية تحتية للديمقراطية وبدأ عهد جديد في النمو الاقتصادي العالمي عبر حرية السوق والتجارة الحرة<sup>1</sup>. وفي هذا الشأن، تضمن الاستراتيجية الوطنية الأمريكية ضرورة محاربة الإرهاب العالمي عبر عدة جبهات، مع عدم التمييز بين الإرهابيين ومن يقدمون المساعدات لهم، تدمير التنظيمات الإرهابية وقياداتها، وعند التمكن من عزل الإرهابيين، لا بد من التأكد من توفر الآليات القانونية والعسكرية والأدوات القانونية والسياسية لإكمال المهمة. إضافة إلى الإعلان عن حرب الأفكار War of Ideas والتي تتضمن:

- توضيح عدم شرعية الأفعال الإرهابية، وبأنها في منزلة العبودية والإبادة والقرصنة، وهي كلها ظواهر لا يمكن أن تقدم لها الدعم أية حكومة محترمة.
- دعم الحكومات الحديثة والمعتدلة في العالم الإسلامي بشكل خاص وذلك لضمان غياب البيئة الخصبة التي توفر الظروف والإيديولوجيات المحفزة للإرهاب.
- استخدام الدبلوماسية العامة الفعالة لضمان تدفق المعلومات والأفكار التي تدعم التطلعات نحو الحرية في تلك المجتمعات التي يحكمها رعاة الإرهاب العالمي<sup>2</sup>.
- فتح المجتمعات في وجه التجارة والاستثمار، واعتبار حرية التجارة والسوق الحرة هما القاعدة التي تمكن من تحقيق التنمية، مع التركيز على القطاع التعليمي كأساس لها وللديمقراطية. وذلك على أن يكون الدعم موجهاً للدول والحكومات التي تكون سياساتها عادلة تجاه شعوبها وفق حكم القانون، الحرية الاقتصادية، محاربة الفساد واحترام حقوق الإنسان الأساسية<sup>3</sup>.

---

<https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/nsc/nss/2002/nss3.html>

25/07/2019 13 :15

<sup>1</sup> - Ibid

<sup>2</sup> - « The National Security Strategy »,

<https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/nsc/nss/2002/nss3.html>

25/07/2019 14 :11

<sup>3</sup> - « The National Security Strategy »,

<https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/nsc/nss/2002/nss7.html>

25/07/2019 14 :26

## الفصل الثالث انتشار البرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

وفي وثيقة الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب الصادرة في فبراير 2003، أكدت الإدارة الأمريكية على دعمها للحكومات الحديثة والمعتدلة في العالم الإسلامي تحديدا. كما أعلنت الاستمرار في إقناع المسلمين بعدم وجود تعارض بين القيم الأمريكية والإسلام، وبأنه سبق لها وأن ساعدت المسلمين في الكويت وأفغانستان وغيرها. وأكدت على حرصها على التعامل مع الحكومات المعتدلة لإلحاق الهزيمة بالإيديولوجيات المتطرفة وأولئك الذين يسعون إلى فرض الإيديولوجيات الشمولية على حلفائها وأصدقائها المسلمين. كما تكرر فيها ما ورد في وثيقة الاستراتيجية الوطنية لعام 2002، حول أهمية استخدام الدبلوماسية العامة لضمان تدفق المعلومات والأفكار التي تخدم المتطلعين نحو الحرية في المجتمعات التي يحكمها رعاة الإرهاب. وجاء ذلك عقب التطرق إلى الصراع العربي الإسرائيلي مكونا حاسما في معركة الأفكار التي تنوي أن تخوضها، خاصة وأن المنطقة تحظى بأهمية كبيرة ضمن الأولويات العالمية للولايات المتحدة الأمريكية التي لا علاقة مقربة مع إسرائيل والدول العربية المفتاحية. وأكدت الوثيقة على استحالة وجود سلام بين الطرفين دون أن يكون كلاهما حرا ودون وجود حكومة فلسطينية ديمقراطية<sup>1</sup>.

وبناء على أفكار الأسلوب الوقائي، مكافحة الإرهاب، منع انتشار أسلحة الدمار الشامل ومساعدة الشعوب على الحصول على الحرية الانعتاق من الأنظمة الدكتاتورية وبناء نظم ديمقراطية مستقرة، جرى احتلال العراق في شهر مارس سنة 2003. وكان ذلك بحجة امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، وباعتبار العراق تهديدا للأمن والسلام الدوليين.

وفي سنة 2006، جاءت وثيقة استراتيجية الأمن القومي الأمريكي لتؤكد كسابقتها الصادرة سنة 2002 على نفس الأسلوب في التعامل مع الإرهاب، من حيث استخدام الأدوات العسكرية التي تبقى مطلوبة لتحقيق الأهداف المسطرة على المدى القصير. إضافة إلى التركيز على حرب الأفكار والإصرار على أن الحل الأمثل لظاهرة الإرهاب هو تحقيق التقدم على مستوى الحرية والكرامة الإنسانية من خلال الديمقراطية. وحتى يتم ترسيخ هذا الحل، وتحقيق القدرة على خلق بيئة ملائمة تسمح له بذلك، أقرت الوثيقة ضرورة منع الإرهابيين من تحقيق السيطرة على أي بلد حتى لا يتم استخدامها كقاعدة لإطلاق عملياتهم الإرهابية. فضلا عن حرمانهم من الدعم والحصول على ملاذ آمن لدى الدول المارقة<sup>2</sup>. كما

<sup>1</sup> - « The National Strategy for Combating Terrorism », The US Department of State : february 2003, p24

<sup>2</sup> - Christian M.Henderso, «The 2006 National Security Strategy of the United States : The Pre-emptive Use of Force and the Persistent Advocate », Tulsa Journal of Comparative and International Law, volume 5,issue 1, 9-1-2007, p5

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

أكدت في وثيقة استراتيجية مكافحة الإرهاب الصادرة سنة 2006 على طابع الإرهاب الذي تواجهه والمتمثل في كونه متطرفا وعابرا للحدود الوطنية. وبأنه يستند على منظومة من الأفكار حول طبيعة العالم والقدر وبأن لها هدف واحد وهو ممارسة الحكم الشمولي. وبأن ما يجمع عناصرها هو إيديولوجية القمع، العنف والكرهية<sup>1</sup>.

وتلك المشاعر حسب المنظور الأمريكي، تأتي من عدة مصادر أهمها النظام التعليمي خاصة في المستويين الابتدائي والثانوي، والتي يتلقى فيها المتعلم تفسيراً للدين الإسلامي يدفعه إلى كراهية الغرب، ويشجعه على استخدام العنف ضده. وتستفيد الجماعات الإسلامية المتطرفة من ذلك، فهذا الوضع يجعل عملية التجنيد سهلة نظراً لانتشار قنوات تخدم أهدافها. وهنا أوضح مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية جورج تينيت George Tenet بأن السبب الكامن وراء اعتناق هذا التفسير يكمن في كون العالم الإسلامي هو مصدر جميع التحديات والتهديدات الإرهابية، كما أن التحدي يكمن في الغضب الذي تشعر به الجماعات المتطرفة الإسلامية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها وأصدقائها، وهو الشعور الذي يحركها ويحرك من هم متعاطفون معها<sup>2</sup>.

ومن هنا بدأ الفكر الليبرالي العربي رحلة العودة من جديد على الساحة الفكرية والسياسية والإعلامية بعد أن تراجع لصالح الانقسامات والصراعات بين القوميين والإسلاميين واليساريين. حيث عاد الجدل حول مفهوم الحرية وعلاقة الدين بالدولة، كما عاد النقاش حول مسألة التدخل الدولي وحدود سيادة الدول، وماهية الأنظمة السياسية الواجب أن تخضع للتغيير في اتجاه الديمقراطية والحرية. وبشكل أدق، حول معنى الحرية وعلاقتها بالدين، والفرق بين المقاومة والإرهاب، ومتى يكون استخدام العنف شرعياً. هذه التساؤلات، برز فيها التيار الليبرالي بوضوح بفعل دفاع الولايات المتحدة الأمريكية على نفس أفكاره، خصوصاً وأنها جندت له كل الوسائل العسكرية والدبلوماسية، الاقتصادية والثقافية.

<sup>1</sup> - « The National Strategy for Combating Terrorism », The US Department of State : september 2006, p5

<sup>2</sup> - زينب عبد العظيم، الاستراتيجية الأمريكية العالمية واستمرار الحرب ضد الإرهاب، "أمتي في العالم"، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2003، ص 830



## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

### الفرع الثاني: العولمة

لقد ارتبطت الليبرالية ثم النيولبرالية التي تولدت عنها بالجوانب المظلمة للعولمة، ويتم اتهامها بكونها السبب وراء كل السلبات التي نتجت عن هذه الأخيرة<sup>1</sup>. ويرجع ذلك لكون النيولبرالية أصبحت تعتبر إطار السياسة الرسمي في العولمة المعاصرة<sup>2</sup>. إذا تم الاعتماد على المتغير الاقتصادي، فإن هناك تعريف مختصر وذو دلالة كافية لفهم منطق العولمة. وهو التعريف الذي قدمه المدير العام لشركة ABB للصناعات الكهربائية، بيرسي بارنيفيك Percy N.Barnevik، والذي جاء على لسانه:

"أعرف العولمة بأنها حرية مجموعتي في الاستثمار أينما أردت، وفي الوقت الذي تريد، لإنتاج ما تريد، وبالتعاون من حيث ما أردت، وأن تبيع أينما تريد، وذلك بأقل القيود الممكنة، فيما يخص قانون العمل والاتفاقيات الاجتماعية"<sup>3</sup>

يتميز هذا التعريف بتلخيص المحكم لظاهرة العولمة التي تتجلى وفق البعد الاقتصادي والذي يعتبر قاعدتها الأساسية التي تقوم عليها. بيد أن هناك تعريفي آخر سيبين جوهر العولمة الكامن في تعدد الأبعاد المترابطة فيما بينها، ويخدم كل منها الآخر. إذ أنها -أي العولمة لا تكتفي بالجانب الاقتصادي لحاجتها الملحة إلى دعامة سياسة وثقافية تسندها وتمكنها من التواجد باستمرار على طبيعة النظام الدولي. وفي هذا السياق، يقدم أنتوني جيدنز Anthony Giddens التعريف التالي لهذه الظاهرة:

"مرحلة جديدة من مراحل الحداثة وتطورها، تتكاثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، وحدوث تلاحم بين الداخل والخارج، وربط بين المحلي والعالمي، بروابط اقتصادية وسياسية وثقافية وإنسانية. ولا يعني هذا إلغاء المحلي والداخلي، ولكن أن يصبح العالم الخارجي له حضور العالم الداخلي نفسه في تأثيره في سلوكيات الأفراد وقناعاتهم وأفكارهم، والنتيجة هي بروز العامل الداخلي وتقويته"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - Mislav Kukoc, « Liberal Philosophy and Globalization », *Synthesis Philosophica*, 47, 1/2009, p 68

<sup>2</sup> - *Ibid*, p70

<sup>3</sup> - رحيم حسين، "الإطار الفكري والمؤسسي للعولمة الاقتصادية: من كيتنر إلى ستيغليتز"، *مجلة اقتصاديات شمال*

*إفريقيا*، الجزائر: جامعة حسيبة بن بوعلي مخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا، العدد 5، جانفي 2008، ص16

<sup>4</sup> - عبد العزيز المنصور، "العولمة.. والخيارات العربية المستقبلية"، *مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية*،

المجلد 25، العدد2، 2009، ص 562

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

ومن خلال هذا التعريف، تظهر العولمة بكونها قائمة على غياب الحد الفاصل بين ما هو داخلي وما هو خارجي؛ حيث يتوحد المجالان من خلال العلاقات التي تنشأ بينهما في كل المجالات، بما فيها المجال الثقافي والإنساني، والذي يصبح متشابهاً بدليل تشابه السلوك الاجتماعي. وعند القول بهذا، فهذا يعني أن تحول القناعات والأفكار نحو التشابه، كان سابقاً على تشابه السلوك.

هناك اعتقاد بأن ظاهرة العولمة قد برزت في منتصف الستينات. واتضحت بفعل التأثير الذي أحدثته التطور التقني الذي اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية مركزاً له، في تغيير التوجهات والأفكار. إضافة إلى القوة التي أصبح يبدو عليها النظام الرأسمالي في غياب إيديولوجيات قادرة على منافسته. وهو الوضع الذي أسس له نظرياً فرنسيس فوكوياما Francis Fukuyama من خلال مقولته "نهاية التاريخ" والتي صدرت سنة 1989. وهناك من لا يعتبر الثورة التكنولوجية السبب الرئيسي لهذه الظاهرة، بل يرجعه إلى المال والاقتصاد، ويربط بينها وبين الرأسمالية الحديثة التي عملت منذ بدايتها على أن يكون النظام الاقتصادي العالمي نظاماً موحداً مكوناً من المركز الذي يتألف من الدول الصناعية والهامش الذي تشكله الدول النامية<sup>1</sup>.

وهناك من يرى بأن التفاعل مع الآخر الواقع في إقليم جغرافي يحمل شعبه قيماً مغايرة، لا يتوقف على درجة التطور التكنولوجي أوفي وسائل النقل، وهي الأسس التي تم اعتبارها قاعدة لظاهرة العولمة. بل التفاعل بين الشعوب يمتد إلى قدم الزمن، ويبين التاريخ اتساع وامتداد السلوك الخارجي للحضارات القديمة في غياب تلك الوسائل، على غرار الحضارة الفرعونية، بلاد ما بين النهرين، الهندية، الصينية، الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأوربية وغيرها. وهذا ما يؤدي إلى القول بأن ظاهرة العولمة ليست حديثة، وما تتضمنه من تأثير على قيم وأفكار الشعوب الأخرى ليس جديداً كذلك<sup>2</sup>.

وهذا ما يدفع إلى القول، بأن تصاعد قوة النظام الرأسمالي، أدت إلى تزايد التفاعل بين الشعوب والأمم، في عدة اتجاهات أهمها سهولة التأثير على قيم الشعوب وتنامي الأفكار المؤيدة لمنطق عمل النظام الرأسمالي وما يحمله ذلك من أبعاد ثقافية وفكرية. خاصة وأن كبار التجار أو أصحاب رؤوس

<sup>1</sup> - غربي محمد، "تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي"، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، الجزائر: جامعة حسيبة

بن بوعلي مخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا، العدد 6، جوان 2009، ص-ص: 19-20

<sup>2</sup> - عبد العزيز المنصور، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 563-564

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الأموال الضخمة وأصحاب الشركات العابرة للقارات، هم الأقدر في العالم المعاصر على إحداث التغيير في الذهنيات وتوجيه الرأي العام، لأنهم هم الذين يسيطرون على الإنتاج الثقافي في الرياضة والموسيقى وصناعة الأفلام والصحافة<sup>1</sup>.

وهناك إحياء قوي بارتباط هذا المفهوم بالولايات المتحدة الأمريكية، ويرجع ذلك إلى أنها تعتمد في سياستها الخارجية على مضمون ما يسمى بـ"العولمة الثقافية"، والتي تعني محاولة تعميم نموذج ثقافي معين باستخدام عدة وسائل من بينها الوسائل السياسية والاقتصادية والتقنية، لتغيير قيم ومفاهيم وسلوكيات دول ومجتمعات أخرى<sup>2</sup>.

كما أن سنوات الثمانينات، شهدت رواج مصطلح "Globalization" في معاهد إدارة الأعمال الأمريكية وفي الصحافة الاقتصادية الأنجلو-ساكسونية، مستفيدا من تطور وسائل الاتصال وانهار جدار برلين الذي سطر نهاية الحرب الباردة معلنا انتصار المفاهيم الأمريكية. وعني هذا المصطلح توجه العالم نحو إلغاء الحدود الاقتصادية واعتماد قوانين مرنة إلى حد ضمان الحرية التي باتت مرتبطة بالتجارة من جهة، وبأن للولايات المتحدة الأمريكية رسالة كونية من جهة أخرى. وهذه القناة، شكلت الدعامة الإيديولوجية لما بدأت تمثله الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى يتمثل جزء كبير من القاعدة التي تقوم عليها في هيمنتها على السوق العالمي للاتصالات، وهو ما يخلق ثقافة جماهيرية تدعمها قوة سياسية على حد تعبير زبينغيو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski، وهي التي تسيطر على النظام الاقتصادي الدولي من خلال السيطرة على المؤسسات الدولية كالبنك العالمي وصندوق النقد الدولي<sup>3</sup>.

ولقد هيأت سياسات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي المناخ لانتشار الأفكار الليبرالية، من خلال الضغوطات التي مارستها على الدول من أجل الانتقال إلى الأنظمة الديمقراطية في العالم ككل، وفي العالم العربي بشكل خاص. إذ أصبح تقديم المساعدات والقروض يتوقف على التزام الدول بشروط المؤسسات الدولية والتي تكون عبارة عن شروط سياسة واقتصادية تتعلق بإصلاحات وسياسات تفرضها

<sup>1</sup> - مقدم عبيرات، عبد المجيد قدي، "العولمة وتأثيرها على الاقتصاد العربي"، مجلة الباحث، الجزائر: جامعة قاصدي مرياح، العدد 1، ديسمبر 2002، ص 39

<sup>2</sup> - عبد العزيز المنصور، مرجع سبق ذكره، ص 568

<sup>3</sup> - بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2002، ص-ص: 96-

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

هذه المؤسسات على الدول المستهدفة وفق التوجه نحو التحول الديمقراطي وفق النموذج الغربي، ودون مراعاة مصالح وظروف هذه الدول سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. وفي إطار الضغوطات التي تخضع لها الدول النامية، تفرض عليها تلك المؤسسات تبني نموذج النمو الرأسمالي. وهي مطالبة في ذلك، بان تكون تشريعاتها وسياساتها الداخلية قادرة على حماية المصالح الأجنبية وتسمح باستقطاب الاستثمارات الأجنبية الخاصة. وهي مطالبة أيضا بتخفيض الدعم الحكومي والإنفاق العام. وكان لهذه الأفعال تداعيات سلبية على الشعوب التي زاد فيها التهميش والاستغلال الذي ظهر في شكل جديد، إلى جانب اتساع الفجوة بين الطبقات الاجتماعية وتساعد العنف كرد فعل على الإكراه الذي تتم ممارسته<sup>1</sup>.

ويضاف إلى المؤسسات المذكورة، منظمة التجارة العالمية التي تعتبر واحدة من الأدوات المستخدمة في العولمة. وما يدفع إلى القول بذلك هو أن لهما أهدافا متشابهة إن لم تكن نفسها. فحتى منظمة التجارة العالمية تسعى إلى تحرير الأسواق والتجارة، وإخراج المجال الاقتصادي من دائرة سيطرة الدولة ليتحقق في النهاية اندماج الأسواق العالمية. وهو ما تعتمد عليه العولمة من حيث حرص مؤسساتها المختلفة على حرية انتقال رؤوس الأموال والسلع والخدمات عبر الحدود الوطنية للدول، ويتم ذلك وفق آليات تتضمنها الإيديولوجية الرأسمالية أو الليبرالية الاقتصادية<sup>2</sup>.

لقد تم اعتبار نهاية الحرب الباردة، انتصارا للإيديولوجية الليبرالية، ولكن لم يكن ذلك فقط هزيمة الإيديولوجية الاشتراكية، بل أصبح الوضع يبدو أنه لا وجود لأية إيديولوجية قادرة على منافستها. لا سيما بعد أن طرح فرنسيس فوكوياما فكرته عن نهاية التاريخ الذي تكون فيه الليبرالية هي الأساس. وفي نفس الوقت، كان العالم يتجه نحو التوحد وتجري محاولة لأن يكون النظام الاقتصادي واحدا، لتعقبه محاولات توحيد أنظمة أخرى. وفي هذه الظروف، سادت أفكار عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها من القضايا التي بات الغرب يعد مصدرا لها ويبدو مُصَدِّرًا لها إلى باقي دول العالم. ليشكل هذا المناخ، جوا ملائما لظهور التيار الليبرالي في العالم العربي والإسلامي مجددا، ويجد في المتغيرات الدولية

<sup>1</sup> - زياد جهاد حمد، "العوامل المؤثرة في التحول الديمقراطي"، مجلة مداد الآداب، العدد 14، ص-ص: 600-601

<sup>2</sup> - سماتي حكيم، "أثر المنظمة العالمية للتجارة على السيادة"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الحقوق قسم القانون العام، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، 2017/2016، ص 59

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

وأيضاً المتغيرات الداخلية التي سيتم تناولها في الفرع التالي فرصة ساعدته على عرض أفكاره وآرائه والدفاع عنها.

### الفرع الثالث: أزمات الدولة

لقد وضعت الدول العربية بعد الاستقلال لنفسها مجموعة من الأهداف التي تتمحور حول بناء دول مستقلة قادرة على إدارة شؤونها على المستوى المحلي، والعمل بشكل جماعي على المستوى الإقليمي بما يحقق الوحدة التي تجعل من الطرف العربي ذا قوة في مواجهة القوى الغربية. ولكنها منذ ذلك الحين، تشهد أنظمة الحكم فيها عدة أزمات حالت دون تحقيق الأهداف المذكورة.

شهدت معظم الدول العربية تآكلاً في شرعيتها بشكل متزايد، حيث بدأ قبول الشعوب بحق الحكام في ممارسة السلطة يغيب في عدد منها، لكونها لم تستطع استيعاب التحولات التي شهدتها المجتمع بفعل العوامل التي سبق ذكرها من جهة، وبفعل تزايد درجة الحرمان واتساع الفجوة بين الطبقات من جهة أخرى. هذا إلى جانب الدور الذي تلعبه القوى الإقليمية والدولية في توضيح أوجه القصور التي تشوب الأنظمة الحاكمة وتبين مواطن الفشل لديها. وفي هذه الظروف، وجدت الشعوب العربية نفسها أمام خيارات محددة من وضع بعض الدولة، وهي التمسك بالنظام القائم الذي يروج لنفسه باعتباره الأفضل لتقادي ما يروج له هو أيضاً حول الفوضى التي ستعقب محاولات التغيير. أو تجد نفسها في سياق التعبئة التي يقوم بها النظام عند تضخيم بعض الأحداث والأزمات. وهي كلها خيارات تستنزف قدرات الدول وثرواتها. فضلاً عن غياب المشاركة السياسية الفعلية رغم وجود مجالس محلية منتخبة وأحزاب سياسية ونقابات مهنية، والتي يفترض أنها موجودة لتحقيق مشاركة المواطن في صناعة القرار بما يحقق في النهاية حماية له ولحقوقه<sup>1</sup>.

وكان لأزمة الشرعية هذه عدة ارتباطات بين أسباب ونتائج؛ حيث يغيب في الدول العربية التداول السلمي على السلطة إلى جانب سيادة وحدة الأيدولوجيا المعتمدة ووحدة القيادة، مع رفض المعارضة السياسية وإن كانت معارضة شكلية. كما أن أنظمة تستند إلى شرعيات تقليدية قائمة على الدين/القبيلة، أو ثورية قائمة على القومية/التحرر، أو شرعية أبوية تكون الوصاية فيها على المجتمع وفق منطق رب

<sup>1</sup>- أحمد ناصوري، النظام السياسي وجدلية الشرعية والمشروعية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية،

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

العائلة أو البطريك. وفي الوقت ذاته، ينحسر دور مؤسسات الدولة لصالح المؤسسة الأمنية والعسكرية وتصبح السلطة القضائية أداة للقضاء على المعارضة أو تقييد عملها، وهو ما أشار إليه تقرير التنمية البشرية الصادر عام 2004. فضلا عن غياب الاستقرار السياسي الذي ترجع جذوره إلى التواجد الإسرائيلي في المنطقة منذ 1948 وتوتر العلاقات الخارجية الإيرانية، وتداعيات كل ذلك على الشعب الفلسطيني والدول العربية المجاورة، الحروب الأهلية وعدم قدرة الدول كلبنان والسودان والصومال واليمن على إحلال السلام والتعايش بين طوائفهم المختلفة. إضافة إلى الحروب الداخلية مثل الحرب في الجزائر وسوريا ضد الإسلاميين وفي العراق ضد الأكراد والشيعة. فضلا عن ذلك، انتشار الفساد السياسي نظرا لغياب المحاسبة والمشاركة. وهذا رغم وجود مؤسسات المجتمع المدني وسماع السلطة بهامش تتحرك فيه القوى المطالبة بالتغيير، والذي ظهر في تزايد ظواهر مثل الإضراب، الاعتصام، الثورة والاحتجاج. ولكنها تعمل في مناخ سياسي تهيمن فيه السلطة السياسية وتحديد السلطة التنفيذية على مجريات العملية السياسية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> بوقندور اسماعيل، "التخلف السياسي في الدول العربية المعايير الدولية والمقاربات الإقليمية"، دفاتر السياسة والقانون، ال عدد9، جوان 2013، ص-ص: 29-33

### المبحث الثاني: طبيعة التيار الليبرالي الراهن في الشرق الأوسط

تناول المبحث الأول تعريفا بتطور الليبرالية في العالم العربي منذ ظهورها، وخلص في النهاية إلى أن ظهور هذا الفكر تزامن مع بداية الاحتكاك بالحضارة الأوروبية واطلاع العرب على ما توصلت إليه أوروبا من تقدم وازدهار، وبأن ما جعل هذا الفكر يحظى بمناصرين له في المنطقة هو اعتقادهم بأن الفضل في قدرتهم على تحقيق هذا المستوى من التطور يرجع إلى اعتمادهم على منظومة من الأفكار والمعتقدات التي سمحت لهم بذلك. ويتمحور فحوى هذه المنظومة حول العلاقة التي يجب أن تكون بين الدين والدولية، حيث أن أوروبا قررت أن تفصل الأمور الدينية عن الأمور السياسية، وتعتبر أن الدين شأن خاص بين الإنسان وربه، أمّا الأمور الدنيوية وتحديدًا السياسية وأمور الدولة فإن الدين يجب أن يكون بعيدا عنها وأن لا يكون لرجال الدين أي دور في ذلك. وتاريخ توصل أوروبا إلى هذه القناعة والأسباب التي دفعتها إلى ذلك معروفة وهي تتعلق بعلاقة الكنيسة مع السلطة السياسية وردود أفعال الشعوب الأوروبية تجاه ذلك الوضع.

وعندما تم نقل هذه الأفكار إلى العالم العربي، اصطدمت بمنظومة فكرية مختلفة، حيث تعتمد البنية الثقافية والفكرية في العالم العربي على البعد العربي والدين الإسلامي الذي يعتبر هنا أساس الحياة سواء تعلق الأمر بالسياسة أو الاقتصاد أو المجتمع.

وتلك المواجهة، كانت تفرز تيارا توافقيا تارة، يرى بأنه لا حرج في أن يكون هناك تبني لبعض الأفكار الأوروبية دون المساس بالتراث ومضامين العقيدة الإسلامية، وتيارا يرى أن هذا غير ممكن تارة أخرى. ويذهب إلى أبعد من ذلك، ليظهر تحت اسم "الليبراليون العرب الجدد"، حيث يعلن أما رفضه لما اعتبر ثابتا ومقدسا لعقود في الفكر والسياسة والمجتمع في المنطقة، أو ليبين في مواضع أخرى بأنه لا خلاف ولا تعارض بين الليبرالية والدين الإسلامي.

وهو ما سيتم التطرق له بالتفصيل في هذا المبحث، ليتحقق التعرف على مواقف من عرفوا بالليبراليين العرب الجدد والذين سبق تبيان الأسباب التي دفعت إلى بروزهم بشكل ملحوظ بعد الاحتلال الأمريكي للعراق سنة 2003. وهذا انطلاقا من كون فهم طبيعة هذا التيار ترتبها بملاحظة الطريقة التي يتفاعل بها مع القضايا التي تهم المنطقة ككل.

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

يعرف الكاتب الليبرالي المعروف شاكرا النابلسي الليبراليون العرب الجدد بأنهم الجيل الثالث من الليبرالية العربية، وبن الإعلام هو الذي أطلق عليهم هذا الاسم. والذي ظهر في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين وبعد أحداث 11 سبتمبر 2001. ولقد اتفق هذا الجيل مع الجيلين السابقين في عدد من الأفكار المتعلقة بالإصلاح وأضافوا أفكاراً أخرى تتعلق بأهم القضايا العربية والإسلامية وعلى رأسها الدين، التاريخ، المقاومة المسلحة والتدخل الأجنبي. تجدر الإشارة إلى أن الجيل الأول من الليبراليين العرب، ظهر في القرن التاسع عشر، ومن بينهم جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا، عبد الرحمن الكواكبي، شبلي شميل وفرح أنطون. أما الجيل الثاني، فقد ظهر في بداية القرن العشرين، ومن رواده: طه حسين، قاسم أحمد حسن الزيات، توفيق الحكيم ومحمد حسنين هيكل وغيرهم<sup>1</sup>.

ومن أبرز من عرفوا بهذا الفكر في العالم العربي: شاكرا النابلسي، كنعان مكية، فؤاد عجمي، العفيف الأخضر، حازم صاغية، محمد عابد الجابري، برهان غليون

ومن أبرز الصحف: جريدة إيلاف الإلكترونية، الحوار المتمدن، صحيفة الاتحاد الإماراتية، صحيفة الشرق الأوسط، صحيفة السياسة الكويتية، صحيفة الأحداث المغربية.

وسيكون ذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: موقف الليبراليين العرب الجدد من المقاومة المسلحة والاحتلال الأجنبي

المطلب الثاني: موقف الليبراليين العرب الجدد من الدين الإسلامي والتاريخ

<sup>1</sup> - شاكرا النابلسي، "من هم الليبراليون العرب الجدد، وما هو خطابهم؟"، في الموقع :

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=19771&r=0>



### المطلب الأول: موقف الليبراليين الجدد من المقاومة المسلحة والاحتلال الأجنبي

إن التيار الليبرالي ليس حديث العهد في العالم العربي والإسلامي، بل هو موجود منذ بداية الاحتكاك مع الحضارة الأوروبية وبفعل التفاعلات التي شهدتها العلاقات بين الطرفين، والتي كانت إما علاقات سلمية (عن طريق البعثات التعليمية) أو صراعية (عن طريق الاستعمار).

غير أنه بدأ بارزا ومؤثرا في سياق الاحتلال الأمريكي للعراق سنة 2003، حيث انقسمت المواقف بين مؤيدين ومعارضين. ولكن التيار الليبرالي تميز مواقفه التي أثارت الجدل لكونها كانت صادمة للرأي العام العربي نظرا لتناقضها مع ما تتطلع له الشعوب العربية والإسلامية.

### الفرع الأول: الإيمان بعدم جدوى المقاومة المسلحة بشكلها الحالي

شاكر النابلسي (1940-2014) الكاتب والباحث الأردني، والذي يوصف بكونه "ليبرالي العروبة" ويعتبر من أبرز المثقفين الليبراليين العرب<sup>1</sup>، وأطلق عليه موقع إيلاف لقب "شيخ الليبراليين العرب"<sup>2</sup>، يعيب على من يشجع الفلسطينيين على فعل ما يريدون فعله سواء المقاومة أو القتل أو اختيار من يمثلونهم بغض النظر عن مدى أخلاقية سلوكياتهم، ويعتقد بأن المقاومة الفلسطينية بشكلها الحالي هي مقاومة غير مجدية، خاصة في ظل غياب التكافؤ في القوة بينهم وبين الكيان الصهيوني. وهو يعتبر بأن ما يقومون به هم والعراقيون والأفغان لا يمكن أن ينجح، لا سيما في غياب من يقدم لهم الدعم السياسي والمالي سواء من قوى عظمى أو قوى إقليمية أو عربية. ويستدل على ذلك بأن من أسباب نجاح المقاومة الجزائرية أو الفيتنامية هو قدرتهما على الحصول على الدعم العسكري والسياسي والمالي. وجاء ذلك في قوله:

<sup>1</sup> - سارة الشمالي، "رحل شاكر النابلسي ليبرالي العروبة"، في الموقع:

<https://elaph.com/Web/news/2014/1/867827.html>

2019/08/23 على الساعة 12:50

<sup>2</sup> - وفاة شيخ الليبراليين العرب شاكر النابلسي، في الموقع:

<https://elaph.com/Web/Culture/2014/1/867506.html>

2019/08/23 على الساعة 12:52

## الفصل الثالث انتشار البرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

"معظم الكتاب الفلسطينيين... يصورون دائما للمواطن الفلسطيني على نحو، أن افعلوا أيها الفلسطينيون ما شاء لكم الفعل، وقاوموا ما شاءت لكم المقاومة، ... وولوا أمركم للحالمين المنفلتين... وهؤلاء الكتاب يقفون إلى جانب المقاومة المسلحة، التي لم تعد تجدي فتىلا في ظل عدم توازن القوى بين إسرائيل والفلسطينيين، وفي ظل عدم وجود قوى عظمى أو إقليمية أو عربية، تساند المقاومة الفلسطينية سياسيا وماليا وتمدهم بالسلاح، كما كان عليه الحال في المقاومة الجزائرية... والمقاومة الفيتنامية..."<sup>1</sup>

ويبدو الكاتب كنعان مكية من الراضين لطبيعة المقاومة المسلحة الفلسطينية، حيث يستخدم صفة "الانتحاريين" ويعتبر بأن ردود أفعال عائلاتهم ليست حقيقية، بل هم مجبورون من طرف التنظيم المحيط بهم على التعامل مع موت أبنائهم وكأنه حدث رائع وتضحية عظيمة. وبدلا من أن يبدا مشاعرهم الحقيقية، يضيف مكية، حيث تكون لديهم الرغبة في نعي أبنائهم، فإنهم يقومون بتقبلهم ويقال لهذه العائلات بأنهم محظوظون لأن ابنهم موجود الآن في الجنة<sup>2</sup>.

ويضيف النابلسي بشأن شروط نجاح المقاومة ورأيه في المقاومة العراقية للاحتلال الأمريكي:

"المقاومة عمل مقدس وشريف ومحمود... ولكن المقاومة تتطلب عدة عوامل جغرافية وسياسية ومالية داخلية وخارجية لإنجاحها... ومن هنا، فشلت المقاومة الفلسطينية، وفشلت المقاومة الأفغانية، وما يطلق عليه بالمقاومة العراقية في طريقه إلى الفشل التام، بعدما تلوثت أيدي المقاومة بدماء الشعب العراقي، أكثر مما تلوثت بدماء جنود الاحتلال"<sup>3</sup>

وفي وصف المقاومة العراقية يقول بأنها عبارة عن مقاومة وبأن المقاومين العراقيين عبارة عن مجموعة مرتزقة هدفها إعادة النظام السابق واستغلال الدين لأغراض شخصية واستغلال الأوضاع للاتجار في المخدرات، ويعبر عن ذلك بقوله:

<sup>1</sup> - شاعر النابلسي، "العرب والفلسطينيون والقبضة الإسرائيلية"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=69573&r=0>

22/08/2019 20 :48

<sup>2</sup> - Alan Johnson, « Putting Cruelty First : An Interview with Kanan Makiya (Part 1), *Democratiya* 3, Winter 2005, p 92

<sup>3</sup> - شاعر النابلسي، "العرب والفلسطينيون والقبضة الإسرائيلية"، مرجع سبق ذكره.

## الفصل الثالث انتشار اللبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

"ما نشاهده في العراق ليس "مقاومة" ضد "احتلال" ولكنها "مقاولة" ضد "إحلال". ففلول النظام السابق ومعها المرتزقة من زارعي الأفيون في أفغانستان وباكستان من العريان الغربيين الإرهابيين وبائعي المخدرات الدينية (وعود الجنة، ونكاح الحور العين) لا تستهدف جنود "الاحتلال" فقط، ولكنها تستهدف المسؤولين العراقيين الوطنيين. كما تستهدف البنية التحتية العراقية، والمدارس،....الغاية من "المقاولة" المرتزقة في العراق ليس طرد "الاحتلال" ولكن إعادة النظام السابق<sup>1</sup>"

وفي تحليله لطبيعة المقاومة المسلحة سواء في فلسطين أو العراق، وخاصة استخدام الأزيمة الناسفة والسيارات المفخخة، يرى الكاتب كمال غبريال بأنها في أحسن الحالات، تعبر عن حالة من اليأس من الحياة والتي جعلت عناصرها يختارون الموت لأنفسهم ولأعدائهم، وفي أسوأ الحالات هي تعبير عن ما يدور في داخلهم وما يوجد في ثقافتهم وهو الذي جعلهم يتخذون القتل هدفا في حد ذاته. يقول غبريال بأن هؤلاء الذي يسمون أنفسهم بالمقاومين لا يهدفون في الحقيقة إلى تحقيق مصالح شعوبهم، وصراعهم هذا، ليس مجرد وسيلة لتحقيق هذه المصالح، ولو كان الأمر كذلك، لكانوا سيحرصون على أن يكون منهجهم مبنيا على أن يتحقق الهدف، وفق منطق أكبر المكاسب وأقل الخسائر. لكنهم في الواقع، ما بات يهمهم فقط هو إلحاق الأذى بالعدو مستخدمين كل ما من شأنه أن يعرضه للخسائر مهما بلغ حجم خسائرهم هم أيضا. وهذا بحسب غبريال ما يجعل الصراع في القضية الفلسطينية صراعا غير محدود الأجل ويجعل منها صراع وجود وليس صراع حدود. ويقول بأن هذا التحليل إذا كان صحيحا، فإن الاتهامات التي يتلقاها كل من يدعو إلى السلام، من قبيل الخيانة، العمالة، الكفر والعداء للأمة، تصبح رد فعل طبيعي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- شاكِر النابلسي، "اليوم المشهود، ووفاء العهود، وفتح الطريق المسدود!"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=20079>

2019/08/22 على الساعة 23:05

<sup>2</sup>- كمال غبريال، "خيار المقاومة (القتل) وثقافة اليأس"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=57348&r=0>

على الساعة 15:51

تاريخ الدخول: 2020/01/21

## الفصل الثالث انتشار اللبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

ومن هذا المنطلق، يعتبر غبراييل بأن أساس المشكلة يكمن في ذهنية العرب؛ حيث لو كانوا مقتنعين بأنهم يقاومون من أجل التخلص من الظلم، لأدى بهم الواقع إلى الاقتناع أيضا بأن هذه المقاومة التي يمارسونها هي وسيلة فاشلة في تحقيق غايتهم، وبأنها لم تقض سوى إلى تزايد تعرضهم للظلم بشكل مضاعف كرد فعل على ممارساتهم، وهنا يقول:

"...بمعنى أن التشبث "بالوسيلة" يضيع علينا "الغاية"، وهذا عكس الطبيعي تماما، حيث من المفترض أن نكون شديدي التمسك "بالغاية"، وأن نستبدل الوسائل بالسهولة التي نستبدل بها الأحذية، إذا لم تكن مناسبة لحماية أرجلنا عبر الطرق الوعرة..."<sup>1</sup>.

### الفرع الثاني: الحكم على التدخل الأجنبي بناء على دوافعه

ينفي النابلسي صفة "الاحتلال" عن التواجد العسكري الأمريكي في العراق، ويفضل أن يسميه "الإحلال"؛ حيث جاءت القوات الأمريكية لإحلال نظام ديمقراطي مكان النظام الدكتاتوري، وإحلال الحرية مكان العبودية، وحكم الشعب مكان حكم الفرد الواحد. ويستدل على ذلك بأن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقم بمثل ما يقوم به المستعمرون عادة من طرد السكان الأصليين والسيطرة على البلاد ونهب ثرواتها، فهي جاءت لتحرير العراقيين وتمكينهم من حكم أنفسهم بأنفسهم، وتعهدت بالانسحاب فور إنجازها لهذه المهمة<sup>2</sup>.

وفضلا عن المبررات التي وضعتها الإدارة الأمريكية لنفسها من أجل احتلال العراق، من نشر الديمقراطية والحرية ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل، يضيف النابلسي بأنها قامت بذلك للتخلص من كل ما يمكن أن يؤدي إلى حرب طائفية محتملة بين السنة والشيعية، كما أن هذا الإحلال يصب في مصلحة العراق من جهة بناء المؤسسات العراقية وعلى رأسها الجيش والشرطة، وبناء البنية التحتية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه.

<sup>2</sup> - شاعر النابلسي، "اليوم المشهود، ووفاء العهود، وفتح الطريق المسدود!"، مرجع سبق ذكره

<sup>3</sup> - شاعر النابلسي، العراق بين الإحلال الأمريكي والاحتلال الإيراني، في الموقع:

## الفصل الثالث انتشار البرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

واعتبر النابلسي بأن اليوم الذي غادر فيه "بول بريمر Paul Bremer" حاكم العراق وتولي غازي الياور Ghazi al-Yawer (الرئيس المؤقت للعراق منذ 2004 إلى 2005) وإياد علاوي lyad Allaoui (رئيس الحكومة العراقية المؤقتة منذ 2004 إلى 2005) حكم البلاد، بأنه اليوم الذي وفته فيه الإدارة الأمريكية بوعداها، وسلمت لهما كل ما يتعلق بالعراق. ويرد على من اتهمه وغيره بالعمالة في موقفهم هذا، بأن العرب اللبراليون الجدد هم العملاء العقلاء، و"عميل عاقل خير من قومجي جاهل"<sup>1</sup>. ويصف فؤاد عجمي (1945-2014) الموقف الأمريكي بالجريء وبأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قادرة على اتخاذ زمام المبادرة في مواجهة المشاكل التي يعاني منها العالم العربي والإسلامي، وتصرفها تجاه العراق جرأة على مواجهة الاعتقاد الذي آمن به العرب والذي يقول بأنه لا سبيل إلى تقادي الطغيان، وبينت لهم بأن هذا الأخير ليس مصيرهم الحتمي ويمكن التخلص منه. وصف التواجد العسكري الأمريكي في العراق بأنه رحلة نبيلة وشريفة أعقبت عقدا من الاعتداءات الإرهابية على الولايات المتحدة الأمريكية، وبأنه كان استجابة للحظة تاريخية طبيعية أثبتت فشل مقاربة الرئيس الأمريكي السابق بيل كلنتون التي بنيت على أمل نجاح سياسة "الاسترضاء" في علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع دول المنطقة<sup>2</sup>.

البروفيسور فؤاد عجمي والذي وصفه الكاتب السوري صبحي حديدي بكونه "شيخ العرب" الموجود في صف المحافظين الجدد<sup>3</sup>، وصف باراك أوباما بالسلبية وبأن سلوكه تجاه الأزمة السورية كان غريبا، إذ ظل يتساءل عن طبيعة السياسة الأجدى ووضع خطوطا حمراء في وجه التدخل في سوريا، ممثلة في حالة استخدام الأسلحة الكيميائية، وبأنها الحالة الوحيدة التي قد تدفعه لتغيير قراره. وهنا رأى عجمي بأن أوباما قد وضع مصداقيته في يد الأسد. وهو بذلك خيب أمل "المتمردين" الذين وضعهم الحظ السيئ كما يقول عجمي في عهد رئيس يصفه بأنه "أبدي الحذر"، وفي عصر تراجع القوة

<sup>1</sup> - شاعر النابلسي، "اليوم المشهود، ووفاء العهود، وفتح الطريق المسدود!"، مرجع سبق ذكره

<sup>2</sup> - Fouad Ajami, « Best Intentions » : <https://newrepublic.com/article/67641/best-intentions>

23/08/2019 13:15

<sup>3</sup> - صبحي حديدي، "فؤاد عجمي: شيخ العرب في صفوف "المحافظين الجدد"، صحيفة الأيام، 2014/06/28، السنة 19، العدد 6635، ص 17

## الفصل الثالث انتشار البرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الأمريكية التي اعتاد الشرق الأوسط الكبير على تواجدها لإنفاذه. ويعطي ما حدث في أفغانستان سنة 2001، العراق سنة 2003 وليبيا سنة 2011 كمثال على ذلك<sup>1</sup>.

اعتبر فؤاد عجمي بأن رفض الإدارة الأمريكية لوضع قطيعة مع الرئيس بشار الأسد، أدى إلى تطرف ما يسميه التمرد السوري. وبأنه لو تم تسليح "التمرد" مبكرا لكان تغير الوضع في ميدان القتال، ولو تم فرض منطقة حظر طيران بالقرب من الحدود السورية-التركية لكان ذلك مساعدة "للمتمردين". غير أن باراك أوباما كان معارضا لأي مساعدة يتم تقديمها في صراع وصفه بأنه صراع شرس، وعارض كل الدعوات التي تقدم بها بعض مستشاريه في السياسة الخارجية على غرار وزيرة الخارجية هيلاري كلنتون Hillary Clinton ، وزير الدفاع ليون بانيتا Leon Panetta ، مدير وكالة الاستخبارات المركزية ديفيد بترايوس David Petraeus and رئيس هيئة الأركان المشتركة مارتن ديمبسي Martin Dempsey<sup>2</sup>.

وفي نفس الموضوع، برز الكاتب كنعان مكية سنة 2003 كأحد الأعضاء الرئيسيين للمعارضة العراقية، وكان يفترض أن يكون مهندسا لانتقال العراق إلى الديمقراطية البرالية. ولكن محاولته لتنظيم معارضة عراقية في المنفى تعود إلى سنوات التسعينيات، حين عمل على حشد الدعم السياسي في العواصم الغربية ليكون هناك انتقال ديمقراطي في بغداد<sup>3</sup>.

ويعد من بين من قدموا الغطاء الأخلاقي لاحتلال العراق سنة 2003، وعمل جاهدا على إقناع من لديهم السلطة بإمكانية إزالة الرئيس السابق صدام حسين دون إنفاق الكثير من الدماء والثروات. وهو أيضا ممن تنبؤا بأن العراقيين سوف يستقبلون القوات الأمريكية بالحلويات والورود<sup>4</sup>.

ويشيد الكاتب المصري كمال غبريل بدور قوات التحالف الدولي بقوله أنه قدم فرصة ذهبية للعراقيين لكي يتخلصوا من النظام الذي حكمهم ولم يقيم بمثل الجرائم التي ارتكبتها في حقهم، أقطع الأنظمة التي عرفتها البشرية مثل الستاليني أو النازي. ويضيف بأنه لم يكن بالإمكان التخلص مما أطلق

<sup>1</sup>- Fouad Ajami, « In Syria's War, the lines that matter aren't red », [https://www.washingtonpost.com/opinions/in-syrias-war-the-lines-that-matter-arent-red/2013/05/09/b29ac688-b808-11e2-92f3-f291801936b8\\_story.html](https://www.washingtonpost.com/opinions/in-syrias-war-the-lines-that-matter-arent-red/2013/05/09/b29ac688-b808-11e2-92f3-f291801936b8_story.html)

23/08/2019 19 :15

<sup>2</sup>- Ibid

<sup>3</sup> - Samuel Helfont, « Kanan Makiya and the Rejection of Victimhood », The American Review of Books, Blogs, and Bull, Center for the Study of America and the West, September 2016, p3

<sup>4</sup> - Ibid

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

عليه "أهرامات الطغيان الصدامي البعثي" دون تدخل قوات التحالف تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية. وهو يعتبر بأن العراق بعد ذلك حقق إنجازا حضاريا بكل المقاييس من خلال تشكيل حكومة منتخبة ووضع دستور ديمقراطي، حيث يقول:

"...أي الشعوب المسماة بالعربية تحكمه حكومة شرعية منتخبة بانتخابات حقيقية نزيهة كشعب العراق، ومن منها يمتلك دستورا ديمقراطيا قابلا للتطوير كدستور العراق..."<sup>1</sup>

وعن الصراع العربي الإسرائيلي، يعتبر شاعر النابلسي بأن التطبيع هو الحل؛ وهو الذي يمكن العرب من تحسين أوضاعهم والانتقال من الانحطاط الذي يعيشونه إلى التقدم ومن الفقر والجهل إلى الثروة والعلم، ومن الخيبات والهزائم إلى الانتصار. يرى بأن على العرب قبول الواقع كما هو وعليهم أن يحاولوا الاستفادة منه بدلا من رفضه؛ فهذا الرفض هو الذي يتسبب في المزيد من الكوارث والدمار. وبأن على الدول العربية أن ترضى وتتعلم الدرس حتى لا يتكرر واقعها في المستقبل. وهو يقصد بالتطبيع الاعتراف بالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي الجديد ومحاولة استثمار أكثر ما فيه من الإيجابيات التي تمكن من إعادة بناء الذات والنهوض. وهو القدرة على ابتلاع النكبة وتحويلها إلى دروس تخضع للتحليل والتأمل لتحقيق الاستفادة منها. وهو الاعتراف بشجاعة بالهزيمة والجهل والتخلف والحكم العشائري والقبلي وبأن صناعة القرارات تخضع لسيطرة الايدولوجيا الدينية والقومية. ويفسر النابلسي الواقع الراهن للعرب بطبعهم المتمثل في الخوف من الآخر والغريب، وعدم الانفتاح وبأنهم أمة تعبد الأسلاف وترتهن لماضيها وتخضع لأحكام الموتى<sup>2</sup>.

واستدل على ذلك برفض العرب لما يسميه بالفتح الذي جاء به نابليون عام 1798 لمصر، واعتبره ووقفا أمام عصر التنوير الفرنسي الأوربي بشكل عام، ولم يكتفوا برفض الجانب العسكري فقط من الحملة بل اعتبروها غزوا ثقافيا غربيا يشكل تهديدا للحضارة العربية والإسلامية. ويرى بأنه كان على

<sup>1</sup> - كمال غبريال، "حنانيك يا د. فيصل القاسم"،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=50826>

20:04 على الساعة 2019/08/25

<sup>2</sup> - شاعر النابلسي، أسئلة الحمقى في السياسة والإسلام السياسي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

2005، ص-ص: 27-28

## الفصل الثالث انتشار اللبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

العرب التزام الصبر والتصرف بحكمة والتركيز على الايجابيات والعمل بمنطق الواقعية السياسية، ولكن يغلب على طبعم سوء معاملة الآخر وفق مشاعر الكراهية والاحتقار والعداوة والتكفير<sup>1</sup>.

وعن إسرائيل، يرى النابلسي بأن العرب هم الذين رفضوا كل الحلول السياسية وأصرروا على الحل العسكري، وليست لديهم القابلية للتطبيع مع الحقائق السياسية الموجودة على أرض الواقع السياسي. وهذا الرأي قائم على واقع التقدم الإسرائيلي الذي يتجلى في مؤشرات عديدة على رأسها ارتفاع الدخل القومي، تزايد عدد السياح، تطور الزراعة، تطور الثقافة اليهودية، ترجمة الأعمال الأدبية والفنية اليهودية الإسرائيلية، التصنيف المتقدم للجامعات الإسرائيلية. وهذا الواقع، الذي قام العرب بالانشغال عنه بالصراع العسكري، وكان عليهم بالنسبة للنابلسي أن يتأملوا هذه التجربة ويعملوا على تقليدها والاستفادة منها<sup>2</sup>. ولذلك، فإن السلام في الشرق الأوسط يرتهن بالإيمان بالتطبيع السياسي والثقافي مع الأعداء والاعتراف بالواقعية السياسية. وهذا يعني أن تحقيق السلام في هذه المنطقة بشكل دائم يتطلب تحول اتفاقيات السلام المبرمة مع بعض الدول العربية (كامب ديفيد 1979، أوسلو 1993، وادي عربة 1994) إلى اتفاقيات بين الشعوب؛ وهذا لربح الوقت والحفاظ على المصالح واعتراف بما هو موجود على أرض الواقع من حقائق سياسية. كما أن ما هو مطروح من احتمالات لتحقيق السلام أمر حتمي، ولا يمكن للعرب إلغائها من خلال التهرب أو النفور. وبحسب المعطيات الحالية، والتي تخبر بغياب التكافؤ العسكري والعلمي والاقتصادي، يعد الحوار والمفاوضات وتبني الحلول السلمية هو التصرف الأسلم الذي يجب أن يؤمن العرب بمنطقه في صراعهم مع الآخرين<sup>3</sup>.

وعن الإصلاح، يعتبر النابلسي بأن<sup>4</sup>:

- الشورى التي يتمسك بها العرب ويفضلونها على الديمقراطية هي تجربة سحرية خيالية لا وجود لها لا اليوم ولا في التاريخ العربي.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 28-29

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 30-31

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 90

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 32



## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- وجوب التطبيع في إصلاح التعليم الديني الظلامي الذي يدعو إلى الإرهاب، وأن الحل يكمن في إعمال العقول وتغليب ثقافة الحوار ومناقشة الأفكار.
- أن الإصلاح لا يمكن أن يكون من الداخل لأنه ليس لديه أساس يمكن البناء عليه، ولكن جاءت فرصة الإصلاح من الخارج ولكن اعتبرها العرب استعماراً جديداً.
- طالما أن الإصلاح لا يمكن أن يأتي من الداخل لكون النخب الداخلية ضعيفة وهشة وعاجزة عن ذلك، لا مانع من قبول المساعدة الخارجية للقضاء على الاستبداد. ويدل التاريخ على أن هذا الفعل كان إيجابياً لمن قام به؛ حيث تحررت الكويت بفضل المعونة الأمريكية وأوروبا أيضاً للقضاء على النازية والفاشية أيضاً. ومادام أن المعونة هذه تأتي بالوسائل الدبلوماسية فلا حرج في ذلك. ويفترض على العرب أن يكون تركيزهم على النتيجة وليس الوسيلة التي قد تكون جملاً عربياً، أو دبابة بريطانية، أو غواصة فرنسية أو بارجة أمريكية<sup>1</sup>.

وكما سبق الذكر، إن النابلسي لا يعارض التدخل الأمريكي في العراق، ويعطي الكثير من الأسباب التي تدفعه إلى تبني هذا الرأي. فهو لا يسميه احتلالاً بل يعتبره إرادة الولايات المتحدة الأمريكية في تغيير نظام ظالم بأخر عادل، ومواجهة ظاهرة الإرهاب. وهو يعتقد بأن هذا كان لصالح العرب، بقدر ما كان تلبية للمصالح الأمريكية. وبالنسبة له، فإن تنفيذ هذه الإرادة مبني على منطق مكون من المبررات التالية<sup>2</sup>:

- ظاهرة الإرهاب تشكل مصيراً محتوماً للدول العربية بسبب الظروف الاجتماعية والأنظمة التعليمية تحديداً إضافة إلى مشاكل الأمية والفساد والبطالة. ولذلك، كان غزو العراق إنذاراً لها لدفعها نحو الاختيار بين بديلين؛ إما الاعتدال أو الاعتزال. وكان هذا إيجابياً بحيث تم إجراء العديد من التجارب الانتخابية وارتفاع أصوات المعارضة وتعديل المناهج التي كانت تعتبر مقدسة لا يمكن المساس بها. وهذا التغيير تم بسرعة لم تكن متوقعة من طرف الإرهابيين والأصوليين الذي يرفضونه أساساً.

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ص 89-90

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 48-53

- وجود الولايات المتحدة الأمريكية بقوتها وبأسها الشديد نعمة؛ حيث هي نفسها قد بذلت الكثير ماديا وبشريا ومع ذلك، وجدت صعوبات في مواجهتها للإرهاب. وهو الوضع الذي كان سيكون أسوأ في حالة غياب هذه القوة في ظل محدودية إمكانات الدول العربية.
- وجود البترول في العراق نعمة، وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقم بغزو العراق إلا بسببه؛ إلا أن ما يهم العرب هو نتيجة هذا الفعل الأمريكي المتمثل في النهاية في تحرير العراق. إذن لولا أن حاولت الولايات المتحدة الأمريكية تحقيق مصالحها ولولا وجود البترول لما تحرر العراق.
- من حق الولايات المتحدة الأمريكية والغرب بشكل عام أن يدافعوا عن مصالحهم عندما تتعرض للتهديد. ولذلك، فإن حماية مصادر النفط هي التي تكمن وراء التصرف الأمريكي بشكل أساسي، ولم تكن لتتكبد تلك الخسائر فقط من أجل الأسباب الدينية أو القومية أو حتى المناهج التعليمية، أو الأسباب التي تتعلق بالعادات والتقاليد.
- ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية ينبع من تمنياتها في أن تحترم كل الدول السلم العالمي الذي يقوم على الديمقراطية وحرية السوق والعولمة. وهو ما يجعل الدول العربية مضطرة لأن ترسخ لهذا النظام لأن تكلفة الرفض ستكون مرتفعة؛ والرضوخ يعني التصرف بحكمة ووفق مقتضيات الواقعية السياسية وهذا لا يعني الاستسلام.
- استئصال الإرهاب في العراق يعني القضاء عليه في كل العالم العربي، وهو لا يخدم مصلحة هذه الدول وهناك إجماع بين مختلف الأنظمة السياسية العربية على ذلك. وهو يقوم على حلم طفولي ممثل في استعادة الخلافة الإسلامية ويعتمد في ذلك على القوة التي يستخدمها بغباء وسذاجة.
- القضاء على الأصولية الدينية لن يتحقق إلا إذا تولت الحكم؛ فهي تريد أن تحكم العالم المعاصر وفق عقلية القرون السابقة. وبما أن فوزها مضمون عند إجراء انتخابات ديمقراطية، فإن السماح لها بتولي الحكم سيفضح أمرها، ولن يتم تجاوز هذه الظاهرة إلا بعد الكشف عن حقيقتها للناس، وهذا ما حدث في الجزائر في التسعينيات.

### المطلب الثاني: موقف اللبراليين العرب الجدد من الدين الإسلامي والتاريخ

لقد تناول المطلب الأول موقف اللبراليين العرب الجدد من المقاومة المسلحة والاحتلال الأجنبي، وهي قضايا حيوية بالنسبة للمنطقة ككل التي خضعت تاريخياً للاستعمار وخاضت حروباً من أجل الاستقلال. ولكن لم يقتصر هذا التيار على التعبير عن آرائه بشأن ذلك، بل كانت لديه مواقف من تاريخ المنطقة ومن الدين الإسلامي أيضاً؛ وهو ما أدى إلى زيادة تسليط الأضواء عليه وتلقيه لمزيد من الاتهامات التي تمحورت حول التشكيك في مصداقيته.

### الفرع الأول: الإسلام ومشروع إقامة الدولة المعاصرة

يقول شاكِر النابلسي بأن الإسلام قد بدأ كدين سياسي، وأقام دولة المدينة قبل 1400 عام، وكان ذلك بفضل شروط تاريخية معينة هي التي مكنته من ذلك ومن تأسيس الإمبراطوريات الواسعة. وهو يعتقد بأن هذا لا يمكن أن يتحقق في عالم اليوم لأنه -من وجهة نظره- لا تتوفر فيه تلك الشروط، ويضيف بأن الظروف الحالية وتغير المفاهيم السياسية، خاصة تغير مفهوم الدولة الذي يقوم على مفهوم المواطنة وليس الرعايا، لا تسمح بالاعتماد على الدين الإسلامي أو على أي دين آخر، حيث يؤمن بأنه لم يعد هناك وجود للدولة الدينية<sup>1</sup>. وهو يستدل على كلامه بواقع النظام الدولي الجديد وما يشمل عليه من قيم سياسية واجتماعية واقتصادية لا تتناسب مع الدولة القائمة على الدين الإسلامي والتي تطالب بها الجماعات والأحزاب الإسلامية، والتي يختلف نظامها عن نظام الدولة الحديثة من قيامها على أسس ومعايير مختلفة من بينها:

- نظام الخلافة الذي يقتصر على عائلة واحدة، والتركيز على العامل الديني سواء في شخص

ال خليفة كصفة أساسية أهم من المستويات العلمية والاقتصادية والسياسية، أوفي من يقوم باختياره من رجال الدين يطلق عليهم "أهل الحل والعقد" وليس من الشعب عن طريق الانتخابات. إضافة إلى أن تولي السلطة لا يحدد بمدة زمنية بل ببقاء الخليفة على قيد الحياة. كذلك، الاعتماد على مجلس الشورى الذي لا تعد قراراته ملزمة للخليفة.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 189

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- العمل بواسطة البنوك الإسلامية وليس البنوك الربوية، مع عدم التعامل مع البنوك الربوية الأجنبية لتقادي اختلاط أموالها الحرام مع الأموال الحلال. إضافة إلى الاعتماد على الزكاة بدل الضرائب
- منع الاختلاط وعدم حصول المرأة على المناصب السياسية.
- عدم الأخذ بشهادتها في قضايا القتل<sup>1</sup>.

### الفرع الثاني: المطالبة بإخضاع المبادئ المقدسة للنقد وإعادة النظر في التاريخ

جاء فيما عرف بمانفستو الليبراليين الجدد الذي كتب مسودته الأولى المفكر شاكِر النابلسي، إضافة إلى ما سبق ذكره عن شرعية الاستعانة بالخارج لإصلاح الداخل وماهية الحل الأمثل للتعامل مع الأعداء، مجموعة أخرى أيضاً من الأفكار التي تتعلق بما تعتبره المجتمعات العربية والإسلامية مقدساً ولا تقبل المساس به والتشكيك في صحته، وهي التي تعتبر المنبع الذي تستقي منه هذه المجتمعات المعايير التي تحكم من خلالها على شرعية السلوكيات من عدمها، وهو ما لا يقتصر على السلوك الاجتماعي بل السياسي والاقتصادي والثقافي كذلك. وهو أمر يعتبره التيار الليبرالي الجديد أحد الأسباب الرئيسية التي تقف وراء تخلف هذه المجتمعات وعجزها عن اللحاق بركب الحضارة والتقدم.

وجاء في مسودة المانفستو التي ذكرها في كتابه "أسئلة الحمقى في السياسة والإسلام"، بأنه يجب على هذه المجتمعات أن تعيد النظر في عقائدها وأفكارها التي تعتبرها مقدسة، كما يجب عليها أن تكف عن الاعتماد على الماضي، ويبدو أن المقصود بالماضي ليس فقط تلك التجارب التاريخية التي مر بها العالم العربي والإسلامي، بل حتى المفكرين والشخصيات التي اعتبرت في مرحلة تاريخية ما ذات شأن وفكر وبات يُعتمد على أفكارها في اختيار معايير السلوك والحكم على الصحيح والخاطئ فيه.

واحتوت المسودة على الأشياء التي يجب على العرب والمسلمين أن يفعلوها والأفكار التي عليهم أن يؤمنوا بها إذا كانت لديهم إرادة التغيير الحقيقي والتخلص من الجهل والتخلف، وهي كالتالي<sup>2</sup> :

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 111-113

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 88-89

## الفصل الثالث انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- تأكيد إخضاع المقدس والتراث والتشريع والقيم الأخلاقية للنقد العميق وهو النقد العلمي العقلاني الذي يعتمد على التأويل والتقييم من خلال طرح سؤالين عن "من؟" و"لماذا؟" على التوالي، على أن يكون النقد بهدف التقييم والإصلاح والتعديل وليس مقتصرًا على السخرية. وهذا لكي يكون النقد وسيلة لإيجاد الطريق الرشيد والحقيقي، وأداة يؤدي استخدامها في النهاية إلى الوصول إلى مرحلة الحداثة، وهذا ما يعرف بمبدأ الجينيالوجيا<sup>1</sup>.
- عدم الاستناد إلى المواقف الدينية العدائية تجاه الآخرين مطلقًا، الواردة في الكتاب المقدس لأنها جاءت بفعل ظروف سياسية واجتماعية لم تعد موجودة الآن، فالأوضاع التي سادت قبل أربعة عشر قرنًا والتي استخدمت فيها تلك المواقف لسفك دماء الآخرين، ليست هي نفسها اليوم، وكذلك المصالح والمواقف التي هي بمقتضى سنة الحياة ليست ثابتة.
- الأحكام الشرعية غير عابرة للتاريخ، بمعنى أنها لا تصلح لكل زمان ومكان. على سبيل، فإن أحكامًا مثل حجاب المرأة وشهادتها وميراثها، كانت بهدف التعامل مع زمن ومكان معين.
- الاعتماد على علماء ورجال الدين والفقهاء في الفكر الديني يعيق تطور الفكر الحر وولادة الفكر العلمي، وهو ليس نفس الدين الرسولي.
- إعادة النظر في قيم الماضي وعدم الولاء مطلقًا له لفهم الحاضر، والحداثة هي التي تحتوي

<sup>1</sup>- يعرف أستاذ الفلسفة المعانيد الشرقي مفهوم "الجينيالوجيا" بأنه تفكيك ناقد لمنطق الهوية القائم على ثنائيات متعارضة مثل الصدق والكذب، الخير والشر، الحق والوهم... الخ وهو التفكير والتأمل في أصل الأحكام الأخلاقية المسبقة. ويضيف بأن النقد القائم على المنهج الجينيالوجي هو قائم على فكرة أن الحقيقة منتج مرتبط بمفهومين آخرين وهما القيمة والقوة، وبأننا نحن الذين نمسح الأشياء قيمة معينة من خلال المعنى الذي نعطيها إياه، أنظر: المعانيد الشرقي، "المنهج الجينيالوجي عند فريديريك فلهلم نيتشه"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=481815&r=0>

تاريخ الدخول: 2019/09/27 على الساعة 23:35

## الفصل الثالث انتشار اللبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

المستقبل. وذلك لأن التاريخ لا يمكن أن ينتج الحاضر، وتاريخنا قتل نفسه معرفياً عندما رفض إعمال العقل والمنطق والعلوم الطبيعية وحرّم الفنون الإنسانية معتمداً على أفكار ابن تيمية والسيوطي وابن القيم الجوزية. وبالتالي، لا يمكن لشعب أن يشكل التاريخ حسب الرغبات والتعلق بالماضي فهو تحت حكم قوانين معينة. ولذلك، وجب التحرر من هذا الماضي والتخلص من حكم شخصيات ماتت ولا زالت تحكم من قبورها.

- لا وجود للمعرفة المطلقة، العلم المطلق ولا للحكم النهائي، ولذلك وجب الانفتاح على الحقيقة.

ويعتبر تعريض كل ما هو مقدس للنقد مرحلة أساسية في التحول اللبرالي عند اللبراليين الجدد؛ حيث يبدأ التحول من إعادة النظر في المواقف المتخذة من المقدس حتى تكون هناك إمكانية للتخلص من الأنظمة الشمولية التي ينقسم فيها الناس إلى فئتين؛ الأولى أقلية يعتبر أفرادها أنفسهم خلفاء الله في الأرض، والثانية أكثرية سلبية تلعب دور المتلقي التابع الذي يعتمد في تحديد معايير كل سلوكياته على الفتوى الصادرة عن الكبار العارفين، وهو ما ينتج عنه نظاماً شمولياً قائماً على القدرية والتواكل.

ومن أجل تهيئة المناخ اللازم لإقامة البناء اللبرالي، لا بد من التخلص من التبعية الموجودة للأسلاف والتي تصل إلى درجة عبادتهم. يرى اللبراليون الجدد بأن الشعوب الشرقية توارثت عادة عبادة الأسلاف وهي عادة ترفض الزوال، ولكن الخطر يكمن في كونها تؤثر سلباً على قيم هذه المجتمعات وممارساتها اليومية، إذ تتمسك هذه الشعوب بالعادات والتقاليد والأخلاق التي كان عليها آباؤهم وأجدادهم، والاعتماد عليها كمعيار للحكم على ما هو صحيح وما هو خطأ. وهو ما يقف كعائق في وجه الإصلاح وإتباع النهج العلماني والدليل على ذلك هو معاناة الأنبياء في محاولتهم لتغيير عادة الناس في إتباع الآباء والأجداد<sup>1</sup>.

ومن جهة أخرى، يرى اللبراليون الجدد بأن الماضي يتخذ مكانة مهمة في حياة هذه المجتمعات لدرجة أن الأفراد فيها يعتبرون بأن هويتهم تكمن فيه، وبأنهم إذا أرادوا أن يحددوا مدى أصالة حاضرهم، عليهم قياس مدى اقترابهم أو بعدهم عن هذا الماضي. وبناء عليه، فإنها مجتمعات يصعب فيها الابتكار

<sup>1</sup> كمال غبريال، "اللبرالية الجديدة وفضاء يتشكل مقاربة لمانفستو اللبراليين الجدد"، في الموقع:

<https://elaph.com/web/Archive/1088228607881939600.html>

## الفصل الثالث انتشار البرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

والإبداع الذي لن يكون مقبولاً إلا إذا نجح صاحبه في إيجاد علاقة بينه وبين الماضي ولهذا يرى البراليون الجدد بأنه يجب وضع الماضي في مكانه الصحيح. وهذا يعني أن يكون هناك نقد لهذا الماضي بحيث تتم الاستفادة من دروسه لتفادي تكرار الأخطاء من ناحية، وأن يتم استخدام التشابه مع الماضي كمؤشر سلبي يدل على البعد عن الأصالة<sup>1</sup>.

ومن جهة ثالثة، يعتبر بعضهم بأن هذه المجتمعات تقتدر إلى الثقة بالنفس التي تجعلها قادرة على تحمل المسؤولية عن أي تغيير قد يحدث، وهي عندما تقلد الآباء والأجداد فهي بذلك تلقي بالمسؤولية عليهم وتنتفيها عن نفسها، وتتخذ من هذا الأسلوب وسيلة لدرء المخاطرة بإحداث تغييرات جديدة مجهولة العواقب. ولذلك، لا بد من إعادة النظر في الأفكار التي سادت في الماضي والتي كانت ملائمة لظروف معينة، ومقارنة ذلك بالحاضر مع إمكانية تغيير الأحكام الصادرة بحقها إذا تطلب الحاضر ذلك. ويمكن أن تكون قضية فوائد القروض مثالا على ذلك عند البراليين الجدد، وهي التي كانت محرمة قديما لكونها كانت تسبب المشقة للفقراء، ولكن عالم اليوم بحاجة إلى هذا الفوائد لإقامة المشاريع. وينطبق هذا المنطق على قضايا أخرى كحرية المرأة مثلا ودورها في المجتمع بين مجتمعات حصرت دورها في الإنجاب ومجتمعات حديثة تمنحها أدوارا أخرى<sup>2</sup>.

أعاد البراليون الجدد النظر في جملة من المبادئ المقدسة والأمور التي لم يكن هناك مجال للشك فيها في المجتمعات العربية والإسلامية وهي تعتبر الأساس الشرعي والأخلاقي في إصدار الأحكام، ويمكن تلخيص آرائهم في النقاط التالية:

- التفسير الحالي للنبوة هو تفسير عامي وجب إحداث قطيعة معه، وإحلال تفسير آخر قائم

على المفهوم العلمي والطبي النفسي، من خلال مراجعة ظروف حياة النبي محمد منذ ولادته والتي كانت ظروفًا صعبة أثرت على نفسيته، وجعلته شخصا يعاني من الاكتئاب، في هذا الصدد يقول المفكر التونسي العفيف الأخضر:

<sup>1</sup> - المرجع نفسه

<sup>2</sup> - المرجع نفسه

## الفصل الثالث انتشار البرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

"النبوة هي هذيان التأثير، أي هذيان وهلاوس صادرة عن دماغ بشري مستوجب للعلاج. علما بأن الشفاء من هذيان النبوة هو اليوم نسبيا في المتناول، خاصة إذا كان في بداية المرض"<sup>1</sup>.

- السيرة النبوية تقدم رواية أخضعت التاريخ لحتمية التدخل الرباني الذي جعل الأسلاف

أبطالاً وأنصاف آلهة ومعصومين، ويقول العفيف الأخضر بأنها رواية رفعت محمد إلى مقام المختارين الذين رصدتهم الأقدار لتحمل رسالة النبوة والقرآن هو الذي يثبت ذلك:

"القرآن وثيقة طبية يمكن استخدامها لتشخيص هذيان وهلوسات وحالات نبي الإسلام النفسية، القرآن هو شعور محمد وهو أيضا ضميره الأخلاقي القاسي... هو شعور محمد بكل متشابهاته، والتباساته وتناقضاته الوجدانية، وتقلبه من النقيض إلى النقيض، من التسيير إلى التخيير، من الضمير الأخلاقي الجائر في مكة، إلى الضمير الأخلاقي الغائب في المدينة..."<sup>2</sup>.

- عدم التمييز بين النص القرآني أو النبوي والنص البشري عند النقد؛ حيث يحق لكل من

يسمي نفسه كاتباً أولديه نظرية أو منهج أو مذهب يؤمن به نقد النص الإلهي أو الحديث النبوي ومعاملته كما يتم التعامل مع النصوص العادية. وهذا لا يتعلق فقط بالبحث في ثبوت النصوص المقدسة والتأكد من مصدرها، بل يتعلق أيضا بخلق قراءة جديدة لهذه النصوص حتى تكون ملائمة للواقع، في حين جاءت الأديان لكي توضح للناس كيفية التعامل مع هذا الواقع ليكون هو ملائماً لأهدافها ودعتهم إلى القبول بتعاليمها والاستسلام لها<sup>3</sup>.

يعتقد بعض البراليين الجدد بأن أغلب العقائد الإسلامية إن لم يكن كلها لم تنتج عن الدين،

<sup>1</sup> - العفيف الأخضر، "كتاب من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ-النسخة الكاملة"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=369715&r=0>

تاريخ الدخول: 2019/10/06 على الساعة 11:03

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

<sup>3</sup> - صالح بن محمد بن عمر الدميجي، "موقف البرالية في البلاد العربية من محكمات الدين دراسة تحليلية نقدية"، رسالة دكتوراه منشورة، الرياض: مجلة البيان فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 2012، ص-ص: 375-



## الفصل الثالث انتشار اللبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

بل هي نتيجة طبيعية للصراعات السياسية والاجتماعية. وإن حب التميز عن الآخرين هو الذي يؤدي إلى نشأة العقائد التي نتج أغلبها عن حاجة المتصارعين إلى أدوات يمكن توظيفها في ميزان القوى، وكان الدين هو هذه الأداة بسبب قوته في الصراع<sup>1</sup>. وبالنسبة للبراليين الجدد يكفي أن يؤمن الإنسان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهي الأركان الستة للإيمان، وذلك حتى لا يكون هناك مجال لتكفير الآخرين أو تخوينهم، وفي ذلك تعزيز لقيمة التسامح بين الناس ونبذ العصبية. إلا أن حصر العقيدة عند حد أركان الإيمان يفتح المجال أمام انتقاد الصحابة والتابعين والطنن في أمانتهم وفي العلم الذي نُقل عنهم، فضلا عن تقليص مساحة الدين في الحياة وإلغاء دوره في عملية توجيه الأمور الدنيوية والأخرية للأمة الإسلامية<sup>2</sup>.

- الحرية المطلقة في الرأي، الاختلاف والتعبير، ولكل شخص حق الاجتهاد مهما كانت

قدراته العلمية ومدى الثقة فيه، حيث يقول اللبراليون الجدد بأنه لا كهنوتية في الإسلام وحق الوصاية ليس ملكا لأحد<sup>3</sup>.

- تمجيد الفلسفة ووضعها في مرتبة أعلى من الدين، واعتبارها المصدر الذي يجب الاعتماد

عليه في نيل العلوم وإيجاد الحلول لمشاكل المجتمع. وذلك لأن الفلسفة هي التي أثارت الحوارات وكشفت عن الأوهام التي صدقتها المجتمعات قبل أن يقوم الأنبياء بذلك. والفلاسفة هم الذين تفكروا في القوانين والعدالة، الديمقراطية والحرية، تقييد السلطة وحقوق الإنسان. ولأن الغرب امتلك مفتاح الفلسفة هذه، تمكن من تحقيق التقدم<sup>4</sup>.

إن أهم مفهوم يقوم عليه الفكر اللبرالي الجديد هو "الشك" وما يرتبط بذلك من مفاهيم متعلقة بـ "الحرية الفكرية"، أي عدم التسليم بأي معرفة إلا بعد تعريضها للنقد العلمي مع إمكانية عدم الإيمان بها بموجب الحرية. والشك هو غياب اليقين والحسم بشأن ماهية الحق والباطل، والصحيح والخطأ. والحرية

<sup>1</sup> - خليفة بن بطاح الخزي، اللبراليون الجدد، القاهرة: الأوائل للطباعة والنشر، 2011، ص-ص: 29-72

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 29-33

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 327-328

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 511-516

## الفصل الثالث انتشار اللبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الفكرية تعني عدم الحكم المطلق على أمر ما بالصحة أو البطلان، في حين أن اليقين هو أساس الدين الإسلامي؛ حيث أن اليقين في التوحيد شرط لصحة الإيمان<sup>1</sup>. يقول الكاتب سليمان بن صالح الخراشي:

"الفكر اللبرالي لا يعتقد عقائد جازمة غير حق الفرد في الحرية الفردية مهما توصل له من أفكار وعقائد وآراء، فهولا يملك عقيدة يقينية محددة، لأن كل عقيدة قابلة للتغيير، ومن حق الآخر أن يعتقد خلافها، وهذا الفكر لا يملك جوابا محددًا على أوضح الأمور مثل وجود الله تعالى وربوبيته لأن المنهج السیال الذي يعتمد عليه يجعل كل أمر قابل للصواب أو الخطأ...<sup>2</sup>"

ومن مظاهر هذا الشك وعدم اليقين إخضاع نصوص الوحي وما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية للنقد وهو ما ينزع صفة القداسة على أهم مصادر الدين الإسلامي عند المؤمنين<sup>3</sup>، ومنهم من يعتبر بأن الوحي والألوهية من التجارب البشرية الإنسانية؛ وهذا يعني أن إرادة البشر ومطالبهم هي التي تسيطر عليها. ويؤدي هذا الوصف إلى إلغاء النبوة والرسالة والوحي والغيب، وبالتالي إلى إلغاء ما هو ثابت ومقدس. إضافة إلى ذلك، انتقاد اللغة التي كُتبت بها اللوح المحفوظ واعتبارها لغة غير متوافقة مع متطلبات العصر لأنها يغلب عليها الطابع الديني بحيث تتحدث فقط عن المواضيع الدينية كالمعجزات والرسول والنبوة. وفي رأيهم هي لغة تاريخية لا تقدم أفكارا جديدا فضلا عن كونها لغة ما وراثية-غيبية فيها ألفاظ لا يمكن أن يوجد لها مقابل في الواقع كالجن، الملائكة والشياطين والقيامة، إضافة إلى عدم فائدة أسماء الله الحسنى في العالم المعاصر<sup>4</sup>.

- الاعتماد على الفكر التاريخي حتى لا يبقى التراث مقدسا واعتبار الأحكام الشرعية

والمسلمات العقديّة منتج بشري يخضع لتغير الإنسان الذي هو أساس تطور التاريخ. وبناء عليه، فإن النصوص الشرعية جاءت في ظروف زمانية ومكانية معينة، ولذلك، يجب أن يكون تأويلها حسب تغير

<sup>1</sup> - سليمان بن صالح الخراشي، حقيقة اللبرالية وموقف الإسلام منها، د.م.ن: د.د.ن، 2008، ص-ص: 140-142

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 142

<sup>3</sup> - صالح بن محمد بن عمر الدميحي، مرجع سبق ذكره، ص 378

<sup>4</sup> - إيمان أحمد الغزاوي، "الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن ظاهرة الوحي أنموذجا-دراسة نقدية"، دراسات، علوم

الشرعية والقانون، المجلد 43، ال عدد1، 2016، ص7

## الفصل الثالث انتشار البرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير

---

المكان والزمان لأن الإنسان بدوره يتغير عبر التاريخ. ونتج عن هذا ما بات يعرف بتجديد الخطاب الديني وعلمنة الإسلام، وفي هذا الشأن يقول حسن حنفي:

" إن النص يتراوح بين قطبين: الأسطورة من ناحية، والتاريخ من ناحية، فإما أن يذهب النص إلى الأسطورة، وفي هذا تذهب التاريخية، وإما أن يذهب إلى التاريخ ومن ثم نبتعد عن الأسطورة، وهذا يعني طبعاً أنه كلما كان النص أقرب إلى التاريخية يبدأ العلم هنا، ويبدأ النقد..."<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - صالح بن محمد بن عمر الدميحي، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 397-400

## الفصل الرابع

تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة

الشرق الأوسط الكبير

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

تميزت الفترة التي تلت الاحتلال الأمريكي للعراق سنة 2003 بارتفاع العديد من الأصوات المطالبة بالتغيير والتجديد، وتزامن ذلك مع تزايد التداول الإعلامي لمفهوم "التطبيع" و"التطبيع الكيان الصهيوني" وكذلك في مواقع التواصل الاجتماعي. وفي الوقت ذاته، كان من عُرفوا باسم "البراليون العرب الجدد" يعرضون أفكارهم التي سبق تناولها في الفصل السابق من الدراسة، والذي توصل إلى أن تلك الأفكار تمحورت حول موضوعين أساسيين؛ كان موضوعهم الأساسي الأول هو المطالبة بإعادة النظر في ما يتم اعتباره مقدسا عند المسلمين سواء تعلق الأمر بالشرعية الإسلامية أو الشخصيات الدينية التي مثلتها، وكان الموضوع الثاني هو العلاقة بين العالم العربي والإسلامي ومن يصنفهم كأعداء له وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل؛ حيث رأى البراليون العرب الجدد عدم وجود حرج في التعاون معهما إذا كان ذلك سيؤدي إلى الإصلاح وتأسيس أنظمة سياسية ديمقراطية.

ويأتي هذا، في ظل انتشار برامج إعلامية اهتمت بنفس تلك المواضيع وأثارت جدلا واسعا، على غرار برنامج "مع إسلام بحيري" نسبة إلى مقدمه على قناة القاهرة والناس سنة 2013 وبرنامجي "سؤال جريء" و"بكل وضوح" اللذان يعمل على تقديمهما الإعلامي رشيد حمامي.

وكان إسلام بحيري قد أعلن من خلال برنامجه بأن هناك آراء أخرى بشأن مفهوم الدولة الإسلامية، الدولة المدنية. الدولة الدينية، دولة الشريعة وغيرها من المفاهيم، مختلفة عن تلك التي تصدر عن التيارات الإسلامية التي تعتبر أفكارها صحيحة بشكل مطلق<sup>1</sup>. وبسبب محتوى تلك الحلقات، تم اتهامه بـ "ازدراء الأديان" و"تشويه الرموز الدينية والأئمة وكبار العلماء"، وصدر في حقه حكما بالسجن سنة 2015 لمدة خمس سنوات. وهو الحكم الذي رد بشأنه قائلا بأن ما يقوم به هو إعادة قراءة للتراث وهو يهدف إلى تجديد الخطاب الديني، وأضاف بأنه لا يزدري الأديان بل يعمل على كشف حقيقة أشخاص لا يحملون وصف القداسة<sup>2</sup>. وهو الحكم الذي تم تخفيفه إلى عام بعد الاستئناف<sup>3</sup>، ليستفيد من

<sup>1</sup> - إسلام البحيري، "مع إسلام بحيري"، في الموقع:

<https://www.youtube.com/watch?v=jPFp0gJD8zw>

تاريخ الدخول: 2019/12/11 على الساعة: 18:52

<sup>2</sup> - "مصر: حكم بسجن إسلام بحيري 5 سنوات بتهمة "ازدراء الأديان""، في الموقع:

[https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/05/150531\\_egypt\\_buheiri\\_sentence](https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/05/150531_egypt_buheiri_sentence)

تاريخ الدخول: 2019/12/11 على الساعة: 18:56

<sup>3</sup> - "حكم في مصر بسجن إسلام البحيري مقدم البرامج الدينية عاما"، في الموقع:

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

عفو رئاسي سنة 2016 بمقتضى الدستور المصري الذي يمنع سلب الحرية كعقوبة على الأعمال الفكرية، وهو ما اعتبره إسلام البحيري انتصارا للتنوير واعتذارا له عما تعرض له من ظلم بسبب أفكاره<sup>1</sup>.

إضافة إلى ما تناقلته وسائل التواصل الاجتماعي ومواقع الانترنت المختلفة من منشورات وتغريدات صرح أصحاب الصفحات فيها عن دعمهم لإسرائيل وتشجيعهم لبناء علاقات سلمية طبيعية معها. ولقد شهدت هذه المواقع تداول عدد من الأسماء التي صرحت بهذا الدعم وأشادت بأهمية السلام بين الطرفين، ومنها ما اعتبر بأن قضية القدس والقضية الفلسطينية لم تعد هي الأولوية ضمن الشؤون العربية. ومن بين الأمثلة التي تبين ما سبق:

- مقال بعنوان "لك العتبي يا نتنياهو حتى ترضى!" لكاآبه أحمد الفراج والمنشور على موقع

"إيلاف"، أين أشاد بموقف نتنياهو تجاه عقد اتفاق بشأن الملف النووي بين إدارة أوباما وإيران<sup>2</sup>.

- تغريدة للكاتب تركي الحمد على موقع تويتر الذي كتب تحت الوسم #الرياض\_أهم\_من\_القدس قائلا:

"...لم تعد القضية تهمني..فقد أصبحت قضية من لا قضية له..مصدر رزق للبعض وإضفاء شرعية مزيفة لتحركات البعض"<sup>3</sup>.

[https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/12/151229\\_egypt\\_programme\\_presenter\\_sentence](https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/12/151229_egypt_programme_presenter_sentence)

تاريخ الدخول: 2019/12/11 على الساعة: 19:11

<sup>1</sup> - "إسلام بحيري لـCNN: العفو الرئاسي اعتذار عن حكم ظالم..عائد للشاشة ومن سجنني جعلني أسطورة"، في الموقع:

<https://arabic.cnn.com/entertainment/2016/11/23/islam-behery-interview>

تاريخ الدخول: 2019/12/11 على الساعة: 19:19

<sup>2</sup> - أحمد الفراج، "لك العتبي يا نتنياهو حتى ترضى!"، في الموقع:

<https://elaph.com/Web/NewsPapers/2015/3/987512.html>

تاريخ الدخول: 2019/12/13 على الساعة: 18:11

<sup>3</sup> - تركي الحمد، تغريدة بتاريخ 2017/11/21 على الموقع:

<https://twitter.com/turkihalhamad1/status/933190923231653888?lang=en>

تاريخ الدخول: 2019/12/13 على الساعة: 18:17

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

وأضاف موضحاً موقفه: "...فلسطين لم تعد قضية العرب الأولى، بعد أن باعها أصحابها...لدي قضية بلدي في التنمية والحرية الانعتاق من الماضي..أما فلسطين..فلليبت رب يحميه حين يتخلى عن ذلك أهل الدار...لن ادم قضية أهلها أول من تخلى عنها"<sup>1</sup>.

- تغريدة للكاتب أحمد عبد الرحمن العرفج على موقع تويتر الذي كتب قائلاً: "رغم كل

الأقاويل وكمية الشحن التي ألقاها إلا أنني لا أحمل لليهود أي كره، ولا أشعر بأي تعاطف مع الفلسطينيين!..."<sup>2</sup>.

- تأييد الكاتبة فجر السعيد صراحة للتطبيع مع إسرائيل واستثمار رؤوس الأموال العربية

وتشجيع السياحة وخاصة السياحة الدينية، وهو ما جاء في حسابها على تويتر، والذي جاء الرد عليه بالترحيب في صفحة "إسرائيل بالعربية"، حيث تم وصف رأيها بالواقعية والمنطق، ودعا إلى التعاون مع إسرائيل. وفي تغريدات أخرى، اعتبرت فجر السعيد أن الاستثمار العربي القوي في إسرائيل من شأنه التأثير على القرار السياسي الإسرائيلي<sup>3</sup>.

- إعلان صريح من طرف المدون المعروف باسم "محمد سعود" عن حبه لإسرائيل والذي

قال بأنه يتمنى وجود علاقات دبلوماسية بين بلده (السعودية) وإسرائيل. وتجدر الإشارة إلى أنه أشاد بالحرية التي تنفرد إسرائيل بها بين دول الشرق الأوسط وبأن الكثير من المعلومات المتداولة حول القضية الفلسطينية لا تعبر عن الحقيقة. هذا المدون معروف بترويجه للسلام مع إسرائيل عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وتم تداول خبر تلقيه لدعوة للزيارة من طرف وزارة الخارجية الإسرائيلية ضمن وفد عربي يتكون من 6 صحفيين من جنسيات مختلفة. وأثار هذا الفعل ردود أفعال كثيرة تراوحت بين التشكيك

<sup>1</sup> - "أرشيف نشرة فلسطين اليوم: كانون الأول/ديسمبر 2017"، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، الجمعة 2017/12/08، العدد 4487، ص 56

<sup>2</sup> - أحمد العرفج، تغريدة بتاريخ 2012/10/26 على الموقع: <https://twitter.com/arfaj1/status/261970190894497792?lang=en>

تاريخ الدخول: 2019/12/13 على الساعة 19:02

<sup>3</sup> - فجر السعيد، تغريدة بتاريخ 2018/12/31 على الموقع: <https://twitter.com/alsaedfajer/status/1079781756671352832?lang=en>

تاريخ الدخول: 2019/12/27 على الساعة 18:32

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

في انتمائه للمملكة العربية السعودية، وبأنه مجرد شخص تم الاتفاق معه لتشويه المملكة وفصلها عن عمقها العربي الاستراتيجي، وبين من رأوا بأنه كان ضحية خدعة إسرائيلية أرادت من خلالها إسرائيل تشويه الفلسطينيين بإبراز ردود أفعالهم لاسيما وأنه تعرض للشتيم والضرب والطرده من قبلهم<sup>1</sup>.

يضاف إلى ذلك، ما تناقله أيضا وسائل الإعلام من أخبار عن العلاقات بين عدد من الدول العربية وإسرائيل سواء على المستوى السياسي أو على المستوى الثقافي، ومن بين أبرز الأمثلة على ذلك:

- مشاركة بعض الدول العربية إلى جانب إسرائيل في مؤتمر الشرق الأوسط الذي عقد في

مدينة وارسو في بولندا يومي 13 و14 فبراير 2019، لمناقشة قضايا الإرهاب والتطرف وانتشار الصواريخ في المنطقة. وهو أول مؤتمر يجمع بين العرب وإسرائيل منذ محادثات مدريد في التسعينيات. وكان هذا الاجتماع نتيجة اقتراح أمريكي لممارسة المزيد من الضغوطات على إيران<sup>2</sup>.

- رعاية البحرين للقاء متعدد الأطراف يعرف باسم عملية وارسو، حيث تمت استضافة مجموعة العمل حول أمن الملاحة البحرية والجوية التابعة لتلك العملية، لمواجهة التهديد الذي تشكله إيران في المنطقة فيما يتعلق بحرية الملاحة؛ حيث تم توجيه الاتهام إليها بأنها هي المسؤولة عن استهداف السفن التجارية والمنشآت النفطية في الخليج. وهو ما عكس دعم البحرين لإدارة دونالد ترامب في موقفها ضد إيران<sup>3</sup>.

- المشاركة الإسرائيلية في عدد من النشاطات الرياضية؛ إذ شارك منتخب إسرائيل للحدود في البطولة العالمية للحدود "غراند سلام" التي تم تنظيمها في الإمارات العربية المتحدة في شهر أكتوبر 2018، حيث انتشر فيديو على يوتيوب ظهرت فيه وزيرة الثقافة والرياضة الإسرائيلية

<sup>1</sup> - "زيارة مدونين عرب لإسرائيل" تطبيع شعبي أم خيانة فردية؟"، في الموقع:

<https://www.bbc.com/arabic/inthepress-49110399>

تاريخ الدخول: 2019/12/27 على الساعة: 19:10

<sup>2</sup> - جوناتان ماركوس، "مؤتمر وارسو: أول محفل دولي يضم عربا وإسرائيليين منذ تسعينيات القرن الماضي"، في الموقع:

<https://www.bbc.com/arabic/middleeast-47224800>

تاريخ الدخول: 2019/12/27 على الساعة: 20:20

<sup>3</sup> - Kenneth Katzman, Sarah Collins « Bahrain : Unrest, Security, and US policy », Report Prepared for members and Committees of Congress, Congressional Research Service, April 20, 2021, p-p : 12-19



## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

"ميري ريغيف" وهي تبكي متأثرة بعزف النشيد الوطني الإسرائيلي بسبب فوز اللاعب الإسرائيلي "ساغي موكي" بالميدالية الذهبية<sup>1</sup>. كما شارك المنتخب الإسرائيلي في بطولة الجمناز الدولية في قطر في شهر مارس 2019، وظهر فيديو آخر لرفع النشيد الوطني الإسرائيلي بسبب فوز اللاعب الإسرائيلي "أليكس شاتيلوف" بالميدالية الذهبية<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الأحداث التي تثير الجدل حول العلاقات العربية الإسرائيلية هي متعددة وكثيرة، وفي هذا السياق، تطرح العديد من التساؤلات حول علاقة التوجه الليبرالي للبعض في العالم العربي بما يحدث في هذا الموضوع، لاسيما وأن أصابع الاتهام توجه إليهم فيما يتعلق بنشر الأفكار المغايرة لتلك التي اعتادت عليها المجتمعات العربية والإسلامية خاصة فيما يتعلق بالقضايا المصرية والتي تعتبرها أساسا لوجودها ووحدتها وغالبا ما تكون الدائرة التي تلتف حولها رغم الاختلافات الموجودة.

ولذلك، يبرز التساؤل الرئيسي حول مكانة التوجه الليبرالي، ومدى قوته في العالم العربي. وخاصة وأن هناك آراء تشير بأنه توجه ضعيف لا يمكن له أن يكون سببا في كل تلك التغيرات والأحداث، في حين أن هناك من يرى بأن قوته في تزايد في ظل ضعف التيارات التي كانت في صراع تاريخي معه وعلى رأسها القومية والإسلامية. وهناك رأي ثالث يرى بأن هذا التيار يخضع أيضا للحسابات السياسية للأنظمة السياسية العربية وهي التي تتحكم في حجم تلك المكانة التي يتخذها سواء على مستوى الخريطة السياسية أو الاجتماعية. وهذا ما سيتناوله هذا الفصل من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: العوامل المساعدة على تزايد قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط

المبحث الثاني: العوامل المساعدة على تراجع قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط

<sup>1</sup> - "الإمارات: عزف النشيد الوطني الإسرائيلي للمرة الأولى في أبوظبي"، في الموقعين:

<https://bit.ly/363NmH8>

<https://www.youtube.com/watch?v=1Ktl0RRyCpA>

تاريخ الدخول: 2019/12/27 على الساعة: 22:54

<sup>2</sup> - "رفع النشيد الوطني الإسرائيلي في قطر يثير الجدل وانتشار هاشتاغ لا للتطبيع"، في الموقع:

[https://www.youtube.com/watch?v=cfc0YQkB\\_28](https://www.youtube.com/watch?v=cfc0YQkB_28)

تاريخ الدخول: 2019/12/27 على الساعة: 23:06

### المبحث الأول: العوامل المساعدة على تزايد قوة الفكر الليبرالي في المنطقة

هناك عدد من التساؤلات تحوم حول الفكر الليبرالي في المنطقة كتلك المتعلقة بمصادره ومضامينه. ويبين الواقع بأن هذا الفكر تمكن من الحصول على مجال أوسع ساعده على البروز والتعبير عن نفسه بشكل واضح مقارنة بفترات تاريخية سابقة عرفتھا المنطقة، مستفيدا من الانفتاح الإعلامي سواء القنوات الفضائية أو وسائل التواصل الاجتماعي، إضافة إلى ارتفاع الدعوات المطالبة والمدافعة عن حرية التعبير والفكر والعقيدة. فضلا عن ذلك، فإن الفكر الليبرالي، ونظرا لتصادمه مع ثوابت المجتمعات العربية والإسلامية، فإن هذا الصدام أفاده من حيث الظهور كواجهة مقابلة لتلك الثوابت من جهة، وأدت الظروف الصعبة التي مرت بها المنطقة، إلى الانتباه أكثر إليه ومناقشة ما يأتي به من تصورات حول الحلول التي يراها المتحدثون باسمه للمشاكل التي تعاني منها المنطقة، من جهة أخرى.

وبالنظر إلى ما سبق ذكره، فإن التساؤل الجوهرى لم يعد ماهية الأسس التي يقوم عليها الفكر الليبرالي، وإنما مدى قدرة هذه الأفكار على تحقيق المزيد من الانتشار إلى ذلك الحد الذي يسمح لها بأن تتوغل في المجتمعات المستهدفة وتصبح بديلا واقعا لما كان ثابتا على مدى التاريخ كقواعد ممارسة سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي. وسيسلط هذا المبحث الضوء على نقاط القوة التي يتمتع بها الفكر الليبرالي في المنطقة ويستفيد منها من اجل البقاء وتحقيق المزيد من الانتشار. وسيكون ذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: وجود توافق مع أنظمة الحكم وبعض تطلعات شعوب المنطقة

المطلب الثاني: تزايد الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني

### المطلب الأول: وجود توافق مع أنظمة الحكم وبعض تطورات شعوب المنطقة

إن بقاء الفكر الليبرالي وتزايد قوته يتوقف على مكانته ضمن خريطة المصالح لدى الأنظمة العربية؛ بمعنى أن بقاءه وحجم قوته يتوقف على حجم الفائدة التي تعود على الأنظمة السياسية جراء هذا التواجد. وهو ما يتبين من خلال العلاقة التي نشأت تاريخياً النيولبراليين وأنظمة الحكم.

### الفرع الأول: التوافق التاريخي بشأن الانفتاح الاقتصادي

يعود تاريخ التوافق بين الليبراليين والنيولبراليين العرب وأنظمة الحكم إلى مرحلة الثمانينات عندما كانت هذه الأخيرة تشجع فتح الأسواق للتجارة والاستثمار الخارجيين وتخفيض القيود على المؤسسات المالية وإزالة الدعم الاجتماعي. وهنا، استخدمت أنظمة الحكم الأفكار التي تجعل الاهتمام بالاقتصاد أولى من الحريات بما فيها الحرية السياسية. وفي هذا الصدد كان النيولبراليون يركزون على الاقتصاد ويتوقعون بأن يؤدي تحرير الاقتصاد إلى تحقيق الحرية السياسية بشكل آلي، وبأن التحول إلى الديمقراطية سيمكن أطرافاً مرفوضة من الوصول إلى السلطة، وهذا ما ساعد أنظمة الحكم على تقديم مبررات منطقية لعدم إجرائها للإصلاحات السياسية<sup>1</sup>.

وفي الوقت الذي لم تشكل هذه الأفكار تهديداً أو صراعاً ضد الأنظمة السياسية، تمكن بعض النيولبراليين من الحصول على الدعم المؤسسي مثل العضوية في الأحزاب الحاكمة أو الحصول على مناصب وزارية، تولى إدارة صحف ومراكز بحثية تمولها الدولة أو العمل في الجامعات الحكومية والخاصة. ولم يكن الخطاب النيولبرالي مفيداً للأنظمة من ناحية عدم المساس بأولوياتها فقط، بل أيضاً من حيث دعم تلك الأولويات؛ حيث أسهم هذا الخطاب في تمكين الأنظمة من الحصول على الدعم الاقتصادي من طرف الرأسماليين المحليين من جهة، ومن جهة أخرى أصبح هناك ارتباط قوي بين وجود هذه الأنظمة والرأسماليين الأجانب. وهناك من ساعده وجود الاستثمارات الأجنبية على مطالبة المراكز الرأسمالية العالمية بتقديم الدعم السياسي والعسكري، وهو ما يلاحظ عند فتح المجال للاستثمارات

<sup>1</sup> - حازم قنديل، مرجع سابق ذكره، ص 176

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الخارجية في كل من دبي وبيروت والقاهرة. ولذلك، تكوّن هاجس رئيسي لدى القادة العرب بشأن التفاوض على الشراكات الاقتصادية واتفاقيات التجارة الحرة مع الولايات المتحدة الأمريكية<sup>1</sup>.

### الفرع الثاني: وجود التيار الليبرالي ضمن استراتيجية احتواء الإسلام السياسي

كان السؤال لدى الإدارة الأمريكية عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 هو كالتالي: هل يمكن أن تكون حركات الإسلام السياسي بديلا عن الأنظمة العربية القائمة؟ وكيف يمكن التعامل مع تنامي تيارات الإسلام السياسي في المنطقة؟. وكان الجواب ممثلا في جدل قام بين توجيهين؛ تمثل رأي الاتجاه الأول الذي تزعمه نائب الرئيس الأمريكي السابق ديك تشيني، في رفض التعامل مع تلك التيارات، واعتبرها مماثلة لتلك التي توجهت بهجماتها نحو الولايات المتحدة الأمريكية. أما الاتجاه الثاني، اقترح ضرورة الاعتراف بالأمر الواقع ووجوب التصرف حياله من خلال الاحتواء ودعم الليبراليين والعلمانيين، لوضع حد لتمدد هذه الحركات، وهذا التوجه تبنته وزيرة الخارجية سابقا كوندوليزا رايس Condoleeza Rice بعد وزير الخارجية السابق كولن باول Colin Powell<sup>2</sup>.

ومن هنا، وانطلاقا من التمييز بين المعتدلين والراديكاليين من الحركات الإسلامية، ارتأت الإدارة الأمريكية استبدال سياسة التهميش والإقصاء في التعامل مع المعتدلين بسياسة القبول والإشراك وفق احتمال أن يؤدي وجودهم في السلطة إلى تزايد الميل نحو الاعتدال، وعلى اعتبار أن التهميش لم يسهم سوى في مزيد الأضرار للمصالح الأمريكية والإسرائيلية، على أن يكون هذا الاعتدال مبنيا على إمكانية محاكاة النموذج التركي وعدم التحالف والتقارب مع إيران. إذ تشكل كل من تركيا وإيران طرفين للإسلام السياسي في المنطقة ارتسمت بينهما التحالفات الإقليمية والمحاور على أسس دينية طائفية، بين النموذج الإيراني للإسلام السياسي-الشيوعي والذي يعادي العولمة الأمريكية وله تحالفات استراتيجية على خط العراق-سوريا-لبنان-فلسطين، وبين النموذج التركي للإسلام السياسي السني والذي تعتبره حركة الإخوان

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 177

<sup>2</sup> - ثائر خليل حمد، الأمن القومي الأمريكي والتغيير في المنطقة العربية، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2016، ص 261

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

المسلمين قدوة ومصدر الهام لهم، ولهم طموح بناء منظومة سياسية إقليمية على خط مصر-ليبيا-تونس مع إمكانية انضمام دول أخرى لها رغبة في التغيير<sup>1</sup>.

وهناك العديد من الأهداف التي تطلعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تحقيقها من خلال هذا التغيير، تتمحور أغلبها في تهدئة حدة اللعبة السياسية التي أصبح الإسلام السياسي فاعلا فيها وقادرا على إلحاق ضرر بالغ بأطرافها الآخرين، وهنا تأتي الاستنتاجات التالية<sup>2</sup>:

1. أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تتمكن من تجاهل الأمر الواقع ولا مآلاته المستقبلية على مصالحها ومصالح حليفها إسرائيل.

2. أن الإدارة الأمريكية أدركت حجم الغضب الذي تشعر به الشعوب العربية منها ومن سياسات الأنظمة التي تحكمها، وبالتالي، وفي خضم أحداث ما يعرف باسم "الربيع العربي"، كان ذلك التغيير وسيلة لامتناس الغضب عبر تمكين بعض الحركات الإسلامية من المشاركة في الحكم أو تسلط السلطة.

3. أن السماح بوجود دول أساسها ديني يحفز من جهة الأقليات الدينية على تأسيس دول بهذا الشكل، ومن جهة أخرى تصبح إسرائيل ذات مبرر شرعي باعتبارها دولة يهودية.

4. أن تواجد الإسلاميين الذين تعتبرهم الإدارة الأمريكية معتدلين في السلطة، وعلى

الرغم من كونه فرصة لامتناس الغضب كما سبق الذكر، وفرصة لهم لكي يشاركوا في صنع القرار، إلا أن الانعكاسات مرشحة للميل نحو الأسوأ؛ لأن الصراع الذي كان عربيا-إسرائيليا، سيصبح صراعا إسلاميا-إسلاميا، سواء بين من تم اعتبارهم معتدلين ومن تم اعتبارهم متطرفين، أو بين الإسلاميين والليبراليين، أو بين الإسلاميين والسلطة، أو أن تخوض الحركات الإسلامية المعتدلة صراعا مزدوجا مع السلطة السياسية والحركات المتطرفة، لأن الأولى تعتبرهم مصدر التطرف والثانية تعتبرهم متواطئين مع

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 262-264

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 265-267

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

السلطة وبالتالي مع الفساد. ناهيك عن الصراع بين الأطراف السنية والأخرى الشيعية وما قد ينجر عن ذلك من تداعيات أخطرها تغيير الخريطة الجيوسياسية للمنطقة.

5. أن السماح للإسلاميين بالوصول إلى السلطة هو أفضل أسلوب للتخلص منهم؛ ويكون

ذلك من خلال تجلي محدودية القدرات التي تعاني منها هذه الحركات، ولكي يرى الجميع بأن منعهم من تحقيق هذا الهدف كان صائبا؛ حيث لن تكون لهم القدرة على تحمل المسؤولية، وفشلهم في ذلك هو أقوى دليل على أنهم فاشلون سياسيا. وتأتي هذه السياسة بناء على عدة أسباب، أولها هو محدودية الخبرة لدى هذه الحركات لكونهم لم يمارسوا السياسة كخصومهم، ثانيها أن التواجد في السلطة يفرض عليها ممارسة السياسة علنا، وهي التي كان العمل السياسي السري أساسا لها، وثالثها، هو أن ممارسة العمل السياسي ستفرض عليها تعديل خطابها السياسي لكي تتمكن من التعامل مع الأكثر اعتدالا منها، وهو ما سيؤثر سلبا على شعبيتها وفي اتجاه التناقص.

إن تواجد الإسلام السياسي في السلطة لن يخدم فقط تلك الصورة التي تريد الولايات المتحدة الأمريكية تسويقها عن نفسها حتى بقرارها هذا، وإظهار عدم مسؤوليتها عن تغيرات وتوجهات العملية السياسية في الدول العربية، وبأنها دولة تشجع بالفعل الديمقراطية لدرجة قبولها بأطراف لاطالما تغاضت عن غياب المؤشرات الديمقراطية في المنطقة بسبب تخوفها من وصولهم للسلطة ثم انقلابهم على الديمقراطية، وتبنيهم لسياسات ضارة بمصالحها ومصالح حلفائها. إن هذا التواجد يخدمها من خلال نتائج التي تؤمن الولايات المتحدة الأمريكية بأنها لن تكون في المستوى المطلوب عربيا وإسلاميا نظرا لقلة الخبرة السياسية من جهة، ولظروف البيئة الدولية وتشابك المصالح والعلاقات من جهة أخرى؛ بحيث سيصعب عليها تنفيذ برامجها كما تطمح هي إليه.

أضف إلى ذلك أن التيارات الإسلامية اتخذت صورة الملاذ أو الطريق الذي يمكن أن يتحقق التغيير من خلاله، بعد فشل السياسات الاشتراكية وهزيمة التوجهات القومية. فضلا عن التحديات التي تواجه المنطقة والتي تفرض البحث عن أساليب المواجهة. وفي هذا السياق، يأتي دعم الليبراليين في المنطقة ليس فقط بسبب الاتفاق حول نفس الإيديولوجية ومنطقها فحسب، وإنما حتى يتم إزاحة تلك

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الصورة التي يبدو فيها الإسلام السياسي كبديل وحيد. ويقوم هذا الدعم، واعتمادا على المقترحات التي قدمتها تمارا كوفمان وايتس Tamara Cofman Wittes، على الركائز التالية<sup>1</sup>:

- تخلص التيار الليبرالي أولا وقبل كل شيء من حالة عدم الظهور أو عدم الانتباه إليه من طرف الجماهير.
- بروز التيار الليبرالي بشكل أكبر، وأن يبدو بمظهر البديل الملائم، ولتحقيق ذلك، يجب أن لا يبقى الإسلام السياسي في موقع "البديل الوحيد والأفضل".
- ليس شرطا أن تكون هذه الترتيبات مصحوبة بالدعم الشعبي، فهذا الأخير قد يكون وقد لا يكون، وبالتالي لا يجب التسليم بوجوده مستقبلا من عدمه عند القيام بذلك، فما يهم هو تحجيم التيار الإسلامي.

- التسليم بعدم فعالية الدعم الأمريكي لأنظمة السياسية من أجل تطبيق الليبرالية.
- التسليم بأنه يمكن أن لا تؤدي جهود الليبراليين إلى نتائج كبيرة.
- عدم المساس بوطنية الليبراليين، والحرص على أن يبدو تنافسهم عاديا في المجال العام وليس للحصول على التأييد الأمريكي؛ حيث تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على تمكينهم من النجاح ولكن دون أن تدّعي بأنه نجاحها هي.

و تتم هذه الرؤية عن إدراك الولايات المتحدة الأمريكية لصعوبة احتواء التيار الإسلامي الجهادي على وجه التحديد، وهو الذي يستغل سلوكها في جمع المؤيدين. فهو تيار عالمي، مصادر التهديد الناجمة عنه هي ذات طابع انتقالي وعابر، ذات انتشار وتأثير واسعين وقوية تنظيميا. أضف إلى ذلك، إلى أن سياسة الاحتواء تقوم على افتراض وجود دولة معينة وهدف يمكن تحديده وحكومة تملك السيطرة على ما يحدث على إقليمها، غير أن الحركات الجهادية تتسم بالغموض وتنشط في المناطق التي تكون فيها الحكومات غير قادرة على إحكام السيطرة الأمنية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - Tamara Cofman Wittes, « Arab Liberalism and Democracy in the Middle East », Op.Cit, p-p :27-30

<sup>2</sup> - تائر خليل حمد، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 272-273

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

ولذلك، كان لا بد من التعامل مع تنامي التيار الجهادي وفق مقاربة مختلفة تتضمن خلق أو دعم تيار موازي يظهر في صورة البديل أو الوجه المقابل لما يدعو له التيار الجهادي، ويمكن في ذات الجهود، القول بان جهود الإصلاح الديني التي ظهرت في السنوات الأخيرة، أو ما سمي بتجديد الخطاب الديني، والذي تصاعدت الدعوات بتسريع تحقيقه لمواجهة التطرف، يعد عاملا مهما أضاف إلى رصيد الليبراليين، نظرا لكونهم هم الذين بادروا بانتقاد استخدام الدين في السياسة العربية وطالبوا بإخضاع الخطاب الديني المستخدم للنقد وتخليصه مما اعتبروه قواعد عفا عنها الزمن، وهي التي تتسبب من وجهة نظرهم في تخلف المجتمعات العربية والإسلامية.

### الفرع الثالث: الاستفادة من تطلعات شعوب المنطقة نحو الحرية والتقدم

تعتبر لغة الكفاءة والفاعلية من بين أسرار قوة المنطق الذي تبني عليه الليبرالية تصوراتها الخاصة، لاسيما التركيز على الكفاءة الاقتصادية باعتبارها الدور الأساسي الذي يجب على الفرد أن يلعبه، وهو ما يتطلب الاندماج في السوق الرأسمالية العالمية وتحرير القطاع الخاص، وهذا ما يفرض الحياد والموضوعية عند الرغبة في فهم المجال السياسي أو إدخال تغييرات عليه. إن هذا المنطق، يؤدي إلى القول بأن حتى تلك المفردات التي يستخدمها الخطاب الليبرالي كالتحرير، الحرية، والتحرر، ما هي إلا وسيلة لتكريس التصور الليبرالي الاقتصادي، وذلك لأن لهذه المفردات وقع على المواطن الذي يتطلع إلى الهدفين في نفس الوقت، وهما: التقدم والحرية. كما أن التحكم في وسائل الإعلام والرياضيات هو أحد الأسلحة المستخدمة في نشر هذه الأفكار وتبريرها، وفي هذا الشأن يقول حازم قنديل:

"تبرير فلسفة رؤساء الشركات الكبرى المتعددة الجنسية ووسطاء عالم الأموال العالمي. هي فلسفة يتردد صداها عبر العالم من خلال السياسيين والمسؤولين الكبار. وكبار الصحفيين الجاهلين بشكل عام بالأسس والنظريات الرياضية (المعقدة) لهذه الفلسفة"<sup>1</sup>.

وعلى الرغم من أن هناك إدراك عام للطبيعة الاستغلالية للوجه الاقتصادي لليبرالية والمتمثل في الرأسمالية، إلا أن النموذج الغربي يحظى بالجاذبية بفعل ما تتمتع به المجتمعات الرأسمالية المتقدمة من

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 173-175



## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

تطور في مختلف المجالات والفرص التي تتوفر لدى شعوبها، فضلا عن قوة تلك الدول ونفوذها وقدرتها على التأثير في السياسة الدولية. ويمكن توضيح مظاهر هذه الجاذبية فيما يلي<sup>1</sup>:

1- التقدم العلمي والتقني اعتمادا على ضخامة قاعدة الإنتاج المادي، وهو ما تحقق بفعل

تطلع المجتمعات الرأسمالية للتغيير وتشجيع الإبداع من خلال قبول المنتجات العلمية، الأدبية والفنية، واستخدامها إنتاجيا واستهلاكيا.

2- احترام حقوق الإنسان نتيجة تطبيق الديمقراطية البرلمانية وقبول التعددية السياسية إلى

جانب التداول السلمي على السلطة.

3- حصول المواطنين على أجور تمكن من تحسين المستوى المعيشي وخدمات عالية

المستوى سواء في التعليم أو الصحة وغيرها من القطاعات واستفادتهم من التأمين ضد المرض والشيخوخة والبطالة والعجز عن العمل. ويعود ذلك إلى تطبيق الدولة للعدل الاجتماعي من خلال حسن استخدام أموال الضرائب. وتجدر الإشارة إلى أن هذه النتائج كانت بفعل التفاعل بين دفاع العمال والطبقات الشعبية عن حقوقهم في مستوى معيشي أحسن اعتمادا على الديمقراطية وبين الممارسات الديمقراطية التي ساعدتهم على توسيع نضالهم في سبيل ذلك.

<sup>1</sup> - إسماعيل صبري عبد الله، "الدعوة المعاصرة إلى التحول عن القطاع العام إلى القطاع الخاص"، في: عباس النصراني وآخرون، القطاع العام والقطاع الخاص في الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر 1990، ص-

### المطلب الثاني: تزايد الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني

في خضم الأحداث التي شهدها العالم العربي، تعد مكافحة الإرهاب والتطرف من أخطر التحديات الأمنية التي تواجه الحكومات والدول، وتصاعد الجدل حول الدين وحجم الدور الذي يجب أن يلعبه أو يكتفي به في هذه المجتمعات. وبفعل هذه الأوضاع، خلصت بعض الحكومات إلى أن من أساسيات هذا التحدي هو الخطاب الديني الذي تستخدمه الجماعات الإرهابية والذي يقوم على تبرير العنف والإجرام المرتكب ضد الأبرياء والمدنيين. ومن هنا، تم اعتبار تسليط الضوء على هذا الخطاب بمصطلحاته وأفكاره بالنقد وإثبات الأخطاء الموجودة فيه وعجزه عن تقديم الحلول المناسبة، هو أحد أساليب المواجهة مع الإرهاب<sup>1</sup>. ويأتي هذا الجهد بسبب مكانة الدين في مجتمعات المنطقة؛ حيث يعد المرجع الأساسي الذي يتم الاعتماد عليه في تحديد القيم والأخلاق العامة، كما أن ثقافة النظام العام للدولة والمجتمع تتحدد بموجب عدة عوامل، يعد الدين أحدها بشكل رئيسي<sup>2</sup>.

### الفرع الأول: المقصود بتجديد الخطاب الديني

تحدد الدكتورة زينب عبد العزيز الثالث الأخير من القرن العشرين كفترة مميزة في هذا الشأن، حيث أثار فيها "تجديد الخطاب الديني" والمفردات المرتبطة به الجدل، وعلى الرغم من أن هذا الموضوع قد بدأ يفرض نفسه على المجتمعات العربية والإسلامية منذ زمن قبل ذلك، إلا أنها تعتبر بأن مؤخرًا، لم يعد بالإمكان تجاهله؛ حيث زاد التركيز عليه بشكل يوحى بأن هناك برنامج معد مسبقًا يتكون من قضايا مختلفة وتقوم عليه أطراف متعددة، تعمل على فرض هذا الموضوع بحدة وبوضوح أيضًا<sup>3</sup>.

وهو ما يتجلى حقيقة عند تتبع المؤتمرات التي تم تنظيمها في هذا الموضوع والكتابات المختلفة التي تناولته سواء بالتأييد أو بالمعارضة. ويمكن إرجاع ذلك لتغيرات البيئة الدولية وكذلك الداخلية؛ حيث برز التركيز بشدة على العامل الديني وما يمكن أن يحدثه في تحريك بعض جوانب العلاقات الدولية.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 21

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 24

<sup>3</sup> - زينب عبد العزيز، "التجديد في الخطاب الديني والوطني حول المرأة"، مداخلة في ندوة: التجديد في الخطاب الديني والوطني حول المرأة، الرياض: المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الجنادرية، الدورة 26، الأربعاء 13 أبريل 2011.

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر اللبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

إن البحث في مفهوم تجديد الخطاب الديني يكشف عن وجود توتر ناجم عن إرادة تحديد القصد الحقيقي من استخدام هذا التعبير، وهو الأمر الذي أحدث جدلاً واسعاً يتعلق بما هو ثابت وغير قابل ومن غير المقبول المساس به، وبما يمكن إخضاعه للنقد وبالتالي إمكانية تعديله أو استبداله كلية، وأيضاً بما يرتبط بذلك من وسائل وطرق مستخدمة في إيصال ونقل هذا الخطاب.

وهنا، يشير الكاتب بن شاكِر الشريف إلى أن المراد بالخطاب قد يكون إما المحتوى والكلام أو تيسير لغة هذا الكلام واستخدام أسلوب آخر بحيث يسهل على المتلقي أن يفهمه. وهو يعتقد بأنه من الناحية الشرعية، التجديد مقبول إذا كان على مستوى الأساليب المستخدمة؛ إذا كانت هذه الأخيرة قاصرة أو وجود أخرى حديثة تراعي تغيرات الحياة وأعراف الناس، وفي نفس الوقت لا يخالف استخدامها الشريعة الإسلامية. أما التجديد الذي يعني تغيير المضمون فإنه يعني بالضرورة تجديد الدين، فهو غير مقبول لأنه يعني إخضاع الدين للتغيير سواء بالإلغاء أو الإضافة<sup>1</sup>.

ويوضح مفهوم التجديد بأنه تحويل القديم إلى شيء جديد على نحو يعود بالقديم إلى حالته الأصلية التي كان عليها في البداية. وهذا على اعتبار أن هذا الشيء كان موجوداً من قبل في هيئة معينة يعلمه بها الناس ولكن أصبح قديماً مع مرور الزمن، وعندما تعرض للتجديد فإنه قد تمت إعادته إلى تلك الهيئة الأصلية. ويصبح الشيء قديماً إما بتغير أحد معالمه أو فقدانها أو إضافة معالم جديدة بحيث تتغير صورته. وجاء بهذا المفهوم استناداً إلى الآية القرآنية العاشرة من سورة السجدة والتي جاء فيها "أنا لفي خلق جديد"، والتي تشير إلى البعث من جديد بعد الفناء والموت، وبالتالي يصبح المقصود من التجديد العودة إلى الحالة الأصلية وبالتالي فإن تجديد الدين لا يعني التغيير والتبديل بل المحافظة عليه كما جاء به الرسول محمد صل الله عليه وسلم<sup>2</sup>.

وترى الدكتورة زينب عبد العزيز بان هناك معنيين للتجديد؛ الأول بمعنى التأصيل أي أن يكون التجديد على مستوى الوسائل المستخدمة في نقل الدين للمستويات الاجتماعية المختلفة مع مراعاة

<sup>1</sup> - محمد بن شاكِر الشريف، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الرياض، 2004، ص-ص: 28-29

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 11-12

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الضوابط الشرعية. والثاني بمعنى الانفلات أي تغيير النص الديني كما جاء في القرآن الكريم ليصبح ملائماً للعصر الحديث<sup>1</sup>.

ومن القضايا التي أثارت الجدل في العالم العربي من حيث علاقتها بالدين:

- في جمهورية تونس: المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث-إلغاء التشريع القانوني المتضمن منع المرأة المسلمة من الزواج بشخص غير مسلم<sup>2</sup>.
- في جمهورية مصر العربية: زواج القاصرات-الإعلان عن إعداد مشروع قانون ثم التراجع عن ذلك، يقضي بحظر ارتداء النقاب في الأماكن العامة والمصالح الحكومية، لتفادي استخدام ذلك في العمليات الإرهابية-المساواة بين المرأة والرجل في الميراث قيمة السنة النبوية وما ورد عن الصحابة والتابعين-الطلاق الشفوي والمطالبة بفتوى تجيز التوثيق كشرط لوقوع الطلاق-تحديد المؤسسات التي لها الحق في إصدار الفتاوى<sup>3</sup>.
- في المملكة العربية السعودية: غنائية وموسيقية-الإعلان عن افتتاح دور سينما وبناء دار أوبرا عالمية-السماح للمرأة بقيادة السيارة ودخول الملاعب الرياضية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - زينب عبد العزيز، مرجع سبق ذكره.

<sup>2</sup> - أنظر: ساري حنفي، عزام طعمة، "ما وراء الديانة والعلمانية: نقاش الميراث والمساواة بين الجنسين في تونس وتشكل التفكير غير الاستبدادي"، عمران للدراسات، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ال عدد 08/32، ربيع 2020، ص-ص: 86-90.

أنظر أيضاً: "تقرير متابعة تطبيق الدستور التونسي وتجسيده على مستوى الإطار القانوني"، برلين: المنظمة الدولية للتقرير عن الديمقراطية، 04/01 إلى 09/31 2018، ص-ص: 17-18

<sup>3</sup> - أنظر: عفاف عزت رفة، "الزواج المبكر للفتيات وعلاقته بمستوى طموحهن ببعض مراكز محافظة الفيوم، مجلة كلية التربية النوعية، العدد 54، يونيو 2016، ص-ص: 121-123.

رضوان السيد، "الأزهر.. الحاضر والتحديات المستقبلية"، في: الأزهر مرجعية التقليد الديني في أزمنة التغيير، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب 88، أبريل 2014، ص-ص: 19-33

إسلام بركات، "المؤسسات الدينية والدولة"، حوارات منتدى الدين والحريات 2012-2016، القاهرة: المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، 2017، ص-ص: 20-27 و ص-ص: 38-49

Marwa al A'sar, « Sisi, al-Azhar at logger heads over verbal divorce », The Arab Weekly, February 12, 2017, p9.

Ralph Michaels, « Banning Burqas : the Respective of Post Secular Comparative Law », 28 Duke Journal of Comparative and International Law, 2018, p 226.

<sup>4</sup> - Jane Kinninmont, « Vision 2030 and Saudi Arabia' Social Contract. Austerity and Transformation », Research Paper, July 2017, p-p : 22-31.

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

### الفرع الثاني: ملامح تجديد الخطاب الديني في الدول العربية

إن الدعوة إلى ما بات يعرف بـ «تجديد الخطاب الديني» ليست حديثة العهد، ولكن ما حدث خلال العقود الأخيرة، هو تبني هذا التوجه على المستوى الرسمي وانتقاله من طبقة الكتاب والمثقفين إلى صناع القرار الرسميين. وهذا ما يلاحظ عند تتبع خطابات بعض الرؤساء العرب، وعند ملاحظة المؤسسات التي تم إنشاؤها حديثاً بغرض نشر التسامح بين الأديان وتشجيع الحوار ونبذ العنف والكراهية.

أ- في مصر: أكد الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي في عدد من خطباته وفي

مناسبات مختلفة على ضرورة أن تكون هناك مراجعة للمعتقدات السائدة والتي ينطوي بعضها على أفكار خبيثة والتفاف على أسس الدين الإسلامي، حيث صرح داعياً العلماء والدعاة إلى تصويب الخطاب الديني قائلاً:

"وأقول لعلمائنا ودعاتنا الأجلاء، استمروا بعزم لا يلين في تصويب الخطاب الديني، أعيدوه إلى جادة الصواب وكونوا من بين من قال فيهم رسول الله -صل الله عليه وسلم-: يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها. فدّوا الأفكار الخبيثة والتفاسير الملتوية، بدّوا حيرة العقول واضطراب النفوس، أبدلوا كل ذلك ببقين راسخ بأن التسامح لا يتعارض مع الدين..."<sup>1</sup>

وأكد الرئيس السيسي على عدم معقولية الخطاب الديني الحالي من حيث اعتماده على فهم يقوم على اعتبار الحرب هي الحالة الأصلية والسلام حالة استثنائية، وأشار إلى أن الواقع هو الذي يعبر عن ضياع للدين وليس إصلاح الخطاب الديني هو الذي سيؤدي إلى ذلك، في إشارة إلى من لديهم خوف من هذا الإصلاح<sup>2</sup>. وأكد أيضاً على حاجة مصر والعالم الإسلامي لمفردات وآليات وأفكار ملائمة

Stephen Grand and Katherine Wolff, *Assessing Saudi Vision 2030 : A 2020 Review*, Atlantic Council Rafik Hariri Center for the Middle East, June 2020, p-p : 29-32

<sup>1</sup> - "كلمة الرئيس عبد الفتاح السيسي في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف"، في الموقع:

<https://www.youtube.com/watch?v=6Df5cTsoYWg>

تاريخ الدخول: 2020/02/19 على الساعة 16:20

<sup>2</sup> - "الرئيس السيسي عن تجديد الخطاب الديني: اللي احنا فيه ده في أكثر منه ضياع للدين؟"، في الموقع:

<https://www.youtube.com/watch?v=F8GD5roEHSw>

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

للعصر الحالي بدل تلك التي سادت سابقا خلال مئات السنين وكانت صالحة في عصرها ولكنها لم تعد كذلك، مشيرا إلى أن هذا التطوير في الخطاب قد يحتاج بدوره إلى تغيير في المستقبل إذا أصبح غير مناسب<sup>1</sup>. ويأتي ذلك انطلاقا من قناعته بأن المشكلة الحقيقية في العالم الإسلامي هي القراءة الخاطئة لأصول الدين، وبأن هذا أساء إلى سمعة العالم الإسلامي، والتطرف الذي نتج عن ذلك هو أكثر إساءة للعالم الإسلامي من الجدل الدائر بين من يدعون إلى التخلي عن إتباع السنة النبوية ومن يدافعون عنها<sup>2</sup>.

ورغم تأييد مؤسسة الأزهر الشريف لدعوة الرئيس المصري فيما يتعلق بضرورة مواجهة الإرهاب، إلا أن شيخها الدكتور أحمد الطيب أوضح في أكثر من مناسبة تحفظه حول ما يسمى بتجديد الخطاب الديني؛ حيث يرى بأن المطالب الحقيقي للغرب والولايات المتحدة الأمريكية ليس اعتراف العالم الإسلامي بكون أن الإرهاب جريمة في حق الأبرياء حتى تتحسن صورته في نظرهم، لأن هذا ما اجمع عليه بالفعل ملوك ورؤساء وعلماء دول العالم الإسلامي، بل يطلبون إدانة الإسلام باعتباره مصدر الإرهاب، وهو ما جاء في كلمته خلال احتفال وزارة الأوقاف بليلة القدر سنة 2019:

"نقطة فارقة أخرى تظل حجر عثرة في طريق الحوار بين الإسلام والغرب هي حرص رؤساء المسلمين وملوكهم وأمرائهم وعلمائهم ومفكريهم على إدانة جماعات الإرهاب ومع ذلك لم يفلح كل ذلك في تصحيح صورة الإسلام في نظر الغرب وأميركا... لأن المطلوب هو إدانة الإسلام ورميه بأفطع البذاءات... وتصويره بأنه دين قادم من عصور الظلام يعادي المنطق والحدائثة وأنه النظام الثقافي الوحيد الذي ينتج القاعدة وداعش..."<sup>3</sup>.

تاريخ الدخول: 2020/02/25 على الساعة 10:25

<sup>1</sup> - "السياسي: تصحيح الخطاب الديني أحد أهم المطالب التي نحتاجها في مصر والعالم الإسلامي"، في الموقع: <https://www.youtube.com/watch?v=cLrUsUdjH4>

تاريخ الدخول: 2020/02/25 على الساعة 10:38

<sup>2</sup> - "صدى البلد | السيسي يوضح المشكلة الحقيقية للعالم الإسلامي"، في الموقع: <https://www.youtube.com/watch?v=Nl4lbs3m4YM>

تاريخ الدخول: 2020/02/25 على الساعة 10:49

<sup>3</sup> - "صدى البلد | جزاكم الله خيرا عن الإسلام... شيخ الأزهر يوجه رسالة قوية للرئيس السيسي"، في الموقع: [https://www.youtube.com/watch?v=Hslvj\\_0wy5w](https://www.youtube.com/watch?v=Hslvj_0wy5w)

تاريخ الدخول: 2020/02/25 على الساعة 11:34

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

ووجه الشيخ أحمد الطيب مجموعة من الانتقادات لما تتضمنه دعوات التجديد، لاسيما فيما يتعلق بالاستناد إلى التراث وكذلك فكرة التشكيك التي تقوم عليها هذه الدعوة المعاصرة والتي تدعو إلى عدم الادعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة ونزع صفة القدسية عن التفسيرات الدينية وأصحابها أيضا. ولقد عبر عن وجهة نظره القائمة على أن ما يدعو إليه الحداثيون هو مزيدة وهناك الكثير من المقولات هي غير مستندة على أسس علمية يمكن الاعتماد عليها، ويمكن توضيح ذلك من خلال النقاط التالية<sup>1</sup>:

- التراث الذي يتم حاليا الدعوة إلى عدم الوقوف عنده، هو الذي مكن القبائل العربية من الوصول إلى الأندلس والصين، ويرجع ذلك إلى استفادتهم من نقاط قوة هذا التراث الذي كانوا قبله متناحرين ولا يملكون أسلوب حياة منظم وواضح.

- التراث وقوانين الشريعة الإسلامية هي العوامل التي حملت قوة الحضارة الإسلامية، وبالتالي، ليس التراث سببا لضعف العالم الإسلامي وهو نفسه لا يتضمن "التقديس". وأصلا "مقولة التجديد مقولة تراثية وليست مقولة حديثة"، فالإمام بن حنبل دعا إلى عدم التقليد سواء منه أو من غيره كالإمام الشافعي أو الإمام مالك.

- ضرورة مراجعة تصوير المسلمين بأنهم لا يعلمون أو لا يهتمون بباقي العلوم والمناهج الحديثة، وبأن جل اهتمامهم ينصب فقط على المصحف والتفسير.

- يتم غالبا اختطاف الدين من طرف المستعمرين والسياسيين لتحقيق أغراض تتنافى مع الدين، وهو ما حدث تاريخيا ولا يزال إلى الآن.

- عدم إمكانية القول بغياب "الحقيقة المطلقة"، فالإيمان بأي دين أو مذهب يقوم بشكل أساسي على القناعة التامة بأن مضمون هذا الدين هو تعبير عن "الحقيقة المطلقة".

---

<sup>1</sup> - نص حوار شيخ الأزهر فضيلة الإمام أحمد الطيب ودكتور محمد الخشت رئيس جامعة القاهرة في مؤتمر الأزهر، في الموقع:

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- حرب التراث التي تدور حالياً هي حرب مصنوعة لتقويت الفرص على المسلمين، والواقع

الإسلامي تغيب عنه الشخصية الإسلامية، حيث يشابه أسلوب الحياة فيما عدا مجال الطلاق والزواج والميراث، أسلوب الحياة الأوربي الغربي. هذا إضافة إلى عجز العالم العربي والإسلامي عن حل مشاكله، وبأنه خاضع لتخطيط وتنفيذ آخرين.

**ب- في تونس:** أكد الرئيس التونسي السابق الباجي قائد السبسي على غياب العلاقة بين

السياسة والدين في تونس، مشيراً إلى أن تونس دولة مدنية والدستور هو المرجعية المعتمد عليها في إصدار القوانين، ومن الخطأ القول بأن مرجعية تونس هي المرجعية الدينية<sup>1</sup>. وبناء عليه، بادر باقتراح إصدار قانون يتم بموجبه المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، وبرر ذلك بمضمون الدستور المتكون من قواعد آمرة، والذي ينص على المساواة بين المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات دون تمييز، والتزام الدولة بحماية ما اكتسبته المرأة من حقوق والعمل على ترقيةها<sup>2</sup>.

وفي شهر فيفري 2019، تم الإعلان عن "ميثاق شرف للإمام الخطيب" من طرف وزارة الشؤون الدينية. تضمن هذا الميثاق عدداً من المبادئ التي تهدف إلى تبني خطاب ديني متوازن. ويأتي هذا الميثاق في إطار استراتيجية الحكومة التونسية في مواجهة الإرهاب والتطرف؛ حيث قررت السيطرة على المساجد وتحديد دور الإمام الخطيب في هذه الاستراتيجية بتبني خطاب ديني ينشر التسامح ويبتعد عن التجريح والإساءة، وتجنب إصدار الفتاوى في قضايا تحتاج إلى العرض على أهل الاختصاص. ومن بين مبادئ شرف الإمام الخطيب<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> - "السبسي تونس دولة مدنية ليس لها علاقة بالدين والقرآن المرجعية الدينية خطأ فاحش"، في الموقع: [https://www.youtube.com/watch?v=0kh6gZtPN\\_A](https://www.youtube.com/watch?v=0kh6gZtPN_A)

تاريخ الدخول: 2020/03/03 على الساعة 14:29

<sup>2</sup> - "الرئيس التونسي يعلن رسمياً المصادقة على مشروع قانون المساواة في الميراث بين الرجل والمرأة"، في الموقع: <https://www.bbc.com/arabic/middleeast-47107619>

تاريخ الدخول 2020/03/03 على الساعة 14:36

<sup>3</sup> - الجمهورية التونسية، بوابة وزارة الشؤون الدينية، "ميثاق شرف للإمام الخطيب"، في الموقع: <http://www.affaires-religieuses.tn/public/ar/pages/625319267>

تاريخ الدخول: 2020/03/03 على الساعة 15:00



## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- مراعاة وظيفة المسجد التعبدي، والعلمية والاجتماعية، والإصلاحية والتوعوية.
- اعتماد التوازن في الخطاب، ونشر ثقافة الأمل والتفاؤل.
- عدم توظيف المسجد للدعاية الحزبية والأغراض التجارية والربحية.
- التحلي بالحكمة والموعظة الحسنة، والعمل على وحدة الصف، وجمع الكلمة وتأليف القلوب، والابتعاد عن الغلو في الخطاب.

ج- في المملكة العربية السعودية: أوضح ولي العهد محمد بن سلمان في جلسة نقاشية على هامش مبادرة مستقبل الاستثمار، التي عقدت في شهر أكتوبر سنة 2017 في مدينة الرياض، بأن التوجهات الجديدة التي تشهدها المملكة ناتجة عن الرغبة في عودتها إلى الدين الإسلامي الوسطي والمعتدل المنفتح على العامل وعلى جميع الأديان، وأعلن عن رفضه التام للتعامل مع الأفكار المتطرفة قائلاً:

"سبعين في المائة من المجتمع السعودي أقل من ثلاثين سنة، وبكل صراحة لن نضيع ثلاثين سنة من حياتنا في التعامل مع أي أفكار متطرفة، سوف ندمرهم اليوم وفوراً"<sup>1</sup>.

وبتاريخ 17 أكتوبر 2017، صدر أمر ملكي عن الملك سلمان بن عبد العزيز يقضي بإنشاء مجمع في المدينة المنورة، يحمل اسم "مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف"<sup>2</sup>. إضافة إلى الإعلان عن تأسيس هيئة للتدقيق في استخدامات الأحاديث

<sup>1</sup> - "محمد بن سلمان: سندمر التطرف ونعيش حياة طبيعية"، في الموقع:

<https://www.youtube.com/watch?v=ChAqsVBazMw>

تاريخ الدخول: 2020/03/03 على الساعة 15:41

<sup>2</sup> - للإطلاع على الأمر، أنظر:

المملكة العربية السعودية، "تنظيم مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف"، هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، في الموقع:

<https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/3a067704-6e6f-42bd-9767->

[ab5700c9524f/1](https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/3a067704-6e6f-42bd-9767-ab5700c9524f/1)

تاريخ الدخول: 2020/03/03 على الساعة 16:22

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

النبوية لكشف الأكاذيب التي جاءت في أحاديث تم نسبها إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، والتي أسهمت في تكوين بيئة خصبة لإنتاج الفكر الإرهابي<sup>1</sup>.

وفي إطار التغييرات التي تشهدها المملكة، كانت قد أعلن مجلس الوزراء السعودي في سنة 2016 عن تقليص سلطات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث لم يعد من صلاحياتها القيام بالاعتقالات<sup>2</sup>.

**د- في الإمارات العربية المتحدة:** أعلن الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان في 15 ديسمبر 2018 عن جعل سنة 2019 عاما للتسامح في دولة الإمارات لكي تكون عاصمة عالمية للتسامح، وذلك بهدف تعزيز قيم التسامح والانفتاح على الثقافات. وتضمن هذا الإعلان برنامجا مسطرا لخدمة هذا الهدف، يشتمل على تبني سياسات وإصدار تشريعات تعزز قيم التسامح الثقافي والديني والاجتماعي، إلى جانب تبني مبادرات إعلامية تهدف إلى تعزيز خطاب التسامح وتقبل الآخر<sup>3</sup>، إلى خلق عدد من المؤسسات والمراكز التي تهتم بمكافحة التطرف وبناء قيادات تؤمن بقيم التسامح والسلام. وفي هذا النهج، قامت الإمارات العربية المتحدة بالعديد من المبادرات لخدمة هذه الأهداف من بينها<sup>4</sup>:

- إطلاق الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم "اسم جسر التسامح" على جسر مشاة على القناة المائية، يعتبر الأجل في إمارة دبي، وكان ذلك في شهر نوفمبر 2017.
- إطلاق الشيخ محمد بن زايد آل نهيان اسم "مريم أم عيسى" عليهما السلام على مسجد الشيخ محمد بن زايد لتعزيز التقارب بين الشعوب رغم اختلاف الأديان.
- إعلان الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم في شهر فيفري 2016 عن استحداث منصب وزير دولة للتسامح لضمان عدم التمييز والقبول الفكري والثقافي والطائفي والديني للآخر.

<sup>1</sup> - عبد الحق الصنايبي، "المملكة العربية السعودية ومراجعة الأحاديث النبوية "فتح إسلامي جديد"، صحيفة الأيام،

2014/06/28، السنة 19، العدد 6635، ص17

<sup>2</sup> - Stéphane Lacroix, « Saudi Arabia and the Limits of Religious Reform », Report commissioned by the Cambridge Institute on Religious and International Studies (CIRIS) on behalf of the Transatlantic Policy Network on Religious and Diplomacy 25 February 2019, p3

<sup>3</sup> - "مبادرات التسامح"، في الموقع:

<https://u.ae/ar-AE/about-the-uae/culture/tolerance/tolerance-initiatives>

تاريخ الدخول: 2020/03/04 على الساعة 15:13

<sup>4</sup> - المرجع نفسه.

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- عقد مؤتمر القمة العالمية للتسامح في 13-14 من شهر نوفمبر 2019 لتعزيز مبادئ التعايش السلمي بين الشعوب رغم الاختلاف في الأديان والمعتقدات والثقافات واللغات، والتحاور بشأن القضايا ذات الصلة من بينها الدور الذي تضطلع به القيادات الحكومية والدينية في إرساء هذه المبادئ<sup>1</sup>.
- توجيه دعوة من طرف الشيخ محمد بن زايد آل نهيان إلى بابا الفاتيكان، البابا فرانسيس، والذي زار الإمارات في شهر فيفري سنة 2019، لكي يشارك في مؤتمر حول حوار الأديان<sup>2</sup>.
- دعم جهود "مجلس حكماء المسلمين"<sup>3</sup>، الذي تأسس سنة 2014 كهيئة دولية مستقلة مقرها أبو ظبي، مكونة من علماء وخبراء ينتمون إلى العالم الإسلامي ويوصفون بالوسطية والحكمة، تحت رئاسة شيخ الأزهر أحمد الطيب، بهدف توحيد الأمة الإسلامية من خلال العمل على الحفاظ على مبادئ الدين الإسلامي التي تشجع التسامح، ونبذ الطائفية والعنف<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - "القمة العالمية للتسامح"، في الموقع:

<https://www.worldtolerancesummit.com/ar-ae/>

تاريخ الدخول: 2020/03/04 على الساعة 15:34

<sup>2</sup> - "البابا فرانسيس في الإمارات: زيارة بابوية غير مسبوقة لدولة في شبه الجزيرة العربية"، في الموقع:

<https://www.bbc.com/arabic/middleeast-47107619>

تاريخ الدخول: 2020/03/04 على الساعة 15:42

<sup>3</sup> - سلام أبوشهاب، آلاء عبد الغني، "تأسيس مجلس حكماء المسلمين برئاسة الطيب وبن بيه"، في الموقع:

تاريخ الدخول: 2020/04/12 على الساعة 16:58

<http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/6dbc36fc-a32d-4925-98da-3423ebddd80>

<sup>4</sup> - "مجلس حكماء المسلمين"، في الموقع :

<https://www.muslim-elders.com/ar/page/15/who-we-are>

تاريخ الدخول: 2020/04/12 على الساعة 16:36

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الجدول رقم 05: مراكز محاربة التطرف في دولة الإمارات العربية المتحدة

| اسم المركز  | المهام  |
|---|---|
| مركز هداية لمكافحة التطرف<br>العنيف سنة 2012<br>(مركز التميز الدولي لمكافحة<br>التطرف العنيف سابقا) | الاعتماد على التراسل الإلكتروني مع الجماهير والمؤسسات والشركات لتصويب الأفكار الخاطئة وتوسيع فرصة الأصوات المعتدلة في التعبير لمواجهة أفكار المتطرفين وتفسيراتهم الدينية الخاطئة.   |
| مركز صواب بالتعاون مع<br>الولايات المتحدة الأمريكية<br>سنة 2015                                     | بناء شراكات مع مؤسسات تعمل في مجال محاربة التطرف العنيف مع التركيز على الدبلوماسية الرياضية والثقافية، المناهج التربوية، السجون ونبذ الراديكالية فيها، دعم ضحايا الإرهاب.   |
| المعهد الدولي للتسامح سنة<br>2017   | بناء وتأهيل قيادات وكوادر عربية منفتحة ومؤمنة بالحوار بين الأديان والثقافات من فئة الشباب.<br>اقتراح السياسات والقوانين وإجراء البحوث والمؤتمرات التي تخدم نشر قيم التسامح.<br>منح جائزة محمد بن راشد آل مكتوم للتسامح للمتميزين في مجال توضيح حقيقة الإسلام كدين تسامح وفي ترسيخ هذه القيم وطنيا ودوليا.<br>تعزيز مكانة الدولة الإماراتية كنموذج لنبذ التطرف والانغلاق الفكري وترسيخ ثقافة الانفتاح الحضاري. |

المصدر: "مراكز محاربة التطرف"، في الموقع:

<https://u.ae/ar-AE/about-the-uae/culture/tolerance/centers-for-counterimg-extremism>

تاريخ الدخول: 2020/03/04 على الساعة 16:04

### الفرع الثالث: أبعاد تجديد الخطاب الديني

عندما يتم تناول تجديد الخطاب الديني سواء على المستوى السياسي أو الديني، يبدو مفهوما غامضا لم يتم تحديد مؤشراتته الإجرائية. كما لا يوجد تقييم عملي لتلك المؤسسات التي وُجدت لهذا الغرض ويغيب الأثر الواضح للمؤتمرات المتعلقة به. وفي حين يمكن إرجاع ذلك إلى حداثة هذا الطرح

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

وبأن أي عملية تقييم ستكون سابقة لأوانها، لا يمنع ذلك من التساؤل حول حقيقة الالتزام بتجديد الخطاب الديني ووجود قناعة وبالتالي إرادة فعلية لتجسيده على أرض الواقع. لاسيما أن هذه العملية تم طرحها في أكثر من دولة مع اختلاف القضايا المطروحة وكيفية الاستجابة، في سياق دولي وإقليمي جعلها تبدو كعملية ممنهجة لها أهدافها الخاصة.

وانطلاقاً من التعقيد المتزايد الذي تتسم به الظاهرة السياسية بشكل عام، فإن فحص هذه المسألة يثير عدداً من المواضيع الأخرى على غرار دور العامل الديني في العلاقات الدولية، تأثير القوة والمصلحة على سلوك الدول، أهمية البقاء بالنسبة للدول والأنظمة السياسية وما يفرضه ذلك من ترتيبات سياسية وأمنية وجيوستراتيجية، إضافة إلى العلاقة بين الدول والنظام الدولي.

### أ- الأبعاد العلمية:

توجد مجموعة من الدراسات التي تناولت موضوع الدين والسياسة، وحاولت أن تفحص العلاقة بينهما، وتحديد ماهية الاقتراب الأفضل لتفسيرها:

✓ دراسة البروفيسور وأستاذ السياسة العربية ومركز كراون لدراسات الشرق الأوسط

في جامعة برانديز Brandeis إيفا بيلين Eva Bellin بعنوان Faith in Politics : New Trends in the Study of Religion and Politics، سنة 2008 التي تقول فيها بأن الدين قد تم طرده من مجال الاهتمام في العلاقات الدولية بسبب تأسيس النظام الدولي القائم على عدم التدخل واحترام مبدأ السيادة لوضع حد للحروب الدينية، وهو ما أدى إلى سيادة منطق قائم على ارتهان السلام الدولي باستئصال الدين. وعلى المستوى النظري، جاء الاهتمام بالأفكار والهوية على يد النظرية البنائية خلال التسعينيات ولكن دون أن تكون الهوية الدينية موضوعاً جوهرياً، أما عن النظريات التي سبقتها، فإن الواقعية كانت دائماً التركيز على المصلحة كمحدد لسلوك الدول التي تسعى إلى الحصول على القوة والثروة، وبالتالي لم تكن الأفكار متغيراً مركزياً في الفكر الواقعي. وكذلك الليبرالية التي ركزت على المؤسسات والتعاون دون أن يحصل الدين على مكانة في فرضياتها<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - Eva Bellin, « Faith in Politics : New Trends in the Study of Religion and Politics », *World Politics*, 60, January 2008, p 318.

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الجدول رقم 06: المسلمات التي تقوم عليها الاتجاهات الحديثة عن العلاقة بين الدين والسياسة<sup>1</sup>

| الاتجاه الأول | مدرسة الاقتصاد الديني Religious Economy School   |
|---------------|--|
| المصدر        | Stathis Kalyvas, « The Rise of Christian Democracy in Europe »<br>Carolyn Warner, « The Catholic Church and Political Parties in Europe »<br>Antony Gill, « Rendering Unto Caesar : The Catholic Church and the State in Latin America »   |
| الملاحظات     | ظهور الأحزاب الطائفية<br>انحياز بعض المؤسسات الدينية لطرف دون آخر في ظروف معينة  |
| التساؤلات     | ما هي أسباب ظهور الأحزاب القائمة على أسس دينية وطائفية؟<br>ما هي الأسباب التي تدفع المؤسسة الدينية إلى دعم طرف دون آخر؟ (نظام الحكم أو حزب سياسي ما أو قضية معينة).  |
| الافتراضات    | المؤسسة الدينية مثل أي مؤسسة اقتصادية: يتم تفسير السلوك وفق منطق الاختيار العقلاني (الحسابات الاستراتيجية)<br>يرتهن تأييد المؤسسة الدينية لأي طرف أو معارضته بقدر ما ينجر عن موقفها من منافع تتعلق بالدرجة الأولى ببقائها ومصالحها.<br>يتحدد موقف المؤسسة الدينية بمقتضيات المنافسة الدينية التي قد تكون خطرا على عدد المؤيدين.  |
| الانتقادات    | التركيز على الكنيسة فقط وتحديد الكنيسة الكاثوليكية، وادعاء إمكانية تعميم النتائج على المؤسسات الدينية الأخرى.<br>الاختيار العقلاني لدى الكنيسة الكاثوليكية منطقي لأنها تمثل الدين المهيمن في الدول محل الدراسة.<br>ماذا عن الدين الإسلامي الذي تختلف المؤسسات التي تمثله عن الكنيسة؟ وكذلك الدين اليهودي؟ لا يكون السلوك الإنساني دائما مدفوعا بمحفزات المصلحة الخاصة.<br>لا يكون السلوك الإنساني ذرائعيا في كل الحالات (أي وسيلة لتحقيق هدف مادي)، قد يكون سلوكا تعبيريا (دلالة أحداث 2001/09/11 عن الغضب والهوية وليس فقط الرغبة في الإطاحة بالولايات المتحدة الأمريكية).<br>إهمال دور الأفكار والقناعات الدينية |

<sup>1</sup> - Ibid, p-p: 319-338

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

| Public Opinion Survey استطلاعات الرأي العام  | الاتجاه الثاني |
|--|----------------|
| Pippa Norris, Ronald Inglehart, Sacred and Secular : Religion and Politics World Wide  | المصدر         |
| تزايد مستويات التدين في الدول الصناعية والدول المتخلفة أيضا رغم أن نظرية العلمنة توقعت فقدان الدين لأهميته أو اختفائه بفعل الحداثة والتطور   | الملاحظات      |
| كيف يمكن تفسير قدرة بعض الدول على التكيف مع ممارسة المسلمين لشعائهم الدينية في الوقت الذي لا تقوم فيه دول أخرى بذلك؟   | التساؤلات      |
| قد لا يرتبط الالتزام بالدين بالتعددية الدينية ( تزايد التدين في الدول الإسلامية في غياب التعددية ) مدى صلاحية البيانات وإمكانية الاعتماد عليها<br>العجز عن تفسير أسباب ارتفاع التدين في دول الشرق الأوسط<br>إمكانية تأثر النتائج بما يحدث عند جمع البيانات في الميدان، إجراءات اختيار العينات، ترتيب الأسئلة المطروحة. | الافتراضات     |
| قد لا يرتبط الالتزام بالدين بالتعددية الدينية ( تزايد التدين في الدول الإسلامية في غياب التعددية ) مدى صلاحية البيانات وإمكانية الاعتماد عليها<br>العجز عن تفسير أسباب ارتفاع التدين في دول الشرق الأوسط<br>إمكانية تأثر النتائج بما يحدث عند جمع البيانات في الميدان، إجراءات اختيار العينات، ترتيب الأسئلة المطروحة. | الانتقادات     |
| Comparative Historical Study الدراسة التاريخية المقارنة  | الاتجاه الثالث |
| Joel Fetzer, Christopher Soper, Muslims and the State in Britain, France and Germany   | المصدر         |
| اختلاف سلوك دول أوروبا الغربية من حيث التكيف مع ممارسة المسلمين لشعائهم الدينية  | الملاحظات      |
| لماذا تختلف مستويات التدين في العالم؟<br>ما هي طبيعة العلاقة بين التعددية الدينية والمشاركة الدينية؟   | التساؤلات      |
| قد لا يرتبط الالتزام بالدين بالتعددية الدينية ( تزايد التدين في الدول الإسلامية في غياب التعددية ) العجز عن تفسير أسباب ارتفاع التدين في دول الشرق الأوسط<br>إمكانية تأثر النتائج بما يحدث عند جمع البيانات في الميدان، إجراءات اختيار العينات، ترتيب الأسئلة المطروحة.  | الافتراضات     |
| دراسة ثلاث حالات فقط يصعب إمكانية التعميم الحاجة إلى دراسة حالات أخرى  | الانتقادات     |

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

✓ دراسة البروفيسور في الشؤون الدولية بيتر ماندفيل Peter Mandaville حول الكيفية

التي تؤثر من خلالها المعتقدات الدينية على السياسة، والتي جاءت ضمن كتاب : Global Politics a New Introduction، المنشور سنة 2014. وفيها يناقش بروز العامل الديني في الشؤون السياسية، ويحاول توضيح محددات اخذ العامل الديني بعين الاعتبار عند تفسير الأحداث والمواقف السياسية. وتكمن ميزة هذه الدراسة في كونها كشفت عن جوانب لم يتم التطرق إليها سابقا؛ وقامت بتوضيح ما يلي<sup>1</sup>:

أولا: لم تتبلور العلاقة بين الدين والسياسة كإشكالية إلا بظهور العلمانية. غير أن المجال الأكاديمي افتقر في مرحلة ما قبل التسعينيات إلى مراجع تشرح المعتقدات التي تقوم عليها العلمانية والكيفية التي أصبحت وسيطا بين الباحث وفهمه للدور الذي يلعبه الدين في السياسة، فيما يوحي بعدم انتباه الباحثين لقوة العامل الديني في تفسير الأحداث أو لاعتقادهم بأنه لن يساعدهم في ذلك.

ثانيا: يعود التركيز على العامل الديني لوقوع عدد من الأحداث التي برز فيها في صورة المحرك الأساس مثل: الصراع بين البروتستانت والكاثوليك في أيرلندا الشمالية، الصراع في يوغسلافيا، أحداث 11 سبتمبر 2001، تفجيرات لندن 2005، إعلان الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على الإرهاب، الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول محمد عليه الصلاة والسلام في الصحيفة الدنماركية. وتمحور الجدل بعد أحداث 2001/09/11 حول الدين الإسلامي وعلاقته بالسياسة، وعلاقة العالم الإسلامي بالآخرين؛ غير أن أساس الجدل سابق على هذه الأحداث، ويتعلق أصلا بطبيعة الدين الإسلامي الذي تم اعتباره دينا جامدا غير قابل للتغيير، ونظام المعتقدات فيه لا يقبل الفصل بين الدين والسياسة، ما تمت ترجمته كمقاومة للعلمانية والحداثة.

ثالثا: يتميز الدين الإسلامي بنظام معتقدات متنوع وديناميكي، وتقضي ملاحظة السلوك السياسي للمسلمين وفحص دوافعهم إلى أنها دوافع يمكن إيجاد تفسير لها ضمن نظريات التحليل السياسي. العامل الديني مهم ولكن من الضروري فحص متى يتم إعطاء الأهمية للدين في محاولة فهم السياسة العالمية؛ حيث أن وجود العامل الديني في حالة سياسية معينة لا يعني أن تفسير هذه الأخيرة يرتبط حصريا أو بشكل أساسي بالدين؛ فهناك عدد من الأحداث التي يتم ربطها بدين معين في حين أنها في الأساس

<sup>1</sup> - Peter Mandaville, « How Religious Beliefs affect Politics ? » : Jenny Edkins, Maja Zehfuss, Global politics: a new introduction, New York : Routledge, 2<sup>nd</sup> edition, 2014, p-p : 98-119



## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

تتعلق بموضوع آخر (التمرد الذي عرفته باريس سنة 2006 والذي كان بسبب البطالة في أوساط المهاجرين ولكن تم إطلاق وصف المحتجين المسلمين). وبناء عليه، هناك حاجة إلى عدم اقتصار البحث على العامل الديني، بل يجب فهم الإيديولوجيات السياسية وإدراك الشعوب للعالم عوض الاكتفاء بتصنيفهم حسب دياناتهم واستخلاص النتائج بدلا عن ذلك.

رابعا: الحاجة إلى مقاومة الفكرة القائلة بأن الهويات الدينية أو الادعاءات السياسية المؤطرة من ناحية دينية، بعيدة عن المنطق السياسي (يمكن أن يستند أحد أطراف الصراع على القيم الدينية التي تركز على السلم إذا كانت دوافعه تتعلق بالأمن أو الاستقرار الاجتماعي، ويمكن لحزب سياسي أن يستند على قيم دينية تركز على الأخلاق العامة في محاربته للفساد دون أن يكون هدفه إقامة دولة دينية). وهذا يسمح باعتبار العامل الديني كأحد العوامل المتعلقة بالفكر وليس عاملا مميزا بعيدا عن المنطق والفهم ويشكل مجالا استثنائيا في السياسة العالمية.

✓ دراسة الدكتورة في العلوم السياسية أمينة رياحي حول "عودة المسلمة الدينية في

العلاقات الدولية"، المنشورة في مجلة المستقبل العربي سنة 2018. وهي تتفق مع الدراستين السابقتين من حيث التأكيد على أن العامل الديني عاد إلى مجال الاهتمام في العلاقات الدولية التي تأثرت به علميا وعمليا. وهي تتفق مع إيفا بيلين بشأن اعتبار مؤتمر واستغاليا وما نتج عنه من مبادئ حكمت العلاقات الدولية في المرحلة التالية عليه (تأسيس الدولة القومية العلمانية) بأنه المنعطف الذي تم الانطلاق فيه من استبعاد الدين وفصله عن الشؤون السياسية. وبالتالي فإن العامل الديني لم يتراجع؛ بل كانت هناك إرادة لاستبعاده. وهي تتفق مع بيتر ماندفيل في وجود عدد من الأحداث التي كان الدين حاضرا فيها (تأسيس الفاتيكان، الكيان الصهيوني، الثورة الإيرانية... الخ)، ويتعرض الدين في أحداث أخرى للتوظيف السياسي لمجرد وجود صلة بينه وبينها<sup>1</sup>. وتشير الباحثة إلى نقطتين أساسيتين:

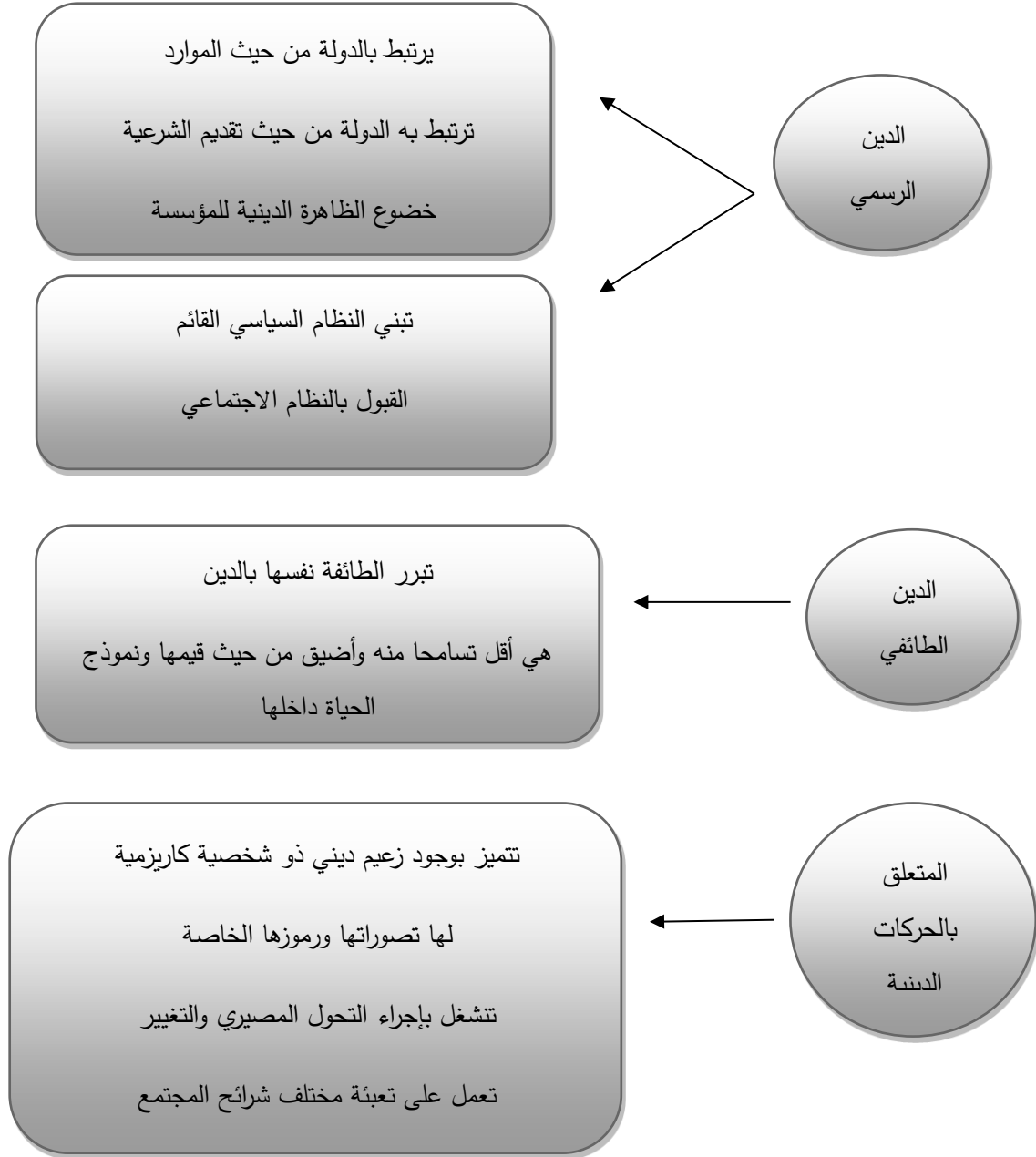
1- اعتمادا على دراستي كل من Ernest Troeltsch و Robert Bellah، هناك ثلاث أنماط

للدين وهي كالتالي<sup>2</sup>:

<sup>1</sup> - أمينة رياحي، "عودة المسلمة الدينية"، المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 41، العدد 476، 2018، ص-ص: 113-117.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 120-121

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير



مصدر المخطط: من إعداد الباحثة اعتمادا على المرجع: أمينة رباحي، "عودة المسلمة الدينية"، المستقبل العربي،

بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 41، العدد 476، 2018، ص-ص: 120-121

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

2- الإشارة إلى أعمال اشتركت في التركيز على الدين الإسلامي، سواء كتحتدي للديمقراطية

الليبرالية (فرنسيس فوكوياما)، أو كخطر له علاقة بالإرهاب مباشرة (باسكال بونيفاس)، أو كأحد الدوافع الرئيسية لصدام الحضارات مستقبلا واعتبار الثقافة الإسلامية السبب الذي يحول دون تحول دول العالم الإسلامي إلى دول ديمقراطية (صامويل هنتغتون)<sup>1</sup>.

✓ دراسة محمد خالد الشيايب بعنوان "القراءة الحداثية للنص الديني: محمد أركون ونصر

حامد أبوزيد نموذجا"، المنشورة في المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية سنة 2013. انطلق فيها من فكرة أن إعادة قراءة النص الديني سواء أدبيا كما فعل كل من أمين الخولي وأدونيس، أو أيديولوجيا عند حسن حنفي، أو تأويليا عند محمد أركون ونصر حامد أبي زيد، جاءت بناء على أن أي محاولة لإعادة بناء الشخصية العربية الحديثة تواجه عقبة "النص القرآني" الذي يعتبر العنصر الأساس في تشكيل العقل العربي، وأية قراءة أيديولوجية فإنها تستند على النص الديني، في ظل سيطرة السلطة. وتأتي محاولات إعادة قراءة النص الديني في سياق ظهور رؤية حداثية للعالم تركز على العقل، ترفض التقاليد، تؤمن باستمرارية التغيير وتدعو إلى الثورة على الموروث وتقديم قراءة عصرية<sup>2</sup>.

وعن دراسة محمد أركون ونصر حامد أبي زيد، يشير الكاتب إلى أن النقد والشك كان مطلبا أساسيا فيها وبأن كلاهما عملا على إحداث قطيعة معرفية مع القراءات الإسلامية التراثية، والدعوة إلى "أسنة القرآن" بمعنى التعامل معه بنفس طريقة التعامل مع النصوص البشرية وبالتالي نزع صفة القداسة عنه، ويؤدي تطبيق هذا المنهج إلى عدة نتائج من بينها<sup>3</sup>:

- تحول القرآن إلى نص لغوي نتج عن بيئة ثقافية لا يمكن تفسيره دون الرجوع إليها.
- استخدام العقلانية التي تعني في هذا السياق قبول ما يتوافق مع العقل ورفض ما يعاكس ذلك، وهو ما يتطلب الفصل بين العقل والغيب والوحي.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص : 121-123

<sup>2</sup> - محمد خالد الشيايب، "القراءة الحداثية العربية للنص الديني: محمد أركون ونصر حامد أبي زيد نموذجا"، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، الأردن: الجامعة الأردنية عمادة البحث العلمي، المجلد 6، العدد3، 2013/12/31، ص-ص : 315-316.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص-ص : 324-325.

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- رفض النصوص القرآنية التي لا تتوافق مع هذا المنهج والاعتماد على الاجتهاد الوضعي بدلا منها.

### ب- الأبعاد السياسية والأمنية

تبين على المستوى العلمي والأكاديمي بأن مناقشة دور العامل الديني في السياسة وأثر المؤسسات الدينية وعلاقتها بالمجال السياسي في إطار مفاهيمي يتمحور حول المصالح والهوية ومسألة الشرعية التي يحتاجها النظام السياسي، ناهيك عن مدركات صانع القرار في حد ذاته. ولهذا، يبدو موضوع تجديد الخطاب الديني ذو صلة بما عرفته منطقة الشرق الأوسط من تغيرات وتحديات تأتي في مقدمتها التحديات الأمنية. ويرجع ذلك إلى الاعتبارات الفكرية التي أصبح من الضروري الاعتماد عليها في مواجهة التهديدات الأمنية وعلى رأسها الإرهاب. غير أن اتخاذ تجديد الخطاب الديني كوسيلة لمكافحة الإرهاب يواجه نوعين من الملاحظات؛ يتعلق النوع الأول بالآليات المستخدمة في هذا التجديد، أما الثاني فيتعلق بالسياستين الداخلية والخارجية للدول التي بدأت في تحقيق ذلك.

اعتمد صانع القرار المصري في مكافحة الإرهاب على مقارنة مزدوجة تشمل المواجهة العسكرية (عمليات حق الشهيد الأربعة) كأكثر طريقة فعالة لمواجهة التنظيمات الإرهابية، إلى جانب المواجهة الفكرية لوضع حد لقدرة الجماعات الإرهابية على تجنيد المزيد من العناصر، معولا على مؤسسة الأزهر لتخليص الدين من الأفكار التي يقوم الإرهابيون باستغلالها<sup>1</sup>. وبناء عليه، قامت المؤسسات الدينية في مصر بعقد عدد من المؤتمرات التي تهدف إلى توضيح الدين الإسلامي الصحيح إلى جانب إنشاء مجموعة من المراكز التي تعمل على نشر الأفكار الإسلامية الوسطية، والإعلان عن بعض المبادرات التي ترمي إلى مواجهة الفكر المتطرف. ولكن من بين ما يعيق فعالية هذه الجهود، نمط إدراك الإسلاميين للمؤسسات الدينية التي تمثل في وعيهم الدين الرسمي المرتبط بالسلطة والمحتكر للدور الديني الذي توجد منافسة عليه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - Mahmoud Khalifa, « Egypt's Domestic and International Role to Combat Political Terrorist », *Journal of Social and Political Sciences*, vol.1. No.1, p-p : 55-60

<sup>2</sup> - إعلان دار الإفتاء المصرية عن مبادرة "لا تتحدث باسمي" للتصدي لظاهرة الإسلاموفوبيا وإصدار مجلة "Insight" لمواجهة أفكار داعش، إضافة إلى إنشاء صفحات على الفيس بوك لنفس الغرض، للمزيد أنظر: أحمد زغول شلاطة،

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

ومن جهة أخرى، لا يملك القائمون على عملية تجديد الخطاب الديني (رئاسة الجمهورية، وزارة الأوقاف، مؤسسة الأزهر) تعريفا ولا خطة واضحة لتحقيقها، كما أن المؤسسات الدينية تبدو حريصة على الاحتفاظ بتقاليدھا الدينية حيث أنها لم تتخلى عن آرائها بشأن المرأة والمساواة بينها وبين الرجل في الميراث مثلا، وفي نفس الوقت تحرص على بقاء المصالح التي تربطها بالدولة<sup>1</sup>. وعلى الرغم من أن هذه العملية جاءت نتيجة توجيهات سياسية عليا، وتحظى بالأولوية لدى المؤسسات الرسمية، إلا أن المؤتمرات التي تم تنظيمها لتحقيق هذا الغرض يكون الحضور فيها محدودا ونخبويا، وتعجز عن تقديم البدائل والإجابة عن الأسئلة التي يفرضها إعمال العقل في الشأن الديني<sup>2</sup>.

كما أن الخلافات الموجودة بين النظام ومؤسسة الأزهر، تقضي أغلب التحليلات إلى وجود صراع بينهما، وتحظى بالاهتمام ليس فقط بسبب القيمة العلمية والدينية لمؤسسة الأزهر، بل أيضا فيما بدا كمحاولات للسيطرة عليها والتحكم بها لضمان الشرعية من طرف الحكومات المصرية المتعاقبة. وتراوحت هذه العلاقة بين تبني الحكومة لاستراتيجية التعاون تارة ومحاولة الهيمنة تارة أخرى. وفي حين يسعى النظام السياسي إلى دعم سيطرته على المجتمع، تحرص مؤسسة الأزهر على الاحتفاظ باستقلاليتها ومكانتها المحترمة في المجتمع المصري ودورها في تفسير النصوص الإسلامية<sup>3</sup>.

ولكن، عند مكافحة الإرهاب اصطدمت هذه العملية بالصعوبات والمشاكل التي كان يواجهها النظام السياسي المصري بعد عزل الرئيس محمد مرسي سنة 2013. وهي تتعلق بالعلاقة بين السلطتين السياسية والدينية من جهة، وبين النظام والمعارضة من جهة أخرى، وكان الصراع مع حركة الإخوان

---

"واقع الإرهاب في مصر وأزمة مكافحته"، أوراق ونقاشات مؤتمر وسائل منع ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وفي الغرب، الأردن: مؤسسة فريديش ايبيرت، 2016، ص-ص: 100-101

<sup>1</sup> - Ishak Ibrahim, « Obstacles to Renewing Religious Discourse in Egypt : Reasons and Results », <https://timep.org/commentary/analysis/obstacles-to-renewing-religious-discourse-in-egypt-reasons-and-results/> 26/09/2020 19 :54

<sup>2</sup> - شريف الشافعي، "تجديد الخطاب الديني في مصر شعار أم حوار ثقافي"، صحيفة العرب، لندن، 2017/07/11، السنة 40، العدد 10688، ص14

تاريخ الدخول 2020/10/22 على الساعة 23:16

<sup>3</sup> - Tamir Moustafa, « Conflict and Cooperation between the State and Religion Institutions in contemporary Egypt », *International Journal of Middle East Studies*, the United States of America : Cambridge University Press, 32 (1), 2000, p-p : 11-18

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

المسلمين بارزا بعد تولي المشير عبد الفتاح السيسي رئاسة الجمهورية، في ظل مواجهة مصر لتحديات اقتصادية وأمنية خطيرة.

و لظالما حمل النظام السياسي المصري حركة الإخوان المسلمين المسؤولية عن العنف الذي شهدته مصر في منطقة سيناء على وجه التحديد، وتم اتهامها بكونها المحرك لجماعات العنف هناك، وهذا الرغم من أن حركة داعش موجودة هي أيضا في هذه المنطقة ولكن النظام لا يتحدث عنها بنفس الأسلوب ، وهنا يفسر الكاتب احمد زغلول شلاطة أسباب تركيز النظام السياسي على حركة الإخوان بكونه يسعى إلى الحفاظ على قبول وتأييد الرأي العام، وبرغبته في أن يبقى الصراع السياسي في مصر متجها لخدمة مصالحه، وأن يبرر أسلوب تعامله معها بسلوكها الذي عمل على إنقاذ مصر من تداعياته عند عزل الرئيس محمد مرسي. أما عن حركة داعش فإنها لا تحظى بنفس القدر على مستوى الخطاب السياسي لتفادي تقليص ذلك القبول بسبب انتشارها في عهده وليس في عهد سابق عليه وهو ما سيجرجه الرأي العام كفشل سياسي وأمني؛ حيث تأتي هذه الحركة في سياق معاناة الشعب المصري من عدم الاستقرار سواء سياسيا، اقتصاديا واجتماعيا أيضا. ناهيك عن ما سيفرضه ذلك من التزامات على مستوى السياسة الخارجية والتحالف الدولي ضد الحركة، وهي مسألة تريد مصر أن تكتفي مشاركتها فيها على الشقين السياسي والديني لأن المزيد من الالتزامات الخارجية سيؤدي أيضا إلى صدام مع الرأي العام<sup>1</sup>.

إن مناهضة حركة الإخوان المسلمين أصبحت أحد مصادر شرعية النظام السياسي الذي يريد البقاء دون وجود معارضة حقيقية وفي ظل فرض قيود على حرية التعبير والتجمع، ولذلك عمل على أمننة الخطاب السياسي ما يسمح له بتبرير سياسته سواء الداخلية أو الخارجية. داخليا، تسمح الحرب على الإرهاب بإسكات المنتقدين ودفعهم إلى تفضيل الاستقرار على الحرية السياسية، وإقناع الشعب بعدم قدرة الدولة على الاستجابة لتطلعاتهم وبأنها تواجه مؤامرات داخلية وخارجية لجر مصر إلى حرب أهلية<sup>2</sup>. ويفعل هذه الظروف، أصبحت مصر تشهد حالة مزمنة من عدم الاستقرار السياسي، لكون النظام السياسي يعتمد على مقاربة قائمة على مركزية الدولة، والتي تتطوي على اعتقاد بان الإفراط في استخدام الدولة لقوتها سيجعلها قادرة على تشكيل المجتمع كما تريد. ولكن واقعا، إن هذه القوة المفرطة والهيمنة

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 95-96

<sup>2</sup> - Houssam Darwish, « Regime Survival Strategies and the Conduct of Foreign Policy in Egypt », *Middle East Review*, vol.2, Japan, IDE-JETRO, 2015, p-p : 57-59.

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

التي تسعى الدولة إلى فرضها، تؤدي إلى نتائج عكسية؛ فهذه القوة تغري الدولة وتدفعها إلى اعتماد سياسات قصيرة المدى تعمل في نهاية المطاف على تنشيط المعارضة وتقويض سلطة الدولة على المجتمع<sup>1</sup>.

أما خارجيا، فإن هذه الحرب التي يتم فيها تحميل حركة الإخوان المسلمين للمسؤولية، تتوافق مع السياسة الخارجية لكل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. حيث شهدت العلاقات المصرية السعودية مستويات أعمق من الاعتماد المتبادل منذ 2011، فالمملكة العربية السعودية ترى بان مصر قادرة على لعب دور مركزي في الاستقرار الأمني الداخلي والخارجي لدول الخليج، وأصبحت مصر معتمدة بشكل متزايد على الدعم المالي من الدول النفطية الغنية لتحريك اقتصادها. كما أدى تنازل مصر عن جزيرتي تيران وصنافير للدولة السعودية إلى جعل هذه الأخيرة طرفا مباشرا في معاهدة كامب ديفيد. وتساعد الشراكة الجيواستراتيجية بينهما على احتواء إيران، وإلى جانب التحالف السياسي تبدو مصر إلى جانب الأردن طرفا في المشاريع الاستثمارية المشتركة التي أعلن عنها ولي العهد السعودي في إطار مشروع NEOM، والتي خصصت مصر لأجلها ألف كيلومتر مربع على طول ساحل البحر الأحمر<sup>2</sup>.

واعتبرت الإمارات العربية المتحدة حركة الإخوان المسلمين مصدر تهديد داخلي لاستقرار نظامها السياسي، كما أن لديها قناعة بخطورة هذه الجماعة نظرا لطابعها العابر للحدود الوطنية، وبالتالي إذا حصلت على السلطة والقوة فإنها قد تحاول تعبئة مناصريها في دول الخليج ضد حكوماتهم. كما تعمل هي أيضا على احتواء التوسع الإيراني، وهو ما تجلّى في الحرب التي أعلنتها سنة 2015 في اليمن ضد الحوثيين المتحالفين مع إيران<sup>3</sup>.

إن تجديد الخطاب الديني، يأتي منسجما مع التركيز عالميا على حوار الأديان ونشر الوسطية والاعتدال كأحد آليات مكافحة التطرف اعتمادا على التغيير الفكري. ولكن تحقيق هذا الهدف، يتطلب أيضا إجراء تغييرات هيكلية على مستوى الأنظمة السياسية والاقتصادية؛ فالتشدد والانضمام إلى

<sup>1</sup> - Tamir Moustafa, *Op.Cit*, p18

<sup>2</sup> - Amr Adly, « Will Saudi-Egyptian Geopolitical Partnership Push for Economic Integration ? Increasing Interdependencies », Research Project Report, European University Institute, February 2019/02, p-p : 3-4

<sup>3</sup> - Guido Steinberg, « Regional Power United Arab Emirates Abu Dhabi is No Longer Saudi Arabia's Junior Partner », *SWP Research Paper 10*, Berlin : Stiftung Wissenschaft und Politik, 10, July 2020, p6

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الجماعات الإرهابية يحدث أيضا بسبب الظلم والتهميش وغياب العدالة، حيث تصبح الجماعات الإرهابية ملاذا يمنح المجندين ما تعجز الأنظمة عنه. وهذا ما دفع Eric Rosand الباحث في معهد بروكينز إلى التشكيك في مصداقية الدعاية المخصصة لتجديد الخطاب الديني ومكافحة التطرف العنيف، حيث يرى بأنه على الرغم من التأكد علميا باختلاف أسباب التطرف العنيف، فإن حكومات الشرق الأوسط تركز بشكل "يفوق اللازم" على تشجيع التفسير المعتدل للدين الإسلامي وقمع الجماعات ذات الأفكار المتطرفة، وهي جماعات تحددها النخبة الحاكمة. وهو يفسر ذلك بان التركيز على نشر ما أصبح يعرف "بالإسلام المعتدل" أسهل من الاعتراف بما تحتاجه مكافحة التطرف من إصلاحات، وأسهل من تحمل الحكومات لمسئولياتها تجاه ذلك. ومن جهة أخرى، ستؤدي الإصلاحات إلى عرقلة التعاون الأمني بين الدول الغربية مع دول المنطقة، وبالتالي يصبح التركيز على الدين مخرجا لبعض القادة السياسيين للمحافظة على قدر من الشرعية<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - إيريك روزاند، "لماذا تتفوق السياسة على الأدلة عندما يتعلق الأمر بالدين ومكافحة التطرف العنيف"؟، في الموقع: <https://cutt.ly/ygQDWU5>

تاريخ الدخول: 2020/10/27 على الساعة 1:15



### المبحث الثاني: العوامل المساعدة على تراجع قوة الفكر الليبرالي في المنطقة

تناول المبحث الأول مجموعة من المتغيرات التي تبين بأن للفكر الليبرالي قوة معتبرة في مجتمعات الشرق الأوسط، وتوصل في النهاية إلى أن مكانة هذا الفكر في المنطقة لا يمكن أن تتحدد بمعزل عن تصورات وسياسات الأنظمة السياسية التي لا تعتبره تهديدا لها بل تتعامل معه وفق مقتضيات الظروف التي تواجهها سواء كانت هذه الظروف داخليا أو خارجيا. كما توصل إلى أن ما يسهم في تلك القوة أو على الأقل يسمح بمزيد من التواجد هو ما تتوق له المجتمعات العربية والإسلامية من حرية وازدهار، وهما مفهومان متداولان بشدة في الخطاب الليبرالي.

وبناء عليه، يأتي تساؤل آخر في مقابل ما سبق، وهو ذلك الذي يدور حول تلك المساحة التي لا يشغلها هذا الفكر على المستوى الفكري والسياسي في هذه المجتمعات، أين توجد إلى جانبه تيارات أخرى تعتبر من بين الفواعل الأساسية في العملية السياسية وكذلك على مستوى العلاقات الدولية. ومثلما يطرح سيناريو بقاء هذا التيار وتزايد قوته نظرا للعوامل السابق ذكرها، يمكن أيضا في المقابل طرح سيناريو آخر يتضمن تراجع ذلك الوجود الذي تمتع به الليبراليون العرب الجدد منهم خاصة وبعد احتلال العراق تحديدا ثم التغيرات التي عرفها العالم العربي منذ سنة 2011.

ويقوم سيناريو التراجع أو على الأقل عدم اكتساب المزيد من القوة على عدة عوامل ومتغيرات تبين بأنه لا يمكن لهذا الفكر أن يحقق كل ما يتضمنه من تصورات في هذه المنطقة، وبأنه وإن كان قد تقاطع في حيز ما مع تطلعات شعوب المنطقة نحو الحرية والتقدم، فإنهما سيفترقان عند مواجهة سبل تحقيق هذه التطلعات وتكاليف بلوغها، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن هذا الفكر وفي العالم العربي تحديدا يعاني من الكثير من المآخذ التي تجعل المستهدفين غير قادرين على الإيمان به بشكل مطلق والإرتكان إليه في حل القضايا العالقة على غرار الصراع العربي الإسرائيلي مثلا. وهناك مجموعة من النقاط التي تبين ضعف التيار الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير التي استهدفها المشروع الأمريكي منذ 2004، وسيتم تناولها من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: تراجع الاهتمام الأمريكي بنشر الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط

المطلب الثاني: الطابع النخبوي للفكر الليبرالي وتصادمه مع القواعد الشعبية

### المطلب الأول: تغير ملامح السياسة الخارجية الأمريكية بعد جورج بوش الابن

لقد كانت الفترة التي تولى فيها الرئيس جورج بوش الابن حافلة بمفردات الديمقراطية، الحرية واستخدام القوة العسكرية لتحقيق المصالح الاستراتيجية الأمريكية، وهذا ما جعلها مرحلة مختلفة من تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. ونظرا لما تداعى عن نهج جورج بوش الابن تجاه منطقة الشرق الأوسط من خسائر للمنطقة وكذلك للولايات المتحدة الأمريكية نفسها والتي تزايدت الكراهية تجاهها لدى شعوب المنطقة، كان الجميع يتطلع إلى المرحلة اللاحقة وكيفية إدارة الوضع من طرف من سيتولى الرئاسة الأمريكية بعد ذلك، على أمل أن يكون هناك تغيير حقيقي يسمح للمنطقة بان تتجه بشعوبها نحو السلام والاستقرار. وكانت التساؤلات حول مصير تعزيز الديمقراطية الذي كان الشعار الذي التفت حوله التحركات الأمريكية في عهد جورج بوش الابن، وإلى أي مدى ستبقى الإدارة الأمريكية متمسكة بهذا الشعار وتتوجه نحو المنطقة بناء على وجود الديمقراطية من عدمها.

### الفرع الأول: التركيز على المصالح المشتركة بدل الديمقراطية في عهد الرئيس باراك أوباما

تضمنت تصريحات باراك أوباما Barack Obama رؤية مختلفة للسياسة الخارجية الأمريكية؛ بكونها قائمة على منح الأولوية للمصالح الأمنية المشتركة وعدم الانفراد في التصرف؛ حيث أبدى تفضيله للتعددية في العلاقات الدولية والعمل وفق مبدأ الشراكة وعدم الاعتماد فقط على القوة العسكرية، وعبر عن ذلك بقوله:

"يجب أن نتذكر بأن أجيالا سابقة واجهت النازية والشيوعية ليس فقط بالصواريخ والدبابات، وإنما بتحالفات قوية وقناعات ثابتة. لقد أدركوا أن ليس قوتنا وحدها هي التي تحمينا، كما أنها لا تخولنا أن نتصرف على هوانا"<sup>1</sup>.

وأعلن أوباما في خطابه الذي وجهه للعالم الإسلامي في القاهرة سنة 2009، بأن المصالح المشتركة والاحترام المتبادل هي التي ستحدد طريقة التعامل مع العالم الإسلامي. وفيما يتعلق بالديمقراطية، صرح بأنه:

<sup>1</sup> - فواز جرجس، أوباما والشرق الأوسط نهاية العصر الأمريكي؟، ترجمة: محمد شيا، بيروت: مركز دراسات الوحدة

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

"لا يمكن لأية دولة، ولا ينبغي على أية دولة أن تفرض نظاما للحكم على أية دولة أخرى. ومع ذلك، لن يقلل ذلك من التزامي تجاه الحكومات التي تعبر عن إرادة الشعب، حيث يتم التعبير عن هذا المبدأ في كل دولة وفقا لتقاليد شعبها. إن أمريكا لا تفترض أنها تعلم ما هو أفضل شيء بالنسبة للجميع،..غير أن جميع البشر يتطلعون إلى حرية التعبير والاختيار، العدالة والمساواة وتطبيق القانون في سبيل ذلك، وهذه ليست أفكارا أمريكية بل حقوقا إنسانية سندعمها...<sup>1</sup>."

واتضح من خلال هذا التصريح، بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستتخلى عن القوة العسكرية في تغيير الأنظمة السياسية في منطقة الشرق الأوسط، وبدا هذا كإعلان بأنها ستحترم خصوصية الشعوب انطلاقا من الاعتراف بان كل شعب يختلف عن الآخر وله ما يميزه، مع التأكيد على الدعم الأمريكي للقيم المشتركة التي تخدم الإنسانية والحقوق التي يجب أن يتمتع بها الإنسان أينما كان.

ومن هنا، بدا وكأن السياسة الخارجية الأمريكية ستتغير نحو الأفضل، إلا أن الأحداث بعد ذلك، بينت بأن ما حدث هو زيادة في التركيز على المصالح الأمريكية في مقابل تغير المقاربة المتعلقة بتعزيز الديمقراطية في المنطقة. لقد كان أوباما في الواقع، قليل التركيز على حكم القانون وحقوق الإنسان في السياسة الخارجية مقارنة بتركيزه على سياسات المصالح الوطنية؛ حيث توج اهتمامه نحو منطقة آسيا مبتعدا عن تداعيات الحربين في العراق وأفغانستان، مع اقتناعه بضرورة التحلل الأمريكي من الالتزامات وتحديد العسكرية في منطقة الشرق الأوسط<sup>2</sup>. وكان تقديم المساعدات والمشورة السياسية الطريقة الأفضل بالنسبة لأوباما فيما يخص إدارة عملية التحول الديمقراطي في المنطقة<sup>3</sup>.

وخلال الأحداث التي عرفها العالم العربي منذ بدايات سنة 2011، لم تكن لدى أوباما مقاربة تدخلية فيما يتعلق بنشر الديمقراطية، مؤكدا على وجود وسائل أخرى كدعم الديمقراطيات الهشة والمجتمع

<sup>1</sup> - "الرئيس أوباما يخاطب العالم الإسلامي من القاهرة (Arabic) (بتصرف)، في الموقع:

<https://www.youtube.com/watch?v=x0PlpI0Tvoc>

تاريخ الدخول: 2020/03/22 على الساعة 20:56

<sup>2</sup> - فواز جرجس، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 136-137

<sup>3</sup> - جوان كول، "السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط في الفترة الثانية لباراك أوباما"، سلسلة محاضرات الإمارات،

أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014، ص23

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

المدني، والحديث عن الحقوق العالمية وبان التنمية هي الكفيلة بتحقيق الكرامة. ويمكن إرجاع ذلك إلى عدم الرغبة في المخاطرة من جديد في منطقة تغيب فيها المعارضة التي يمكن الوثوق بها في ظل وجود حكام مألوفين لدى الإدارة الأمريكية وهو ما يعتبر أهون من التدخل وتحمل أعباء جديدة<sup>1</sup>.

ولم تكن توجهاته تجاه ترويج الديمقراطية واضحة ونشيطة، بل قرر عدم العمل على فرض أي نظام على أية دولة، ورغم تصريحاته التي عكست تفضيله الأنظمة الديمقراطية التي تعبر عن شعوبها، إلا أنه قرر بأنه من الأفضل أن تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على تعزيز حكم حلفائها والحفاظ على درجة قوتهم. ويأتي ذلك نتيجة إقرار مستشاريه باستحالة قيام نظام سياسي ديمقراطي في المنطقة وغياب بديل يكون أهلاً للثقة، مع اعتبارهم الحركات والجماعات الإسلامية مصدر تهديد للمصالح الأمريكية<sup>2</sup>.

وكانت مواقف الإدارة الأمريكية من الأحداث تتحدد وفق تقييم المصالح الوطنية الأمريكية واقعياً وليس بناء على إرادة نشر الديمقراطية؛ فرغم تبنيه لمقاربة إيجابية تجاه المحتجين في تونس ومصر، إلا أنه كان متردداً في الإعلان عن موقفه تجاه ما حدث في مصر، ولم يوجه أية انتقادات للبحرين رغم ما حدث بين النظام والمتظاهرين، ولم يتحدث عن النظام السعودي بسبب الأهمية الاستراتيجية للدولة السعودية، إضافة إلى تردده بشأن التدخل العسكري في سوريا وليبيا<sup>3</sup>.

إن هدف الترويج للديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط كان ذو بعدين في عهد الرئيس جورج بوش الابن؛ أحدهما راديكالي والآخر محافظ. ينطوي البعد الأول على الديمقراطية السياسية عبر التغيير العسكري للنظام إذا تطلب الأمر ذلك، واستهدف هذا المعارضين للنفوذ الأمريكي في المنطقة. وتم استخدام التمويل المالي المخصص في إطار مبادرة الشراكة الشرق أوسطية في دعم المنشقين والمعارضين في المنفى الذين يريدون الدعم الأمريكي لتغيير النظام في كل من سوريا وإيران. أما البعد الثاني، فتضمن التركيز على التحرر من الخوف والتحرر من الحاجة كعوامل تؤدي إلى مواجهة المشاكل

<sup>1</sup> - فواز جرجس، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 145-146

<sup>2</sup> - فواز جرجس، "أوباما والشرق الأوسط مقارنة بين الخطاب والسياسات"، دراسات استراتيجية، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد 154، 2014، ط2، 2014، ص-ص: 25-26

<sup>3</sup> - فواز جرجس، أوباما والشرق الأوسط نهاية العصر الأمريكي؟، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 149-159

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

التي تعاني منها المنطقة وارتبط ذلك بالإصلاحات التعليمية وتمكين النساء والشعوب فيها، وهذا مع الحفاظ على الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية التي تتمتع بها الأنظمة الحليفة<sup>1</sup>.

إلا أن أوباما بعد توليه الرئاسة، ارتأى تغيير الجانب الراديكالي من أجندة جورج بوش الابن، واستبدالها بمقاربة أكثر براغماتية وانفتاحا، وبدا تعزيز الديمقراطية مجرد أمل في ظل الحديث عن التنمية والدفاع. كما عمل على توسيع الجانب المحافظ من خلال التركيز على الكرامة والتنمية بدل تعزيز الديمقراطية كوسيلة أفضل لاحتواء التنظيمات الإسلامية. وعند تصاعد الاحتجاجات في المنطقة، اعتبر بأنها نتيجة عدم احترام كرامة الإنسان وعدم قدرة شعوب المنطقة على تقرير مصيرها سياسيا واقتصاديا. غير أنه أعلن احترامه للالتزامات التي تربط الإدارة الأمريكية بحلفائها وأصدقائها رغم ما تمثله تلك الاحتجاجات من تحدي للمصالح الأمريكية الجوهرية، وفي نفس الوقت التأكيد على حاجة المنطقة للانفتاح الاقتصادي ومزيد من التجارة والاستثمارات. وبذلك، يمكن القول بأن أوباما لم يأت بجديد فيما يتعلق باستراتيجية أكثر فعالية لتشجيع الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط. ولم يشهد عهده تغيرا عميقا في السياسة الأمريكية الخاصة بتعزيز الديمقراطية، وكل ما حدث هو إعطاء الأولوية للاستقرار والمصالح الحيوية الأمريكية<sup>2</sup>.

### الفرع الثاني: التعامل وفق منطق الصفقة في عهد دونالد ترامب

فاز دونالد ترامب Donald Trump برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2016، وشهدت ملامح السياسة الخارجية الأمريكية تغيرات واضحة وملفتة؛ والتغيير هذا لم يكن على مستوى الأهداف أو ما تم اعتباره لزم من مصالح استراتيجية حيوية، بل كان على مستوى كيفية التعامل مع قضايا منطقة الشرق الأوسط؛ إذ كانت لدى ترام طريقة ملفتة وأثارت الجدل حول ما إذا كان هو شخصا مختلفا أم أنه لم يرق سوى بالتعبير الصريح عن الإرادة الأمريكية الحقيقية.

<sup>1</sup> - OZ Hassan, « American Democracy Promotion and the 'Arab Spring' », IDEAS reports, Kitchen, Nicholas (ed.) SR009 ? LES IDEAS, London School of Economics and Political Science, London, UK, 2012, p46

<sup>2</sup> - Ibid, p-p : 47-49

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

### أ- استبدال تشجيع الديمقراطية بمكافحة التطرف

إن ما ميز التوجهات الأمريكية تجاه المنطقة في عهد ترامب هو تراجع مصطلح الديمقراطية أو تشجيع الديمقراطية في المنطقة لصالح مفهوم آخر وهو مكافحة التطرف واحتواء مصدره المتمثل بالنسبة لها في الإسلام السياسي. اعتبر ترامب بان من الضروري أن يكون هناك تعاون مع الحلفاء سواء لتحجيم الإرهاب في المنطقة أو منعه من الامتداد إلى الداخل الأمريكي مؤكدا على منح الأهمية للتركيز على سياسات الهجرة والمهاجرين في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>1</sup>.

وفيما يتعلق بالتغيير في الأنظمة السياسية، فإن ترامب ليس ممن يفضلون أن يكون هذا التغيير جذريا لأن القيام بذلك لم يسبب سوى الفوضى؛ فالأهم لديه هو الاستقرار ووجود أنظمة حكم قوية والحفاظ على الحلفاء الاستراتيجيين بغض النظر عن درجة ديمقراطية أنظمتهم السياسية<sup>2</sup>.

### ب- تحمل الحلفاء لأعباء الحماية الأمريكية

لقد شكل مبدأ "أمريكا أولا" ووجود "المقابل" في أي تعامل العنوان الرئيسي لتوجهات ترامب حيال الخارج بما فيه منطقة الشرق الأوسط؛ حيث أعلن عدم استعداد الولايات المتحدة الأمريكية لتوفير الحماية لأية دولة أخرى دون مقابل، وبأن المصالح الأمريكية هي التي ستحدد السياسة الخارجية قبل أي شيء آخر. وبالتالي، فإنه لا يؤمن بإمكانية استخدام القوات الأمريكية في التدخل الإنساني والذي لا يعتبر بالنسبة له دافعا للتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وبأنها المصالح الأمريكية فقط هي التي يمكن القيام بذلك في سبيلها. وبناء عليه، أصبحت المنافع الاقتصادية فقط والعقلانية هي وحدها التي تحدد حجم الانخراط الأمريكي في قضايا العالم بما فيها قضايا الشرق الأوسط. وبذلك، يكون منطق الصفقة وليس المصالح الاستراتيجية المشتركة كأساس للتوجهات الأمريكية خارجيا في عهده<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - يمني سليمان، "توجهات السياسة الخارجية عند دونالد ترامب"، تقدير موقف، مصر: المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 21 ماي 2016، ص-ص: 6-7

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص-ص: 7-8

<sup>3</sup> - محمد بوبوش، "قضايا العرب والشرق الأوسط في ظل السياسة الخارجية الأمريكية"، المستقبل العربي، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 40، العدد 462، 31 أوت 2017، ص-ص: 14-15

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

ولكن أهداف السياسة الخارجية الأمريكية لم تتغير، وتعد تلك المتوجهة نحو منطقة الشرق الأوسط أحد مظاهر الاستمرار بفعل تعدد المصالح الأمريكية فيها. غير أن ترامب لم يستغن عن استخدام القوة العسكرية في مكافحة ما تسميه الولايات المتحدة الأمريكية إرهابا وعن سياسة العقوبات للضغط كما فعل مع إيران. وهو أكثر ميلا لوضعية الاستقرار وتشددا في التعامل مع التيارات الإسلامية عكس المواقف التي تبناها أوباما والذي يرى ترامب بأنه كان مثاليا وليس واقعيًا، وبأن من الضروري أن تسمو المصالح على القيم والمبادئ<sup>1</sup>.

اعتبر دونالد ترامب أن ضعف الولايات المتحدة الأمريكية اقتصاديا أدى إلى ضعفها عسكريًا، ونتج عن العجز في تجارتها مع الدول الأخرى، ولذلك أصبح يعمل على التخفيف من حدة هذا العجز وطالب دولا معينة بدفع اشتراكاتها في التحالفات العسكرية. كما طالب بعدم الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية التي رأى بأنها تبرم اتفاقيات مهينة لها ولا تلبى مصالحها على غرار الاتفاق النووي مع إيران<sup>2</sup>، الانسحاب من اتفاقية باريس للمناخ، وذلك في إطار سعيه إلى فصل الولايات المتحدة الأمريكية عن النظام الدولي الذي تأسس عقب الحرب العالمية الثانية والذي تسبب -من وجهة نظره- في تهميش الشعب الأمريكي والإساءة إلى سمعة الولايات المتحدة الأمريكية، إذ قرر منذ توليه للرئاسة عدم الالتزام بأي اتفاق مضر بالمصالح الأمريكية لمجرد أنه يتم لصالح دول أخرى، معلنا عن أن أول ما سيؤخذ بعين الاعتبار هو رفاة المواطنين الأمريكيين<sup>3</sup>.

بعبارة أخرى، أصبحت كل دولة تحتاج إلى الحماية الأمريكية مطالبة بتحمل التكاليف في عهد دونالد ترامب؛ سواء كانت حماية من الصين بالنسبة لدول شرق آسيا أين يتواجد الأسطول السابع، أو من روسيا بالنسبة لأوروبا أين توفر الولايات المتحدة الأمريكية مظلة نووية، أو من إيران بالنسبة لدول

<sup>1</sup> - علي موسى الددا، "إدارة ترامب للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط"، المستقبل العربي، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 41، العدد 477، 30 نوفمبر 2018، ص 126

<sup>2</sup> - David Schultz, « American Foreign Policy in the Age of Donald Trump », Lithuanian Annual Strategic Review, Military Academy of Lithuania, Vol 17, 2019, Lithuanian Annual Strategic Review, Military Academy of Lithuania, Vol 17, 2019, p29

<sup>3</sup> - Michael Clarke, Anthony Ricketts, « Donald Trump and American Foreign Policy : the Return of the Jacksonian Tradition », Comparative Strategy, 36 :04, August 2017, p-p : 374-375.

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الخليج أين يتواجد الأسطول السادس. وبالتالي، أصبح مفروضاً عليها تحمل أعباء الوجود العسكري الأمريكي أو أعباء الدفاع عن نفسها إذا رفضت ذلك<sup>1</sup>.

### ج- احتواء إيران

إن أول زيارة خارجية رسمية قام بها دونالد ترامب كانت إلى المملكة العربية السعودية<sup>2</sup>، وتميزت العلاقات بين الطرفين منذ 2017 باستمرار مبيعات الأسلحة الأمريكية، التعاون الأمني بشأن اليمن. كما أنهما يتفقان حول ضرورة مواجهة التهديد الإيراني والتنظيمات الإرهابية على رأسها القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية المعروف باسم "داعش"<sup>3</sup>. وفي ماي 2019، تلقى الكونغرس الأمريكي 22 إشعاراً بالبيع الطارئ للأسلحة لتعزيز القدرة الدفاعية لكل من المملكة العربية السعودية (بلغت القيمة المحتملة الخاصة بها 8 بليون دولار) والإمارات العربية المتحدة لمواجهة ما أسماه وزير الخارجية الأمريكي آنذاك مايك بومبيو Mike Pompeo بالمغامرات الإيرانية في منطقة الخليج<sup>4</sup>.

وبفعل التغييرات التي عرفتها منطقة الشرق الأوسط أصبحت إيران خطراً مشتركاً بين بعض الدول الخليجية وإسرائيل، ما أدى إلى تقارب هو الأول من نوعه بينهما. كانت دول الخليج تتوقع تراجع النفوذ الإيراني من خلال الضغط عليها في كل من سوريا واليمن، ولكن زاد وزنها الإقليمي وتمكنت من إبرام الاتفاق النووي مع الولايات المتحدة الأمريكية في عهد باراك أوباما. وعندما صرح الرئيس دونالد ترامب بعدائه الشديد لإيران، سعت المملكة العربية السعودية إلى تجديد علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية في ظل توافق أهدافهما بشأن تحجيم قوة إيران من جهة، ورغبة المملكة في لعب دور إقليمي أكبر، ولذلك تعمل على الترويج لنفسها كقوة معتدلة. وتسعى الدول الخليجية عموماً إلى تأكيد ذاتها مستفيدة من

<sup>1</sup> - مروان قبلان، "أطروحات إدارة ترامب ونظام ما بعد الحرب العالمية الثانية: انقلاب في السياسة الخارجية أم نسخة باهتة من الجاكسونية"، سياسات عربية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 24، يناير 2017،

ص-ص: 105-106

<sup>2</sup>- Lisa Watanabe, Jack Thompson, Trump's Middle East Policy », *CSS Analyses in Security Policy*, No 233, October 2018, p-p : 1-2

<sup>3</sup> - Christopher M. Blanchard, « Saudi Arabia : Background and US Relations », *CRS Report Prepared for members and Committees of Congress*, Congressional Research Service, RL 33533, february 18, 2020, p1

<sup>4</sup>- Kenneth Katzman, Kathleen J. McInnis, Clayton Thomas, US-Iran Conflict and Implications for US Policy, *CRS Report Prepared for members and Committees of Congress*, Congressional Research Service, R 45795, may 8, 2020, p2



## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

أحداث "الربيع العربي" وثوراتها المالية لتعزيز نفوذها، فيما بدا كمحاولة لتقديم تعريف جديد لدورها في المنطقة ومكانتها في مدرجات صناع القرار على مستوى الدول الكبرى<sup>1</sup>.

### د-ضمان أمن الكيان الصهيوني واستقرار أنظمة الحكم

لقد شكل احتواء إيران هدفا مشتركا بين كل من المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية المتحدة، مصر ما بعد 2013، البحرين وكذلك إسرائيل فيما بدا كمحاولة للهيمنة على توازن القوى الإقليمي المضاد للثورة في مواجهة التحالفات الجديدة التي برزت فيها كل من تركيا وقطر. حيث يتم العمل على الحفاظ على الوضع الراهن والحيلولة دون اكتساب إيران للمزيد من الحلفاء والوكلاء. وهو ما يسمح لأنظمة الحكم بالاستمرار ومواجهة المعارضة؛ حيث تشكل المطالبة بالتغيير وتطبيق الليبرالية السياسية إلى تحدي شرعية الأنظمة وبالتالي تهديد بقائها. ولا يختلف الأمر بالنسبة لإسرائيل؛ حيث تعتبر اتفاقيات التطبيع في غياب الفلسطينيين ودون أي تغيير في المواقف الإسرائيلية تجاههم، انتصارا سياسيا لبنيامين نتانياهو الذي يواجه داخليا اتهامات بالفساد ومطالبة بالاستقالة<sup>2</sup>.

وتندرج هذه السياسة ضمن ما يسمى بعقيدة التلافي والتي تتطوي على تجاوز الفلسطينيين لدفعهم إلى إعادة النظر في مواقفهم وسياساتهم من خلال إقامة علاقات تعاون مع قوى إقليمية ودولية لها وزنها، ما يسمح في النهاية بالضغط على الفلسطينيين ووضع حد لمطالبهم حسب الشروط الإسرائيلية<sup>3</sup>. وكان التطبيع إحدى الوسائل التي كانت ستدعم دونالد ترامب في سياسته الداخلية؛ حيث كان يراهن على إعادة انتخابه لعهد رئاسية ثانية<sup>4</sup>، إلا أن ذلك لم يحدث بفعل أحداث داخلية كالعنصرية.

<sup>1</sup> - كزار أنور البديري، "التطبيع مع إسرائيل: خط الرمال الذي ترسمه دول الخليج في الشرق الأوسط"، في الموقع: [https://www.researchgate.net/publication/340176053\\_alttby\\_m\\_asrayyl\\_kht\\_alrmal\\_aldhy\\_trsmh\\_dwl\\_alkhl\\_yi\\_fy\\_alshrq\\_alawst/link/5e7c9c1692851caef49e0057/download](https://www.researchgate.net/publication/340176053_alttby_m_asrayyl_kht_alrmal_aldhy_trsmh_dwl_alkhl_yi_fy_alshrq_alawst/link/5e7c9c1692851caef49e0057/download)

تاريخ الدخول : 2020/10/30 على الساعة 23:30

<sup>2</sup> - Jonathan Hoffman, « Why Gulf Nations are normalizing ties with Israel », <https://www.washingtonpost.com/politics/2020/09/24/why-gulf-nations-are-normalizing-ties-with-israel/> 31/10/2020 3 :02

<sup>3</sup> - إيهود يعاري، "المسار ما بعد التطبيع الإماراتي الإسرائيلي"، في الموقع: <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-road-beyond-uae-israel-normalization>

تاريخ الدخول: 2020/10/29 على الساعة 23:00

<sup>4</sup> - Muhittin Ataman, « UAE and Israel : Normalization or Formalization ? »,

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

إن التطبيع مع إسرائيل قد يتحقق مع بعض الدول، ولكنه لن يكون كذلك مع الشعوب العربية التي مازالت تعتبرها دولة احتلال ولا يمكن إنشاء علاقات طبيعية معها دون الانسحاب من الأراضي المحتلة والتوقف عن الاعتداء على الشعب الفلسطيني<sup>1</sup>. وهو ما تبين من خلال ردود الأفعال؛ في البحرين عبرت مؤسسات المجتمع المدني من خلال بيان مشترك عن رفضها للتطبيع ومطالبة الحكومة البحرينية بعدم التخلي عن مواقفها السابقة تجاه إسرائيل. وفي الكويت، دعا برلمانيون الحكومة الكويتية إلى تأكيد موقفها الرفض للتطبيع والداعم للفلسطينيين. وفي سلطنة عمان، أكد المفتي العام على أن تحرير الأقصى وما حوله واجب مقدس وطالب مجموعة من المنقذين الحكومة باحترام إرادة شعبها. كما دعت حركة مقاطعة إسرائيل BDS إلى رفض التطبيع مع إسرائيل ودعت إلى تكوين توجه خليجي موحد تجاه الموضوع. وتلقت الحكومة الإماراتية انتقادات من طرف محامين وناشطين ورجال أعمال، كما تصدر وسم "سعوديون ضد التطبيع" المراتب الأولى على موقع تويتر<sup>2</sup>.

---

<https://www.dailysabah.com/opinion/columns/uae-and-israel-normalization-or-formalization>

30/10/2020 20 :00

<sup>1</sup> - Ibid

<sup>2</sup> - Ilham Fakhro, « An Open Affair : As the UAE and Israel Normalize Ties, Gulf Actors Respond », <https://www.crisisgroup.org/middle-east-north-africa/open-affair-uae-and-israel-normalize-ties-gulf-actors-respond>

31/10/2020 20 :00

### المطلب الثاني: الطابع النخبوي للفكر الليبرالي وتصادمه مع القواعد الشعبية

إن فحص الفكر الليبرالي وما يقتضيه ذلك من الاطلاع على تاريخه وكيفية انتشاره من مكان إلى آخر، إلى جانب مقارنة مضمونه بتطلعات شعوب المنطقة، يؤدي إلى الكشف عن العديد من المآخذ التي تجعل من الصعب عليه أن يحقق الاندماج في هذه المجتمعات على المستوى الفكري ناهيك عن المستوى العملي؛ بالشكل الذي يمكن أن تصبح معه منهجا متبعا أو معيارا يتم من خلاله تحديد السياسات والاستراتيجيات سواء الوطنية أو الخارجية. إن وجود الفكر الليبرالي في المنطقة ليس وليد سنوات الألفين، وإنما يرجع إلى ما قبل، ويمكن لهذه الحقيقة أن توضح الأسباب التي تجعل الاندماج صعبا، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإن الأفكار التي يتضمنها، والتي سبق الذكر بأنها تتقاطع مع تطلعات شعوب المنطقة من حيث رغبتهم الشديدة في الحرية وازدهار أوطانهم، إلا أنها تتصادم مع هذه التطلعات عندما يتعلق الأمر بعدد من القضايا التي تعتبر محور اهتمام العالمين العربي والإسلامي.

### الفرع الأول: الطابع النخبوي للفكر الليبرالي وغربته في المجتمعات العربية والإسلامية

في هذا الجانب تجدر الإشارة إلى مجموعة من النقاط الأساسية:

أولا: تقول تامارا كوفمان ويتس Tamara Cofman Wittes وهي زميلة أولى في مركز سياسات الشرق الأوسط بمعهد بروكنجز بأن الليبرالية لم تكن يوما تيارا شعبيا، هي ليست إيديولوجية شعبية، وهي في كل مجتمع نخبة صغيرة منعزلة عن القواعد<sup>1</sup>. وهو رأي يجد صوابه عند تتبع تاريخ نشأة الليبرالية. إن الفكر الليبرالي أوروبي المنشأ، وعندما نشأ في المجتمعات الغربية فإنه كانت هناك ظروف اجتماعية ساعدت على الترويج له، فكان نتاج المبادرة الفردية والاجتهاد العملي. وبالتالي ساعد السياق الاجتماعي الذي نما فيه هذا الفكر على بقاءه وأيضا على أن يكون مقبولا وبشكل دائم في تلك المجتمعات<sup>2</sup>. وهو الأمر الذي يغيب في المجتمعات العربية والإسلامية، أي غياب القبول بفكر يعتبر غريبا وتجد حرجا في اعتناق مبادئه وانتهاج أية سياسة قائمة على تلك المبادئ؛ إذا غالبا ما تعرف هذه المجتمعات جدلا حادا عند صدور أية سياسة يُشتبه في وجود علاقة بينها وبين هذا الفكر.

<sup>1</sup> - Tamara Cofman Wittes, « Arab Liberalism and Democracy in the Middle East », Op.Cit, p26

<sup>2</sup> - حازم قنديل، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 171-172

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

وفي نفس سياق النشأة، وبحكم أنه نتج عن ظروف اقتصادية واجتماعية وعن تجربة حضارية معينة، يظهر التيار الليبرالي وكأنه مرتبط بالحضارة الغربية والإيديولوجية التي تعمل وفقها الدول الغربية الصناعية. وهنا تجدر الإشارة في المقابل، إلى الطريقة التي وصل بها هذا الفكر إلى المنطقة العربية؛ حيث يتبين أمران: الأول هو إما كان يأتي بفعل الاحتكاك الحضاري أو بفعل الغزو الثقافي، والثاني هو أن ذلك الاحتكاك الحضاري وعمليات الترجمة التي كانت تتم من لغة إلى أخرى أدت إلى أن يكون هذا الفكر مرتبطا بالطبقة التي استطاعت أن تتعلم اللغات الأجنبية وأن تحصل على درجة فيها أو استفادت من فرص السفر إلى الدول الغربية أو الاحتكاك بمؤسساتها، وهذا ما جعل هذا الفكر يبدو وكأنه فكر "الخاصة" وليس "العامة"، وحتى الشعارات والأفكار التي ينادي بها تبدو غريبة عن عامة الشعب من حيث ثقافتهم وتوجهاتهم. إذن، يعبر هذا الطابع النخبوي عن إحدى الأزمات العميقة التي يعاني منها الفكر الليبرالي، والدليل على ذلك هو عدم وجود تعاطي ايجابي معه على المستوى الشعبي<sup>1</sup>.

إن طبيعة المنظومة الثقافية في هذه المجتمعات لا تؤثر فقط على مدى قبول أفكار جديدة، وإنما تؤثر حتى على مدى تماسك مؤيديها فيما بينهم؛ وهنا ترى أستاذة العلوم السياسية بجامعة القاهرة ناهد عزالدين بأن هذه المنظومة تتسم بطغيان قيمة الأشخاص والعائلات على حساب قيمة العمل الجمعي والتنظيمي، حيث هناك تناقض بين الخطاب والسلوك الفعلي. أضف إلى ذلك صفة "الشخصنة" حيث لا يتم التعامل مع أي موضوع بموضوعية أو حيادية يقتضيها العمل الفكري أو السياسي؛ وهو ما يلاحظ سواء على المستوى السياسي أين تسيطر العصبية العائلية أو القبلية أو الفردانية على العملية السياسية، أو على المستوى الاقتصادي أين تكون الشركات والمشاريع الكبرى ملكا لفرد أو لعائلة. وأدى ذلك إلى غياب تعبير واضح المعالم عن التيار كالانتظام في إطار حزب سياسي ذو ثقل في الخريطة السياسية أو مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني تعمل على وضع قضايا فكرية على الأجندة السياسية والاجتماعية. ولذلك فإن ما هو موجود كإنتاج فكري يسمح بالدراسة والتحليل يقتصر على عدد من المقالات أو المؤلفات التي تصدر عن المثقفين أو الإعلاميين أو أساتذة الجامعات؛ فهي وحدها التي تسمح باقتفاء أثر القنوات الليبرالية من خلال لغة الخطاب المستخدمة والمواضيع التي يهتمون بها. إذن

<sup>1</sup> - محمد صالح المسفر، مرجع سابق ذكره، ص-ص : 378-379

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

هناك انفصام وتشتت لهذا التيار لا يسمح بالقول بأنه تيار متماسك له كيان قوي يتحدث باسمه ويدافع عنه بقوة وصلابة<sup>1</sup>.

ثالثاً: أن الفكر الليبرالي ذو علاقة مهمة بالنسبة له مع الدولة، وبعبارة أخرى، هو فكر لا يملك القدرة على أن يواجه الدولة، وهذا يعني أنه لن يستطيع تحقيق طموحاته بمعزل عنها. إذن في الواقع، هو يبحث أصلاً عن الحفاظ على علاقته بها. ويتضح هذا من خلال تاريخ علاقته بها وما قامت به أنظمة الحكم تجاهه. ويتبين ذلك على سبيل المثال بمعرفة تطور الرأسماليين العرب ورجال الأعمال الذي تطوروا برعاية أنظمة الحكم، فكان طبيعياً أن يكونوا مؤيدين لحكام الدولة في سياساتها حول الانفتاح الاقتصادي في فترة ما بعد القومية وتفضيل عدم التصادم معها بشأن الديمقراطية والحريات. ثم بعد ذلك أصبح جل ما يتم التركيز عليه هو تشجيع عقلية السوق والإشادة بدور رأسمالية السوق وتحرير التجارة العالمية في تحقيق الازدهار الذي عجزت عن بلوغه الدول اعتماداً على الصناعة الوطنية. وحتى خلال فترة القومية، كان من الصعب على الليبراليين أن يعبروا عن أنفسهم ناهيك عن طرح سياسات بناء على أفكارهم؛ إذ تمكنت أنظمة الحكم عبر ظهورها بمظهر علماني من أن تحرم الليبراليين من التميز عن غيرهم بشأن القضية التي اتخذوها أساساً في دعواتهم وهي قضية العلمانية أو فصل الدين عن الحياة العامة واعتبار حدود تواجده وتأثيره ضمن نطاق الحياة الخاصة فقط<sup>2</sup>.

### الفرع الثاني: التناقض بين الأهداف المرجوة والوسائل المفضلة

أولاً: إن التيار الليبرالي وإن كان قد توافق مع الأنظمة السياسية العربية في فترة الانفتاح الاقتصادي نظراً لحاجة هذه الأخيرة لمن يساعدها في الترويج للمنطق الفكري الذي قامت عليه سياسات الانفتاح، ونظراً لحاجة هذا التيار للتواجد، إلا أنه وبعد تغير البيئة الدولية وتزايد الدعوة إلى تغيير أنظمة الحكم وما تلا من مطالبات داخلية بالإصلاح، فإن هذا التيار لم يكف عن مهاجمة الدولة والمطالبة بما تخلى عن المطالبة به في فترات تاريخية سابقة لصالح التحرير الاقتصادي وهو الإصلاح السياسي واحترام الحريات.

<sup>1</sup> - ناهد عزالدين، "التيار الليبرالي العربي وحقوق الإنسان"، ندوة حقوق الإنسان في الخطاب السياسي والحقوق المعاصر في الدول العربية، قطر: اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان، 11-12/05/2008.

<sup>2</sup> - حازم قنديل، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 171-172.

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

ولكن، يعبر هذا التغيير عن التناقض الذي يعترى التوجه الليبرالي على مستوى الخطاب تحديداً. فإذا تم الرجوع إلى التاريخ في هذه النقطة أيضاً، فإن ذلك يبين بأن هذا التيار يهاجم الدول وهي نفسها التي سمحت له بالصعود، فهي التي وفرت له الحماية والرعاية. فالدولة هذه هي التي كانت ترسل البعثات إلى الخارج وكانت توفر الدعم لذوي التفكير الجديد وكذلك رحبت بمن ساعدوها في مواقفها في شؤون السياسة الخارجية (مصر في عهد محمد علي مثلاً وفي مرحلة الانفتاح أيضاً). إذن هناك تناقض عندما يدعو هذا التيار إلى عدم تدخل الدولة في الاقتصاد وإلى تعديل أنظمة الحكم دستورياً، في الوقت الذي كان هو من المستفيدين من هذه الدولة التي قدمت له الدعم سواء في مسيرته الدراسية أو الفكرية<sup>1</sup>.

إضافة إلى ذلك، يعاني هذا التيار من غياب فهم حقيقي لمنظومة العملية السياسية في الدول العربية بشكل عام، وما يثبت ذلك هو جهله لتداعيات وجود إصلاح ديمقراطي حقيقي على نفسه؛ فهو يعتقد بأن التطبيق الفعلي للديمقراطية في العالم العربي سيؤدي إلى تجاهل ما تعتبره الدول العربية مصالح وطنية عليا أو تتبع سياسات تتجاهل فيها العروبة والمصالح القومية العليا. والحقيقة هي أن الأفكار التي دعا إليها الليبراليون العرب وطمحوها إلى أن تصبح هي الأفكار السائدة، لن تجد فرصة لذلك في ظل نظام حكم ديمقراطي فعلي في هذه الدول، حيث أن النظام الديمقراطي الحقيقي في الدولة العربية يعني النظام الوطني ويعني أيضاً النظام الذي يحمي الانسجام بين المصلحة الوطنية والمصلحة القومية العليا. ولذلك، لا يمكن الجزم بأن هذا التيار سيتمكن يوماً ما من اكتساب قاعدة عريضة من المؤيدين في المجتمعات العربية<sup>2</sup>.

ثانياً: إن مطالبة هذا التيار بالتدخل الغربي وما يثار حول نشاطه بدعم من الدول الغربية، يؤدي إلى ظهور تناقض آخر يتجلى في تجاهل هذا التيار لواقع مسؤولية الغرب عن عجز الدول العربية والإسلامية عن تحقيق التطور، وبذلك فإن ما يقوم به الليبراليون العرب في هذا الصدد هو طلب المساعدة من أطراف عملوا على عرقلة التنمية في العالم العربي والإسلامي. وهذا ما يجعل الجماهير العربية تشك في المشاريع الخارجية لا سيما وأن هذا التيار الذي لا يملك حضوراً سياسياً ولا تمثيلاً معتبراً يدافع عن النموذج الغربي في الديمقراطية، وهو نموذج يأتي من مصدر تحمل عنه الشعوب العربية والإسلامية

<sup>1</sup> - محمد صالح المسفر، مرجع سبق ذكره، ص 388

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 390

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

فكرة سيئة وهو مصدر أعاق جميع محاولاتهم في حل قضاياهم الأساسية. كما تدرك هذه الجماهير بأن الترويج للديمقراطية من طرف القوى الكبرى يكون حسب ما يعود عليهم من مكاسب وإذا توافق ذلك مع المصالح الاقتصادية وليست الديمقراطية هدفا في حد ذاتها. وهذا ما يجعل هذا التيار متأرجحا بين الدول الغربية والدول العربية بسبب المساومات التي يتعرض لها<sup>1</sup>.

هناك وجه آخر للتناقض الذي يعتري هذا التيار ويتمثل في كونه يدعو إلى أفكار هو في حد ذاته مقتنع بأنها تتصادم مع القيم والثقافة العربية، وبأن هذه الأخيرة ترفض تلك الأفكار، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، يرفض الليبراليون تحمل المسؤولية عن التهميش الذي يطال تيارهم، وعن كونهم غير قادرين على تحقيق تواصل فعال مع السياق المجتمعي الذي ينشطون فيه، ويعتبرون بأنهم ضحية وبأن التيار الإسلامي هو السبب في هذه الوضعية. هم لا يعترفون بأنهم غائبون عن الواقع المعاش، حيث لا تعلق أصواتهم إلا خلال الأزمات ليكون الاختفاء بعد ذلك إلى حين التعرض لأزمة أخرى. لم يجتهد في خلق ما يسمح له بالتواجد المستمر من خلال التفاعل مع الجماهير ومع انشغالاتهم وقضاياهم المصيرية منها على وجه التحديد ولا من خلال إبراز نفسه ككتيار قادر على التحاور بحجج قوية أمام التيارات الأخرى<sup>2</sup>.

فضلا عن ذلك، على الرغم من الخطاب الليبرالي الذي يجعل من عناصره بمظهر المعارضين السياسيين بسبب دفاعهم عن الديمقراطية وحقوق الإنسان، إلا أن الواقع يبين العكس؛ حيث<sup>3</sup>:

أولا: تطبيق سياسات الانفتاح الاقتصادي في الدول العربية ليس نتاجا لنضال ليبرالي تمخض عن مطلب اجتماعي يهدف إلى ذلك، بل كان كرد فعل على فشل النموذج الاشتراكي من ناحية، والضغط الدولية من ناحية أخرى، والدولة هي التي قررت ذلك. ولكن بفعل تناسب أفكار الانفتاح مع أفكارهم فإنهم برزوا كمسؤولين فيما بعد عن التداعيات السلبية التي خلفها هذه الانفتاح على الصعيد الاجتماعي. ويعود ذلك لكونهم قدموا مبررات تلك السياسات وللتعددية الحزبية على الصعيد السياسي فيما بعد خدمة لقرار الدولة بتقليص دورها. كما أن هذا الانفتاح لم يكن مصحوبا بقاعدة اجتماعية صلبة

<sup>1</sup> - محمد صالح المسفر، مرجع سابق ذكره، ص ص 389-390

<sup>2</sup> - ناهد عزالدين، مرجع سبق ذكره.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه.

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

تدعم الليبرالية بشكل يسمح بتحريك الأوضاع الاجتماعية والثقافية، فما حدث هو ركود على هذا المستوى الذي يشكل العنصر الفكري لنجاح ذلك التحول. هذا الأخير الذي لم يكن كما تنص عليه الليبرالية، بل في حقيقة الأمر أبقّت الدولة على تحكّمها في وتيرة التحول وتحديد القائمين عليه، وبالتالي، يمكن القول بأن التيار الليبرالي يفتقر إلى القدرة الفعلية والحقيقية على مواجهة الدولة التي يعتبرها أقوى منه وقادرة على قمعه في الوقت الذي لا يملك فيه هو الاستعداد لتحمل تكلفة ذلك.

ثانياً: من بين القضايا التي تفسر تلك العلاقة بين التيار الليبرالي والنظام الحاكم، هو تصاعد التيار الإسلامي الذي يجمعهما كليهما علاقة صراع معه؛ إذ فضل الليبراليون الاصطفاف إلى جانب السلطة عبر التأييد والتضامن والتوافق مع الدولة في اعتبار التيار الإسلامي خطراً تجب مواجهته حتى وإن تطلب الأمر تجاوز القيم الليبرالية بشأن احترام حقوق الإنسان، وتجلّى ذلك إما عبر التحريض أو الصمت في وجه ما تعرض له التيار الإسلامي. ويمكن تفسير ذلك بالهواجس التي تستبد بالليبراليين حول احتمال انقلاب التيارات الإسلامية على القيم الديمقراطية بمجرد وصولها إلى السلطة. وهو تناقض وقصور ذاتي يبين بأن هناك مشكلة حقيقية تعترى هذا الفكر بخصوص مدى ثقته بذاته وبمضمونه أصلاً.

### الفرع الثالث: عجز الليبراليين العرب عن تقديم الحلول واتخاذ مواقف حاسمة

هناك عدد من القضايا الجوهرية في العالم العربي، غالباً ما تبين بأن التيار الليبرالي يعجز عن مواجهتها وتقديم حلول لها أو اتخاذ مواقف حاسمة بشأنها، حيث تؤدي تصريحات المتحدثين باسمه والمعتنقين لأفكاره دائماً إلى إثارة الجدل وتلقي هجوم قوي من المعارضين لهذه الأفكار، على غرار موضوع حقوق المرأة والمساواة، النظام السياسي القائم، الإسلام، التدخل الأجنبي والعلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وغيرها من المواضيع الشائكة. وفي الواقع، يعيش الليبراليون مأزقاً حاداً عندما يكون عليهم اتخاذ أي موقف تجاه إحدى القضايا المذكورة.

ويرجع ذلك حسب Barry Rubin الكاتب المهتم بقضايا الإرهاب وشؤون الشرق الأوسط إلى قوة الأنظمة السياسية التي تملك القدرة على التكيف ومهارة البقاء في السلطة، وذلك بفعل قدرتها على اكتساب المؤيدين بشكل متزايد وتشويه المنقّدين وتخويفهم وحتى التضحية بهم. ويجد الليبراليون أنفسهم



## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

أمام معضلة حقيقية عند مواجهة المطالبة بتقديم أي تفسير أو بديل لحل المشاكل الموجودة، وهنا يوضح Barry Rubin ذلك من خلال المؤشرات التالية<sup>1</sup>:

أولاً: عندما يقول النظام الحاكم بأن السياسات التي يتبناها وعجزه عن حل المشاكل التي تعترضه، هو رد فعل أو نتيجة لما تقوم به الحركة الصهيونية ونتيجة من نتائج الإمبريالية، هنا، إذا كان على الليبرالي أن يوضح موقفه، فإنه سيجد نفسه أمام خيارات لا تخدم مصداقيته وذلك إذا تبنى أحد الخيارات التالية:

1- القول بأن هذا النظام دكتاتوري وغير كفاء، يجب اتخاذ استراتيجية مضادة له

وإسقاطه وتطبيق الديمقراطية.

2- القول بأن هذا النظام على حق، وبالفعل الصهيونية والامبريالية هما المسؤولتان عما

يحدث من مشاكل، ولكن الأساليب التي تنتهجها في مواجهة ذلك هي أساليب غير فعالة، ولذلك يجب أن يكون هناك إصلاحات حقيقية ثم يتم بعد ذلك الانتقال إلى مواجهة هؤلاء الأعداء.

3- القول بإمكانية عدم تغيير النظام السياسي والقيام مع ذلك بإصلاحات تمكن النظام القائم

من القيام بأداء أفضل.

4- اختيار التحالف مع النظام القائم وتكوين جبهة مضادة للإسلاميين والراديكاليين.

وإذا اختار الليبراليون الخيار الأول، فإنهم سيتعرضون للقمع والتجاهل والإدانة من قبل الجماهير. أما إذا اختاروا الخيار الثاني فإنهم لن يكونوا مختلفين في منهجهم عن الإسلاميين الذي فضلوا تحقيق أهدافهم عبر تقديم شكل للإسلام، وهو ما يؤدي إلى استمالتهم من طرف النظام، ولن تختلف النتيجة هذه عندما يتم اختيار الخيارين الثالث والرابع، حيث سيؤدي بهم ذلك إلى تخفيف رسالتهم وتقديم حجج تعزز بقاء النظام الحاكم.

<sup>1</sup> - Barry Rubin, Op.Cit, p-p :23-24

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

ثانياً: عندما تكون هناك قضايا تحتاج إلى مواقف معينة، فإن الليبراليون العرب يجدون صعوبة كبيرة في تحديد مواقفهم لأن ما يتطلبه الفكر الليبرالي قد يدفعهم إلى اتخاذ مواقف تقضي بهم إلى التجاهل وتناقص عدد المؤيدين والشركاء، وعندما تطرح الأسئلة بشأنها يقعون في الحيرة حول إمكانية قول ما يلي:

- 1- إن الولايات المتحدة الأمريكية ليست عدواً وما تقوم به عندما تدعم الديمقراطية فإنها تقوم بفعل إيجابي.
- 2- تجب المحافظة على مسافة بينهم وبين هذه القضية لكسب رضا الجماهير.
- 3- إن إسقاط نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين فعل جيد وهو ما سمح بإيجاد فرصة لتطبيق الديمقراطية.
- 4- إن الخطأ الوحيد الذي ارتكبه نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين هو فقط تماديه مع الغرب وبالتالي هو الذي استفزهم وأثار التدخل الأجنبي.
- 5- تجب إقامة علاقة سلمية وتحقيق عملية السلام مع إسرائيل.
- 6- هناك استراتيجية فعالة للقضاء على إسرائيل.
- 7- إن الإسلام هو سبب المشاكل وإعاقة الحلول.

إن للغرب ممارسات ومواقف مستمرة تكرر ملامح الصورة القديمة تنفي احتمالات تغييرها إيجابياً لصالح الحقوق العربية. وإن صعوبة اندماج الليبرالية في المجتمعات العربية والإسلامية ترتبط بشكل وثيق بالقضايا المصيرية التي لم تجد سبيلاً إلى الحل؛ فالغرب الذي يروج لهذه الأفكار ذو سمعة سيئة سواء تاريخياً أو في الحاضر حيث تكرر سياساته تلك السمعة وتثير ذاكرة شعوب المنطقة حول الاستعمار والاستغلال وبتاريخ التعامل بين الطرفين كإثبات على استحالة تغيير المنطلق الذي يتم التعامل به مع الدول العربية والإسلامية، وهو المنطلق الذي لا يخدم الحقوق والمصالح الأساسية لهذه الدول. وأصبح بذلك، دعم الأفكار التي يروج لها الليبراليون يبعث شعوراً بفقدان الهوية والكرامة، خاصة عندما يتعلق الأمر بإسرائيل التي تتلقى الدعم والتأييد إلى جانب الاحتلال الذي تعرضت الأراضي الإسلامية على غرار أفغانستان والعراق<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - ناهد عزالدين، مرجع سبق ذكره.

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

هو أصلا تيار يخوض في الأساس معركة بقاء، فهو يركز بشدة على الإصلاحات الدستورية تعبيرا عن رغبة في تهيئة بيئة خالية من القيود تسمح له بالحركة والنشاط والتعبير عن نفسه. فهي بيئة مليئة بالضغوطات التي تعيق العمل الحزبي الفعال، وما يدل على ذلك هو التركيز في دعواتهم الإصلاحية على حقوق المواطنين وحررياتهم الأساسية، فهم قبل أن يدافعوا في ذلك عن المواطن والمواطنة، هم يدافعون قبل ذلك عن أنفسهم، أي بقائهم وقدرتهم على النشاط والتحرك بفعالية<sup>1</sup>.

إذن، هناك العديد من المتغيرات التي تمد سيناريو عدم اندماج الليبرالية في المجتمعات العربية يمكن تلخيصها كما يلي<sup>2</sup>:

- من ينادي بهذا الفكر هم مجموعة من المثقفين والكتاب ليس لهم تأثير قوي، كما أن التيار الليبرالي لم ينجح في تكوين قاعدة اجتماعية وثقافية تكون بمثابة الركيزة القوية التي يعتمد عليها في تقديم الدعم والتأييد إضافة إلى غياب طبقات قوية ذات قناعة بكل مضمون هذا الفكر وجاهزة للدفاع عنه. هي مجموعة مشتتة ومنقسمة على نفسها ولا يوجد تنسيق وتنظيم فيما بينها، وعلى أرض الواقع يمكن التنبؤ بعدم اكتسابها المزيد من الانتشار والحصول على القبول الشعبي.

- وفيما يتعلق بالقبول على المستوى الشعبي، فإنه لم يكن موجودا منذ البداية عندما تم تطبيق الوجه الاقتصادي للبرالية، حيث بدا التواجد الليبرالي تعبيرا عن إرادة حكومية وليست شعبية. أضف إلى ذلك، أن ذلك التطبيق لم يسفر عن تطور فعلي بل كانت هناك تداعيات سلبية على المستوى الاجتماعي ناهيك عن عدم حدوث تغيير على المستوى السياسي.

- وقع في عدد من الأخطاء كان يعتبرها عيبا لدى التيارات الأخرى وتحديدًا التيار الإسلامي، والتي عاب عليها تقديسها للماضي والتراث والتاريخ، وهو بنفسه يقوم بنفس الشيء من خلال تقديسه للتجربة الغربية في عصر التنوير ولا يقوم بإخضاعها للنقد والمراجعة. وهذا ما ينم عن عيب آخر تلمسه الليبراليون في الإسلاميين والأصوليين ولم يكونوا هم أنفسهم بعيدين عنه، وهو اعتبار أفكارهم هي فقط الأفكار التي تعبر عن الحقيقة الكاملة وكل من هم دونهم

<sup>1</sup> - المرجع نفسه.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

هم على خطأ. وإن كان هذا من بين أوجه القصور التي يعيشها التيار الليبرالي، فإنه ليس منفصلا عن طبيعة الفكر العربي عموما من حيث علاقته بالحدثة؛ حيث غالبا ما ترتبط الحدثة في الذهن العربية بالغرب، وإذا تطلب الأمر قبولها، فإن ذلك يثير صراعا مع تأكيد الذات أو إنكارها؛ وبالتالي يمكن القول بأن حتى التيار الليبرالي رغم غربته عن المجتمعات العربية والإسلامية، إلا أنه ليس منعزلا عن هذا الصراع الذاتي مع الحدثة والهوية.

### الفرع الرابع: مخالفة الموقف الشعبي الرفض للتطبيع مع الكيان الصهيوني

لقد اعتبر الليبراليون العرب الجدد عملية التطبيع مع الكيان الصهيوني كأحد وسائل تسوية الصراع العربي-الإسرائيلي؛ مبررين موقفهم هذا بفسل المقاربات المختلفة التي تبنتها الأطراف من الجانب العربي في إنهاء هذا الصراع واسترجاع الحقوق الفلسطينية، إضافة إلى اختلال ميزان القوى بين الطرفين، الأمر الذي يجعل المواجهة العسكرية غير ممكنة ومحكوم عليها بالفشل مسبقا. أضف إلى ذلك، إمكانية الاستفادة من التطور الذي تتمتع به إسرائيل وتجنب الخسائر التي تتكبدها الدول العربية جراء استمرار الصراع<sup>1</sup>.

ويمكن فهم التسابق نحو التطبيع الذي شهدته بعض الدول العربية في السنوات الأخيرة، ضمن هذا السياق الفكري والثقافي الذي فتح الباب أمام هذه الإمكانية من خلال الترويج لعدم القدرة على مواجهة الكيان الصهيوني ليس فقط على المستوى العسكري وإنما أيضا على المستويات الفكرية والسياسية والاقتصادية. وعلى الرغم من أن هذا لا يعد سوى أحد عوامل تسهيل اللجوء إلى التطبيع وليس العامل الرئيس، إلا أنه لا يمكن نفي واقع توفيره لغطاء تبريري يسمح بالتخفيف من وقع التوجه نحو التطبيع والذي يعد تقيل الوطأة معنويا على المستوى الشعبي، فهو يتجاهل عدة سنوات من الصمود بناء على أمل عام في قدرة الفلسطينيين على نيل حقوقهم ضمن دعم عربي وإسلامي.

<sup>1</sup> - شاعر النابلسي، "من هم الليبراليون العرب الجدد، وما هو خطابهم؟"، مرجع سابق ذكره.

أنظر أيضا: شاعر النابلسي، "لماذا أصبح العرب عصيين على التطبيع؟"، في الموقع:

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=21136>

تاريخ الدخول: 2021/02/14 على الساعة 22:31

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر اللبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

### أ- مفهوم التطبيع

من الناحية اللغوية، ورد في المعجم الوسيط كلمة "طَبَعَ" بمعنى صاغ الشيء وصوره في صورة ما، وطَبَعَ فلانا على كذا أي عوّده عليه، وطَبَعَ هي صيغة مبالغة للكلمة، وتطَبَّع أي تخلَّق، وتستخدم كلمة "طبيعي" لوصف ما يناسب الطبيعة<sup>1</sup>.

وفي معجم المعاني الإلكتروني، "تطبيع العلاقات" يعني جعلها علاقات عادية<sup>2</sup>، وهو ما يرد أيضا في قاموس Cambridge للغة الإنجليزية حيث تقابل كلمة "تطبيع" تعبير "Normalization" المشتق من كلمة Normal أي "عادي"، وتطبيع العلاقات يعني إعادتها إلى وضعها الطبيعي، العادي والمقبول بشكل عام<sup>3</sup>.

أما من الناحية الاصطلاحية، فإن التطبيع يعني إعادة العلاقات بين طرفين إلى وضعها الطبيعي الذي سبق موقفا صراعيا طارئا أثر عليها بحيث لم تصبح بعده علاقات عادية<sup>4</sup>. وهو مصطلح ناتج عن الفكر السياسي الإسرائيلي وانتشر استخدامه خلال المفاوضات المصرية-الإسرائيلية قبل توقيع اتفاقيات كامب ديفيد<sup>5</sup>. وطرح الجانب الإسرائيلي المصطلح لأول مرة في هذه المفاوضات للدلالة على العلاقات التي ستجمع الطرفين دبلوماسيا، اقتصاديا، أمنيا وثقافيا، وأيضا ليقابل مصطلح "المقاطعة"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مصر: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص-ص: 549-550

<sup>2</sup> - "معجم المعاني الجامع-معجم عربي-عربي"، في الموقع: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D8%B9/> تاريخ الدخول: 2021/02/15 على الساعة 00:50

<sup>3</sup> - "Meaning of normalize in English", <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/normalize> 15/02/2021 01:03

<sup>4</sup> - معاذ العامودي، "التطبيع الإعلامي مع الكيان الصهيوني"، في الموقع: <https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=5451> تاريخ الدخول: 2021/02/07 على الساعة 23:30

<sup>5</sup> - محسن عوض، "الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية"، سلسلة الثقافة القومية (16)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988، ص 12

<sup>6</sup> - حسام أبو حامد، "من المقاطعة إلى التطبيع..هل يمكن تجاوز الإرادة الشعبية؟"، في الموقع: <https://cutt.ly/LkBe9kH>

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

وأصبح التطبيع بعد ذلك وصفا لكل تعامل عربي مع الكيان الصهيوني سواء من خلال الاتفاقيات أو الزيارات المتبادلة الرسمية وغير الرسمية؛ ويطلق عادة للإشارة إلى محاولة تحويل العلاقات بين الطرفين إلى علاقات عادية رغم ما يكتنفها من مؤاذات تتعلق في مجملها بتجاهلها للحقوق الفلسطينية وتجاوزها للتاريخ الصراعي بينهما.

ومفهوم التطبيع بهذا الشكل؛ أي عودة العلاقات دون إعادة الحقوق ودون الاستجابة إلى المطالب، وأيضا دون حق تقرير المصير، هو تعريف قدمه لأول مرة وزير الخارجية الإسرائيلي أبا إيبان Abba Eban في الستينيات، وهو لا يتعلق بمجرد عقد الاتفاقيات بل يعني في جوهره قبول الرواية الصهيونية عن الأرض والشعب، ما يعني التخلي عن الرواية المعاكسة له<sup>1</sup>.

ويصبح بذلك التطبيع مفهوما غير عادي بإقرار من السفير الإسرائيلي السابق في مصر شمعون شامير Schimon Shamir الذي يشير إلى غياب هذا المفهوم في معاهدات السلام العادية بين الدول، وهو ما يدفع إلى القول بأن الصراع العربي-الإسرائيلي هو الذي ابتكره بناء على وجود توقعات محددة بشأن المكاسب المنتظرة والمحددة، مقابل الاعتراف العربي بإسرائيل وقبولهم لها واستعدادهم للحياة في وجودها بسلام<sup>2</sup>.

### ب- مظاهر التطبيع

يأخذ التطبيع أشكالا مختلفة تؤدي جميعها إلى تحقيق نفس الأهداف التي تتمحور حول الاستراتيجية الإسرائيلية في إدارة الصراع، وتتمثل مظاهره في<sup>3</sup>:

- التطبيع السياسي: والذي يقوم على إنشاء علاقات سياسية ودبلوماسية بناء على نفي صفة

تاريخ الدخول: 2021/02/08 على الساعة 01:00

<sup>1</sup>- Shafiq Nazim al-Ghabra, « The Implications of Normalisation with Israel ».

<https://ibraspal.org/en/post/the-implications-of-normalisation-with-israel>

15-02-2021 02: 01

<sup>2</sup>- محسن عوض، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 20-21

<sup>3</sup>- محمد أحمد شعيب، " التطبيع مع إسرائيل وأثره على المنطقة العربية"، مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية، ليبيا: الجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد 7 يونيو 2016، ص-ص: 286-290

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

الصراع عن الموضوع، وهو ما يفضي إلى تراجع مفهوم المقاومة والشرعية الدولية.

- التطبيع الاقتصادي: والذي يقوم على السماح للمنتجات الإسرائيلية بالتواجد في الأسواق

العربية، أي وضع حد للمقاطعة بما يتضمنه ذلك من تصدير واستيراد، انتقال لرجال الأعمال، التعاون في القطاعات الاستراتيجية وعلى رأسها النفط، النقل والمواصلات والسياحة.

- التطبيع الثقافي: والذي يتم عبر التفاعلات على المستويات الأكاديمية، الفنية والرياضية

من خلال الجامعات والمهرجانات.

وفي هذا السياق، تمت اتفاقيات كامب ديفيد بين إسرائيل ومصر سنة 1979، ثم اتفاقيات وادي عربة بين إسرائيل والأردن سنة 1994. لتأتي ما أصبحت تعرف باسم "الاتفاقيات الإبراهيمية"<sup>1</sup> بين الإمارات العربية المتحدة والبحرين وإسرائيل بوساطة أمريكية سنة 2020، إعلان ترامب عبر تويتر عن حدوث اتفاق بين إسرائيل والمغرب، الإعلان عن توصل السودان وإسرائيل لاتفاق من اجل التطبيع، وتحديث وسائل الإعلام عن لقاء جمع بين ولي العهد السعودي محمد بن سلمان ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو<sup>2</sup>.

لقد عبرت هذه التطورات عن مرحلة جديدة في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي أفرزت عدة تساؤلات حول الأسباب الكامنة وراء اختيار هذه الدول وغيرها سبيل التقارب مع الكيان الصهيوني

<sup>1</sup> - تمت التسمية استنادا إلى النبي إبراهيم عليه السلام، ما قد يشكل أرضية تقاهم مشتركة بين اليهود والمسلمين، أنظر:

"اتفاق إبراهيم بين إسرائيل والإمارات.. ما سر التسمية؟"، في الموقع:

<https://cutt.ly/9kBobc0>

أنظر أيضا: "نص اتفاقات إبراهيم بين إسرائيل والإمارات والبحرين وثيقة"، في الموقع:

<https://cutt.ly/ZkBpRZK>

تاريخ الدخول: 2021/02/15 على الساعة 02:53

<sup>2</sup> - "التطبيع: ترامب يعلن المغرب أحدث دولة عربية توافق على تطبيع العلاقات مع إسرائيل"، في الموقع:

<https://www.bbc.com/arabic/middleeast-55262997>

"السودان وإسرائيل: اتفاق على إقامة علاقات بين البلدين وترامب يرفع الخرطوم من قائمة الإرهاب"، في الموقع:

<https://www.bbc.com/arabic/middleeast-54643555>

"السعودية تنفي اجتماع ولي عهدها محمد بن سلمان مع نتنياهو في المملكة"، في الموقع:

<https://www.bbc.com/arabic/middleeast-55042211>

تاريخ الدخول: 2021/02/15 على الساعة 03:10

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

وتداعيات ذلك على القضية الفلسطينية والمنطقة العربية. ولقد عبرت العديد من الأحداث عن هذا التوجه قبل أن يتم تتويجها في شكل هذه الاتفاقيات، اشتملت على زيارات متبادلة، تعاون اقتصادي واستخباراتي، إلى جانب التعاون الدبلوماسي والثقافي<sup>1</sup>:

- زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو إلى سلطنة عمان في شهر أكتوبر

2018، وعقد لقاء بينه وبين عبد الفتاح البرهان رئيس المجلس السيادي في السودان في شهر فيفري 2020. كما شارك أنور قرقاش وزير الدولة للشؤون الخارجية في الإمارات العربية المتحدة في المؤتمر السنوي الذي تعقده اللجنة اليهودية-الأمريكية سنة 2020. كما قامت وزيرة الثقافة والرياضة ميري ريغف Miri Regev بزيارة أبو ظبي سنة 2018. وفي 2019، قام وزير الخارجية والاستخبارات الإسرائيلي يسرائيل كاتس Yisrael Katz الإمارات العربية المتحدة لحضور المؤتمر البيئي الذي قامت هيئة الأمم المتحدة بتنظيمه. وفي نفس السنة، حدث لقاء بين وزير الخارجية البحريني خالد بن احمد بن محمد آل خليفة ووزير الخارجية الإسرائيلي يسرائيل كاتس في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي 2020، عقد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب المؤتمر الذي تعلق بما أصبح يعرف باسم "صفقة القرن" بحضور سفراء كل من البحرين والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان.

- إعلان مصر عن تأسيس "منتدى غاز شرق المتوسط" يكون الكيان الصهيوني أحد أعضائه إلى جانب 6 دول أخرى.

- توقيع عقود في مجال التعاون الاستخباراتي بين الإمارات العربية المتحدة والكيان الصهيوني للحصول على معدات لتأمين مراقبة البنية التحتية الحيوية سنة 2008، ونظام "عين الصقر Falcon Eye" للمراقبة الأمنية لصالح الشرطة في أبو ظبي سنة 2016، إضافة إلى تكنولوجيا متطورة لتأمين مراقبة الهواتف النقالة.

- استعانة المملكة العربية السعودية بشركة إسرائيلية لجمع المعلومات عقب الهجوم على شركة "أرامكو".

<sup>1</sup> - "التطبيع العربي مع إسرائيل: مظاهره، ودوافعه"، سلسلة تقدير موقف، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/06/21، ص-ص: 2-4



## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

- اتهام القائمين على تطبيق واتس آب WhatsApp مجموعة "إن إس أو NSO" الإسرائيلية سنة 2019 ببيع تكنولوجيا التجسس بيغاسوس Pegasus لدول خليجية ومن بينها المملكة العربية السعودية لتتبع نشاطات المعارضين.
- المشاركة في التمارين العسكرية: تدريبات Iniohos بمشاركة سلاح الجو الإماراتي، تمرين "العلم الأحمر Red Flag" تحت إشراف القوات الجوية الأمريكية.

### ج-العلاقة بين الترويج للفكر الليبرالي في المنطقة والتطبيع

يكمن الجوهر الاستراتيجي لعملية التطبيع في خلق إدراك معين لدى صانع القرار العربي والرأي العام العربي أيضا باستحالة القدرة على إعلان الحرب ومعرفة الانعكاسات الخطيرة التي ستترتب على ذلك. يقوم التطبيع على صناعة قبول ليس فقط بإسرائيل كدولة، وإنما بأساسها الإيديولوجي الذي يعتبره الكيان الصهيوني مصدر شرعيته؛ وبالتالي يعني عدم قبول الصهيونية إلى إسقاط الشرعية التي يتمتع بها. فضلا عن كون التطبيع مبني أساسا على محاولة لبناء الثقة وهو ما يتحقق عبر تغيير المواقف الثقافية والعقائدية<sup>1</sup>. وهو نفس المنطق الذي اعتمده الموقف الأمريكي من الاتجاه الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط؛ بحيث يتم الترويج لأفكار الحرية ونزع صفة التقديس عن كل ما هو ثابت لتغيير بموجب ذلك المواقف السياسية سواء على المستوى الرسمي وغير الرسمي.

تتطوي عملية التطبيع على قلب معادلة الصراع؛ التي قامت منذ البداية على أن وجود الكيان الصهيوني في المنطقة غير طبيعي والأعمال العدائية التي تستهدفه عبارة عن مقاومة مشروعة ضد الاحتلال. غير أن عملية التطبيع تهدف إلى ترسيخ العكس؛ ويتم ذلك ليس فقط عبر التوجهات الرسمية التي سبق ذكرها، بل أيضا عندما يتم تغيير مناهج التعليم وجميع الأفكار والمعتقدات المعارضة. إن التطبيع عبارة عن عملية ترويض ليس للفلسطينيين فقط، بل للرأي العام العربي يتم من خلالها تكريس التفوق الإسرائيلي، ويتم ذلك بحجة الأمر الواقع الذي يتضمن من جهة استمرار الوجود الإسرائيلي، ومن

<sup>1</sup> - محسن عوض، مرجع سبق ذكره، ص-ص: 14-22

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

جهة أخرى الاحتياجات الأمنية لدى الأنظمة العربية المؤيدة للتطبيع والناבעة بدرجة أولى من التهديد الإيراني حيث يمتد النفوذ الإيراني إلى عدد من الدول العربية على غرار سوريا والعراق<sup>1</sup>.

واختلفت ردود الأفعال والحجج التي اعتمدها كل من المؤيدين والمعارضين لعملية التطبيع؛ وفي حين يرى المؤيدون ضرورة معرفة العدو والتركيز على مكاسب هذا التقارب لاسيما على المستوى الثقافي والأكاديمي، يعتبر المعارضون بأن التطبيع إنكار لحقوق ضحايا الاحتلال عبر تجاوز جرائمه، إلى جانب إمكانية الاستغناء عن الخبرات التي يمكن أن تتجر عن التعاون بين الطرفين نظرا لكون الثقافة الإسرائيلية لا تشغل حيزا هاما ضمن الإنجازات الدولية. إضافة إلى ذلك، يرى مناهضو التطبيع أن هذا الأخير لن يؤدي سوى إلى تزايد الرضوخ للشروط الإسرائيلية وإضعاف للمقاومة لدى الأجيال الحالية والقادمة حيث يزول الحاجز النفسي وتتغير منظومة القيم التي توارثتها الشعوب فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية<sup>2</sup>.

### د- مآلات عملية التطبيع

إن هذا التوجه نحو التطبيع وما صاحبه من ردود أفعال انطوت في مجملها على صدمة الرأي العام العربي الذي رفض قبول الكيان الصهيوني وتجاوز الجرائم التي ارتكبتها في حق الفلسطينيين، أثار عدة تساؤلات على غرار: هل سيؤدي التطبيع الحالي إلى تحقيق سلام حقيقي ودائم بين الطرفين، وينجح التطبيع في التوفيق بين التناقضات الموجودة بينهما، أم أنه لا يعدو سوى تأجيل لتفجير هذه التناقضات إلى مرحلة أخرى. وهل يعني التطبيع نجاح الكيان الصهيوني في تحجيم قدرة الدول العربية التي قبلت به على المقاومة وإجبارها على قبول الشروط الإسرائيلية في نهاية الأمر. وفي هذا الصدد صرح بنيامين نتنياهو قائلا:

<sup>1</sup> - خالد أحمد أبو نحل، " من يملك قرار وقف التطبيع مع العدو؟! "، تقدير موقف، مركز غزة للدراسات

والاستراتيجيات، 2020، ص-ص: 3-5

<sup>2</sup> - هزرشي جلول، "السلام والتطبيع الثقافي"، مجلة المفكر، المجلد 3، العدد 01، 2019، ص-ص: 121-123

## الفصل الرابع تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير

" التناقضات العربية-الإسرائيلية أقوى من أن تزيلها أو تحلها أو تضعفها اتفاقية سلام، بمعنى آخر،..تقرر ترحيل كثير من التناقضات إلى وقت آخر"<sup>1</sup>.

إن العنصر ؛ وهو يعني الاهتمام المكثف بالشؤون السياسية من طرف الرأي العام العربي، وهو ما يفرض الرئيس الذي يمكنه تقديم الجواب على هذه الأسئلة يكمن في درجة التسييس التي تتسم بها المجتمعات العربية والإسلامية ضغوطا على صانع القرار الذي يعجز عن الاستجابة لها من خلال سياسات رشيدة. ويمكن القول بأن الترويج للفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط يأتي في سياق تخفيض درجة التسييس؛ حيث يعد من ضمن أهداف دعم مؤسسات المجتمع المدني وتغيير مناهج التعليم ونشر ثقافة السلام، امتصاص الطاقة السياسية للمواطن في العالم العربي وتقليل اهتمامه بالقضايا الوطنية. غير أن هذه المشاريع لم تحقق الهدف المطلوب، لأنها تعني تحقيق التحول الديمقراطي وما يرتبط بذلك من إجراء الإصلاحات، وهو ما لا يخدم الحكومات العربية التي لا تفضل توسيع هامش الحرية من خلال مؤسسات المجتمع المدني والأحزاب السياسية الفاعلة. ومن جهة أخرى، يمكن فهم عملية التطبيع ضمن حاجة بعض النخب السياسية العربية الحاكمة إلى الاستقرار نتيجة الظروف التي تعاني منها، والتي لا تحبذ فيها التوجه نحو تغيير المؤسسات ومبادئ الحكم<sup>2</sup>، بما يتناسب مع التطلعات الشعبية.

<sup>1</sup>- جميل مطر، " مستقبل الصراع العربي-الإسرائيلي: الأبعاد السياسية والاجتماعية"، في: غسان إسماعيل عبد الخالق، صراع القرن..الصراع العربي مع الصهيونية وإسرائيل عبر مائة عام، الأردن: مؤسسة عبد الحميد شومان، 1999، ص 365-366.

<sup>2</sup>- نفس المرجع، ص-ص: 376-378

الخاتمة

اعتمادا على ما سبق، أكدت الدراسة على أن مشروع الشرق الأوسط الكبير له أهداف استراتيجية تتعلق في مجملها بحماية المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية التي تعمل منذ انفرادها بقيادة النظام الدولي عقب انهيار الاتحاد السوفياتي على الاحتفاظ بهذه المكانة التي تكفل لها الهيمنة على العالم. ونظرا لغياب نتائج إيجابية بشأن التحول الديمقراطي في منطقة الشرق الأوسط بداية من العراق التي روجت الإدارة الأمريكية لجعلها نموذجا ديمقراطيا لباقي الدول، أصبح التركيز منصبا على الجوانب الفكرية والقيمية بغية تشكيل بيئة قابلة للقيم الأمريكية لاسيما القيم السياسية والاقتصادية. ولذلك، كانت عملية إدخال الأفكار التي تحمل تلك القيم آلية لتنفيذ أهداف المشروع وحملت في طياتها مجموعة من الوسائل المختلفة. غير أن منطقة الشرق الأوسط الكبير لم تتعرف على الإيديولوجية الليبرالية في شقيها السياسي والاقتصادي، فقط من خلال هذا المشروع، بل تلقتها من مصادر أخرى عبر التاريخ. ولكن، ارتفاع الأصوات المؤيدة لها بعد احتلال العراق ثم الأحداث التي عرفت باسم الربيع العربي سنة 2011 وتداعياتها، أدى إلى التساؤل عن العلاقة بين المشروع وانتشار هذا الفكر. إضافة إلى انقسام الآراء بين توقعات بمزيد من الانتشار وأخرى بعدم جدوى تلك الدعوات. توصلت الدراسة إلى صحة الفرضيات المطروحة، وذلك استنادا على مجموعة من المتغيرات:

01- انطلق مشروع الشرق الأوسط الكبير من الربط بين انتشار الإرهاب والتطرف والطبيعة

غير الديمقراطية للأنظمة السياسية. وأصبحت دول المنطقة مطالبة بتغيير أنظمتها سياسيا، معرفيا واقتصاديا. يمكن تلخيص هذه التغييرات في:

- اعتماد التداول السلمي على السلطة في ظل تعددية حزبية تتنافس خلال انتخابات حرة ونزيهة، على المستوى السياسي.
- اعتماد مناهج تعليم جديدة تسمح بمواكبة التطور التكنولوجي وما تفرضه العلاقات بين الدول حضاريا ودينيا، على المستوى المعرفي.
- اعتماد مبدأ حرية التجارة باعتبارها الوسيلة الكفيلة بإخراج المنطقة من التخلف، على المستوى الاقتصادي.

تأتي التغييرات المقترحة في إطار التوجهات العالمية نحو حماية حقوق الإنسان واعتبار الانتهاكات التي تصدر عن الأنظمة السياسية تهديدا للسلم والأمن الدوليين، وبالتالي إمكانية استخدام التدخل العسكري لحماية هذه الحقوق وتعديل البيئة التي منع ذلك.

إن هذه التعديلات ترتبط بشكل غير مباشر بالمصالح التي تعتبرها الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية وحيوية؛ حيث تتأثر بطبيعة النظام السياسي فيما يتعلق بالقيم التي يقوم عليها، والتي يجب أن تتوافق مع ضمان تدفق النفط، تحقيق الاستقرار، منع الانتشار النووي وضمان أمن إسرائيل. وبطبيعة الحال، يرتهن تحقيق هذه الأهداف بوجود أنظمة سياسية تفصل بين السياسة والاقتصاد والتجارة من جهة، وبين السياسة والدين من جهة أخرى، بشكل تتلاشى في طياته التوجهات الحقيقية للدول المستهدفة وما تعتبره هي أيضا مصالحها الحيوية. ولذلك، تعرضت هذه المبادرة للتشكيك والانتقاد لكونها خارجية أولا، وغامضة ثانيا. هي مبادرة خارجية أسست الولايات المتحدة الأمريكية لمضمونها، وطريقة تنفيذها ومعايير تقييم عملية التنفيذ. وهي غامضة لكونها اعتمدت شملت دولا إسلامية عربية وغير عربية إلى جانب الكيان الصهيوني فيما بدا كمحاولة لفرض علاقة طبيعية بين الجانبين.

### 02- اعتمد مشروع الشرق الأوسط على آلية التنويت أو إدخال الأفكار التي تضمنها لتحقيق

أهدافه الاستراتيجية من خلال الاعتماد على وسائل مختلفة كان التدريب في مقدمتها. تم التركيز على تدريب القادة السياسيين، البرلمانيين، الصحفيين، النساء، القائمين على مؤسسات المجتمع المدني وغيرهم من الفواعل الرسمية وغير الرسمية لزرع تنشئة تسمح بتحقيق التغيير المطلوب. وكانت برامج التبادل الثقافي والإصلاحات التعليمية على رأس الأدوات المستخدمة لتعزيز القنوات بالإيديولوجية الليبرالية والعلمانية وخلق القبول بالسياسات الأمريكية من خلال تحسين صورتها لدى الرأي العام في المنطقة.

تتبع خطوة هذه الآلية في كونها لا تقتصر على الجانب الرسمي، بل تمتد إلى القواعد الشعبية، وبشكل أدق إلى شخصية الأفراد بشكل مباشر، وذلك من خلال التأثير على الوعي ونمط إدراك الأمور بحيث تعلق قيم السلم وتراجع معاداة الدول الغربية من خلال الترويج لكل المبررات التي تجعل سياساتها مقبولة وشرعية.

03- مشروع الشرق الأوسط الكبير هو أحد المصادر التي انتشر من خلالها الفكر الليبرالي في

المنطقة التي برز فيها بعده توجهات ليبرالية يعاكس بعضها التطلعات الفعلية لشعوب المنطقة. لقد كان للاحتكاك بالحضارة الأوروبية من خلال البعثات التعليمية والاستعمار دورا أساسيا في تعرف الشعوب العربية والإسلامية على الفكر الليبرالي الذي بدا كسبب جوهري لتقدم القوى الأوروبية. هذه الأخيرة، أرجعت تقدمها لما تتبناه من قيم الحرية وحقوق الإنسان والعلمانية. غير أن المنظومة الإسلامية التي لا تفصل بين الشؤون الدينية والحياة بشكل عام والسياسة بشكل خاص، سرعان ما أصبحت الطرف المقابل في مواجهة مع القيم الأوروبية ثم الغربية عقب صعود الولايات المتحدة الأمريكية. وبات الدين الإسلامي محل اتهام بأنه يحمل القيم والأفكار التي تكمن وراء تخلف الدول ذات الغالبية المسلمة.

لقد كان تواجد التيار الليبرالي في المنطقة محدودا مقارنة مع التيارات الفكرية الأخرى كالقومية والإسلامية والاشتراكية. وارتبطت هذه المحدودية بالاختلاف الموجود بين المنظومتين الثقافيتين لكل من المجتمعات الغربية والعربية والإسلامية. إذ أن لكل منهما قيمه وتطلعاته القائمة على مصادر مختلفة على رأسها الدين والتاريخ. لقد ارتبطت الإيديولوجية الليبرالية بالاستعمار في ذهنية العرب والمسلمين، وأدت تطورات القضية الفلسطينية ثم العراقية، ثم أحداث 2011، إلى ترسيخ هذه العلاقة الارتباطية. لاسيما عندما بدأ بعض الليبراليين العرب الجدد في التعبير عن مواقف متناقضة مع القيم التي تلتف حولها شعوب المنطقة العربية والإسلامية، فمنهم من أيد التدخل العسكري وقلل من شأن أهمية الكفاح المسلح، ومنهم أيضا من دعا إلى إعادة النظر في التراث والتاريخ الإسلاميين للتخلص من الأفكار التي أدت إلى التخلف.

إن المطالبة بمراجعة التراث والدين والتاريخ والقناعات، يعني المساس بجميع الأسس التي شكلت وجود هذه المجتمعات كلها؛ حيث تستقي هذه الأخيرة أحكامها انطلاقا من تلك المصادر وبالتالي هي مكونات هويتها ومن ثم محددات مصالحتها التي تم التعبير عنها سنة 2011.

في سياق الأحداث التي عرفت باسم الربيع العربي، عبر أغلب المحتجين والمتظاهرين عن مطالبهم من خلال تكرار مصطلحات الحرية-العدالة الاجتماعية-الكرامة الإنسانية. وهي جميعها تشكل ما تتطلع إليه شعوب المنطقة وتحدد ماهية السياسات التي تعتبرها مقبولة وتلك التي ترفضها نظرا لعدم انسجامها مع مفهوم الكرامة والعدالة لديها.

04-توجد عوامل تبين بان الفكر الليبرالي سيتجه بفضلها نحو اكتساب المزيد من القوة وبالتالي

الانتشار، وتوجد عوامل أخرى تبين بان هذا الفكر غير قادر على اكتساب صفة البديل في المنطقة المستهدفة.

أولاً: تواءمت الأفكار النيولبرالية مع سياسات الانفتاح الاقتصادي التي طبقتها الحكومات العربية، فكانت بمثابة الدعامة التي أعطت المبررات للانفتاح وخلقت له قبولا في الأوساط الشعبية، ثم جعلت من التيار الليبرالي فيما بعد، أحد عناصر استراتيجية احتواء الإسلام السياسي، مستفيدة من تقاطع بعض تطلعات شعوب المنطقة معه من حيث الرغبة في الحصول على المزيد من الحريات ومواكبة التقدم الذي تعيشه الدول المتطورة. كل هذه العوامل من شأنها دعم التواجد الليبرالي في المنطقة ليس نتيجة لقناعة ذاتية بجدواها بقدر ما يعود ذلك إلى التقاء مصالح بين الإدارة الأمريكية وبعض أنظمة الحكم. هذه المصالح، تعطي لهذا التيار مساحة للتعبير عن نفسه والظهور في مقابل التيارات الأخرى التي قد تشكل تهديدا سواء للمصالح الأمريكية أو لبقاء تلك الأنظمة.

أضف إلى ذلك، أن تجديد الخطاب الديني الذي يهدف إلى نشر الدين الإسلامي "المعتدل" حسب الوصف الأمريكي، والذي يقصد به "الوسطي" والقادر على التعايش مع الآخر. ويشمل هذا التجديد تغييرا في بعض الأحكام التي يؤدي المساس بها إلى إثارة الجدل كالميراث والمساواة بين الرجل والمرأة. إن هذا التجديد يطرح التساؤل حول ماهية الدين الإسلامي الذي سينتج عنه، بعبارة أخرى هل سيكون في نهاية الأمر ملائما لمصالح الدول الغربية أم أقل مقاومة لسياساتها. إن كل هذه العوامل، تشكل فرصة للتيار الليبرالي لتحقيق المزيد من الانتشار، لاسيما في ظل انفتاح القنوات الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي التي تسمح له بالتعبير عن نفسه والحصول على المنابر.

ثانيا: لم تعد الإدارة الأمريكية تولي اهتماما لنشر الديمقراطية في المنطقة كما كانت سابقا. ففي عهد باراك أوباما اختارت التوجه نحو آسيا والنأي بنفسها عن التورط في المزيد من الأحداث. وفي عهد دونالد ترامب أصبح منطق الصفقة هو المحدد الرئيس للسلوك الخارجي الأمريكي؛ أي إعلاء المصالح الأمريكية والحصول على مقابل لكل ما يمكنها أن تقدمه لدول المنطقة. وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تفضل الاستقرار بغض النظر عن طبيعة الأنظمة السياسية، كما تقيس علاقاتها الخارجية بشكل صريح بناء على المنفعة التي تعود عليها وعلى إسرائيل.



وهنا تجدر الإشارة إلى أن نشر الديمقراطية كان دائما مرتبطا بالمصالح الحيوية الأمريكية، وبالمنافع وبأمن إسرائيل. غير أن الوضع الحالي لدول المنطقة وحجم التهديدات التي تواجهها يتيح فرصا أكبر للإدارة الأمريكية من تلك التي سيخلقها التحول الديمقراطي، خاصة عند مراجعة تداعيات تطبيق الديمقراطية التي جاءت بتيارات الإسلام السياسي إلى السلطة.

إذن، فقد التيار الليبرالي سببا رئيسيا لوجوده وهو دعم التحول الديمقراطي، ما يؤدي إلى القول بأن تراجع الإدارة الأمريكية عن دعم الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط، من بين العوامل التي تساعد على انحساره، وذلك على الرغم من تأييدها لمكافحة التطرف، إلا أن هذه المسألة باتت في يد الأنظمة السياسية وبالتالي هي التي ستتحكم في حجم هذا التواجد.

إضافة إلى ذلك، يتميز التيار الليبرالي بطابعه النخبوي، فهو معروف في أوساط النخبة ويعتبر غريبا في الأوساط الشعبية التي تريد حولا عملية لمشاكلها اليومية وتطالب حكوماتها باتخاذ مواقف حاسمة وقوية بشأن قضاياها المصيرية. وهو ما يعجز الليبراليون عن تقديمه، حيث يكتفي هذا التيار بالنقد وإصدار مواقف مناقضة غير مقبولة لدى القواعد الشعبية، وهو ما يجعلهم يعانون من الاتهامات أحيانا والرفض المطلق أحيانا أخرى.

تتمثل خلاصة هذه الدراسة في النقاط التالية:

### 01- إن البقاء survival الذي تحدثت عنه المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية كهدف

أسمى تسعى كل الدول إلى ضمانه، يجد مكانا له ضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير ولجميع الأطراف. فالإدارة الأمريكية تريد الاحتفاظ بمكانتها ومجموعة الثماني تشاركها هذا الهدف من حيث الرغبة في الحفاظ على ترتيبها ضمن القوى المؤثرة في النظام الدولي. والدول العربية والإسلامية تخشى الابتلاع ضمن المنظومة الغربية التي تنتشر سياسيا، اقتصاديا وثقافيا. والشعوب العربية والإسلامية تعتبر الاستجابة لهذه المنظومة دون الأخذ بعين الاعتبار الأهداف التي سطرته عند إنشاء دولها المستقلة هو قضاء على ما يميزها عن الآخر ويشكل هويتها.

### 02- إن تغيير الوعي والإدراك، واستبدال مفاهيم بأخرى، ليس عملية آلية، إنه يحتاج إلى

تغيير نفسي ووجداني. وهي متغيرات تابعة لتراكمات تاريخية وتجارب لا يمكن تجاوزها بسهولة، وهي ممتدة إلى أجيال متعاقبة. والنظام السياسي ليس مجرد مؤسسات رسمية وعملية سياسية تلقائية، هو يحمل كل القيم والمعتقدات السائدة في المجتمع حتى وإن كان تخلل التناقض سياساته الداخلية والخارجية. تلك القيم تبقى موجودة ويؤدي تجاهلها أو أي محاولة تعسفية لتغييرها إلى تقويض دعائم النظام.

03- تحتاج هذه الدعوات إلى ما يقابلها، وهذا لا يتحقق دون استعادة الدول العربية والإسلامية

لمكانتها من خلال حشد مصادر هذه القوة المختلفة، مع إشراك الفواعل غير الرسمية ومنحها فرصة التواجد من جهة والتعبير من جهة أخرى.

04- إن إصلاح العلاقة بين الدولة والمجتمع، بما يتضمنه ذلك من استعادة التوافق حول

قواعد اللعبة السياسية، بإمكانه توفير أرضية تفاهم مشتركة بين القوى الداخلية ما يؤدي في النهاية إلى القدرة على التعامل مع الأزمات والتحديات.

05- لا يمكن تجاهل تطلعات الشعوب وطموحاتها مهما بلغت قوة الدول وأنظمة الحكم،

خاصة في ظل الثورة التكنولوجية والإعلامية المعاصرة. ويؤدي إهمال معتقدات الشعوب وقيمتها إلى تعقيد العلاقة بينها وبين دولها، ومن ثم بين هذه الدول وغيرها.

06- على الرغم من الدعاية والترويج، فإن تسارع وتيرة التطبيع الحالية مع الكيان

الصهيوني لا يمكن أن تؤدي إلى تحقيق سلام حقيقي معه؛ فهي ليست سوى عملية سطحية بالنسبة لقضية بحجم القضية الفلسطينية، وهي تعبر بالدرجة الأولى عن مجموعة من المصالح المتغيرة، بمعنى أنها لا تستجيب للمصالح الدائمة للدول العربية والمتمثلة في تحقيق السيادة الكاملة واستقلالية القرار. إن الدول العربية ليست دولا ضعيفة وقدرتها على الاستمرار في ظل التحديات الهائلة دليل على ذلك؛ ولهذا يمكن القول بأنها، وفي حالة توفر الإرادة السياسية وحسن تقدير قوتها واحترام الإرادة العامة أن تتأى بنفسها عن ذلك، ناهيك عن أن الجرائم التي ارتكبتها الكيان الصهيوني تدفع إلى أولوية سيادة عدم الثقة به وبالاتفاقيات التي يمكن إبرامها معه، فهو ذو استراتيجية قائمة على التفوق ثم الابتلاع، وهو ما يتنافى مع التطلعات الفعلية لشعوب المنطقة الراغبة في التقدم واسترجاع الحقوق.

# قائمة الجداول

قائمة الجداول

| الصفحة  | العنوان   | رقم الجدول |
|---------|---|------------|
| 23      | مقارنة بين "مبادرة الشرق الأوسط الكبير" و"مبادرة الشرق الأوسط الموسع"                   | 01         |
| 54-53   | الفواعل الحكومية الأمريكية والهيئات متعددة الأطراف العاملة معها في مجال نشر الديمقراطية | 02         |
| 89      | فضاءات الاختراق   | 03         |
| 157     | خصائص اقتصاد المعرفة بالمقارنة مع الاقتصاد التقليدي                                     | 04         |
| 240     | مراكز محاربة التطرف في دولة الإمارات العربية المتحدة                                    | 05         |
| 243-242 | المسلمات التي تقوم عليها الاتجاهات الحديثة عن العلاقة بين الدين والسياسة                | 06         |

# قائمة المراجع

أ- باللغة العربية

أولاً: الكتب

- 01- ابن سالم عبد الحميد، مشروع الشرق الأوسط الكبير وتداعياته على المنطقة مستقبل الحركة الإسلامية ونهاية إسرائيل، الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2005.
- 02- أحمد زغلول شلاطة، "واقع الإرهاب في مصر وأزمة مكافحته"، أوراق ونقاشات مؤتمر وسائل منع ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وفي الغرب، الأردن: مؤسسة فريدريش ايبرت، 2016.
- 03- أحمد سعيد نوفل وآخرون، التداعيات الجي واستراتيجية للثورات العربية، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2014.
- 04- إسماعيل صبري عبد الله، "الدعوة المعاصرة إلى التحول عن القطاع العام إلى القطاع الخاص"، في: عباس النصراري وآخرون، القطاع العام والقطاع الخاص في الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر 1990.
- 05- اسماعيل معارف، مسارات التحول الديمقراطي في المنطقة العربية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، نوفمبر 2013، ص29.
- 06- العربي صديقي، إعادة التفكير في الديمقراطية العربية انتخابات بدون ديمقراطية ترجمة محمد شتيا، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، أكتوبر 2010.
- 07- .-، البحث عن ديمقراطية عربية الخطاب والخطاب المقابل، ترجمة: محمد الخولي وعمر الأيوبي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ماي 2007.
- 08- أوليفر هودمان، "سلطة الشركات"، في: جيل هوبارد، ديفيد ميلر، مرافعات ضد مجموعة الثمان، ترجمة خالد عبد الرحمن العوض، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة العربية الأولى، 2006.
- 09- باقر سلمان النجار، "حقيقة الليبرالية الخليجية"، في: أحمد صدام عبد الصاحب الشيبيني وآخرون، مجلس التعاون الخليجي لدول الخليج العربية قضايا الراهن وأسئلة المستقبل، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر 2008.
- 10- بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2002.
- 11- ثائر خليل حمد، الأمن القومي الأمريكي والتغيير في المنطقة العربية، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2016.

## قائمة المراجع

- 12- جلين فيشر، دور الثقافة والإدراك في العلاقات الدولية، ترجمة أسعد حليم، القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ط1، 2004.
- 13- جميل مطر، " مستقبل الصراع العربي-الإسرائيلي: الأبعاد السياسية والاجتماعية"، في: غسان إسماعيل عبد الخالق، صراع القرن.. الصراع العربي مع الصهيونية وإسرائيل عبر مائة عام، الأردن: مؤسسة عبد الحميد شومان، 1999.
- 14- جيمس دويرتي، روبرت بالاستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي، الكويت: كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 1985.
- 15- حيدر علي حسين، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ومستقبل النظام الدولي، عمان: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
- 16- حازم حمد موسى الجنابي، إدارة التغيير الاستراتيجية الأمريكية الشاملة نموذجاً، عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2014.
- 17- حازم قنديل، "على هامش الهزيمة: دراسة اجتماعية للمفكرين العرب في ظل الاستبداد"، في: بهجت قرني، الشرق الأوسط المتغير نظرة جديدة إلى الديناميكيات العربية، ترجمة: محمد بدوي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2015.
- 18- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، نوفمبر 1998.
- 19- خليفة بن بطاح الخزي، البراليون الجدد، القاهرة: الأوائل للطباعة والنشر، 2011.
- 20- خليل حسين، الجغرافيا السياسية دراسة الأقاليم البرية والبحرية وأثر النظام العالمي في متغيراتها، بيروت: دار المنهل اللبناني، ط1، 2009.
- 21- دوران يوسف، الفكر السياسي عند مالك بن نبي، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013.
- 22- رضوان أحمد شمسان الشيباني، الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي-دراسة تحليلية، د.م.ن: مكتبة مدبولي، 2006.
- 23- رضوان السيد، "الأزهر.. الحاضر والتحديات المستقبلية"، في: الأزهر مرجعية التقليد الديني في أزمنة التغيير، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب 88، أبريل 2014.
- 24- زكي العايدي وآخرون، المعنى والقوة في النظام العالمي الجديد، ترجمة سوزان خليل، مصر: سينا للنشر، ط1، 1994.
- 25- سعيد اللاوندي، الشرق الأوسط الكبير مؤامرة أمريكية ضد العرب، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005.

- 26- سليمان بن صالح الخراشي، حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د.م.ن: د.د.ن، 2008.
- 27- شاكِر النابلسي، أسئلة الحمقى في السياسة والإسلام السياسي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005.
- 28- شاهر إسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث أيلول، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009.
- 29- شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مصر: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.
- 30- ضياء مجيد الموسوي، أسس علم الاقتصاد، د.م.ن: ديوان المطبوعات الجامعية، ج1، 2011.
- 31- -، العولمة واقتصاد السوق الحرة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 2007.
- 32- عادل البديوي، الإدراك الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية دراسة في المبادئ الجيوبوليتيكية، الأردن: دار الجنان للنشر والتوزيع، 2016.
- 33- عادل محمد العضائيلة، الصراع على المياه في الشرق الأوسط الحرب والسلام، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2015.
- 34- عامر مصباح، نظرية العلاقات الدولية الحوارات النظرية الكبرى، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2009.
- 35- عباسة دريال صورية، السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي-الإسرائيلي في ظل النظام الدولي الجديد، الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2012.
- 36- علي بشار بكر أغوان، الفوضى الخلاقة العصف الرمزي لحرائق الشرق الأوسط، بغداد: مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2013.
- 37- علي زياد عبد الله فتحي العلي، القوة الأمريكية في النظام الدولي، مصر: دار المكتب العربي للمعارف للنشر والتوزيع، 2015.
- 38- علي عبد الفتاح كنعان، الإعلام الدولي والعولمة الجديدة، الأردن: دار اليازوري، 2014.
- 39- فواز جرجس، أوباما والشرق الأوسط نهاية العصر الأمريكي؟، ترجمة: محمد شيا، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، فبراير 2014.
- 40- كارين أ. منغست، إيفان م. أريغوين، مبادئ العلاقات الدولية، ترجمة حسام الدين خضور، دمشق: دار الفرقد، ط1، 2013.
- 41- كامل علاوي الفتلاوي، عاطف مرزوق، العولمة ومستقبل الصراع الاقتصادي، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2009.



## قائمة المراجع

- 42- ماجد كيالي، " التحديات الشرق أوسطية الجديدة"، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، سبتمبر 2000.
- 43- محمد فهيم درويش، مرتكزات الحكم الديمقراطي وقواعد الحكم الرشيد، القاهرة: دار النهضة العربية، 2010.
- 44- محمد يوسف الهزايمة، العولمة الثقافية واللغة العربية التحديات والآثار، عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2012.
- 45- محمود عبد الفضيل، مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية: التصورات المحاذير أشكال المواجهة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، سبتمبر 2000.
- 46- محمود عرابي، تأثير العولمة على ثقافة الشباب، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2006.
- 47- مفيد الزيدي، "التيارات الفكرية في الخليج العربي 1930-1971"، سلسلة أطروحات الدكتوراه 35، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.
- 48- ممدوح جابر شلبي وآخرون، تقنيات التعليم وتطبيقاتها في المناهج، مصر: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، د.ت.ن.
- 49- ميد والتر، التطورات الحديثة في السياسة الأمريكية وأثرها على العالم، ترجمة: المركز الثقافي للتعريب والترجمة، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2008.
- 50- نصري ذياب خاطر، الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، الأردن: الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1، 2010.
- 51- خليل حسين، الجغرافيا السياسية دراسة الأقاليم البرية والبحرية والدول وأثر النظام العالمي في متغيراتها، بيروت: دار المنهل اللبناني، ط1، 2009.
- 52- ———، النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية، بيروت: دار المنهل اللبناني، ط1، 2009.
- 53- وليد بن صالح الرميزان، الليبرالية في السعودية والخليج دراسة وصفية نقدية، بيروت: روافد للطباعة والنشر والتوزيع، 2009.
- 54- يحيى أحمد الكعكي، الشرق الأوسط وصراع العولمة، بيروت: دار النهضة العربية، ط1، 2002.
- 55- يحيى سعيد قاعود، أطروحات فوكوياما وهانتغتون والنظام العالمي الجديد دراسة تحليلية مقارنة، الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، ط1، 2015.

ثانيا: أطروحات الدكتوراه

- 01- الجوزي عزالدين، "حماية حقوق الإنسان عن طريق حق التدخل الإنساني: استرجاع للقانون الدولي"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص القانون، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2015.
- 02- تامر إبراهيم كامل عبده هاشم، "الصراع بين الولايات المتحدة والصين الشعبية وروسيا دراسة حالة آسيا الوسطى وبحر قزوين (2000-2008)"، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في العلاقات الدولية، كلية التجارة، جامعة حلوان، مصر، 2012.
- 03- حاج عبو شرفاوي، "علاقة البنية المعرفية الافتراضية بالبنية المعرفية الملاحظة دراسة تحليلية في ضوء نظرية بياجيه لدى عينة من طلبة المتوسطات والثانويات"، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس العام، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2011-2012.
- 04- عبد الجليل محمد حسين كامل، "الشرق الأوسط الكبير دراسة تحليلية مقارنة للمشاريع الأمريكية في المنطقة"، دراسة مقدمة للحصول على دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية، القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2008.
- 05- علي بن حسن يعن الله القرني، "متطلبات التحول التربوي في مدارس المستقبل الثانوية بالمملكة العربية السعودية في ضوء تحديات اقتصاد المعرفة"، رسالة دكتوراه في الإدارة التربوية والتخطيط، نقلا عن بن ونيسة ليلي، "اقتصاد المعرفة وجودة التعليم العالي الجزائر -دراسة مقارنة-"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية، العلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر، 2015-2016.
- 06- قزران مصطفى، "مبدأ مسؤولية الحماية وتطبيقاته في ظل مبادئ وأحكام القانون الدولي العام"، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الحقوق فرع القانون العام، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014-2015.
- 07- سماتي حكيم، "أثر المنظمة العالمية للتجارة على السيادة"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الحقوق قسم القانون العام، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، 2016/2017.
- 08- شيرين حامد فهمي السيد، "الأبعاد الثقافية للاستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية بعد 11 سبتمبر"، دراسة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2010.

- 09- صالح بن محمد بن عمر الدميحي، "موقف اللبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين دراسة تحليلية نقدية"، رسالة دكتوراه منشورة، الرياض: مجلة البيان فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 2012.
- 10- وداد غزلاني، "العولمة والإرهاب الدولي بين آلية التكيف والتركيب"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010.

### ثالثاً: المقالات

- 01- أحمد سليم البرصان، "مبادرة الشرق الأوسط الكبير، الأبعاد السياسية والاستراتيجية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 158، أكتوبر 2004.
- 02- أحمد ناصوري، النظام السياسي وجدلية الشرعية والمشروعية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 24، العدد 2، 2008.
- 03- إبراهيم خلف العبيدي، "التيارات السياسية في الخليج العربي"، مجلة المجمع العلمي، بغداد، ج2، المجلد 45، 1998.
- 04- إسلام بركات، "المؤسسات الدينية والدولة"، حوارات منتدى الدين والحريات 2012-2016، القاهرة: المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، 2017.
- 05- إيمان أحمد الغزاوي، "الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن ظاهرة الوحي إنموذجاً-دراسة نقدية"، دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد 43، العدد 1، 2016.
- 06- إدوارد جيريان، "تغيير العقول لكسب السلام: توجه استراتيجي جديد للدبلوماسية العامة الأمريكية في العالم العربي والإسلامي"، المستقبل العربي، نوفمبر 2003، العدد 297.
- 07- أشرف محمد عبد الله ياسين، "السياسة الأمريكية تجاه الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط"، المجلة العربية للعلوم السياسية، بيروت: الجمعية العربية للعلوم السياسية بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 26، ربيع 2010.
- 08- أمينة رباحي، "عودة المسلمة الدينية"، المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 41، العدد 476، 2018.
- 09- برونو بومييه، "استخدام القوة لحماية المدنيين والعمل الإنساني، حالة ليبيا وما بعدها"، مختارات من المجلة الدولية للصليب الأحمر، المجلد 93، العدد 884، سبتمبر 2011.
- 10- بوقندور اسماعيل، "التخلف السياسي في الدول العربية المعايير الدولية والمقاربات الإقليمية"، دفاثر السياسة والقانون، العدد 9، جوان 2013.

- 11- جوان كول، "السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط في الفترة الثانية لباراك أوباما"، سلسلة محاضرات الإمارات، أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014.
- 12- حسن أبو طالب، "السياسة الأمريكية تحت سطوة اليمين الديني والسياسي"، التقرير الاستراتيجي العربي 2002-2003، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، يونيو 2003.
- 13- حسن عبد العال، "بريطانيا وفكرة الشرق الأوسط"، الفكر السياسي، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، العدد 11 و12، خريف وشتاء 2001.
- 14- حسن عوض، "الانتقال إلى الديمقراطية في الوطن العربي بين الإصلاح التدريجي، والفاعل الثوري 2001-2011"، المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 388، جوان 2011.
- 15- حسين حافظ وهيب، "استراتيجية الإدارة الأمريكية الجديدة إزاء الشرق الأوسط"، دراسات دولية، بغداد: مركز الدراسات الدولية، العدد 46.
- 16- خالد أحمد أبو نحل، "من يملك قرار وقف التطبيع مع العدو!؟"، تقدير موقف، مركز غزة للدراسات والاستراتيجيات، 2020.
- 17- خالد المصري، "النظرية البنائية في العلاقات الدولية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 30، العدد الثاني.
- 18- خالد حامد شنيكات، غالب عبد عربيات، "التنبؤ في العلاقات الدولية دراسة في الأدبيات النظرية"، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 39، العدد 3، 2012.
- 19- خالد حساني، "بعض الإشكاليات النظرية لمفهوم التدخل الإنساني"، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 425، جويلية 2014.
- 20- خالد عبد الحفيظ محمد حمد، "اقتصاديات المعرفة في الدول العربية: الواقع وتحديات المستقبل"، مجلة النيل العلمية، يناير 2011.
- 21- كمال سالم شكري، "مشروع الشرق أوسطية والأمن القومي العربي"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 28، العدد 1، 2012.
- 22- رازميك كوشيان، "أنطونيو غرامشي، فكر أصبح عالماً"، القبس Monde Diplomatique، السنة السادسة، العدد 7، يوليو 2012.
- 23- رحيم حسين، "الإطار الفكري والمؤسسي للعولمة الاقتصادية: من كيتز إلى ستيغليتز"، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، الجزائر: جامعة حسيبة بن بوعلي مخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا، العدد 5، جانفي 2008.

- 24- زياد جهاد حمد، "العوامل المؤثرة في التحول الديمقراطي"، مجلة مداد الآداب، العدد 14.
- 25- زينب عبد العظيم، الاستراتيجية الأمريكية العالمية واستمرار الحرب ضد الإرهاب"، أمّتي في العالم، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2003.
- 26- ساري حنفي، عزام طعمة، "ما وراء الديانية والعلمانية: نقاش الميراث والمساواة بين الجنسين في تونس وتشكل التفكير غير الاستبدادي"، عمران للدراسات، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 08/32، ربيع 2020.
- 27- عبد العزيز المنصور، "العولمة.. والخيارات العربية المستقبلية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 25، العدد 2، 2009.
- 28- عبد العزيز شادي، "المحافظون الجدد والشرق الأوسط المصادر الداخلية والقابليات الإقليمية للسياسة الأمريكية"، أوراق علمية. ندوات، د.م.ن: مركز الدراسات الأمريكية، أغسطس 2005.
- 29- عفاف عزت رقلة، "الزواج المبكر للفتيات وعلاقته بمستوى طموهن ببعض مراكز محافظة الفيوم، مجلة كلية التربية النوعية، العدد 54، يونيو 2016.
- 30- علاء عبد الحفيظ، "الإيديولوجية المحافظة Neoconservatism في الولايات المتحدة الأمريكية"، مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، د.م.ن: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، السنة الثانية، العدد 21.
- 31- علاء عبد العزيز أبو زيد، "الممارسة السياسية للحركات الإسلامية: بين مقاومة الاستعمار والتعامل مع النظم السياسية المعاصرة"، أمّتي في العالم، العدد 3-4، 2002.
- 32- غربي محمد، "تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي"، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، الجزائر: جامعة حسيبة بن بوعلي مخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا، العدد 6، جوان 2009.
- 33- علي موسى الددا، "إدارة ترامب للسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط"، المستقبل العربي، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 41، العدد 477، 30 نوفمبر 2018.
- 34- فواز جرجس، "أوباما والشرق الأوسط مقارنة بين الخطاب والسياسات"، دراسات استراتيجية، أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد 154، 2014، ط2، 2014.
- 35- محسن عوض، "الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية"، سلسلة الثقافة القومية (16)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988.
- 36- محمد أحمد شعيب، "التطبيع مع إسرائيل وأثره على المنطقة العربية"، مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية، ليبيا: الجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد 7 يونيو 2016.
- 37- محمد أنس أبو الشامات، "اتجاهات اقتصاد المعرفة في البلدان العربية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 28، العدد الأول، 2012.

- 38- محمد بوبوش، "قضايا العرب والشرق الأوسط في ظل السياسة الخارجية الأمريكية"، المستقبل العربي، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد 40، العدد 462، 31 أوت 2017.
- 39- محمد بن شاكر الشريف، "تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف"، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الرياض، 2004.
- 40- محمد جبار طاهر الشمري، "دور اقتصاد المعرفة في تحقيق النمو الاقتصادي/ مصر أنموذجاً"، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة الكوفة، العراق، المجلد 2، العدد 10، 2008.
- 41- محمد خالد الشيايب، "القراءة الحداثية العربية للنص الديني: محمد أركون ونصر حامد أبي زيد نموذجاً"، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، الأردن: الجامعة الأردنية عمادة البحث العلمي، المجلد 6، العدد 3، 2013/12/31.
- 42- محمد صالح المسفر، "الليبرالية بين العروبة والتبعية (مصر نموذجاً)"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد الثالث والرابع، 2008.
- 43- محمد كمال، "الفكر المحافظ والسياسة الخارجية الأمريكية"، منتدى الدراسات الأمريكية، جامعة القاهرة: مركز الدراسات الأمريكية، نوفمبر 2004، العدد 5.
- 44- معتر سلامة، "الأمن القومي الأمريكي التحولات الجديدة في ظل إدارة بوش الثانية، كراسات استراتيجية، السنة 16، العدد 162، أبريل 2006.
- 45- مفيد قطيش، "المبادرات الغربية حول الشرق الأوسط"، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 50، أكتوبر 2004.
- 46- مقدم عبيرات، عبد المجيد قدي، "العولمة وتأثيرها على الاقتصاد العربي"، مجلة الباحث، الجزائر: جامعة قاصدي مرباح، العدد 1، ديسمبر 2002.
- 47- منير الحمش، "العولمة وتأثيراتها"، أوراق عربية 24، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ماي 2012.
- 48- مروان قبلان، "أطروحات إدارة ترامب ونظام ما بعد الحرب العالمية الثانية: انقلاب في السياسة الخارجية أم نسخة باهتة من الجاكسونية"، سياسات عربية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 24، يناير 2017.
- 49- هزرشي جلول، "السلام والتطبيع الثقافي"، مجلة المفكر، المجلد 3، العدد 01، 2019.
- 50- يماني سليمان، "توجهات السياسة الخارجية عند دونالد ترامب"، تقدير موقف، مصر: المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 21 ماي 2016.

## قائمة المراجع

- 51- "أرشيف نشرة فلسطين اليوم: كانون الأول/ديسمبر 2017"، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، الجمعة 2017/12/08، العدد 4487.
- 52- التطبيع العربي مع إسرائيل: مظاهره، ودوافعه"، سلسلة تقدير موقف، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/06/21.

### رابعاً: المؤتمرات والندوات

- 01- زينب عبد العزيز، "التجديد في الخطاب الديني والوطني حول المرأة"، مداخلة في ندوة: التجديد في الخطاب الديني والوطني حول المرأة، الرياض: المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الجنادرية، الدورة 26، الأربعاء 13 أبريل 2011.
- 02- علي بن ضميان العنزي، "مدى توافق الاستثمار في وسائل التواصل الاجتماعي مع معايير اقتصاد المعرفة"، ورقة بحثية مقدمة للمنتدى الإعلامي السنوي السابع للجمعية السعودية للإعلام والاتصال. تكامل الأدوار في خدمة التنمية، الرياض، 11-12 أبريل 2016.
- 03- ناهد عزالدين، "التيار الليبرالي العربي وحقوق الإنسان"، ندوة حقوق الإنسان في الخطاب السياسي والحقوق المعاصر في الدول العربية، قطر: اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان، 11-12/05/2008.

### خامساً: القرارات

- 01-قرار 1970 مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، 17 مارس 2011.
- 02-قرار 1973 مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، 17 مارس 2011.

### سادساً: التقارير

- 01- "تقرير متابعة تطبيق الدستور التونسي وتجسيده على مستوى الإطار القانوني"، برلين: المنظمة الدولية للتقرير عن الديمقراطية، 04/01 إلى 09/31 2018.
- 02- "نحو إقامة مجتمع المعرفة"، تقرير التنمية الإنسانية العربية، المكتب الإقليمي للدول العربية، البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، الأردن: المطبعة الوطنية، 2003.

سابعاً: المواقع الالكترونية

01- اسكندر وولف، "تدخلات الولايات المتحدة الأمريكية في الخارج ظهور مذهب باول؟"، في الموقع:

[http://www.au.af.mil/au/afri/aspj/apjinternational/apj-a/2011/2011-2/2011\\_2\\_03\\_Wolf.pdf](http://www.au.af.mil/au/afri/aspj/apjinternational/apj-a/2011/2011-2/2011_2_03_Wolf.pdf)

تاريخ الدخول: 2019/07/25 على الساعة 12:24

02- "الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة مشروع الشرق الأوسط الكبير"، في الموقع:

<http://alkashif.org/html/center/2/1.pdf>

تاريخ الدخول 2018/04/17 على الساعة 01:52

03- "القمة العالمية للتسامح"، في الموقع:

<https://www.worldtolerancesummit.com/ar-ae/>

تاريخ الدخول 2020/03/04 على الساعة 15:34

04- "البابا فرانسيس في الإمارات: زيارة بابوية غير مسبوق لدولة في شبه الجزيرة العربية"، في الموقع:

<https://www.bbc.com/arabic/middleeast-47107619>

تاريخ الدخول: 2020/03/04 على الساعة 15:42

05- الجمهورية التونسية، بوابة وزارة الشؤون الدينية، "ميثاق شرف للإمام الخطيب"، في الموقع:

<http://www.affaires-religieuses.tn/public/ar/pages/625319267>

تاريخ الدخول: 2020/03/03 على الساعة 15:00

06- السيد يسين، "تحليل للقيم الثقافية الأمريكية"، في الموقع:

<http://www.ahram.org.eg/Archive/2009/1/15/WRIT1.HTM>

تاريخ الدخول: 2017/09/21 على الساعة 02:43



07- العفيف الأخضر، "كتاب من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ-النسخة الكاملة"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=369715&r=0>

تاريخ الدخول: 2019/10/06 على الساعة 11:03

08- "المسؤولية عن الحماية"، في الموقع:

<http://www.un.org/ar/preventgenocide/adviser/responsibility.shtml>

تاريخ الدخول: 2016-09-01 على الساعة 01:45

09- المعانيد الشرقي، "المنهج الجينياالوجي عند فريدريك فلهم نيتشه"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=481815&r=0>

تاريخ الدخول: 2019/09/27 على الساعة 23:35

10- المملكة العربية السعودية، "تنظيم مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز ال سعود للحديث النبوي الشريف"، هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، في الموقع:

<https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/3a067704-6e6f-42bd-9767-ab5700c9524f/1>

تاريخ الدخول: 2020/03/03 على الساعة: 16:22

11-إيريك روزان، "لماذا تتفوق السياسة على الأدلة عندما يتعلق الأمر بالدين ومكافحة التطرف العنيف"؟، في الموقع:

<https://cutt.ly/ygQDWU5>

تاريخ الدخول: 2020/10/27 على الساعة 1:15

12-إيهود يعاري، "المسار ما بعد التطبيع الإماراتي الإسرائيلي"، في الموقع:

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-road-beyond-uae-israel-normalization>

تاريخ الدخول: 2020/10/29 على الساعة 23:00

## قائمة المراجع

13-جوناتان ماركوس، "مؤتمر وارسو: أول محفل دولي يضم عربا وإسرائيليين منذ تسعينيات القرن الماضي"، في الموقع:

<https://www.bbc.com/arabic/middleeast-47224800>

تاريخ الدخول: 2019/12/27 على الساعة 20:20

14- سارة الشمالي، "رحل شاعر النابلسي ليبرالي العروبة"، في الموقع:

<https://elaph.com/Web/news/2014/1/867827.html>

2019/08/23 على الساعة 12:50

15- "زيارة مدونين عرب لإسرائيل" تطبيع شعبي أم خيانة فردية؟"، في الموقع:

<https://www.bbc.com/arabic/inthepress-49110399>

تاريخ الدخول: 2019/12/27 على الساعة 19:10

16- سلام أبوشهاب، آلاء عبد الغني، "تأسيس مجلس حكماء المسلمين برئاسة الطيب وبن بيه"، في الموقع:

<http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/6dbc36fc-a32d-4925-98da-3423ebddda80>

تاريخ الدخول: 2020/04/12 على الساعة 16:58

17- شاعر النابلسي، "العرب والفلسطينيون والقبضة الإسرائيلية"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=69573&r=0>

تاريخ الدخول: 2019/08/22 على الساعة 20:48

18- شاعر النابلسي، العراق بين الإحلال الأمريكي والاحتلال الإيراني"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=164792&nm=1>

2019/08/22 على الساعة 23:29

19- شاعر النابلسي، "اليوم المشهود، ووفاء العهود، وفتح الطريق المسدود!"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=20079>

2019/08/22 على الساعة 23:05

## قائمة المراجع

20- شاكر النابلسي، "من هم الليبراليون العرب الجدد، وما هو خطابهم؟"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=19771&r=0>

22/08/2019 20 :01

21- شاكر النابلسي، "لماذا أصبح العرب عصيين على التطبيع؟"، في الموقع:

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=21136>

تاريخ الدخول: 2021/02/14 على الساعة 22:31

22- "قمة الثماني تتبنى مشروعاً لإصلاح العالم العربي"، في الموقع:

[http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world\\_news/newsid\\_3793000/3793557.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_3793000/3793557.stm)

تاريخ الدخول: 2017-07-05 على الساعة 15:01

23- كزار أنور البديري، "التطبيع مع إسرائيل: خط الرمال الذي ترسمه دول الخليج في الشرق

الأوسط"، في الموقع:

[https://www.researchgate.net/publication/340176053\\_alttby\\_m\\_asrayl\\_kht\\_alrmal\\_aldhy\\_trsmh\\_dwl\\_alkhlyj\\_fy\\_alshrq\\_alawst/link/5e7c9c1692851caef49e0057/download](https://www.researchgate.net/publication/340176053_alttby_m_asrayl_kht_alrmal_aldhy_trsmh_dwl_alkhlyj_fy_alshrq_alawst/link/5e7c9c1692851caef49e0057/download)

تاريخ الدخول : 2020/10/30 على الساعة 23:30

24- كمال غبريال، "البرالية الجديدة و فضاء يتشكل مقارنة لمانفستو الليبراليين الجدد"، في

الموقع:

<https://elaph.com/web/Archive/1088228607881939600.html>

تاريخ الدخول 2019/09/28 على الساعة 01:13

25- كمال غبريال، "حنانك يا د. فيصل القاسم"،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=50826>

2019/08/25 على الساعة 20:04

26- كمال غبريال، "خيار المقاومة (القتل) وثقافة اليأس"، في الموقع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=57348&r=0>

تاريخ الدخول: 2020/01/21 على الساعة 15:51

27- "مبادرات التسامح"، في الموقع:

<https://u.ae/ar-AE/about-the-uae/culture/tolerance/tolerance-initiatives>

تاريخ الدخول: 2020/03/04 على الساعة 15:13

28- "مراكز محاربة التطرف"، في الموقع:

<https://u.ae/ar-AE/about-the-uae/culture/tolerance/centers-for-counteracting-extremism>

تاريخ الدخول: 2020/03/04 على الساعة 16:04

29- "مجلس حكماء المسلمين"، في الموقع :

<https://www.muslim-elders.com/ar/page/15/who-we-are>

تاريخ الدخول: 2020/04/12 على الساعة 16:36

30- "مجموعة الثماني...حقائق ومعلومات"، في الموقع:

[http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world\\_news/newsid\\_3788000/3788931.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_3788000/3788931.stm)

تاريخ الدخول: 2017-07-05 على الساعة 14:44

31- "مجموعة الدول الثماني ومجموعة الدول العشرين"، في الموقع:

<http://www.diplomatie.gouv.fr/ar/politique-etrangere-de-la-france/diplomatie-economique/les-institutions-et-les/g8-et-g20-1431/>

تاريخ الدخول: 2017-07-05 على الساعة 14:33

32- والتر راسيل ميد، "الثورة الجاكسونية.. الشعبية الأمريكية والنظام الليبرالي"، في الموقع:

[http://www.neworientnews.com/index.php/reports-and-documents/42787-](http://www.neworientnews.com/index.php/reports-and-documents/42787-2017-01-31-10-54-03)

[2017-01-31-10-54-03](http://www.neworientnews.com/index.php/reports-and-documents/42787-2017-01-31-10-54-03)

33- "وفاة شيخ الليبراليين العرب شاكرا النابلسي"، في الموقع:

<https://elaph.com/Web/Culture/2014/1/867506.html>

2019/08/23 على الساعة 12:52

ب-باللغة الأجنبية

**A-Books**

- 01- Brown wendy, Edgework Critical essays on Knowledge and Politics , Princeton University Press, 2009.
- 02- Charles Siegel, Classical Liberalism, California : Preservation Institute, 2011.
- 03- Eamonn Butler, Classical Liberalism-A Primer , Great Britain : The Institute of Economic Affairs.
- 04- Katherina Wilkens, Higher Education Reform in the Arab World, The Saban Center for Middle East Policy, Brookings, August 2011.
- 05- Ludwing Von Mises, Liberalism in the Classical Tradition , Translated by Ralph Raico, NewYork : The Foundation for Economic Education Inc, 3rd Edition, 1985.
- 06- Peter Mandaville, « How Religious Beliefs affect Politics ? » : Jenny Edkins, Maja Zehfuss, Global politics: a new introduction, New York : Routledge, 2<sup>nd</sup> edition, 2014.
- 07- Stephen Grand and Katherine Wolff, Assessing Saudi Vision 2030 : A 2020 Review , Atlantic Council Rafik Hariri Center for the Middle East, June 2020.
- 08- Terence Ball, Richard Dagger, Daniel I.O'Neill, Political Ideologies and Democratic Ideal, United States of America : Pearson Education, 9th Edition, 2014.
- 09- Walter Douglas, Jeanne Neal, Engaging the Muslim World Public Diplomacy after 9/11 in the Arab Middle East, Afghanistan, and Pakistan , Washington : Center for Strategic International Studies, November 2013.

**B- Doctoral Dissertation :**

- 01- Dionysius Markakis, « US Democracy Promotion in the Middle East The pursuit of Hegemony ? », A thesis submitted to the department of international relations of the London School of Economics for the degree of Doctor of philosophy, London, october 2012.

**C- Articles :**

- 01- Alan Johnson, « Putting Cruelty First : An Interview with Kanan Makiya (Part 1), Democratiya 3, Winter 2005.
- 02- Amr Adly, « Will Saudi-Egyptian Geopolitical Partnership Push for Economic Integration ? Increasing Interdependencies », Research Project Report, European University Institute, February 2019/02.
- 03- Anton M, « The Future of Liberal Democracy », Journal of Political Sciences and Public Affairs, Volume 5, Issue 2, 2017.
- 04- Aylin Guney and Fulya Gokan, «The Greater Middle East as a Modern Geopolitical Imagination in American Foreign Policy », Geopolitics, Taylor and Francis Group, 2010.

- 05-Barry Rubin, Tamara Cofman Wittes, Laith Kubba, « Arab Liberalism and Democracy in the Middle East », Middle East Reviw of International Affairs, vol 8, N 4v December 2004.
- 06-Bertrand Badie, Dirk-Berg Schlosser, Leonardo Morlino, eds, « Liberalism in International Relations », International Encyclopedia of Political Science, Los Angeles : Sage, 2011.
- 07-Bin Sang Hun, Cho Kyung Ryun, Na Hong Ju, Park Young Hee, « Correlation between Cultural Diplomacy and Cultural Exchange in cases of the british Council and the Korean Cultural Center », Participant Papers 2013 in The International Symposium on Cultural Diplomacy, UK, July 2013.
- 08-Christian M.Henderso, «The 2006 National Security Strategy of the United States : The Pre-emptive Use of Force and the Persistent Advocate », Tulsa Journal of Comparative and International Law, volume 5,issue 1, 9-1-2007.
- 09-David. Y. F. Ho (1995), « Internalized culture, culturocentrism, and transcendence », Counseling Psychologist, 23, No.1.
- 10-David Schultz, « American Foreign Policy in the Age of Donald Trump », Lithuanian Annual Strategic Review, Military Academy of Lithuania, Vol 17, 2019.
- 11-EDDIEJ.Girdner, "Wake Up and Smell the Oil the Grassroots Struggle Against the Oil Plunder in Iraq", Monthly Review, 01-04-2014.
- 12-Emiliano Alessandri, Oz Hassan, Ted Reinert, " U.S. Democracy Promotion from Bush to Obama ", EUSPRING working paper n.1, April 2015.
- 13-Eva Bellin, « Faith in Politics : New Trends in the Study of Religion and Politics », World Politics, 60, January 2008, p 318.
- 14-Gibson Irenek, « Improving U.S State Department Cultural Exchanges With the Middle East : A Case Study Comparison of Iraq and Jordan », Poltical science Honors Projects, Patrick Schmidt, Paper 19, april 22, 2015.
- 15-Guido Steinberg, « Regional Power United Arab Emirates Abu Dhabi is No Longer Saudi Arabia's Junior Partner », SWP Research Paper 10,Berlin : Stiftung Wissenschaft und Politik, 10, July 2020.
- 16-Hamed Mohagheghnia, Ali Latifinia, « A Constractivist Approach into the Emergence of the Terrorism in the Middle East », International Journal of Scientific Study, July 2017, Vol 5, Issue 4.
- 17-Houssam Darwisheh, « Regime Survival Strategies and the Conduct of Foreign Policy in Egypt », Middle East Review, vol.2, Japan, IDE-JETRO, 2015
- 18-Isabel David, « Rethinking Liberal Democracy : Prelude to Totalitarianism », Journal of Liberty and International Affairs, Vol.1, No.1, 2015.
- 19-Jakob Kapeller, Stephan puhringer, « Democracy in Liberalism and Neoliberalism the case of Popper and Hayek », ICAE Working Paper Series, Austria Institute For Comprehensive Analysis of Economy, No10, November 2012.
- 20-Jane Kinninmont, « Vision 2030 and Saudi Arabia' Social Contract. Austerity and Transformation », Research Paper, July 2017.
- 21-Joe Barnes, Andrew Bowen, Rethinking U.S Strategy in the Middle East, The Center for the Middle East at the Baker Institute for Public Policy and the center for the National Interest, 2015.

- 22-Joseph Nye ? « Soft Power and Cultural Diplomacy », in Tala Mohebi, « Cultural Diplomacy », Public Diplomacy Magazine, Winter 2010.
- 23-Justin Vaisse, " Why Neoconservatism Still Matters ", Foreign Policy at Brookings, Number 20, May 2010.
- 24-Katerina Dalacoura, " US democracy promotion in the Arab Middle East since 11 september 2001: a critique ", International Affairs 81, 5 (2005).
- 25-Kenneth Katzman, Kathleen J. McInnis, Clayton Thomas, US-Iran Conflict and Implications for US Policy, CRS Report Prepared for members and Committees of Congress, Congressional Research Service, R 45795, may 8, 2020.
- 26-Lisa Watanabe, Jack Thompson, Trump's Middle East Policy », CSS Analyses in Security Policy, No 233, October 2018.
- 27-Mahmoud Khalifa, « Egypt's Domestic and International Role to Combat Political Terrorist », Journal of Social and Political Sciences, vol.1. No.1.
- 28-Manfred Holodynski, « The Internalization Theory of Emotions : A Cultural Historical Approach to the Development of Emotions », Mind, Culture and Activity, Routledge Taylor and Francis Group, 20, 2013.
- 29-Marc f.Plattner, « Liberalism and Democracy Can't Have One Without the Other », Foreign Affairs, Volume 77, No,2.
- 30-Marwa al A'sar, « Sisi, al-Azhar at logger heads over verbal divorce », The Arab Weekly, February 12, 2017.
- 31-Maurits Berger, Els Van Der Plas, Charlotte Huygens, Neila Akrimi, Cynthia Schneider, « Bridge the Gap, or Mind the Gap ? Culture in Western-Arab Relations », Clingendael Diplomacy Papers No.15, The Hague : Netherlands Institute of International Relations, January 2008.
- 32-Michael Clarke, Anthony Ricketts, « Donald Trump and American Foreign Policy : the Return of the Jacksonian Tradition », Comparative Strategy, 36 :04, August 2017.
- 33-Michael W.Doyle, « Liberalism and World Poltics », American Political Science Review, Vol.80,No.4, December, 1986.
- 34-Mislav Kukoc, « Liberal Philosophy and Globalization » , Synthesis Philosophica, 47, 1/2009.
- 35-Nicole Bibbins Sedaca, Nicolas Bouchet, Holding Steady ? US Democracy Promotion in a Changing world, London : Chatham House, February 2014.
- 36-Osman Nuri Ozalp, "Where is the Middle East? The Definition and Classification Problem of the Middle East as a Regional Sub-System in International Relations", TJP Turkish Journal of Politics, vol 2, N2, winter 2011.
- 37-OZ Hassan, « American Democracy Promotion and the 'Arab Spring' », IDEAS reports, Kitchen, Nicholas (ed.) SR009 ? LES IDEAS, London School of Economics and Political Science, London, UK, 2012.
- 38-Peter Burnham, « Neo-Gramscian Hegemony and the International Order », Capital and Class, 45 (1), october 1991.
- 39-Rishab Kumar Mishra, « Vygotskian Perspective of Teaching-Learning », Innovation : International Journal of Applied Research, Volume-1, Issue-1, December 2013.

- 40- Tamir Moustafa, « Conflict and Cooperation between the State and Religion Institutions in contemporary Egypt », International Journal of Middle East Studies, the United States of America : Cambridge University Press, 32 (1), 2000.
- 41-Ralph Michaels, « Banning Burqas : the Respective of Post Secular Comparative Law », 28 Duke Journal of Comparative and International Law, 2018.
- 42-Roderic.H.Davison, " Where is the Middle East ? ", Foreign Affairs, vol 38, N4, July 1960.
- 43-Samuel Helfont, « Kanan Makiya and the Rejection of Victimhood », The American Review of Books, Blogs, and Bull, Center for the Study of America and the West, September 2016.
- 44-Stephen Eric Bronner, Constructing Neo-Conservatism », Logos3.2, Spring 2004.
- 45-Tania Zittoun, Alex Gillespie, « Internalization : How Culture becomes Mind », Culture and Psychology, 21 (4), London School of Economics and Political Science, 2015.
- 46-Thomas Carothers, Aiding Democracy Abroad The Learning Curve, Washington : Carnegie Endowment for International peace, 2003.
- 47-Valdiodio Ndiaye, « Behaviorisme VS Cognitivisme : Quelle Approche pour l'Apprentissage Humain ? », Education Scientifique, Université Cheikh Anta Diop, Sénégal, septembre 1997, vol.1 N1.

#### **D- Conferences :**

01-EDDIEJ.Girdner, « The Greater Middle East Initiative : Regime Change, Neoliberalism, and US Global Hegemony », presented at the first international conference : America in the Middle East, the Middle East in America, American University of Beirut, Lebanon, December 18-21, 2005.

02-Michel Singh, « The US Approach to promoting Democracy in the Middle East », paper presented at a conference organized by the Euro-Mediterranean Foundation of Support to Human Rights Defenders (EMHRF) : Democratic Change in the Arab Region : State Policy and the Dynamics of the Civil Society, April 2-3, 2011, Brussels.

#### **E-Reports**

- 01- Christopher M. Blanchard, « Saudi Arabia : Background and US Relations », CRS Report Prepared for members and Committees of Congress, Congressional Research Service, RL 33533, february 18, 2020.
- 02- Kenneth Katzman, Sarah Collins « Bahrain : Unrest, Security, and US policy », Report Prepared for members and Committees of Congress, Congressional Research Service, April 20, 2021.
- 03- Stéphane Lacroix, « Saudi Arabia and the Limits of Religious Reform », Report commissioned by the Cambridge Institute on Religious and International Studies (CIRIS) on behalf of the Transatlantic Policy Network on Religious and Diplomacy 25 February 2019.



- 04- « Cultural Diplomacy The Linchpin of Public Diplomacy », Report of the Advisory Committee on Cultural Diplomacy, US Department of State, September 2005.
- 05- Harry C.Triandis, Vasso Vassiliou, « A comparative Analysis of Subjective Culture », Technical Report No 55, Urbana : Group Effectiveness Research Laboratory, October 1967.
- 06- « The National Strategy for Combating Terrorism », The US Department of State : february 2003.
- 07- « The National Strategy for Combating Terrorism », The US Department of State : september 2006.

#### F- Websites :

- 01- Bicchieri, Cristina and Muldoon, Ryan, "Social Norms",  
<https://plato.stanford.edu/cgi-bin/encyclopedia/archinfo.cgi?entry=social-norms>  
06/03/2018 02 :46
- 02- Dag Einar Thorsen, Amund Lie, « What is Neoliberalism ? »,  
<http://folk.uio.no/daget/What%20is%20Neo-Liberalism%2010-11-06.pdf>  
02/04/2018 20 :46
- 03- Daniel Byman, Sara Bjerg Moller, « The United States and the Middle East : Interests, Risks, and Costs », on :  
[http://www.tobinproject.org/sites/tobinproject.org/files/assets/Byman%20%26%20Moller%20-%20The%20United%20States%20and%20the%20Middle%20East\\_0.pdf](http://www.tobinproject.org/sites/tobinproject.org/files/assets/Byman%20%26%20Moller%20-%20The%20United%20States%20and%20the%20Middle%20East_0.pdf)  
\_17/09/2017 03 :10
- 04- Caryle Murphy, « The Arab Spring: The Uprising and its Significance »,  
<http://www.trinitydc.edu/magazine-2012/the-arab-spring-the-uprising-and-its-significance/>  
06-09-2016 22 :18
- 05- « Culture and Globalization », on :  
<http://www.globalization101.org/uploads/File/Culture/cultall.pdf>  
19/09/2017 05 :06
- 06- « Definition of internalize in English »,  
<https://en.oxforddictionaries.com/definition/internalize>  
05/03/2018 23 :21
- 07- Edward Burnett Taylor, « Sir Edward B. Tylor's definition of culture »,  
[https://ocw.mit.edu/courses/anthropology/21a-01-how-culture-works-fall-2012/readings/MIT21A\\_01F12\\_Sir\\_Edwrd\\_cul.pdf](https://ocw.mit.edu/courses/anthropology/21a-01-how-culture-works-fall-2012/readings/MIT21A_01F12_Sir_Edwrd_cul.pdf)  
06/03/2018 02 :02
- 08- Elzbieta. Maczynska, Piotr Pysz, « Classical Liberalism, Neoliberalism and Ordoliberalism »,  
<http://www.pte.pl/pliki/2/12/2.17-39.pdf>  
02/04/2018 10 :53
- 09- Fouad Ajami, « Best Intentions » :  
<https://newrepublic.com/article/67641/best-intentions>  
23/08/2019 13 :15
- 10- Fouad Ajami, « In Syria's War, the lines that matter aren't red »,  
[https://www.washingtonpost.com/opinions/in-syrias-war-the-lines-that-matter-arent-red/2013/05/09/b29ac688-b808-11e2-92f3-f291801936b8\\_story.html](https://www.washingtonpost.com/opinions/in-syrias-war-the-lines-that-matter-arent-red/2013/05/09/b29ac688-b808-11e2-92f3-f291801936b8_story.html)  
23/08/2019 19 :15

- 11- Fraser Cameron, « Global Economic Governance in Asia : Through the Looking Glass of the European Sovereign Debt Crisis », <http://lkyspp2.nus.edu.sg/cag/wp-content/uploads/sites/5/2013/07/Is-Liberal-Democracy-the-best-form-of-Government-to-produce-Public-Goods-by-Fraser-Cameron.pdf>  
02/04/2018 21 :21
- 12- Graham Allison, « What is America's Purpose ? », <http://mearsheimer.uchicago.edu/pdfs/ContentServer.pdf>  
19/09/2017 23 :56
- 13- Harry C. Triandis (2002) , « Subjective Culture », <https://pdfs.semanticscholar.org/3ef1/7452b42ee68c5c72654817626e0b0eff80a5.pdf>  
05/03//2018 23 :52
- 14- Ilham Fakhro, « An Open Affair : As the UAE and Israel Normalize Ties, Gulf Actors Respond », <https://www.crisisgroup.org/middle-east-north-africa/open-affair-uae-and-israel-normalize-ties-gulf-actors-respond>  
31/10/2020 20 :00
- 15- Ishak Ibrahim, « Obstacles to Renewing Religious Discourse in Egypt : Reasons and Results », <https://timep.org/commentary/analysis/obstacles-to-renewing-religious-discourse-in-egypt-reasons-and-results/>  
26/09/2020 19 :54
- 16- Jesse Lutabingwa, « Cultural Diplomacy Through Educational and Cultural Exchanges the Case of North Carolina-Pakistan School Exchange Project », <https://bit.ly/30HxYyr>  
21/02/2020 14 :44
- 17- Jonathan Hoffman, « Why Gulf Nations are normalizing ties with Israel », <https://www.washingtonpost.com/politics/2020/09/24/why-gulf-nations-are-normalizing-ties-with-israel/>  
31/10/2020 3 :02
- 18- Joshua Muravchik, « 'Scoop' Jackson at One Hundred », on : <https://www.commentarymagazine.com/articles/scoop-jackson-at-one-hundred/>  
23/09/2017 15 :23
- 19- Julien Da Costa, « Des Théories Educatrices à la Scénarisation Pédagogique », [http://tecfa.unige.ch/tecfa/maltt/VIP/Ressources/Support/Autre/theories\\_apprentissage.pdf](http://tecfa.unige.ch/tecfa/maltt/VIP/Ressources/Support/Autre/theories_apprentissage.pdf)  
19/03/2018 18 :56
- 20- « Les apprentissages cognitifs chez les personnes en situation de handicap », <https://sharepoint1.umons.ac.be/FR/universite/partenaires/aio/Publications/dossier%20cogniti on.pdf>  
19/03/2018 16 :22

- 21- Marc Oddou, « Théories de L'apprentissage et Activités FLE », <http://www.moddou.com/public/theorie-activites-FLE-Marc-Oddou-BELC.pdf>  
19/03/2018 16 :35
- 22- « Meaning of “internalize” in the English Dictionary », <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/internalize>  
05/03/2018 23 :06
- 23- Muhittin Ataman, « UAE and Israel : Normalization or Formalization ? », <https://www.dailysabah.com/opinion/columns/uae-and-israel-normalization-or-formalization>  
30/10/2020 20 :00
- 24- President Bush's “Greater Middle East Partnership Initiative”, <https://www.hks.harvard.edu/fs/pnorris/Acrobat/AIHayat%20Article.pdf>  
18/09/2016 20 :50
- 25- Ronald Chau, « Liberalism : a Political Philosophy », <https://www.mankal.org/downloads/scholars/liberalism.pdf>  
20/03/2018 20 :00
- 26- Susan Mayer, « A Brief Biograghy of Jean Piaget », <http://gseacademic.harvard.edu/~hgsebio/presentations/A%20Brief%20Biography%20of%20Jean%20Piaget.pdf>  
19/03/2018 14 :51
- 27- « Vygotsky's Sociocultural Theory », <http://www.ceebl.manchester.ac.uk/events/archive/aligningcollaborativelearning/Vygotsky.pdf>  
15/03/2018 21 :40
- 28- « What is Culture? », [https://www2.palomar.edu/anthro/culture/culture\\_1.htm](https://www2.palomar.edu/anthro/culture/culture_1.htm)  
06/03/2018 02 :33
- 29- Yoshihisa Kashima, Michele J. Gelfand, A History of Culture in Psychology, <http://www.gelfand.umd.edu/kashimagelfandhistory.pdf>  
06/03/2018 02 :25
- 30- « The National Security Strategy », <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/nsc/nss/2002/nss1.html>  
25/07/2019 12 :40
- 31- « The National Security Strategy », <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/nsc/nss/2002/nss3.html>  
25/07/2019 13 :15
- 32- « The National Security Strategy », <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/nsc/nss/2002/nss3.html>  
25/07/2019 14 :11
- 33- « The National Security Strategy », <https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/nsc/nss/2002/nss7.html>  
25/07/2019 14 :26

# الفهرس

|         |   |
|---------|---|
| 02..... | مقدمة   |
| 12..... | الفصل الأول: الأهداف الاستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير                          |
| 14..... | المبحث الأول: التعريف بمشروع الشرق الأوسط الكبير                                      |
| 16..... | المطلب الأول: تطورات مشروع الشرق الأوسط الكبير  |
| 16..... | الفرع الأول: لمحة تاريخية   |
| 16..... | أ- مصدر المشروع   |
| 17..... | ب- دور مجموعة الثمانية  |
| 19..... | الفرع الثاني: محتوى مشروع الشرق الأوسط الكبير   |
| 19..... | أ- نص مشروع الشرق الأوسط الكبير   |
| 20..... | أولاً: في المجال السياسي  |
| 20..... | ثانياً: في المجال المعرفي   |
| 21..... | ثالثاً: في المجال الاقتصادي   |
| 21..... | ب- مبادرة الشرق الأوسط الموسع   |
| 24..... | ج- مشروع الشرق الأوسط الجديد  |
| 29..... | المطلب الثاني: عوامل تطور مفهوم الشرق الأوسط  |
| 29..... | الفرع الأول: تعدد المصطلحات الدالة على منطقة الشرق                                    |
| 30..... | الفرع الثاني: ظهور مصطلح الشرق الأوسط   |
| 37..... | المبحث الثاني: تطور الاهتمام الأمريكي بنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط                |
| 43..... | المطلب الأول: موقع نشر الديمقراطية في تطور السياسة الخارجية الأمريكية                 |
| 43..... | الفرع الأول: العلاقة بين نشر الديمقراطية والبعد المثالي في السياسة الخارجية الأمريكية |

- 44..... الفرع الثاني: مؤشرات المكون الديمقراطي في السياسة الخارجية الأمريكية
- 45..... أ- استراتيجية نشر الديمقراطية في إدارة رونالد ريغان
- 46..... ب- ظهور مفهوم التوسع الديمقراطي في عهد بيل كلنتون
- 46..... ج- ظهور مصطلح التدخل الإنساني ومسؤولية الحماية
- 49..... الفرع الثالث: أدوات العمل غير العسكرية لنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط الكبير
- 49..... أ- الأهداف
- 53..... ب- العمل من خلال الأجهزة الحكومية
- 54..... ج- العمل من خلال الأجهزة غير الحكومية
- 55..... د- العمل من خلال القطاع الخاص
- 57..... المطلب الثاني: المقاربة النيوغرامشية ودور المحافظين الجدد في الترويج لنشر الديمقراطية
- 57..... الفرع الأول: تفسير المقاربة النيوغرامشية للأسلوب الأمريكي في ترويج الديمقراطية
- 61..... الفرع الثاني: دور التيار المحافظ الجديد في إدارة جورج بوش الابن
- 62..... أ- التعريف بالمحافظين
- 65..... ب- ظهور المحافظين الجدد
- 69..... ج- الاختلافات الموجودة داخل الفكر المحافظ
- 76..... المبحث الثالث: دوافع العمل على نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط
- 78..... المطلب الأول: ادعاء نشر الديمقراطية كضمان لحماية المصالح الاستراتيجية
- 78..... الفرع الأول: الهيمنة على الثروة النفطية
- 81..... الفرع الثاني: تحقيق الاستقرار وتقليل الإرهاب بما يخدم المصالح الأمريكية

- 81..... الفرع الثالث: التحكم في الانتشار النووي
- 82..... الفرع الرابع: الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني
- 83..... المطلب الثاني: نشر القيم الأمريكية
- 83..... الفرع الأول: المقصود بالقيم الأمريكية
- 84..... الفرع الثاني: أهمية الأفكار والقيم في السياسة الخارجية الأمريكية
- 85..... الفرع الثالث: دور العولمة في نشر القيم الأمريكية
- 96..... الفصل الثاني: التدويت كآلية لتنفيذ مشروع الشرع الأوسط الكبير
- 100..... المبحث الأول: مفهوم التدويت والأطر النظرية المؤطرة له
- 102..... المطلب الأول: مفهوم التدويت ومكانته في علم النفس
- 102..... الفرع الأول: تعريف التدويت
- 102..... الفرع الثاني: معنى تدويت الثقافة
- 105..... الفرع الثالث: استخدام مصطلح التدويت في نظرية علم النفس
- 105..... أ- نظرية Vygotsky
- 107..... ب- نظرية Jean Piaget
- 111..... المطلب الثاني: فهم التدويت على ضوء علم العلاقات الدولية
- 111..... الفرع الأول: التدويت عند أميتاي إيتزيوني
- 113..... الفرع الثاني: التدويت وفق مقارنة أنطونيو غرامشي
- 116..... الفرع الثالث: التدويت وفق النظرية البنائية

- 118.....المبحث الثاني: تذويت وشرعنة القيم الليبرالية والنيولبرالية
- 121.....المطلب الأول: الحرية الفردية كقيمة أساسية في الإيديولوجية الليبرالية
- 121.....الفرع الأول: الفرد أساس المجتمع
- 123.....الفرع الثاني: تعزيز حرية الفرد
- 130.....الفرع الثالث: القيم المشتركة بين جميع البشر عند الليبراليين
- 131.....الفرع الرابع: انعكاسات تبني الليبرالية على العلاقات الدولية
- 133.....المطلب الثاني: العقلانية الاقتصادية كقيمة أساسية في الإيديولوجية النيولبرالية
- 133.....الفرع الأول: مفهوم النيولبرالية
- 137.....الفرع الثاني: العقلانية الاقتصادية والقيم الأخلاقية عند النيولبراليين
- 139.....المبحث الثالث: أدوات تذويت القيم الليبرالية والنيولبرالية
- 140.....المطلب الأول: التبادلات الثقافية
- 140.....الفرع الأول: الثقافة والقوة الناعمة
- 141.....الفرع الثاني: أهمية التبادل الثقافي في الدبلوماسية العامة الأمريكية
- 147.....الفرع الثالث: برامج التبادل الثقافي
- 147.....أ- برامج تبادل الطلاب والقيادات
- 150.....ب-برامج تمكين المرأة
- 152.....المطلب الثاني: الإصلاحات التعليمية
- 152.....الفرع الأول: إصلاح التعليم وتكوين المجتمع المعرفي
- 153.....الفرع الثاني: مستويات الإصلاحات التعليمية



- أ- مستوى يهدف إلى إنشاء اقتصاد ومجتمع المعرفة.....153
- أولاً: المقصود باقتصاد المعرفة.....154
- ثانياً: المقصود بمجتمع المعرفة.....158
- ب- مستوى يهدف إلى نشر قيم التسامح، السلم ونبذ معاداة الغرب.....160
- الفصل الثالث: انتشار الليبرالية في منطقة الشرق الأوسط الكبير.....163
- المبحث الأول: نشأة وتطور التيار الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط.....165
- المطلب الأول: الليبراليون العرب التقليديون.....166
- الفرع الأول: مرحلة الاحتكاك بالحضارة الأوروبية وغياب تيار ليبرالي عام.....166
- الفرع الثاني: الانقسام الليبرالي-الإسلامي.....171
- الفرع الثالث: تلاشي التيار الليبرالي وصعود الأنظمة القومية.....174
- المطلب الثاني: عوامل ظهور الليبراليين العرب الجدد.....184
- الفرع الأول: التدخل الأمريكي.....185
- الفرع الثاني: العولمة.....189
- الفرع الثالث: أزمات الدولة.....193
- المبحث الثاني: طبيعة التيارات الليبرالية الراهنة في منطقة الشرق الأوسط.....195
- المطلب الأول: موقف الليبراليين العرب الجدد من المقاومة المسلحة والاحتلال الأجنبي.....197
- الفرع الأول: الإيمان بعدم جدوى المقاومة المسلحة بشكلها الحالي.....197
- الفرع الثاني: الحكم على التدخل الأجنبي بناء على دوافعه.....200
- المطلب الثاني: موقف الليبراليون العرب الجدد من الدين الإسلامي والتاريخ.....207

- 207.....الفرع الأول: الإسلام ومشروع إقامة الدولة المعاصرة.
- 208.....الفرع الثاني: المطالبة بإخضاع المبادئ المقدسة للنقد وإعادة النظر في التاريخ
- 217.....الفصل الرابع: تقييم قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط الكبير
- 222.....المبحث الأول: العوامل المساعدة على تزايد قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط
- 223.....المطلب الأول: وجود توافق مع أنظمة الحكم وبعض تطلعات شعوب المنطقة
- 223.....الفرع الأول: التوافق التاريخي بشأن الانفتاح الاقتصادي
- 224.....الفرع الثاني: وجود التيار الليبرالي ضمن استراتيجية احتواء الإسلام السياسي
- 228.....الفرع الثالث: الاستفادة من تطلعات شعوب المنطقة نحو الحرية والتقدم
- 230.....المطلب الثاني: تزايد الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني
- 230.....الفرع الأول: المقصود بتجديد الخطاب الديني
- 233.....الفرع الثاني: ملامح تجديد الخطاب الديني في الدول العربية
- 233.....أ- في مصر
- 236.....ب-في تونس
- 237.....ج-في المملكة العربية السعودية
- 238.....د-في الإمارات العربية المتحدة
- 240.....الفرع الثالث: أبعاد تجديد الخطاب الديني
- 241.....أ- الأبعاد العلمية
- 248.....ب-الأبعاد السياسية والأمنية

- المبحث الثاني: العوامل المساعدة على تراجع قوة الفكر الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط...253
- المطلب الأول: تغير ملامح السياسة الخارجية الأمريكية بعد جورج بوش الابن.....254
- الفرع الأول: التركيز على المصالح المشتركة بدل الديمقراطية في عهد الرئيس باراك أوبام..... 254
- الفرع الثاني: التعامل وفق منطق الصفقة في عهد دونالد ترامب .....257
- أ- استبدال تشجيع الديمقراطية بمكافحة التطرف.....258
- ب-تحمل الحلفاء لأعباء الحماية الأمريكية.....258
- ج- احتواء إيران.....260
- د- ضمان أمن الكيان الصهيوني واستقرار أنظمة الحكم.....261
- المطلب الثاني: الطابع النخبوي للفكر الليبرالي وتصادمه مع القواعد الشعبية.....263
- الفرع الأول: الطابع النخبوي للفكر الليبرالي وغربته في المجتمعات العربية والإسلامية.....263
- الفرع الثاني: التناقض بين الأهداف المرجوة والوسائل المفضلة.....265
- الفرع الثالث: عجز الليبراليين العرب عن تقديم الحلول واتخاذ مواقف حاسمة.....268
- الفرع الرابع: مخالفة الموقف الشعبي الراض للتطبيع مع الكيان الصهيوني.....272
- أ- مفهوم التطبيع.....273
- ب-مظاهر التطبيع.....274
- ج- العلاقة بين الترويج للفكر الليبرالي في المنطقة والتطبيع.....277
- د- مآلات التطبيع .....278
- الخاتمة**.....281
- قائمة الجداول**.....288
- قائمة المراجع**.....290

## "مشروع الشرق الأوسط الكبير: بين الأهداف الاستراتيجية و التطلعات الفعلية لشعوب المنطقة"

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على "مشروع الشرق الأوسط الكبير" الذي جاء بناء على إرادة أمريكية، واضعاً دولا ومجتمعات عربية وإسلامية ضمن عملية تغيير؛ بقدر ما ركزت على المستويين السياسي والاقتصادي، انشغلت أيضاً بالمستويين الثقافي والاجتماعي، في وقت يعتبر فيه التغيير نحو الأفضل هو جوهر تطلعات شعوب المنطقة المعنية.

وتخلص هذه الدراسة إلى أن المصالح الأمريكية الاستراتيجية هي التي حددت حجم ومدى تشجيع الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط، وبأن منطق التعامل ضمن مشروع الشرق الأوسط كان قائماً على استهداف الشعوب عبر تغيير إدراكها للمفاهيم التي تضمنها، بما يفضي في النهاية إلى ضمان تلك المصالح. إلا أن المجتمعات العربية والإسلامية لها مدركاتها الخاصة والمتجذرة حول أمور السياسة وشؤون الحكم والعلاقات الخارجية. ويبين هذا العمل بأن التغيير المكنون في مشروع الشرق الأوسط له على أرض الواقع ما يدعم فشله، كما يوجد أيضاً ما يسمح بالتنبؤ بنجاحه ولو نسبياً مستقبلاً.

**كلمات مفتاحية:** الشرق الأوسط-الديمقراطية-الليبرالية-التغيير-الأهداف الاستراتيجية-التذويت

### « Le projet du Grand Moyen Orient : Entre les Objectifs Stratégiques et les Aspirations des Peuples »

#### Résumé :

Cette recherche a pour ambition de mettre la lumière sur le projet du « Grand Moyen Orient », né de la volonté des Etats-Unis d'Amérique pour imposer un changement au sein des sociétés arabes et musulmanes. Il est basé sur un processus politique et économique, avec une dimension culturelle et sociale. Il est lancé à une époque où le changement pour le mieux est au cœur des aspirations des peuples de la région concernée.

Les conclusions de ce travail de recherches peuvent se résumer dans quelques points importants. Les intérêts stratégiques de la politique américaine sont déterminants dans l'incitation à adopter le processus démocratique et son ampleur actuel dans la région du Moyen-Orient puisque la logique des échanges et des pratiques au sein dudit projet « Grand Moyen-Orient » ciblait la modification de la perception des intérêts des populations de cette région, ce qui garantissait à la fin la protection des intérêts de l'initiateur de ce grand projet.

Cependant, le projet vise une société arabe et musulmane, qui a son histoire politique et ses pratiques de gouvernance à l'échelle locale et internationale, ce qui, selon cette étude, serait une des raisons pour lesquelles un tel projet est voué à l'échec, sans exclure définitivement des chances infimes d'aboutir ses objectifs stratégiques dans la région.

**Mots clés** Le Moyen Orient- Démocratie- Libéralisme- Changement - Objectifs stratégiques - Internalisation

### « The Greater Middle East Project: Between the Strategic goals and People Aspirations »

#### Abstract:

The main aim of this thesis is to shed light on the « Greater Middle East Project » which is based on the American will, and it is targeted to societies and States in Islamic and Arab world to put into practice a process of change that focuses on social and cultural levels as much as it is the case on the political and the economic ones, those societies in the meanwhile consider change to a better situation as the core of their aspirations.

This study concludes that the American strategic interests are the main determinants of the extent of democracy promotion in the region, and the deal's logic of the project is the change of people's perceptions in order to protect those interests. However, Arab and Islamic societies have their own and rooted perceptions about governance, politics and foreign policy. It shows at the end that the change wanted by the « Greater Middle East Project » can be defeated actually because there are many facts that show its limiting potential to be achieved completely, but, in the same time, it is not possible to deny the probability of its future success because of the Contemporary situation of the region.

**Key words** The Middle East-Democracy-Liberalism-Change- Strategic goals-Internalization